

السلسلة الثالثة

في التربية الجهادية والبناء

الجزء الثالث

للإمام الشهيد عبد الله يوسف عزام

من منشورات:

مركز الشهيد عزام الإعلامي

بيشاور - باكستان - 1992م - 1413هـ

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب

- مسيرة عرق وأعصاب ودم أخرجت للجيل منهجاً فريداً في التربية والبناء.
- آلام وآمال اعتصرت قلب الشهيد فقدم عصارة فكره وحرارة قلبه في قالب جديد للعمل الإسلامي.
- نور على درب السائرين الحافظين للمنهج القويم الموصل لرب العالمين.
- أضواء وأنوار للجيل الذي تلبط في أفكار الحائرين فكشف القناع عن وجوه الزائغين.
- كوب جديد لحلوق الظامئين يضاف إلى أكواب الأئمة المربين السابقين في العصر الحديث أمثال حسن البنا وسيد قطب.
- حلم تحقق لتلاميذ الشهيد الذين انتظروا هذا المنهج مكتوباً ومحققاً بعد أن رأوه مسموعاً ومرئياً.
- سائلين الله عز وجل أن يكون ذلك كله في ميزان الشهيد يوم القيامة وأن ينفع به أجيال المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

لجنة التحقيق

طبع على نفقة اللجنة النسائية العربية

ملاحظة

أخي الكريم : لقد بذل مركز الشهيد عزام الإعلامي جهداً ضخماً حتى استطاع أن ينقل لكم كلمات الشيخ من أشرطة مسموعة غير منسقة إلى كتب ومجلدات مبوبة ومنسقة ومرتبّة ومحققة، لذا فإن الإخوة المسؤولين في مركز الشهيد عزام الإعلامي يأمنون ممن يريد طبع الكتب الصادرة عن مركزنا أن يحفظ لهذا المركز حقوق النشر والإعداد، لأن انتحال جهود الآخرين لا يجوز شرعاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

لقد عمد الاستعمار على مسخ صورة الجهاد في أذهان المسلمين، فقامت حملة شرسة ومركزة من المستشرقين على الجهاد في الإسلام بعد إن أزيلت آخر منارة كان يتجمع حولها المسلمون في الأرض.

لقد كانت عبارات المستشرقين تنفذ إلى قلوب بعض السذج من المسلمين فكان من ترهاتهم.. أن الإسلام قام بالسيف، فذهب المسلمون بدافع طيب يدافعون وينافحون عن أنفسهم على استحياء، وبروح انهزامية، في الوقت الذي جمع فيه الاستعمار كل ما أوتي من قوة لحرب هذا الدين وطمس معالمه، وتبنى بعض الحركات كالكاديانية والبهائية من أجل نسخ الجهاد من دين الله.

فمن حكمة الله تعالى أنه دائماً وعلى رأس كل قرن يفيض لدينه من يجده ويحيي ما أمات الناس منه، وفريضة الجهاد أصبحت في وجدان الأمة الإسلامية في القرن الأخير نسياً منسياً.

فجاء الشهيد عبد الله عزام على قدر من الله لإحياء فريضة ماتت في إحساس الأمة ووجدانها "فريضة الجهاد" وقد رفعه الله إلى نروة سنام الإسلام فوقف الشهيد يحاول أن يرتفع بهذه الأمة إلى القمم السماء، بعد أن هزمت أو كادت أن تهزم روحياً أمام ضغط المستشرقين ومكرهم.

رفع صوته عالياً ليعلن للعالم الإسلامي، بل للعالم أجمع دون موارد ولا تردد.. نعم إن ديننا قد قام بالسيف وإن راية التوحيد لا يمكن أن تعود خفاقة عالية في ربوع العالمين إلا بالسيف، إن السيف هو الطريق الوحيد لإزالة العقبات، وبناء دولة الإسلام.

لقد حمل الشيخ الشهيد راية الجهاد على نجد فلسطين قبل أن يجاهد في أفغانستان، ثم عزم الشهيد أن لا يحط رحاله ولا يضع البنديقية من يده حتى يرى دولة الإسلام قائمة، ويرى ديار

الإسلام المغتصبة تعود إلى أهلها، فكان الشيخ الشهيد بحق صاحب مدرسة جهادية عملية، وبذلك أعاد للأمة ثققتها بنفسها، وغرس في أعماقها الأمل، بأنه يمكن أن تعود لهذه الأمة مكانتها من جديد، إن هي نهجت الجهاد سبيلاً وسارت في درب سيد المرسلين وصحابته الغر الميامين.

كذلك كان الشهيد بحق فرس المجاهدين، وقد عمل لإعادة الأمة النائية إلى خطها الأصيل الذي طال انحرافها عنه ونحن نجل بشائر ذلك في انتفاض المارد الجبار وتحطيم أغلاله التي طالما صعد بها طويلاً من قوى البغي والعدوان.

لقد طوّف شهيدنا الغالي في آيات الجهاد وأحاديثه، وترسم خطى المصطفى ﷺ في جهاده، وسار على نهج الصحابة والتابعين في دربه، وقد شعر بأن شجرة هذا الدين بدأت تذوي وتذبل فصمّ على أن يرويها من دمه، فالناظر إلى خطب الشهيد عبد الله عزام ومحاضراته ودروسه يلمس صدق الكلمة من صاحبها، وأكبر دليل على ذلك أنه ترجم صدق الكلمات وبرهن عليها بدمائه الزكية . فكلماته ومحاضراته وخطبه كتبها بدمه بعد أن كتبها بعرقه ودموعه وماء قلبه.

فهذه الصفحات التي نخرجها للقراء الكرام، إنما هي عبارة عن خطب ودروس ومحاضرات تمثل فكر الشهيد الجهادي، والتي لم يدخر وسعاً ولم يأل جهداً في تذكير الأمة بماضيها التليد ودورها المرتقب في قيادة البشر، وحمل لواء الجهاد ونشر التوحيد في المعمورة.

وحرصاً من مركز الشهيد عزام الإعلامي على هذا التراث الزاخر المفيد، وتعميماً للفائدة رأى نشر هذه الأشرطة المسموعة على شكل سلسلة مطبوعة، فقام بتشكيل لجنة علمية لهذا العمل الجليل.

منهج اللجنة في العمل :

يتم اختيار الأشرطة التي نتحدث في موضوع واحد، ثم نقرغ وتدقق وتطبع، ثم يصحح المطبوع، ويتم مقابلته على الشريط، ثم يدفع للجنة لضبطه وتنقيطه وتخريج نصوصه من الآيات والأحاديث، ثم يتم إخراجها في شكله النهائي بعد تزيينه بالعناوين الجانبية.

كما اقتضى الأمر أخي القارئ ؛ أن ننوه إلى أن ما تطالعه من كلام مكتوب إنما هو في الأصل أسلوب إقائي، يختلف تماماً عن الكتابة والتأليف فإن وجد تكرار في العبارات، فهذا من طبيعة أسلوب الخطب والمحاضرات.

و أخيراً فهذه التجربة الجهادية العملية، نقدمها للعالم الإسلامي كي ينتفع بها فهي لم تكن محصورة في قوالب نظرية فلسفية وخطب رنانة بعيدة عن روح العمل، إنما هي مدرسة جهادية تمثلها صاحبها واقعاً عملياً قبل أن ينقلها كلاماً للأجيال.

نسأل الله تعالى أن ينفع بها أمة الإسلام، وأن تكون خطوة مباركة على طريق بناء دولة الإسلام.

لجنة التحقيق.

معالم في الطريق

الحمد لله ثم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 71)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :
فيا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً .

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: 21)

وقال عز من قائل :

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: 51)

وفي المقابل يقول رب العزة عن المشركين :

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 217) (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة: 217-218).

ويقول في المقابل عن اليهود والنصارى :

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: 120).

قوانين ربانية ثابتة

قانونان متناقضان لا يتعارضان، وناموسان متوافقان لا يتضادان، قانون النصره الله لعباده وتأبيده أوليائه ومعيته للمحسنين من خلقه.

والقانون المقابل أن المعركة مستمرة من أعدائهم عليهم منذ أن غادرت قدما آدم عليه السلام الجنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ فالمشركون يسنون حرابهم، واليهود والنصارى يشرعون أسنتهم، يلحدون يوصلون مكر الليل بمكر النهار حتى يجتثوا الإسلام ونبته من الوجود ويستأصلوا شأفته من الأرض، هذان قانونان ربانيان نضعهما أمام الدولة القادمة لتستلم حكم أفغانستان، قانون نصره الله لأوليائه، وقانون المعركة المستمرة من الكيد والأحابيل والمصائب والعقابيل التي سيواجهونها عند قيامهم، وما داموا قائمين ستتكاثر الدنيا عليهم كلها، لن يقف بجانبهم صديق مداح ولا عدو ظاهر لأن هذا القانون لا يتوقف، وهذا الناموس لا يتخلف ما دام هناك الإسلام، فالمعركة قائمة مستمرة ضده، وليس للمسلمين إلا انتهاز النهج المبين واتباع الصراط المستقيم وتوثيق الصلة بالرحمن الرحيم حتى ينزل عليهم النصر المبين، ليس للمسلم أي منجى ولا محيص ولا ملجأ ولا مهرب من الله إلا إلى الله، وزاد المسلمين على الطريق :

قوانين ثابتة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 153-157).

قانون الصبر والصلاة والجهاد الذي لا بد أن تكون نتيجته الشهادة على الطريق ؛ وقانون الصبر على البلاء الذي هو من مستلزمات جادة الدعوة الإسلامية منذ أن تتفتح أعين المسلم على النور حتى يلقي الله عز وجل.

ولذلك فقانون مقاتلة المشركين للمسلمين ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ
إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: 217)، عقبه رب العزة مباشرة بذكر الإيمان والهجرة والجهاد، أن هذا
هو الطريق الذي يمكن أن يصد كيد أعدائكم ويبطل أحابيلهم ويردّ كيدهم في نورهم.

وقانون الصبر والصلاة الذي هو زاد الجادة القويمة عقب عليه رب العزة قائلاً ﴿وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 154).

فعدتنا على طريق مكافحة الباطل ومنازلة الضلال ومواجهة الإلحاد والشرك وأهل الكتاب
هو الصبر، الصبر على الابتلاء، وغصص اللأواء، وتجرّ مرارة الطريق، احتساب العمل لرب
العالمين، قيام الليل، صيام النافلة ...

﴿فَمِ اللَّيْلِ إِذَا قَلِيلًا﴾ (المزمل: 2)

لماذا ؟

﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَوْلًا تَقِيلًا﴾ (المزمل: 5).

قيام الليل، صيام النافلة، حب المسلمين، موادتهم وتراحمهم فيما بينهم، عدم خذلانهم، عدم
تتبع عوراتهم حتى تظهر الأمة الإسلامية يداً واحدة حتى ترهب أعداء الله عز وجل. والظهور
بمظهر الوحدة أمر مقصود من الشارع الحكيم حتى يهابه الكفار، وتكثير سواد المسلمين أمر
نص عليه ﷺ حتى أمر الحيض أن يخرجن إلى صلاة العيد من أجل تكثير سواد المسلمين،
وأمر الذين لا يستطيعون أن يقاتلوا أن يخرجوا مقابل الكفار من أجل تكثير سواد المسلمين،
ولذلك هذا هو زادنا على الطريق، نشعر أننا أمة واحدة، لها منهاج واحد، رسمه رب العزة
في كتابه العزيز على لسان نبيه الرؤوف الرحيم، وتقوية الصلة بالله عز وجل، وإكثار النوافل
(ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه
ولئن سألتني لأعطينه) [البخاري]. . فالطريق واضح والمنهاج بين، والله يريد أن ينصر عباده
وإنما فقط من هم المتبعون ؟

وكما قال ﷺ وهو يتكلم عن الجهاد في سبيل الله وأشار بأصابعه أو بيده هكذا - ويدي
أقصر من يد رسول الله ﷺ - قال: وأين المجاهدون في سبيل الله؟ فإذا توفرت هذه الصفات
في فئة مؤمنة وانتهجت هذا النهج وسارت على هذه الجادة فاشه متكفل بنصرها ومتكفل
بخذلان أعدائها وإن كانت المعركة مستمرة..

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: 120).

قوانين إلهية :

القانون الأول :

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: 43).

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إنا لنجد في التوراة : من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي في القرآن الكريم ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ هذا قانون.

القانون الثاني :

والقانون الثاني الذي يؤيدنا على الطريق :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: 38).

القانون الثالث : تكفل الله بالنصر..

﴿إِنْ تَتَّصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7).

فالله تكفل بنصرنا وتكفل بكف أعدائنا، أما اليهود فقال الله عز وجل عنهم :

﴿وَأَلْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة: 64).

وقال عن النصارى كذلك، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾، هذا طبعاً لليهود...

﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: 13).

والله تكفل بتمزيق صفوف أعدائنا من النصارى، وتكفل بإطفاء نار الحرب التي يوقدها اليهود ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ .

وتكفل أن أتباع الشيطان يوهن الله كيدهم من الكافرين..

﴿ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: 18).

هذا من ناحية القوانين النصية التي وردت في الكتاب العزيز، وهذه الأمور قد أسهب فيها القرآن تفصيلاً وبياناً لأنها أمور عقدية تجري عليها الحياة كلها، وأهم وأعظم قضية وهي قضية المعركة بين الإسلام والجاهلية تجد القرآن قد استطردها فيها ولا تستطيع أن تفصل بين القرآن المكي والقرآن المدني في هذا البيان والتفصيل الإسهاب الذي يقوم عليه الإسلام نفسه معركة الإسلام والجاهلية، والذين لا يدركون هذه المعركة ولا قوانينها ولا أبعادها لا يمكنهم أن يفهموا عقيدة الإسلام، ولا يمكنهم أن يدركوا طبيعة هذا الدين ولا يمكنهم أن يسهموا بقطر وافر في رفع شريعته فوق العالمين، لن يستطيع أحد أن يفهم طبيعة هذا الدين إلا إذا فهم معركة الإسلام مع الجاهلية.

المعركة بين الإسلام والجاهلية

والإسلام في مكة كله قد تمثل في هذه القضية، قضية المعركة بين الإسلام والجاهلية، لم يكن هنالك صيام ولا زكاة ولا حج ولا ميراث ولا غير ذلك من الآداب الشرعية من الشرب باليمين ولا تفصيل الصلاة ولا غير ذلك، كل ذلك قد أرجأه رب العزة حتى تتربى الفئة المؤمنة ذات العقيدة التي تستقر في أعماقها وتسري في مساربها أنه لا لقاء بين الجاهلية والإسلام، وأنه لن تتطفئ أوار معركته ما دام هنالك باطل موجود، وهذان لا يمكن أن يخلو منهما الوجود.

هذه المعركة، من أراد أن يفهمها واضحة كما هي وكأنه يتلقى القرآن الآن كما أنزل ويخوض به معركته الحالية، معركته التي خاضها أول مرة فعلية بظلال القرآن، والذي لا يقرأ كتاب أو تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن" لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذه المعركة لأسباب كثيرة، منها:

أن الرجل الذي كتب هذا الكتاب أو فسّر هذا التفسير كان ينقل إلى الناس أحداثاً من واقع المعركة، من داخل أرض النزال، وكان يكتب الكلمات وهو يرى حبل المشنقة يلوح أمام ناظره، فكتبها وهو مجرد من كل الخوف، من كل العلائق في الدنيا، لا وظيفة ولا زوجة ولا أولاد ولا أية رابطة من الروابط التي تشده على الأرض، كتبه وهو يودع الدنيا، وكل من يقرأ تفسير سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأعراف، وامشي معها، الطبعة الثانية فما بعدها يشعر بأن الذي كتب هذه الكلمات ليس من أهل الدنيا إنما يودع الدنيا بهذه الكلمات ويشير إليها بإشارة السلام المودع بهذه العبارات.

ولذلك كثير من الناس يقرأون في الكتب، في التفاسير، في تفسير ابن كثير، والطبري وغيرهم لن يستطيعوا أبداً، وأنا أتكلم لكم كأستاذ في الشريعة الإسلامية، أعلم أكثر مما تعلمون وأدرك في هذه القضية إذ اطلعت أكثر مما تطلعون، لن يستطيع أن يفهم القرآن كما أنزل ولا أن يخوض به معركته التي أنزله الله من أجلها ليس في فترة الرسول ﷺ بل في كل فترة وفي كل زمان وفي كل حين وفي كل بقعة.

هذا القرآن كتاب الله نزل ليخوض معركة ضد أعداء الله.

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ (الفرقان: 52).

ولا بد للناس أن يفهموا كتاب الله ولماذا أنزل، ومع من تتعامل هذه النصوص، ويظن بعض الناس أن هذه النصوص قد خاضت معركتها وأدت دورها ولم يعد يستطع أن يأخذ بهذه المقاييس ولا أن ينتقل بهذه القوانين ليخوض بها معركته الحاضرة التي كأنها الآن هي المعركة التي خاضها رسول الله ﷺ .

فأوصيكم ونفسي بقراءة "في ظلال القرآن"، ولذلك عندما ساقوا سيد قطب إلى الإعدام، يحدثني من نقل عن من شهد مراسم الإعدام، من مراسم الإعدام أن يتقدم شيخ أزهري يقول للمعدوم أو المحكوم عليه قل لا إله إلا الله، فنقدم الشيخ الأزهري لسيد وقال له : قل لا إله إلا الله يا سيد، فقال: حتى أنت جئت تتم المسرحية... نحن نعدم لأننا نقول : لا إله إلا الله وأنتم تأكلون خبزاً بلا لا إله إلا الله.

إذاً: هنالك لا إله إلا الله تطعم الخبز وتملاً الجيوب وتنفخ البطون، وهنالك لا إله إلا الله تميظ الرقاب من فوق أجسادها وتطيح بالأعناق من فوق نفوسها.

إذاً: أعداء الله يدركون، من الذين يفهمون لا إله إلا الله ومن الذين لا يفهمون لا إله إلا الله، والذين يفهمون لا إله إلا الله إسمهم عند أعداء الله المتعصبون، والذين لا يفهمون لا إله إلا الله إسمهم عند أعداء الله المعتدلون، وهم يطلقونها صريحة : نحن لن نرضى عن الإسلام المتطرف، إنما نرضى عن الإسلام المعتدل، نحن لن نرضى عن الإسلام الأصولي، إنما نرضى عن الإسلام المرن، إنما نريد إسلاماً مرناً على الطريقة الأمريكية، يقال لهم الشيوعية فيقاتلون، ويقال لهم الأمريكان فيقولون :

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ (المائدة: 82).

فهذه المعركة مستمرة، لا يتوقف كيرها عن الإحماء، ولا يخبو ضرامها، ولا تتطفئ نارها ؛ لأنه قانون من قوانين الله عز وجل، لا يتخلف ولا يتغير ولا يتبدل.

أما الواقع التاريخي، فلا أريد أن أسرد لكم الواقع الطويل التاريخي منذ رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، فهذا يحتاج إلى كتب ومجلدات للتفصيل، أنا أورد لكم بعض ما نطقت به ألسنة الكفار الذين يعبرون عن حقدهم ضد هذا الدين ... والكفار بطبيعتهم يدارون أعداءهم، ويخفون عداؤهم، ولا يظهرون غيظهم على قسماة وجوهم إلا إذا اشتد الغيظ ولم يستطيعوا أن يخفوه، إن كيدهم للإسلام وغيظهم ضده أعظم مما يدارون، وأكبر مما يخفونه، ولذلك تظهر على فلتات ألسنتهم وعلى قسماة وجوهم.

سيد قطب والإخوان

يقول سيد قطب : كنت أكره دعوة الإخوان المسلمين، وابتعثتني الحكومة المصرية إلى أمريكا سنة 1949 في أواخر 48 من أجل دراسة المناهج - وكان مفتشاً في وزارة المعارف - قال وهناك حدثت لي قضيتان شدتا ناظري وفتتا انتباهي.

القضية الأولى : أنني في الثالث عشر من فبراير سنة 1949 كنت في مستشفى من المستشفيات الأمريكية فظهرت معالم الزينة والأفراح في المستشفى، فسألت أحد الممرضين، أي عيد هذا الذي تحتفلون فيه ؟ قال الممرض وببساطة ودون تفكير : اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا.

قال سيد : هذه الكلمة هزت السرير تحتي وجعلتني أنتبه، لا يمكن لإنسان يكيد له العالم هذا الكيد إلا أن يكون على حق.

أمريكا تحتفل بمقتل رجل لا نأبه ولا نعطي له بالا، ولا يحضر لخطبه في باب اللوق، أو في الحلمية، عندما يأتي حسن البنا يذهب أمثال سيد قطب إلى المقاهي، ويجلسون لأنهم يربأون بأنفسهم أن يشهدوا خطبة لحسن البنا.

قال : والقضية الثانية أن رجالات المخابرات العالمية كانت تتسابق على اصطياد الشباب الشرقي لإدخالهم في سلكتهم، ليعودوا موظفين بلادهم لهم، حيث يتكفلون لهم بتسليمهم المناصب العليا من أجل أن يؤدوا لهم المهمة العليا ؛ وهي أن يكونوا خدماً أمناء في بلادهم لهذا الكافر الذي نظمهم في سلته وأدخلهم في محافله.

وسيد من الشخصيات التي كانت تكتب في الرسالة وغيرها من الشخصيات البارزة، كانت شبك المخابرات تلقى بسرعة وبكثرة لعل واحدة منها تصطاده. قال ودعاني مدير الإستخبارات في السفارة البريطانية في أمريكا إلى بيته إلى حفلة عشاء، وليبيت نداءه... دعوته، قال ودخلت بيته، وعندما دخلت بيته هالني شيان :

الشيء الأول : سمي أبناءه بأسماء الصحابة : عمر، وعثمان، وعلي، وأحمد وغير ذلك، حتى يؤدون دورهم الذي يمكن أن يؤديه للأمة بريطانيا، دون أن يكتشفوا أنهم ليسوا من المسلمين.

والأمر الثاني : أني وجدت كتاب العمالة الاجتماعية، وقد خلفته مسودة وراء ظهري في مصر ليطبعه أخي محمد، وطبع الكتاب، وأرسلت نسخة واحدة لي في أمريكا، ووجدت النسخة الثانية عند مدير الاستخبارات البريطاني، وقد بدأ يترجمها ليعرف اتجاه سيد قطب في هذا الوقت.

قال : وبدأنا الحديث، واستطرد مدير الاستخبارات بالحديث عن مصر وأحوالها والحركات التي سترث الحكم الملكي الآيل إلى السقوط، وأخرج لي مذكراته الكبيرة - دوسيات كبيرة - وبدأ يطلعني على وثائق دقيقة جداً، أو على أعمال صغيرة جداً كانت تسجلها الاستخبارات البريطانية، خطب البنا في مسجد كذا، نام في قرية كذا، فلان دخل الدعوة يوم كذا، فلان أطلق لحيته، قال : أمور لا نأبه لها، لا نعطي لها بالاً، مسجلة عند الاستخبارات.

ثم قال كلمته الأخيرة: هنالك حزبان مرشحان وجوادان متباريان لوراثة الحكم الملكي: إما الشيوعيين، وإما الإخوان المسلمين، ونحن نرجح أن الإخوان سيستلمون الحكم؛ لأن التيار الشعبي العام معهم، وإذا استلموا الحكم، فستدخل مصر مرة ثانية في عهد الظلام، ونحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن لا يتركوا المجال لهؤلاء أن يصلوا إلى الحكم، حتى لا تتجمد الحالة وحتى لا تتوقف مصر عن النمو.

قال سيد: وفي بيت مدير الاستخبارات البريطانية قررت أن أدخل جماعة الإخوان المسلمين، لأنه لا يمكن أن يكون لدعوة أو حركة يكيد لها العالم هذا الكيد، ويرصدونها هذا الرصد، ويخافونها هذا الخوف، إلا أن تكون على الحق، وفعلاً عندما رجعت اتصل بالأستاذ الهضيبي، وقال: أريد أن أدخل الجماعة، ورحب الأستاذ الهضيبي به، ودخل الجماعة ولم ير يوم فرحة منذ أن دخل الجماعة يعتقد الإسلام الجاد المتحرك، ولو كانوا يعلمون أن سيداً سيصل إلى هذه النهاية، وسيقف هذا الموقف، لا يمكن أن يسمحوا، لا لجريدة ولا لمجلة رسمية، ولا لكتاب أن ينشر له: إنهم يدركون أخطار الإسلام وأبعاده التي يرمي إليها وأعماقه التي يمكن أن يسبر غورها من تنوق هذا الدين ومن عرف حلاوته.

الرهبنة من قوة الإسلام

إنهم يدركون أن الإسلام أقوى ثورة اجتماعية في العالم ولذلك هم يخافونه، إنهم يدركون قوة الإسلام وقدرته على تجميع الناس وعلى تحريكهم ضد أعداء الله وهذا الذي يرهبون.

ولذا لم يكن بعيداً كما قالت لي الحاجة زينب الغزالي: أن تطلب أمريكا نفسها من عبد الناصر أن يقتل سيد قطب وأن يقتل زينب الغزالي، فردّ عليهم عبد الناصر: هذان شخصان لهما وزنها في البلد، وهذه امرأة ستثير المشاعر، إن إعدامها سيثير الاشمئزاز والتقزز منا في كل مكان، فأنا أتكفل لكم بأن ألقى هذه المرأة في السجن حكماً بالأشغال الشاقة المؤبدة، أما ذلك فأعدمه كما تأمرون، ولن أستطيع أن أخالف لكم البتة ولا أن أعارض لكم همسة..

سنة 1978 قبلها طبعاً الضربات المتوالية لصالح سرية شكري مصطفى، كارم الأناضولي، حركات الجهاد كل يوم متتالية، وهم لا يتركون فرصة من بث الإشاعات ضد الشباب المسلم وخاصة ضد قياداتهم، حتى جاءني من يتحدث :

أولاً : أعلنت أجهزة الأمن في مصر أنها ألقت القبض على الشباب الثلاثة الهاربين من السجن من شباب الجهاد، ثم تبين لنا بطرقنا الخاصة أن هذا كذب محض.

ثانياً : تصلني إشاعة عن هؤلاء الشباب الطيب - كما نظنه - أنهم وجدوا واحد منهم نصف مليون دولار، جاءت من دولة من الدول التي هي بدورها مرتبطة بأمريكا، وكل ذلك من أجل إطفاء نور الحق الذي بدأ يشع في قلوب الشباب نتيجة لرؤية هذه النماذج التي تدب على الطريق.

سنة 1978 قامت الثورة الإيرانية، وخشي الغرب ابتداء منها، وظنوا أن هذه سيكون لها ما بعدها، وبدأت أجهزة الرصد تكتب في كل مكان، وبدأت معاهد البحوث تعيد النظر في الإسلام مرة أخرى.

وأنا أقرأ عليكم بعض مقالاتهم التي ظهرت في الصحف اليهودية خاصة، لأن اليهود وجودهم مرتبط بانطفاء جذوة الجهاد في المنطقة وفي العالم الإسلامي، وهم يعلمون أن قيام الجهاد هو نهاية إسرائيل، ويعلمون كما قالوا هم على ألسنة زعمائهم: أن بإمكاننا أن ننتصر عشرات المرات على العرب، ولكننا لن نعيش إذا هزمنا مرة واحدة، يدركون هذا، ويدركون أن عدوهم الحقيقي هو الإسلام، على لسان دايان، على لسان هُردسك، وكان مندوبا لإسرائيل في الأمم المتحدة من سنة 1978 - 1979 يحذرون من أفغانستان على ألسنتهم، يحذرون من

الثورة المرتقبة بعد إيران، أفغانستان أو تركيا، وأنا أقرأ لكم بالنص الحرفي لا تأويل ولا تبديل :

نشرت جريدة (يدعوت أحرانوت) - جريدة إسرائيلية - بعد دخول اليهود إلى لبنان عمل التلغاف الإسرائيلي مقابلة مع سعد حدّاد الرجل العميل الماروني، وأبدى فرحته وفرحة النصارى الموارنة بدخول اليهود إلى لبنان، ماذا تقول الصحيفة بالحرف الواحد ؟ تقول الصحيفة : إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة - هي انتقدت... انتقدت كثيراً، وارتجفت أوصالها عندما رأت النصارى يظهرون فرحتهم بدخول اليهود لأن هذا سيثير مشاعر المسلمين، ويوقظ الحركات الإسلامية المتعصبة كما تقول الصحيفة - إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء - هذا في (18/3/1978) - من إستراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب - جهود أصدقائهم يعني : حكام الدول العربية الإسلامية - وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا -الحكام- لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا.

ولكن تفلزيوننا الإسرائيلي وقع في خطأ أرعن كاد ينسف كل خططنا، فقد تسبب هذا التصرف في إيقاظ الروح الإسلامية ولو على نطاق ضيق، ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعداها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا، وإذا نجحت في تحريك المشاعر ضدنا، وإذا فشلنا في المقابل في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب، إذا فشلنا في إقناع الحكام بضرب الحركات الإسلامية ونجحت الحركات الإسلامية في جمع الجماهير بالروح الإسلامية ضدنا، فإن على إسرائيل حينذاك أن تواجه عدواً حقيقياً لا وهمياً، وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة، وستجد إسرائيل حينذاك نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون ؛ أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً وإذا قتله يهودي.

وفي صحيفة (الصندى تلكراف) البريطانية، وبقلم (بيركرين دورستون) يقول: إن الغربيين يقعون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يتهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين ؛ لأن الخطر الحقيقي الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو

خطر الإسلاميين المتطرفين، الذين تعاضم نشاطهم بشكل مذهل رغم كل ما أوقعته بهم النظم الصديقة للغرب في المنطقة من محن وتتكيل، ويؤكد كاتب المقال أن الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط تشير إلى أن التيار الإسلامي المتطرف أصبح قائماً في جميع بلدان المنطقة بدون استثناء، ويقول الكاتب: إن أكبر خطأ يرتكبه الغربيون هو عدم تفكيرهم بجدية بضرورة التدخل العسكري المباشر في المنطقة في حالة عجز الأنظمة الصديقة عن كبح جماح المتطرفين المسلمين، ويؤكد أن شعور الغربيين بالندم وتأنيب الضمير إزاء تورطهم في الحرب الفيتنامية يجب أن لا يكون سبباً في إقناعهم بعدم استعمال القوة العسكرية ضد المتطرفين المسلمين، لأن خطر هؤلاء المتطرفين المسلمين لا يقارن بأي خطر مهما كان، ونهي (بيركرين دورستون) مقاله قائلاً: إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضة الإسلامية في الشرق الأوسط - أنظروا كلمة الانتفاضة يستعملها قبل 10 سنوات - لن يفيدنا بشيء وإن لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكري يفوق عنفها الديني، فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصراني بمصير مهين، يجلبه على نفسه إذا استمر تهاوننا في مواجهة المسلمين المتطرفين.

وذكرت صحيفة القبس الكويتية في (29-1-1979) عن موشي دايان وهو يتكلم أمام وفد من الأمريكيين يقول: إن على الولايات المتحدة والدول الغربية أن تأخذ العبرة في أحداث إيران الأخيرة التي تمخضت عن اندلاع ثورة إسلامية بشكل لم يكن متوقفاً أبداً.

وقال دايان: إن على الغرب - وعلى رأسه الولايات المتحدة - أن يعطي اهتماماً أكبر لإسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورة الإسلامية التي بدأت من إيران، والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أية منطقة أخرى في العالم العربي، وربما في تركيا وأفغانستان أيضاً، وبمنظرة حاقة أكد موشي دايان أن عدوه الأول هو (الإخوان المسلمون)، وأنه لن يطمئن على مستقبل إسرائيل إلا إذا تم القضاء عليهم، إن عليهم أن يدركوا أن إسرائيل - يتكلم عن العرب التي تحت حكمهم - لن تسمح بانحرافهم نحو الاتجاهات الإسلامية المتعصبة، وأنه في الوقت الذي تشعر فيه إسرائيل، إن العرب الذين بقوا في فلسطين قد بدأوا في التمسك بالاتجاهات الإسلامية المتعصبة فإنها لن تتردد في القذف بهم بعيداً، لينضموا إلى إخوانهم اللاجئين.

وتقول جريدة في (كولونيا) في ألمانيا الغربية اسمها (كمشتر إز فايدلر): إن الأحداث الأخيرة في تركيا وإيران أحداث حزب السلامة في تركيا وإيران وعودة نشاط الاتجاه الإسلامي في مصر وغيرها من الدول العربية تعطي الدليل على أن الإسلام وحده وليست

الدول الكبرى أو الأنظمة الموالية لها هو الذي يلعب الدور الرئيسي في منطقة الشرق الأوسط.

وقالت الصحيفة: إن على الغرب أن يدرك الآن أن المستقبل القريب سيشهد تحولاً جذرياً في منطقة الشرق الأوسط لمصلحة الاتجاهات الإسلامية، وعلى الغرب إذا أراد المحافظة على الحد الأدنى من مصالحه في الشرق الأوسط أن يبدي مرونة في تفهم مقاصد الاتجاهات الإسلامية التي تسعى للحصول على كيان جديد قوي يتلاءم مع الإسلام.

ويقول (هوردسك) في مقال نشرته الجروزليم بوست في (1978/9/25): إن ظهر حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهر بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية وقبل هؤلاء جميعاً وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط في سبات عميق.

وقال (هوردسوك): إن معلومات كثيرة عن طبيعة الإسلام وعن القوة الإسلامية الفعالة النشيطة، كانت متوفرة لدى زعماء الغرب، وخاصة أولئك المسؤولين عن الأمن في واشنطن، وأن جهوداً كثيرة، لكبت نشاط الحركات الإسلامية المتعصبة، ولكن الأحداث الأخيرة في المنطقة الإسلامية وعودة الاتجاه الإسلامي يمارس نشاطه على نطاق واسع في مصر، وأفغانستان، وسوريا، وتركيا، وإيران وغيرها، قد أظهرت أن جميع الأساليب التي اتبعت لكبت نشاط الحركات الإسلامية كانت أساليب فاشلة على المدى البعيد رغم ما حققته من نجاح لفترات قصيرة، والكلام يطول ولا يتسع له هذا المقام.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

معالم على الطريق، ومنارات على الجادة، نضعها أمام الدولة الإسلامية أو دولة المجاهدين المقبلة التي ستستلم أفغانستان، وأظنهم لن ينسوا أبداً أن أمريكا ترتجف منذ سنوات من نهاية حربها، ويعلمون أنها أوفدت هنا نكسون الرئيس الأمريكي السابق ليدرس بنفسه القضية، ويطلع على أحداثها في منطقتها وعلى أرضها، ورجع نكسون وعلى التلفاز الأمريكي عقد مؤتمراً صحفياً يسألونه عن المشاكل، المشكلة تلو الأخرى، وهو يقول / (This is easy,) يعني هذه سهلة، وأخيراً قالوا : ما هي المشكلة ؟ قال : الإسلام، الإسلام هو المشكلة،

لقد آن الأوان لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا لكي تقف أمام الزحف الإسلامي الذي بدأ يتحرك.

وأوفدت بعد نكسون كارتر نفسه، ولم أطلع على نتائج تقارير كارتر و نكسون، ظهر لأن هذا تكلم به على التلفاز دون موارد ولا مدارة، وكارتر أكد الحقيقة نفسها، لقد هالهم شعب بكامله صغيره وكبيره، شبيه وشبابه، أرامله وأيتامه كلهم تحركهم كلمة (الله أكبر)، ولذلك عادوا ينصحون قومهم أن يخدموا هذا الجهاد قبل أن ينطلق إلى سائر البلاد، ونشر في الأسواق الأمريكية كتاب يحذر : أن الجهاد في أفغانستان سيحتل أوروبا فيما بعد، وستعود أوروبا تدفع الجزية مرة أخرى للمسلمين.

وقبل معاهدة جنيف قدم إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي تقرير يقول : إن استمرار الجهاد في أفغانستان، خطر على مصالح أمريكا في العالم، ولذلك كتب من كتب، وكتب شختمان :

What We have done ? We have awken the Gaint.

ماذا فعلنا ؟ لقد أيقظنا العملاق ؟

ثم خصصوا رجلاً يهودياً لكي يرتب معالم مؤتمر جنيف أو مؤامرة جنيف (آرنولد همر) اليهودي الروسي الأمريكي، وهو الذي رتبها بحيث يبدأ الانسحاب في اليوم الذي قامت فيه دولة إسرائيل في 15 أيار .

يجب أن يعلموا أن هنالك مشاكل عالمية ضخمة تنتظرهم وأنهم لن يكفوا عن حربهم لحظة ويجب أن يدركوا كذلك أن هنالك مشاكل داخلية ضخمة تنتظرهم، سيثيرها عليهم أعداؤهم، حتى يحاولوا أن يقوضوا بيوتهم من داخلها، سيثيرون الفتن من كل مكان، فتنا طائفية وعرقية وجغرافية سيثيرون عليهم كثيرا من المشاكل، ولكن الذي نصرهم عشر سنوات متواصلة ينصرهم بإذن الله بعد أن أمسكوا بأيديهم القيادة، ويسلس لهم المقاد، وقد تكفل الله بالنصر بشرط أن نأخذ بأسبابه.

واعلموا أن الله صلى وسلم على نبيه قديما، فقال تعالى ولم يزل قائلا عليما وأمرأ حكيما، تبيها وتعليما، وتشريفا لقد نبيه وتعظيما.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

لبيك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم،
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك
حميد مجيد.

وارض اللهم عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم مكن المؤمنين في الأرض، اللهم مكن المؤمنين في الأرض، اللهم مكن المؤمنين في
الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم
أحينا سعداء وأمنا شهداء واحشونا في زمرة المصطفى ﷺ .

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان، اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وألف بين قلوبهم
وأصلح ذات بينهم أهدم سبل السلام، اللهم ارفع راية الإسلام فوق المسجد الأقصى، اللهم
حرر الأرض المباركة، اللهم افتح لنا الطريق إلى المسجد الأقصى يا رب العالمين، اللهم
انصرنا في أفغانستان ولا تمتنا إلا شهداء في ساحة الأقصى يا رب العالمين، اللهم انصر
المجاهدين في لبنان، اللهم انصر المجاهدين في الفلبين وفي الصومال وفي تشاد وفي إريتريا
وفي اليمن وفي برما وفي كردستان وفي كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة
القرآن، واجعلنا من جنود القرآن.

عباد الله

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لِعَظْمِكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90) .

اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم.

ولاية الكافرين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم،
بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: 118-113 .

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ما قال معه يعني المؤمنون في كل زمان ومكان ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

﴿مَا كَانَ﴾ تأتي في القرآن للنفي، وتأتي في القرآن للنهي، تأتي في القرآن للنفي مثل :

﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُتْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ (النمل: 60)

أو ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 145)

هذا للنفي يعني لم، بمعنى لم، وتأتي بمعنى النهي مثل هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أو مثل :

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنَاصِرُوا أَوْلِيَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ (الأحزاب: 53).

كذلك نهى للتحريم، فهذا نهى للتحريم، تحريم موالاة الكافر حيا وميتا ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ .

قلنا لكم : أن سبب النزول كما روي في الصحيحين أنه بعد وفاة أبي طالب قال رسول الله ﷺ : "لأستغفرن لك حتى ينهاني ربي أو ما لم ينهاني ربي" فأنزل الله هذه الآية.

وقد روى الإمام أحمد - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ كان في ركب قرابة ألف فنزل وصلى ركعتين، ثم جاء وعيناه تذرغان وقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما بالك تبكي ؟ قال : "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، فبكيت رحمة لها من النار أو جزعا عليها من النار"¹ فلم يأذن له ربه أن يستغفر لأمه، ولم يأذن له ربه أن يستغفر لعمه أبي طالب، مع أنه من أحب الناس إليه.

أبو طالب حمى الدعوة الإسلامية عشر سنوات، وكان سيف أبي طالب يستظل به رسول الله ﷺ والمؤمنون، هيئته ومكانته في قومه كانت تكون ظلا يستظل به رسول الله ﷺ، ولذلك قال : "ما نال مني قومي إلا بعد وفاة أبي طالب"² اشتد أذى قريش عليه بعد وفاة أبي طالب، أما من قبل كانوا يهابونه، كانوا يهابون أن يؤذوه هيبة لعمه أبي طالب بن عبد المطلب، زعماء قريش وأصحاب سقاية الحجيج والرفادة (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فإذا تبين أن الرجل كافر خارج من الملة لا يجوز الاستغفار له.

ولاية الكفار : ضياع للبلاد والعباد

والحقيقة قد رأيت كما قلت لكم بالأمس ؛ أن معظم أحكام الإسلام يعني الولاية تكون عمودا من أعمدة هذا الدين وإذا نكس عمود الولاية أو انهار، أنهار معظم الإسلام، أنا رأيت أن ضياع البلاد، وفساد العباد معظمه من الولاية، من ولاية الكفار يأتي الأمريكان لوحد مثل ظاهر شاه يقولون له : إما أن تعمل كذا وكذا وإما أن تخرج المرأة عارية وسافرة أو يغير حكمك، فيأتي ويضع حجاب المرأة تحت قدمه ويقول له : انتهى عهد الظلام، ويبدأ يفسد المرأة ويأمر المرأة الأفغانية أن تكشف حجابها، وعندما رفضت نساء قندهار -معروف أهل قندهار بشدتهم والنزاهة وتمسكهم- عندما رفض أهل قندهار أن يعروا نساءهم أو أن يسفروا

¹ حديث صحيح رواه مسلم بلفظ "استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكرك الموت" انظر مختصر صحيح مسلم صفحة رقم 133 رقم الحديث 495.

² ورد الحديث في "البداية والنهاية" بلفظ " ما نالني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب" انظر البداية والنهاية لابن كثير ج3/ص120.

عن وجوههن سيّر الملك إليهم جيشا وقاتلهم - كان يقوده عمه شاه ولي - وقامت معركة بين جيش الملك وبين أهل قندهار، اسمها معركة الخمار، وسقط حوالي ألف شهيد من أهل قندهار. كل ذلك محافظة على الكرسي، ولاية الكفار، الحركات الإسلامية ذبحت، كانت تذبح بأوامر من الكفار، يقدم الكفار لعبد الناصر أو غيره تقريرا على أن الحركة الإسلامية خطيرة وبدأت تتحرك يعني أن قبل أن يضرب عبد الناصر الحركة الإسلامي سنة 65 قرأت في الصحف الألمانية -ترجمات- إن عبد الناصر سنة 64 - قبل أن يضربهم بسنة- إن عبد الناصر الذي ظن أنه قضى على الإخوان المسلمين قد وهم، إن الإخوان المسلمين قد بدأوا يجددون نشاطهم في السعودية وفي غيرها من خلال الذين هربوا منه، ومن خلال المنفيين هناك، الهاربين منه، ثم تقول الجريدة الألمانية أخيرا : ولن يجد عبد الناصر مفرا من أن ينازل الإخوان المسلمين مرة أخرى في معركة.

وفعلا بعد سنة بدأ بضرب الإخوان المسلمين وأعلن من فوق قبر لينين أنه قد اعتقل في يوم واحد سبعة عشر ألفا منهم، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية، وكان التعذيب الذي لم تشهد له البشرية نظيرا.

يقول محمد قطب : راجعت تاريخ التعذيب في البشرية فلم أجد مجموعة عذبت أكثر من الإخوان المسلمين في مصر إلا المسلمون في الأندلس على يد محاكم التفتيش، لماذا ؟ الولاية : ولاية الكفار.

اليهود، كيف أقيمت دولتهم ؟ بولاية الكفار، يأتي الأمريكان، الإنجليز، يقولون للحكام (حكام العرب) : إما أن توافقوا على إقامة حكم لليهود في فلسطين، أو نبعثكم عن الحكم وقّعوا، فيوقعوا، نعم هم مستعدون للتوقيع للأمريكان وللإنجليز وللروس على أي شيء يريدون !!

يحدث الشيخ سياف عن حفيظ الله أمين، عندما دخل الروس - وأصوات المدفعية، وبدأت الرشاشات تضرب قصره- قال لحرسه انظروا هل وصل الأشرار ؟ - كانوا يسمون المجاهدين الأشرار - هو وصل الأشرار هنا ؟ لأن المجاهدين كانوا على أبواب كابل، فخرج، قال : لا، هؤلاء أصحابك، الروس ؟ قال : نعم، وصل الروس، قال : قل لهم ماذا يريدون ؟! أوقع لهم على ما يريدون فقتلوا الرجل والرشاشات تشتغل، الروس قالوا : جئنا نقتل حفيظ الله أمين، لأنهم جاءوا ببابارك كارمل فجرح المسكين هذا، فجرّوه من رجله كالكلب إلى المطبخ وخبّوه تحت تربييزة (تحت طاولة) في داخل المطبخ.

المهم... دخلوا على درج القصر ووصلوا على باب الغرفة، فتصدى لهم ابنه قال : إن كنتم تريدون قتل أبي فاقتلوني، قتلوه، ودخلوا عليه وقتلوه كالكلب تحت الكرسي فوق جلي الصحن، ثم قتلوه وجروه برجليه من فوق مع الدرج، وربطوه بسيارة، وبالشارع، يجرون كلبهم الذي حرسهم مدة عشر سنوات أو أكثر.

حفيظ الله أمين الذي أقام الانقلاب لداود، وأقام الانقلاب لتراقي، والذي خدم الحزب الشيوعي خدمة لا نظير لها، كانت نتيجته على يد الحزب الشيوعي، على يد الروس ويجررونه كالكلب في الشوارع.

الولاية !! وكلما ازدادت مرتبة الإنسان -غير المؤمن- كلما خاف على كرسيه، وكلما تنازل عن أي شيء، عن أي شيء، حتى عن زوجته، مستعد أن يتنازل عن زوجته، نعم، وكم من الناس قدموا زوجاتهم لحكامهم حتى يعطوهم مشروعاً !! يعطوهم تعهداً، يعطوهم عرضاً من العروض، يعطوهم دارهم معودة، أزواجهم !!.

ولاية الكافرين أساس البلاء

نعم، فالولاية هي أسّ البلاء، أسّ البلاء، الآن في أفغانستان من أسس بلاء الجهاد أكبر مصيبة هي ولاية الكفار الروس والشيوعيين، هؤلاء المنافقون الذين يعملون مع الدولة، ولا يتهم للكفار، فهم يهدمون دينهم وجاهد أمتهم ويعرضون نساءهم ونساء أمتهم، ويعرضون بلادهم للدمار والهلاك والخراب والانتهاك، من أجل دراهم معودة.

الولاية !! بل يعرضون على بعضهم -ويكون قائدا- يعرضون عليه مبلغاً من المال فينضم هو وجبهته للدولة مقابل ماذا ؟ مائة ألف أفغاني، مائة ألف أفغاني، عشرة آلاف روبية باكستانية، ألفي ريال سعودي، يبيع جبهة بكاملها، منطقة بكاملها للروس وللشيوعية، وللکفر مقابل ألفي ريال سعودي.

مخالفة الكفار

ولذلك الولاية مهمة جداً في هذا الدين، مهمة، هي أسّ من أسس الإيمان في هذا الدين، ركن من أركانه، ولذلك الإسلام حرص على مخالفة الكفار بأي طريقة، بالعبادة، باللباس حتى بالصباغ حتى لا ينتشبه المسلمون بالكفار.

"نهى رسول الله ﷺ عن لبس ثياب الكفار"¹ "ومن تشبه بقوم فهو منهم"² .

رأى واحدا يلبس ثوبا معصفرا فنهاه ؛ لأنه هكذا يفعل الكفار (أصبغوا فإن اليهود والنصارى لا يصبغون)³ (أصبغوا لحاكم خالفوا اليهود) (صلوا في نعالكم، فإن اليهود والنصارى لا يصلون)⁴ (إفطروا بكرؤوا في الإفطار لأن النصارى يؤخرون الإفطار حتى تتشابك النجوم)⁵ (تسحروا لأن أهل الكتاب لا يتسحرون)⁶ (لئن حبيت إلى قابل، لأصومن التاسع والعاشر)⁷.

مخالفة اليهود، هكذا يريد أن يبني أمة متميزة، حتى في لون صباغ اللحية، حتى في شكل اللحية، حتى في الشارب، حفوه لأن المجوس يطلقون شاربهم (أعفوا اللحي وحفوا الشوارب)⁸، أمة متميزة في المركب، في الملابس، في المسكن (أنا بريء ممن أقام بين المشركين)⁹ بريء ؛ لأنه يتشرب أخلاقهم تدريجيا، (من أقام مع المشرك ومات معه فهو مثله)¹⁰ أحاديث صحيحة كثيرة، قطع الولاية نهائيا (لا يترأى ناراهما)¹¹ المشرك لا يرى نار المسلم، والمسلم لا يرى نار المشرك إذا أنار في الليل، لماذا ؟ لقطع الولاية، ولذلك الولاية والبراء ركن ركين في هذا الدين، مهم جدا جدا في بناء الشخصية الإسلامية، وفي بناء الأسرة الإسلامية، وفي بناء الأمة المسلمة.

ولذلك :

1 - حديث صحيح رواه مسلم بلفظ "إ، هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها" انظر مختصر مسلم 1345.

2 - حديث صحيح رواه أبو داود، انظر الإرواء رقم 1269.

3 - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم بلفظ "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" انظر مختصر مسلم / 1348.

4 - حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير، انظر صحيح الجامع الصغير رقم 370.

5 - حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير رقم 2835.

6 - حديث صحيح رواه أحمد ومسلم والأئمة الأربعة بلفظ "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" انظر صحيح الجامع الصغير رقم 4207.

7 - رواه مسلم في صحيحه بدون ذكر العلة والحكمة.

8 - رواه البخاري ومسلم بلفظ "خالقوا المشركين وفروا اللحي واحفوا الشوارب" انظر مختصر مسلم رقم 184.

9 - حديث حسن رواه أبو داود والترمذي بلفظ "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تراءى ناراهما" انظر صحيح الجامع الصغير / 1461.

10 - رواه أبو داود بلفظ "من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله" انظر الإرواء مجلد 5 / صفحة 32.

11 - جزء من حديث رقم 9.

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَالُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾
(المجادلة: 22)

قطع الولاية مع الآباء ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (التوبة: 114).

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ (الممتحنة: 4).

قد يسأل سائل : يا أخي هذا اللباس شكل، والإسلام لا يهتم بالشكليات، لقد علم الله سبحانه أن التشبه دليل الحب الباطني، وأنت لا تقلد أحدا إلا إذا كنت تحبه، فإذا أحببت أحدا أحببت أن تقلده في صوته، أحببت أن تقلده في حركاته، أحببت أن تقلده في لباسه، في طعامه، في شرابه، في منامه، في كل شيء، ولذلك منع التشبه بالكفار (ومن تشبه بقوم فهو منهم)¹ قال : (لا تصوموا يوم السبت -يعني منفردا- ولو لم يجد أحدكم إلا لحاء شجرة فليمضغه حتى يفطر)² مخالفة لليهود، فالرسول ﷺ أو هذا القرآن حرص على أن تكون متميزة في كل شيء ؛ في عبادتها، لباسها، هيئتها، مركبها إلى آخره، نهى عن افتراش جلود السباع، ونهى عن التختم بالذهب، نهى عن استعمال آنية الذهب والفضة قال : (فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة)³.

ولذلك إذا دعيت عند واحد غني وقدم ملاعق فضة انتبه !! لا تأكل بها (إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)⁴ تميز، أبوك كافر، تبرأ منه، أبو عبدة قتل أباه يوم بدر فنزلت ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾.

﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: 46).

{إن ابني من أهلي، قال إنه ليس من أهلك}

1 - سبق تخرجه.

2 - حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود بلفظ "لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة وإن لم يجد أحدكم إلا عود كرم أو لحاء شجرة فليفطر عليه" انظر صحيح الجامع الصغير رقم 7358.

3 - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

4 - حديث صحيح رواه مسلم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحریم:10)

زوجة نوح وزوجة لوط، لا ولاية، ولذلك شفاعة النبي لا تحل لكافر أبداً.

ولذلك قال السيوطي : إن الله عز وجل قد أحيا أبوي رسول الله ﷺ حتى أسلما ثم أماتهما مرة أخرى، هذا حديث باطل موضوع لا أصل له، وإن كان السيوطي ألف رسالة سماها نزول المنة في أن أبوي الرسول ﷺ في الجنة.

قال ابن ضحية : هذا حديث باطل موضوع لا أصل له، فلا ولاية (يا فاطمة بنت محمد اعلمي فلن أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله اعلمي فلن أغني عنك من الله شيئاً)¹، ولذلك أغنى فقط عن أبي طالب، ما أنقذه من النار، قال إنه في ضحضاح من نار يغلي منهما دماغه، خفف عنه العذاب، وإلا لكان في الدرك الأسفل، قالوا : هل أغنيت عن أبي طالب شيئاً ؟ قال : (نعم إنهم وضعوه في ضحضاح من نار أو ألبس نعلين من نار يغلي منهما دماغه)² هذا أقل أهل النار عذاباً.

وإلا ليس لك فرار إلا بالفرار إلى الله، طرفة واحدة تذهب إلى الجنة وتستريح، لا يوجد نار ولا عذاب أبداً، يغفر لك كل شيء، وحتى إن كنت مديناً لأنك متزوج كذلك يغفر لك الدين، خذ مني : الدين الذي لا يغفر كما قرر العلماء هو الدين الذي لم يسد مع اليسر، أما الدين الذي لم يسد مع العسر فانه عز وجل يرضي الغرماء يوم القيامة، يقول الله عز وجل للدائن أنظر خلفك وهو يحاج المدين فيرى قصراً فيقول : لمن هذا القصر يا رب؟ فيقول لك إن عفوت عن أخيك، فيقول: عفوت عنه، ألف ريال، عشرة مليون ريال ماذا أفعل بها؟ أشتري فلافل أو حمص هناك، قال: إني عفوت عنه، فالمدين الذي لا يغفر دينه هو المدين الموسر، وكان سبب عدم السداد هو المماطلة (ومطل الغني ظلم)³ هكذا يقرر النووي.

فالمهم طرفة واحدة هنا رأساً تدخل الجنة على يد روسي، إيش تريد أحسن من هذه المكافأة ؟ ولذلك مقاطعة تامة مع الزوجة، مع الأم، مع الأب، مع الإبن، لا علاقة أبداً.

¹ - رواه البخاري.

² - رواه مسلم في صحيحه.

³ - رواه البخاري ومسلم.

الولاية في العقيدة والدين لا في النسب والطين

أبو سفيان، سيد مكة، زعيم مكة، ملك مكة، يعني أمير مكة دخل على ابنته أم حبيبة، فأراد أن يجلس على فرشة موضوعة، فطوتها من تحته، قال: يا بنية، أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ أستكثرتيه عليّ أم استكثرتيني عليه؟ قالت: لا، ولكنك مشرك نجس وهذا فراش رسول الله ﷺ .

زعيم مكة والبنات عادة تعتز بأبيها وأخيها أمام زوجها، تحب أن تفخر بهما خاصة إذا أبوها راتبه فوق الخمسة آلاف درهم، الله يعين زوجها عليها!! فتحب أن تفخر بإخوتها، تحب أن تفخر بأبيها أمام زوجها وأمام الناس، أنا بنت فلان، بنت فلان، لكن: إنك مشرك نجس، وأبوها ليس واحدا من عرض الشارع، أمير مكة... زعيم مكة.

لا ولاية أبداً، قطع الولاية نهائياً حتى بعد الموت، ممنوع أن تصلي عليهم ..

﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (التوبة: 84)

يعني لا تستغفر لهم، ولا تصل صلاة الجنازة عليهم، أستغفر لأمي ؟ .. لا !! .. ممنوع، خلاص ماتت مشركة، انتهت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ (التوبة: 113) إذا لم يعد للقبيلة ولا للقوم أية قيمة في هذا الدين، قطع الولاية، الولاية قائمة على صلة واحدة؛ العقيدة والدين، وليس النسب والطين، العشيرة : (لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل)¹ الجعل يعني الصرصور، الذي جلده مش يابس حتى، الجعل أقل من صرصور، (الجعل الذي يدهده الخرز بأنفه) يدهده نعني : يدفع.

(من تعزى بعزاء الجاهلية)² قال : أنا ابن فلان أو أنا أو أنا من عشيرة فلاة (فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا) تعرف تفسيرها ؟ قل لهم : فأعضوه بهن أبيه يعني - قولوها صراحة - عض أير أبيك، هكذا قال الرسول ﷺ، فأعضوه على هن، هن يعني ذكر أبيه ولا تكنوا.

يقول الألباني في تفسيرها : أي قولوا له عض أير أبيك، فلا موارد، ولا مداراة ولا مداينة، خلاص انتهى، عشيرة، قبيلة ما إلى ذلك إسلام أو لا إسلام هذه هي الصلة، إيمان أو

¹ - جزء من حديث صحيح رواه البراز، انظر صحيح الجامع الصغير رقم 4568 ورواه الترمذي، انظر صحيح الجامع الصغير رقم 4582.

² - حديث صحيح ورد في مشكاة المصابيح بلفظ "من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا" انظر مشكاة رقم 4902.

لا إيمان (الناس اثنان، بر تقي كريم على الله تعالى، وفاجر شقي هين على الله تعالى)¹ (كلكم لآدم وآدم من تراب)².

ولذلك إذا رأيت بعثيا أو قوميا أو شيوخيا أو ما إلى ذلك فقل له : يا صرصور، دهنه الخراء بأنفك، لأنه ينبش، الصرصور إنما يعبث بمزيلة الجاهلية (أو ليكونن أهون على الله من جعل الذي يدهده الخراء بأنفه)³ فهذا البعثي يأتي بظل ينبش.

وأما شقيقي الذي ليس مسلما : بعثيا أو قوميا أو شيوخيا - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - هذا كافر لا صلة بيني وبينه أبدا، انتهى، لا عشيرة، لا قوم، لا زوجة، قطعت كل الصلات

...

﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (المتحنة: 10)

واعلموا أن البعثي لا يجوز أن تزوجه ابنتك، وإذا زوجته ابنتك أو أختك فهو زنا، والنكاح زنا والأولاد أولاد زنا، لا يرثون من أبيهم، وكل جلسة وكل نظرة إنما ينظرها إلى ابنتك وأختك إنما هي حرام، مفهوم؟ ذبيحة البعثي لا تحل، لا يجوز الصلاة على البعثي، ولا تغسيله، ولا تكفينه، ولا الاستغفار له، ولا الصلاة عليه، ولا دفن في مقبرة المسلمين، وكذلك القومي والشيوخية، ألحق بهم من شاء (بزر كر وطن بزر كر)* هذا كله تابع، مفهوم؟ و (سئمي وسئمي)* وغيره كله، كله من هذا الصنف، كافر خارج من الملة، لا ولاية بين المسلم وبين هؤلاء، (المسلم أخو المسلم)⁴ ما قال العربي أخو العربي وانتهت القصة.

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

لا القرآن يقول :

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: 103)

¹ - رواه أبو داود بلفظ "المؤمن غر كريم والفاجر حجب لئيم" وهذا صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 935.

² - حديث صحيح رواه البزار بلفظ "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ليتبين أرقام يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان. انظر غاية المرام 309.

³ - سبق تخريجه.

* - كلمات فارسية تدل على القومية.

* - أحزاب قومية فارسية.

⁴ - جزء من حديث صحيح رواه الترمذي وأبو داود، انظر صحيح الجامع الصغير رقم 6706.

خلاص، ولذلك قتل الأب، وقتل الأخ، والأم قتلت ابنها في أفغانستان، واحد سب رسول الله ﷺ، ابنها تعبان، فذهبت للمجاهدين قالت : هذا ابني منافق مع الدولة، وهو موجود في مكان كذا، جاءوا به، قالوا لها : ماذا نفعل به ؟ قالت : أعطوني سكيناً، فحملتها، وتقدمت إليه، قالت أتذكر يوم أن شتمت رسول الله ﷺ، سأنتقم الآن لرسولي وذبحته بيدها، هذه عقيدتها فيها بدع !!؟ - وضحك الشيخ والحضور - .

والولاية جزء من هذا الدين وإلا تذهب الأوطان، تذهب الأموال، تذهب النفوس، تذهب الأعراض كلها بسبب ولاية الكفار.

ولاية الكفار تؤدي إلى بيع الأوطان

فلسطين، باعوها هكذا جهاراً نهاراً، وإلا والله لو تركوها للفلسطينيين لحرروها وذبحوا اليهود، لكن قالوا لهم : نحن خلاص، نحميها لكم، وعندما يصلون إلى مركز اليهود يحتلون عندما يوقع اليهود في داخل... (انقطع الحديث لطارئ ثم تابع الشيخ)...

الولاية لرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين، وعليكم -أنا أنصحكم- أن تقرأوا كتاباً قدم فيه رسالة ماجستير -لأحد الشباب السعوديين- اسمه البراء والولاء، محمد سعيد القحطاني، أنصحكم أن تقرأوا هذا الكتاب، نعم، هذا الكتاب ممتاز حتى تتضح عقيدتك.

ولذلك انظروا، يعني بيعت أوطاننا، وديننا وكل شيء، وأعراضنا، بيعت بمناصب وأوسمة، عندما تعلن الواشنطن بوست أن مجموعة من الرؤساء والحكام العرب عبارة عن موظفين في المخابرات الأمريكية، وفلان قبض منا، حافظ الأسد اثنا عشر مليون دولار من المخابرات الأمريكية، فلان قبض كذا وفلان قبض كذا كذا، عندما يكون الحاكم ضابط بنجمة في المخابرات الأمريكية، حاكم البلد كلها ثم يفضحونه يقولون : قبض منا كذا وكذا، ويعترف بعض الحكام، يقول : نعم أنا قبضت، لكن أنا قبضته لشعبي، ما قبضته لنفسي، هيا اقبض، وإن شاء الله غدا في جهنم..

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ (التوبة: 35)

حكم العمل مع المخابرات

إعلم يا أخي الكريم : أن الذي يعمل مع المخابرات الكافرة، كافر خارج من الملة..

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: 51)

فالذي يعمل مع المخابرات الأمريكية كافر، والذي يعمل مع المخابرات الروسية كافر، والذي يعمل مع المخابرات الشيوعية كافر، فهو منهم ولو كان يصلي ويصوم ويقوم ويحج البيت الحرام، فانظركم اشتروا من بلادنا من الكفار، ثم لا تتهاون بعدها تقول فلان عميل للمخابرات الأمريكية، وفلان أظن يعني عندما تقول عميل للمخابرات الأمريكية، وعميل للمخابرات الروسية، وعميل للمخابرات الإنجليزية، معنى ذلك أنه كافر خارج من الملة (وإذا قلت لأخيك يا كافر فقد باء بها أحدكما)¹ فإن كان فعلا مخابرات فهو باء بها وإلا فأنت تكفر كفراً عملياً ... فانتهبه، كذلك نحن لا إفراط ولا تفريط، يجب أن نعرف الحكم أن الذي يوالي الأمريكان كافر، والذي يوالي اليهود يهودي، والذي يوالي النصراني نصراني ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وبعدها آيتين قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51).

وبعدها آيتين :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: 54).

أي أن ولاية اليهود والنصارى كفر يخرج من الملة وردة عن هذا الدين.

الولاية مهمة جداً، فنحن لا إفراط ولا تفريط، لا نصير مخابرات، وفي المقابل كل واحد لا يعجبنا نسميه مخابرات، هذه كذلك مصيبة، قبل كانوا إذا غضبوا من واحد يقولون : ساحر أو كاهن - من النبي - ساحر أو كاهن أو شاعر، ولو كانت قبل قصة المخابرات الأمريكية والروسية والإنجليزية والفرنسية يقولون كذلك، الآن أسهل طريقة يقول : هذا مخابرات، هو لو كان عنده عقل السامع يقول البينة على من ادعى اليمين على من أنكرك، أليس كذلك؟؟ الشعوب ما عندها عقل، عقلها في أذنيها الذي تسمعه تصدقه.

أهمية الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين

فكذلك لا إفراط ولا تفريط، والولاية جاءت بعد الجهاد ؛ لأن الولاية جزء لا يتجزأ من الجهاد، لا يتجزأ..

¹ - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم بلفظ "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه" انظر جامع الصغير رقم 709.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 56)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54)

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المائدة: 56).

الولاية جزء من الجهاد لا تتجزأ منه، وإلا نحن كلنا نجاهد معك، بالتالي تبيعنا كلنا إذا كنت مخابرات فعلا، تبيعنا كلنا وجهادنا، ودماعنا وأموالنا للكفار، كما حصل في فلسطين : باعوا دماء الفلسطينيين وأعراضهم، وما إلى ذلك، مقابل ماذا ؟ لأن انجلترا أعطت وعدا لإسرائيل أن تعطيه فلسطين فخلاص، سكت، وعد بلفور في 1917/11/2.

فالمهم : الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين، قريبي إبن عمي، ما إلى ذلك، هذا هو الذي يخرب الدنيا ابن عمك، لأنك تأتي به، تسلمه وزير مالية يسرق كل الأموال، وهو لا يصلي، أو فاسق فاجر، ابن عمك، ابن خالك، ابن هذا، الذين آمنوا، هؤلاء أقاربك.

قد يحتج واحد يقول : إذن لماذا كان إبراهيم يستغفر لأبيه ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: 114) أي كثير الاستغفار، وعفو عن سيء إليه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ (التوبة: 115).

هنا ضلال المعصية : الذي هو الاستغفار للمشركين، أي أن الله عز وجل لا يؤثمكم بسبب استغفاركم لأقاربكم المشركين قبل أن تنزل هذا الآية وقبل أن تبين لكم هذا الحكم.

وقيل : نزلت في بعض الصحابة الذين استشهدوا قبل نزول بعض الأحكام، فسألوا عنهم : سأل بعض الصحابة عندما نزلت آية تحريم الخمر، إذن : ما هو مصير مصعب وحمزة الذين لقوا الله والخمر في بطونهم ؟ فانه عز وجل قال : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ لأنه :

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: 15).

والعذاب بعد البيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (التوبة: 116) هذه الآيات كلها مرتبطة ببعضها البعض، مرتبطة بالجهاد، ما خرجت عن الجهاد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: 111) ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴿ لأن الجهاد قائم على ركن ركين وهو الولاية، ولأنه عبادة جماعية لا بد فيه من ولاية المؤمنين، ومعاداة الكافرين، ثم قال الله لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة:116)، هذا حث على قتال الكفار لأن الله مالك السماوات والأرض، هو الذي يحيي ويميت وهو الذي بيده الولاية وبيده النصر، فهو قادر على نصرته مع كثرة أعدائكم وقلة عددكم.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة: 117)، من هم؟ أهل تبوك، كم كان عددهم؟ ثلاثون ألفاً، تبوك كانت في رجب سنة تسع للهجرة، وهي أكثر غزوة غزا فيها من المسلمين.

التربية الجهادية للأمة

الرسول ﷺ غزا ببدر بثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً أو بضعة عشر رجلاً، وبأحد بسبع مائة، وبالخندق بثلاثة آلاف، وبالحديبية بألف وأربعمائة، وخيبر نفس الذين اشتركوا في الحديبية هم الذين سمح لهم رسول الله ﷺ بالاشتراط في خيبر، لأنه كان يعلم أنها ستفتح، فسيقسمها عليهم، فالذين اشتركوا في الحديبية قال فقط هؤلاء هم الذين يذهبون إلى خيبر، فاشترك 1400 فقط في خيبر سنة 7 هجري، مؤتة كانوا ثلاثة آلاف، تبوك كانوا ثلاثين ألفاً، ولم يتخلف من الثلاثين ألفاً إلا ثلاثة وهذا يدل على التربية الجهادية التي رباها رسول الله ﷺ للمجتمع المسلم، المجتمع المسلم بدأ يتدرج حتى وصل القمة في الجهاد،

في بدر..

﴿بِجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (أنفال:6)

في أحد يقولون :

﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (آل عمران: 167)

في الخندق..

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ (الأحزاب: 13)

في تبوك ثلاثون ألفاً تخلف منهم ثلاثة فقط، من كل عشرة آلاف تخلف واحد، وهذا دليل على نجاح التربية النبوية الكريمة، التربية للأمة الإسلامية، تربية جهادية على دفع التكليف من أجل معركة هذا الدين، وإلا كيف وصل إلى هذا؟ في مدة سبع سنوات يصل بالأمة إلى هذا المستوى؟ أن لا يتخلف من ثلاثين ألفاً إلا ثلاثة!

الرد على الشيعة

أي قمة هذه؟! أي قمة للتربية التي بلغها رسول الله ﷺ؟! رغم أنف الشيعة الذين يقولون إن أبا بكر وعمر وعثمان زنادقة! وأبو هريرة وفلان وفلان، نعم، صدقوا أنا قرأت في كتاب اسمه (كشف الأسرار) للخميني يقول: إن هؤلاء زنادقة عن أبي بكر وعمر وعثمان، ويورد الأدلة على فسق عمر وعلى زندقته، وأنه خالف القرآن في مواضع شتى، وأبو بكر ماذا فعل بفاطمة عندما أكل إرثها، وعمر عندما علم أن فاطمة وراء الباب ضغط الباب حتى أجهضت فألقت محسنا، ولذلك، عند الشيعة: حسن وحسين ومحسن هذا جنين ألقت فاطمة من بطنها بسبب ظلم عمر، وهو يعلم أنها وراء الباب، ويعلم أنها حامل، لكنه انتقاما من فاطمة زوجة علي، ضرب الباب بشدة حتى أجهضت.

نعم... إن الناظر في تفكير الشيعة يقول: طعن في النبوة ذاتها، كل الذين حول الرسول ﷺ أشرار منافقون، وزنادقة سراقون ولصوص وقطاع طريق وما نجح بتربية إلا علي، إلا علي وأبو ذر وسلمان وعماد والمقداد، هؤلاء الخمسة، ما نجح إلا بتربية خمسة، وزيار رسول الله ﷺ (سيدا كهول أهل الجنة - في الحديث الصحيح - أبو بكر وعمر لا تخبرهما يا علي)¹ حديث صحيح.

(أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة) أين يذهب بها الشيعة، الرسول ﷺ معنى ذلك لا يعرف شيئا، ما كان يعرف أنهم لصوص كذابون ونصابون! ما كان جبريل ينزل عليه كان يقول له: أبعد عنك هؤلاء، دخل ودخل معه أبو بكر وعمر، خرج وخرج معه أبو بكر وعمر، (أثبت أحد أنما عليك نبي وصديق وشهيدان)، أين يذهب الشيعة بهذه النصوص؟ (لو كان نبيا بعدي لكان عمر)²

(كنا نرى أن السكينة تتحدث على لسان عمر) (إن الملائكة كانت تتحدث ملك على لسان عمر) أين يذهبون بهذا الشيعة؟ (قاتلهم الله أنى يؤفكون)! ولو كان النبي ﷺ فاشلا بالتربية، معنى ذلك أي واحد من الدعاة ناجح أكثر من الرسول ﷺ!!

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ معهم أبو بكر وعمر وإلا لا؟ اشتركوا في غزوة تبوك وإلا لا؟

¹ - حديث صحيح رواه الترمذي بلفظ "هذان سيدي كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي" انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 822 وجامع الصغير 7005.

² - حديث حسن رواه الترمذي بلفظ "لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب" انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 327.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: 18)

معهم أبو بكر وعمر أم لا ؟ أين يذهب الشيعة بهذه الآيات قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ أين يذهبون بهذه الآيات ؟

﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: 26).

عائشة عشر آيات نزلت لتبرئتها من السماء ومع ذلك يتهمونها، تكذيب لنص القرآن، ولذلك الشيعة يذهبون على أن الآيات ما نزلت في عائشة، نزلت في مارية القبطية، حتى لا ينطبق عليها وصف الطيبات للطيبين.

وآيات الإفك وتبرئتها هذه ليست في عائشة، في مارية القبطية !!

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة:

117)

لأنها كانت وقت شدة الحر وشدة القيظ. وعندما طابت الثمار ونزلت، كان تمر المدينة نازل، قال لهم تفضلوا على تبوك، حر، شدة، عطش، وخرجوا لم يتخلف إلا ثلاثة، تركوا الظلال والثمار وخرجوا، يتعاقب الثلاثة منهم على بعير واحد، الثلاثة منهم على بعير واحد ! ومن أين ؟ يمشون من المدينة المنورة إلى تبوك، 650 كيلومتر، الآن نقطعها في السيارة ونحن ذاهبون أرواحنا تخرج من العطش، لا شجر، لا حجر تستظل فيه، وسيارات الأردن مكيفات، ففعلا كانت أكثر منطقة الإنسان يحسب حسابها في عمرة رمضان، منطقة ما بين تبوك إلى المدينة المنورة، متعبة جدا جدا، 650 كلم مشوها، وخرج رسول الله ﷺ في رجب، وأقام هناك شعبان وجزءا من رمضان، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دانت له العقبة ودومة الجندل، والإمارات التي حولها، أرسل خالدًا وعقد صلحا مع العقبة الأردنية، ومع دومة الجندل ومعان الأردنية.. الآن أردنية، هي من زمان الحقيقة تابعة للشام، لا تطالبوا فيها يا سعوديين !! هي اسمها معان الشامية من زمان -أكرمكم الله- لكن... لا أردن ولا سعودية ولا سورية ولا هذه..

والهند لنا والكل لنا

الأرض لنا والصين لنا

وجميع الكون لنا ووطننا

أضحى الإسلام لنا دينا

أعددنا القلب له سكننا

دستور الله لنا دين

القومية دين جديد

إيش الأردن ؟ إيش سوريا ؟ ولماذا هذا ؟ الحدود من حدها ؟ سايكس وبيكوا وزير خارجية بريطانيا ووزير خارجية فرنسا، نعم، قال : هنا حدودكم ديروا بالكم يا أردنيين على المدورة، إذا بتقطع كيلومتر بعدين مالك هذه، هذه ليست دين الأردني دين جديد، والرمثا هنا آخر شيء، انتبه ! بعدين تبدأ سورية.

ولذلك صار الإنسان يحس بدين جديد فعلا، الدين القومي الإسلامي الذي رسخ حتى في أذهان الدعاة، فصار الدعاة يذبحون في سوريا، المسلم العراقي لا يتأثر، لماذا ؟ لأنه في الخط الذي رسمه سايكس وبيكو وزير خارجية بريطانيا ووزير خارجية فرنسا.

في إحدى الإمارات، الإمارات العربية المتحدة، سقطت طائرة، فاختلقت الشرطة أنها للشارقة لا دبي، من الذي يحقق فيها، قالوا : هذه في أرضنا وهذه في أرضنا، اختلفوا .. نعم اختلفوا، وكيف الحل ؟ ما في حل، ذهبوا أتوا بالذي خطط من لندن حتى يقول هذه في أرض الشارقة أو في أرض دبي.

أي عقليات هذه يا أبناء الإسلام، هكذا وصل التفكير نحصر ديننا وتفكيرنا وآمالنا في بقعة، الفارق بينهما شارع، الفارق بين عجمان وبين الشارقة دوار، ليس شارع، بين الشارقة وبين عجمان دوار، نعم.

فصيبة والله ن مصيبة ! أين ولاء الإسلام ؟ ولاء المؤمنين ؟ أخوة الإسلام، أخوة الإيمان ؟ «الذين اتبعوه في ساعة العسرة» الشدة «من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم» إما بعدم الذهاب، أو بالرجوع من الطريق «ثم تاب عليهم» سبحانه.

ترى هو من الله عز وجل، ثباتنا من الله عز وجل، طبعنا والله طيلة وجودك في الجهاد من الله وإلى الله عز وجل، وإلا الواحد يرى أشياء تنغص عليه، وأحيانا الشيطان يلبس عليه، ويقول له لو ذهبت إلى مكان كذا يكون أفضل للإسلام والمسلمين، من هنا يدخل الشيطان، فهو من الله وإلى الله تثبيت.

الطغمة الناصرية وتعذيب الدعاة

يقول بعض الإخوة في مصر، هؤلاء الذين كانوا يعذبون حتى يقدموا أسماء إخوانهم معهم، قالوا : ظلوا في الليل، نقول : غدا سنقول لهم الأسماء ونرتاح من التعذيب، قال عندما يأتي موعد التعذيب، الله عز وجل يثبتنا .

الحاجة زينب الغزالي هذه ضربت ست آلاف وثمانمائة سوط 6800 كرباج، كانت الجروح من كل مكان تنزو دما وصديدا، كان رأسها بهذا الشكل، عيناها غائرتان في الورم، نعم، فقالت : عندما دخلت السجن جاءوا بي حتى يروني المجازر، على المعلقين على العروسة الروسية في التعذيب وهذا، فقلت : «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»¹ قالت : وإذا بواحد يضربني كف من وراء، إلتفت إرتج بدني، قالت أول مرة أضرب في حياتي، لم أضرب في حياتي أبدا، قال لها : امشي، قالت : أخذوني على الزنزانة، فكانت نفسي تي تعبانة، فجلست في الزنزانة، قالت : غفوت أو سهوت دقائق، فرأيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا زينب أنا رسول الله، وأنت على حق، يا زينب أنا رسول الله وأنت على حق، يا زينب أنا رسول الله وأنت على حق، ثم ذهب، قالت : بعد هذه الرؤيا والله لو قطعوني إربا إربا ما أعطيتهم اسم واحد من الإخوان، وهي تعرف كل أسماء الإخوان، لأنهم كانوا يجتمعون في بيتها، كانوا يجتمعون في بيتها، ولذلك جن جنون عبد الناصر، صار يلطم هكذا، ويضرب رأسه في الحائط، كاد يجن وأخذوه على تسخال طوبوا، هذه الحمامات المائية في الاتحاد السوفياتي ؛ حتى يهدئ أعصابه ويعيد له عقله، كان يقول : إزاي مره، (شتيمة في مصر)، مره يعني بنت شارع، مره وقباني -قباني عبد الفتاح إسماعيل- يسرقوا مني جيل الثورة، إنتو فين ؟ أنتم بتعملوا إيه ؟ للمخابرات، قباني ومرة يسرقوا من جيل الثورة ؟ فبدأوا يعذبونها أشهر تعذيب، وكان أربعة أطباء يشرفون على تعذيبها، حتى لا تموت تحت التعذيب، حتى تبقى تعذب، فبعض الأطباء ؛ طبيب شيوعي أسلم ؛ عندما رآها، خمس سنوات ما نامت خمس دقائق، وصحتها كما هي، وعقلها كما هو، قال : (إذن في إله، الطيب تبعنا يقول : عشرين يوم بينجن أو بيموت، هذا طبنا غلطان، معناه في إله وراء هذه المرأة).

مرة عذبوها قالت : يا رب، عشرة أيام وضعوها في داخل بركة ماء، في الليل يضعونها في بركة ماء إلى هنا، في النهار تتردد على غرف التعذيب، ثلاثين غرفة للتعذيب، وكل غرفة فيها من أدوات التعذيب ما ليس في الأخرى، من الصباح للمساء في غرف التعذيب، في الليل في جراحها يأخذونها ويضعونها بثيابها بالماء البارد، إلى هنا الماء (وأشار الشيخ إلى صدره) قالت : كانت تأخذني سنة من النوم، فيخفق رأسي هكذا، فأريد أن أقوم يضربني الشرطي، الشرطي واقف فوق رأسي، إذا أردت أن أقف، في أثناء هذه ما في وقت ولا لحظة للأكل أو شرب أو نوم، مائتين وأربعين ساعة متواصلة، عشرة أيام، قالت : أحيانا كان يخفق رأسي ففي هذه الإخفاقة كان يمد إليّ صحن من ذهب عليه طعام، قالت : أخذ حبة عنب، لكن عنب

¹ - حديث مشهور في كتب السيرة وقد رواه أحمد والحاكم، انظر الإصابة لابن حجر 610/3.

ليس مثل عنب الدنيا، الحبة طول الإصبع، والله هكذا إشارتها، (العنباية أد كده) كانت تحدثني،
الله يذكرها بالخير، هي حية لا زالت، لكن والله أحسن من ألف رجل مجاهد، نعم...

فالمهم قالت : (العنباية أد كدا)، قرن الموز ليس مثل الموز في الدنيا، الدجاج محمّر، أقول
لها : يعني سورة الواقعة مجسمة على الطبق، قالت : آخذ قطعة دجاج، أقوم وطعم الدجاج في
فمي، طعم العنب في فمي.

المهم قالت : يا رب هل يمكن عبد الناصر يعلم عن تعذيبنا، اللهم إن كان يعلم -
استخرت- فأرني ذلك قالت : بعدها بيومين جاءوا بي للتعذيب، قال : هاتها يا صفوت، إرفعها
خمسمائة كرباج، يعني عن خمس حدود زنا. قالت : كانوا يربطون يدي ورجلي، ويعلقونني
هكذا ويضربون.

فالمهم قالت: كنت أربط ثوبي بخيطان حتى عندما يتمزق الثوب ما يبين اللحم، قالت:
نزلوني شبه ذبيحة ورأسي ورجلي ويدي، كانت تقول: (يدي أد كده).
فقال هتها يا صفوت، ضعها على الكنبه، ووضعها على الكنبه.

الأثر الحضاري للجهاد (1)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.

فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (آل عمران: 148).

ذكريات

من أين أبدأ ؟ وكيف أنتهي ؟ فالحديث كله عذب، والروح تعلقت به، تعلقت بالجهاد، استعذبت عذابه واستحلت مرارته، أشواك الطريق كانت حريراً، وأشلاؤه ودماءه كانت رواء لشجرة العقيدة في جذور أعماق النفس البشرية، وفي واقع الأرض الإسلامية، والنفس مع الجهاد كما قال الشاعر :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي

متأخر عنك ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيدة

حبا بذكرك فليلمني اللوم

ومن أكبر نعم الله عز وجل التي أحس بها في قرارة نفسي علي.. بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله، أن منّ عليّ بالحياة مع الجهاد في أفغانستان، ما أجد نعمة أنعم الله عليّ بعد التوحيد من الجهاد، لأن الجهاد كما قال ﷺ : (نزوة سنام الإسلام)¹.

وقصتي مع الجهاد قصة يطول ذكرها، إنما هي فضل من الله ونعمة، والحمد لله أولاً وأخراً، ومن قبل ومن بعد، فلقد منّ ربي عليّ أن تذوقت الجهاد في فلسطين سنة 1969، ثم عدنا إلى الحياة المدنية بأجسادنا، ولكن أرواحنا بقيت معلقة بالجهاد، عدنا إلى الحياة ودرسنا

¹ - جزء من حديث صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد (أنظر إرواء الغليل 138/2).

وأخذنا الدكتوراه، وعدت أستاذًا في الجامعة الأردنية، ولكنني لا أحس السعادة التي كنت أرفرف بها فوق سماء فلسطين، وعدنا، وكما قال الشاعر * :

أنظر إلى أولئك القادمين في عين الخيال، أحلم هل يمكن أن يمن ربي علي مرة أخرى فأستعذب تلك الفترة، وأعيدها واقعا فوق الأرض أجسادا وحركات، ليالي وأياما، أقول عدت كما يعيش الناس، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: 86-87).

(يعلمون) آية أخرى.

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

عدنا كالنساء والأطفال، نعيش كما يعيشون ونأكل كما يأكلون، وكتب عليها : أن الرصاصة جريمة يؤخذ بجريرتها وجريماتها صاحبها، يؤخذ علينا بالنواصي والأقدام، ونظرت في واقع الأرض بعد فترة فوجدت وسمعت أن هنالك جهادا في نرى الهندوكوش، وجهادا تتردد أنبأؤه في أرض اليمن، فأزمعت ويممت إحدى المنطقتين، وكتب الله لنا التيسير والتوفيق إلى أفغانستان، وصلت أفغانستان وما صدقت ما رأيت، رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع، وأنا الفلسطيني المنتقل من هزيمة إلى هزيمة، الذي شهد نكبتين لشعب خلال عقدين من الزمان، وكنت أثناء الاحتلال سنة 67 في بيتي في الضفة الغربية أثناء الاحتلال، ورأيت الدبابات الإسرائيلية تدخل وتجتاح المنطقة دون أن يطلق عليها طلقة، كنت أعيش هذه المآسي جراحا تنزف، وآلما تعتمل في الأعماق، وأرى الانهيارات العسكرية والسياسية والاجتماعية وأرى الاستسلام الذليل الذي يبحث عنه في المنطقة، وفجأة وإذا أنا بين شعب أسد وكل واحد منهم أسد.

أسد دم الأسد الهزير خضابه موت فريص الموت منه ترعد

قلت الحياة حياتكم، والممات ممانكم، هنا وجدت نفسي وأنذر نفسي لهذا الجهاد، حتى يظهره الله عز وجل أو تتفرد هذه السالفة، ومضيت مع الجهاد في أفغانستان، وأخذت على نفسي عهدا أن لا أتكلم إلا في قضية أفغانستان، وحيثما دعيت في أي مؤتمر في العالم، وفي أية محاضرة لابد أن تحظى قضية أفغانستان بسهم وافر من كلامي، حتى قلت ذات مرة لأصحاب المؤتمر للشباب المسلم في أمريكا -رابطة الشباب المسلم العربي- قلت : لو وضعتم

* - الشيخ روى الشعر بالمعنى.

لي محاضرة في الكمبيوتر أو في الرياضيات لأدخلت بها قضية أفغانستان، ولامني قومي وكثرت الأقاويل، وأنا أعذرهم لأنهم لا يعيشون في الجو الذي أعيش فيه، وأقول : يا قوم والله أنتم في واد ونحن في واد، أرواحنا ليست عندكم، تعلقت بأولئك القوم الذين خطوا دين الله من جديد بنجيعهم، والذين رووا نبتته ومبادئه، وغذوها بعظامهم ولحومهم.

سننقل المعركة إلى فلسطين

قالوا : عبد الله عزام ترك فلسطين ولا يتكلم عن فلسطين، وانشغل بقضية أفغانستان، وهواه وقلبه في هوى الغرباء، مدمن منشغل، فكنت أردد بيني وبين نفسي : لا يعلم قومي الذين ولدت بينهم أنني أعيش جراحات القدس حول كابل، وأني أحس بالآلام عكا وسيلة الحارثية -قريتي- وجنين، هناك في بكتيا وبروان وبدخشان وبنجشير وغيرها، وكنت أردد أبيات متمم ابن نويرة :

لقد لا مني بين القبور على البكا

صديقي لتذراف الدموع السوافك

فقال أتبكي كل قبر رأيت

لقبر ثوى بين اللوا فالدكادك

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا

فدعني فهذا كله قبر مالك

إن شجا أفغانستان يبعث شجا فلسطين، وما علم قومي وأنا فوق ذرى الهندوكوش، أول صورة كانت تتردد في ذهني : كيف أنقل هذه الصفحات المشرقة وهذه التضحيات العزيزة إلى ربوع القدس، وإلى ضواحي نابلس، وإلى الكرمل، وإلى صنف، وإلى حطين مرة أخرى، هم لا يعلمون يعيشون سواء في الأردن أو في الخليج أو في السعودية أو في الكويت، ويوهمون أنفسهم أنهم يخدمون فلسطين أكثر مني، يكفي أنني حافظت على جذوة الجهاد في أعماقي فلم تتطفئ، ويكفي أن نفسي لم تمت من خلال ركाम العادات والتقاليد وزيادة تكاليف الأسرة، والعيال والأولاد، أنقال وقيود تشدني إلى الأرض، كنت أتمنى أن يفهم بنو قومي أين أنا، وكنت والله أتمنى أن أنقل الكثير من بني فلسطين ومن الأردن ومن المناطق المحيطة بإسرائيل ليتربوا على العزة، ليتقوى التوكل في أعماقهم، ليرتبطوا بربهم، ليعيدوا الثقة بالجبار القهار، لينسوا هناك في أرض الأبطال ومكر النزال، لينسوا القوى العظمى، أنه ليست هنالك

في الأرض قوى عظمى، إنما قوة رب العلمين هي القوى العظمى فقط، لقد تعلمنا من أفغانستان الكثير، وما خسرت فلسطين بنا والله، فأذهاننا مشدودة إليها وسننقل المعركة إليها إن شاء الله.

التوحيد العملي

عشت في أفغانستان فأدركت أن التوحيد في النفس البشرية لا يتعمق ولا يقوى في ميدان مثل ميدان القتال، التوحيد الذي يقول عنه رسول الله ﷺ : (بعثت بين يدي الساعة بالسيف - لماذا؟ - حتى يعبد الله وحده لا شريك له)¹.

إذن : إقرار التوحيد في الأرض بالسيف، ليس بقراءة الكتب ولا بدراسة كتب العقيدة، إن رسول الله ﷺ علمنا أن توحيد الألوهية الذي بعث من أجل إقراره في النفوس وفي واقع الأرض لا يتعلم تعليماً، إنما يُربى في النفوس من خلال المواجهات والأحداث، من خلال المواقف في وجه الطواغيت، من خلال التضحيات التي تقدمها النفس البشرية، وكلما قدمت النفس البشرية لهذا الدين، كلما فتح لها هذا الدين أسراراً، وكشف لها عن كنوزه، وفي المناسبة كان بعض الناس ممن لا يفهمون طبيعة التوحيد يصمون هؤلاء القوم الذين شرف الله بهم المسلمين، والذين رفع الله بهم هامة كل مسلم في الأرض، والذين حملوا الإسلام من الهوة الهابطة إلى أن وضعوه على منصة الموائد الدولية، يزاحم القوى التي يسميها الناس القوى الكبرى في واقع الأرض، الذين أعادوا هيبة الإسلام التي كانت قد غابت بسبب غياب الجهاد (ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)².

والهبة منا لن تعود إلا بالسيف وبالقتال، أقول : بعض الناس الذين لا يفهمون طبيعة التوحيد نفسه، إنما قرأوا بعض كلمات كانوا يقولون : إن في عقائد الأفغان شيء من الشركيات والبدع وغير ذلك .

ومنا من يقول لهم عقيدتكم بها خلل

معاذ الله هذا الإفك مما ليس يحتمل

لهيب الشرك لا يطفئه إلا الأحمر الهطل

¹ - جزء من حديث صحيح رواه أحمد (أنظر الإرواء 1269).

² - جزء من حديث صحيح رواه أحمد وأبي داود (أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 956).

وهل سندت خطى التوحيد إلا البيض والأسل

خوالم أمتي مهلا بصيرتكم بها حول

الذين يدركون ما هو التوحيد، ما هو التوحيد العملي : توحيد الألوهية، التوكل على الله وحده، والخشية من الله وحده، والعبادة لله وحده، هذه لا تفهم من خلال قراءة كلمات في الكتب، توحيد الربوبية يمكن أن يفهم خلال المحاضرة أو المحاضرتين، نفهمهم : إن الله بدأ ليست كأدينا، ونفهمهم بقانون وقاعدة الأسماء والصفات، نثبت لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا التي أثبتها رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، أو ثبتت في الكتاب العزيز من غير تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ونقول الاستواء ليس الاستيلاء، الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، هذا كلنا يحفظه أحفظتموها أم لا ؟ هذه سهلة، لماذا ؟ الإيمان النظري، إيمان المعرفة والإثبات، ولم يبعث الأنبياء من أجل هذا أبداً، إنما بعثوا لإقرار توحيد الألوهية، التوحيد العملي، الإيمان أن الله -يعني التوكل على الله- أنه خالق، رازق، محيي، مميت، ليس هي المعرفة النظرية التي هي توحيد الربوبية، إنما هي توحيد الربوبية، إنما إثبات ذلك من خلال مواقف في واقع الحياة، ولا يبني عقيدة توحيد الألوهية في النفس البشرية خاصة التوكل على الله في قضايا الرزق، في قضايا الأجل، في قضايا المناصب، في قضايا الجاه، هذه لا تستقر في النفس البشرية إلا من خلال أحداث طوال، ومسيرة طويلة، وتضحيات جسام تستقر يوماً بعد يوم، ولبنة بعد لبنة، يرتفع بناء التوحيد في النفس البشرية، أنا أقول لكم أيهم يفهم التوحيد أكثر ؟ ذلك الرجل رجل كبير في السن قالوا لي : أغارت علينا الطائرات فاختبأنا إلا رجل كبير في السن اسمه محمد عمر، نظر إلى الطائرة وهي تقصف على المجاهدين، قال يا رب من أكبر أنت أم هذه الطائرة ؟ من أعظم أنت أم هذه الطائرة ؟ أنت تترك هؤلاء العباد لهذه الطائرات، رفع يديه هكذا إلى السماء، ويخاطب الله عز وجل بالفطرة من خلال توحيد الألوهية، ما أتم كلمات إلا والطائرة تسقط ولم يطلق عليها أي طلقة، وأذاعت محطة كابل أن طائرة سقطت فيها جنرال روسي، عقيدة تحرير النفس البشرية من الخوف، من الخوف على الرزق، الخوف على الأجل، الخوف على الوظيفة، هذا الشيخ تميم بيننا، الشيخ تميم العدناني يوم ثلاثين رمضان / 1406 هـ هجم الروس، ثلاث فرق شيوعية، يعني ثلاثين ألفاً تدعمهم الدبابات، الطائرات، راجمات الصواريخ، راجمة يوضع فيها واحد وأربعين صاروخاً يضغطون يخرج واحد وأربعون صاروخاً عليك، تزلزل الجبال تحت أقدامك، الهاون، الرشاشات، المدافع، مدفعية الميدان، خمس كتائب روسية، منها كتيبة سبك ناز -فرقة التقدم السريع- الصاعقة الروسية، والشيخ تميم في المعركة، والشيخ تميم وزنه مائة وأربعون كيلو غراماً -ولذلك

الشيخ تميم إذا غضب على واحد يقول : أنا سأجلس عليك، خلاص، معناه الحكم عليك بالإعدام- جالس تحت الشجرة، يا رب مينة، شهادة في آخر يوم في رمضان، ثلاثين رمضان، آخر يوم في رمضان، وبدأ يقرأ القرآن، أنهى الجزء الأول، الرصاص من أمام وجهه ومن جانب أذنه، لا يصدق أحد أنه بقي حيا تحت الشجرة التي كان يجلس تحتها الشيخ تميم، والطائرات تقصف، الهاون يضرب، الصواريخ، الشجر كله إحترق، احترق احترقا، لا تستطيع أن تقول لجارك جملة كاملة، قل له معك رصاص ؟ عندما تقول له معك يفصل عن الكلمة الثانية قذيفة هون أو صاروخ، أنهى الجزء الأول، كلما مر بآية من ذكر الجنة «أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» يعيدها يعيدها، قال : لعل الرصاصه تأتيني مع الجنة «أصحاب الجنة هم فيها خالدون» انتهى من الجزء الأول، الجزء الثاني، إذا مر بآية بذكر النار أسرع لثلاث تأتي الرصاصه مع ذكر النار، أنهى الجزء الثالث، الجزء الرابع، الجزء الخامس - والأهوال تتسيك اسمك، والله يا إخوة إن أصعب شيء كان علينا وقت الاستتجاء ؛ لأنه لا يظن ظان أنه يذهب للاستتجاء ويبقى حيا، ويخشى أن يستشهد في وقت الاستتجاء ؛ هذا الذي كان يتقل علينا بالتالي قال : يا رب ما في شهادة على الأقل جرح، خلص السادس، خلص السابع، أربع ساعات متواصلة وهو يعيش تحت القصف النازل كالمطر، قال الشيخ تميم: بعد ذلك اليوم أنا أدركت أنه لا موت، ما في موت إلا في الساعة التي يريد رب العالمين... خلاص، ما في موت الخطر لا يقرب من الأجل، والسلامة لا تبعد من الموت، هذا ما قرأه في فتاوى الشيخ بن تيمية، ولا قرأه في كتاب المجموع للنووي، ولا قرأه في حاشية بن عابدين، ولا قرأه في كتاب بن القيم، هذا قرأه من خلال أعصاب تحرق، من خلال نفس تطحن تحت القذائف، عقيدة التوحيد، عدم الخوف على الأجل، الخوف على الرزق، تجد الإنسان في الحياة العادية إذا قيل له مر مخابرات من باب دارك، يصيبه - والله أعلم- شلل نصفي، أو تقول له : يوجد مخابرات رأيته واقف على باب دارك، خلاص، يبقى أسبوعا كاملا لا يستريح في النوم ولو ضاعت عليه صلاة الصبح، سبعة أيام ما خاف من الله عز وجل كخوفه أن يقال له : إني رأيت واحدا من المخابرات واقف أمام باب بيتك، هو لماذا يخاف من المخابرات ؟ يخاف على الرزق أو الأجل أيوجد غيره ؟ كلا، إما الخوف على الأجل أو الخوف على الرزق، وصارت هذه العقدة في نفوس الناس الشبح الرهيب الذي يقض عليهم مضاجعهم، ويؤرق أجفانهم، أما لو لم تخف على رزقك ولا أجلك، لا تخاف، لو قالوا لك الآن : المخابرات في روسيا زعلانة عليك، هل يؤثر فيك ساكنا ؟ ولا في أفريقيا ؛ إذا هنالك روابط تشدك إلى الأرض هي التي تجعلك تخاف، فالجهاد حل عندنا هذا المرض، عقدة الخوف من المخابرات، عقدة الخوف على الأجل، عقدة الخوف على الرزق، أعلى ما عند

الإنسان الروح والروح قد وضعها على كفه يعرضها صباح مساء على رب العالمين، لينتقيها إن تقبلها، وهو يحزن إن لم يخترها رب العالمين، فعلى أي شيء بعد ذلك يخاف ؟

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا

فأهون ما يمر به الوحول

واحد يتعرض للموت كل يوم، الوحل يؤثر عليه؟! أهون ما يمر به الوحول، فالتوحيد وإقراره في النفس البشرية، علمت أنه لا يتربى في النفس -يعني يتعمق في النفس البشرية- إلا من خلال الجهاد.

أصلاً كثير من معاني هذا الدين لا تفهم إلا بالجهاد، ولذا يقول الله عز وجل :

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: 122).

اللام، لام التعليل، النفير للتفقه في الدين، فبعض العلماء ذهبوا وقالوا: لا.. الطائفة التي تقعد هي التي تتفقه في الدين، والرأي الذي رجحه ابن عباس -رضي الله عنهما- والطبري وسيد قطب على أن الفرقة التي تنفر في سبيل الله هي التي تتفقه في الدين وهي التي تعرف أسرارها ويكشف لها كنوزه وكما قال الأستاذ سيد رحمه الله : "إن هذا الدين لا يكشف أسرارها لفقهاء قاعد بارد لا يتحرك لإقامته في هذه الأرض، إن هذا الدين ليس قوالب تخزن في داخل الدماغ باردة، إنما فقه هذا الدين يتأتى من خلال الحركة لإعادته في الحياة ولبناء مجتمعه مرة أخرى"

نعم هذا الدين لا تفهم منه إلا بقدر ما تعطيه.. أعطه يعطيك، قانون البذل وقانون الجزاء ؛ ضحَّ، رب العالمين يفتح عليك، قدم لهذا الدين يعلمك الله عز وجل آياته وأحاديثه، أصلاً كثير من الآيات لا تفهم إلا من خلال الواقع، من خلال الواقع الجهادي، طيب سورة التوبة، سورة الأنفال، سورة آل عمران هذه كيف تفهمها إن لم تتحرك بهذا الجهاد ؟ كيف تفهمها ؟ كيف تفهم ؟ ومن هنا أول فائدة من فوائد الجهاد : تحرير النفس البشرية، إقرار توحيد الألوهية، يعني توحيد العبودية، يعني التوحيد العملي، في القلب، في النفس حتى يصبح الإنسان يتعامل مع رب العالمين كأنه يراه، يتعامل مع صفاته أنه قريب.

تحيط بأرسلان دبابات من كل مكان كانوا مجموعة بسيطة نفذت الذخيرة تقترب الدبابات، يريدون أن يقبضوا عليهم أحياء، لم يبق إلا الله عز وجل : اللهم لا تجعل لكافر عليّ سيلاً، وفجأة وإذا بالمعركة تدور على الدبابات يسمع أصواتاً ولا يرى أحداً في المنطقة وليس في المنطقة أحد غيرهم، تحترق دبابات يهزم الجيش ولم يطلقوا طلقة عليهم، كيف لا يتقون برب العالمين بعدها ؟

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186).

الشيخ سياف يقول لي : أحيانا آخذ ورقة وقلما حتى أحسب تدبير الطعام للجبهات أحسبها للجبهة الأولى دبرنا لها، فيها ألف مجاهد، في اليوم كل واحد عشر روبيات يعني درهمين، كل واحد درهمين ألفي درهم في اليوم، في الشهر ستون ألف درهم، في السنة سبعمائة وعشرين ألف درهم، طيب خلصنا هذه الجبهة، الجبهة الثانية، الجبهة الثالثة، بعدما أنهى ثلاث، أربع جبهات أدرك على أن كل الميزانية التي بين أيدينا، لا تستطيع أن تسد حاجة أربع جبهات ألقى القلم وأنظر إلى السماء : الجهاد جهادك فافعل كما تشاء ودبر كما تريد.

الشيخ جلال الدين حقاني قال : في السنة الأولى من الجهاد كان الناس لا يستطيعون أن يصلونا، كنا أقل مجموعة في رأس جبل، لا يستطيع أحد أن يقترب منا، لا يستطيع أحد أن يقدم إلينا المساعدة، لا نستطيع أن نوقد النار للشاي حتى الدخان لا يخرج، حتى لا تعرف الدولة أين نحن فتدك علينا الأرض، انتهى الطعام، قال المرض تصبر عليه، البرد تصبر عليه لكن الجوع من أين ؟ كيف تصبر ؟ كيف تعيش بلا طعام ؟ صليت الفجر وجلست مهموما فوق سجادتي وأخذتني سنة من النوم قال وإذا بشيء يهزني من كتفي من الخلف هكذا، هو جالس على السجادة جلسة الصلاة، يا جلال الدين، لقد بقي ربك يطعمك ثلاثين عاما وأنت لا تجاهد في سبيله، أفينسالك تجاهد في سبيله !؟ .

ولذلك كان معنا أخ مصري زوجته تسأله : أنت أين تشتغل ؟ قال أنا في مؤسسة رب العالمين مباشرة، قال لها فلان يشتغل في مؤسسة التاجر الفلاني، فلان يشتغل عند الحاكم الفلاني، وأنا مباشرة أشتغل عند رب العالمين، من أحسن مني ؟ من أرفع مني ؟ أي حياة أعز من هذه الحياة ؟ ولذلك صدق رسول الله ﷺ وهو يقول : (من خير معاش الناس - يعني أفضل حياة - رجل أخذ بعنان فرسه يطير على منته كلما سمع هيعة أو فرعة طار إليها، يبتغي الموت مظانه)¹.

إذاً : أول أمر هو التوحيد توحيد الله عز وجل توحيد العبودية، توحيد الألوهية، التعامل مع الله عز وجل بأسمائه وصفاته، التعامل مع اللطيف بلطفه والتعامل مع القريب بقربه والتعامل مع السميع بسمعه وهكذا.

¹ - حديث صحيح رواه مسلم، انظر صحيح مسلم شرح النووي مجلد 34/13.

ثانياً : تربية العزة في نفوس الناس لأن الذل ناتج عن الخوف، والشجاعة تعطي العزة، الخوف على المال، الخوف على الجاه، الخوف على الحياة ينتج الذل، والتحرر من هذا ينتج العز.

والعز في صهوات الخيل مركبه

والمجد ينتجه الإسراء والسهر

عزة المجاهدين الأفغان

والحقيقة ما رأيت أعز من المجاهدين رغم فقرهم، أحمد شاه رئيس الدولة السابق ذهب يشتري صفقة سلاح من إحدى الدول الأوروبية، تمت صفقة السلاح، الثمن موجود، الصفقة موجودة، تاجر السلاح جاء له بورقة قال أريد منك توقيعاً ألا تستعملوا هذا السلاح ضد إسرائيل، قال له : نلغي العقد، قال له لماذا ؟ أنتم ستستعملونه ؟ قال لا، أنت تعرف أننا لن نستعمله ضد إسرائيل لأن المسافة بيننا وبين إسرائيل آلاف الأميال، لكنك تريدني أن أوقع على وثيقة إنهاء الحرب التي شنها رب العزة قبل 1400 سنة على اليهود، تريدني أن أوقع ضد هذا الأمر الرباني، فأنا لا أريد السلاح، وألغى الصفقة، وعاد ولم يأخذ رصاصة واحدة رغم أنهم بحاجة شديدة إلى السلاح.

إذا قضية فلسطين عند الأفغان قضية عقيدة ودين، قضية المسجد الأقصى عند الأفغانيين قضية إيمان وحنين مزروع في أعماق القلب، نعم هذه مواقف تجاه فلسطين، هذه مواقف.

سياف دائماً يحدث : قضية فلسطين هي قضيتنا الأولى، الأفغانيون الأميون، رجل أمي تجده يقول : اللهم حرر على أيدينا أفغانستان ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، رجل كبير في السن لحب الجنبان واحدودب ظهره، جاء نكسون الرئيس الأمريكي السابق زار بيشاور، قالوا له : ترى مخيمات اللاجئين، دخل في مخيمات اللاجئين اقترب منه رجل كبير في السن قال له : أنتم لماذا أعطيتم أرض فلسطين لليهود ؟ إذا القضية ليست قضية سياسة عندهم، القضية قضية دين وعقيدة.

فالمهم تاجر السلاح عندما رأى أحمد شاه يرفض صفقة السلاح مع أنه لن يستعملها ضد اليهود قال ما رأيت أعز منكم أبداً !!.

لو رأيت المهاجرين القادمين من أفغانستان حفاة يرتجفون برداً، جياعا لا يملكون من الدنيا شيئاً، أحد الإخوة من الجزيرة قادم ويوزع عليهم طحيناً وخياماً، رجل كبير في السن هو بين القادمين، يعني حالته مزرية عجيبة، يعني يرثي لها فأعطاه كمية من الطحين وخيمة، قال :

أخذني الوقت، كادت تغرب الشمس، وقفت بين الخيام التي أوزعها وصليت العصر، وإذا بالرجل يرجع الطحين والخيمة ويرميها في وجهي ؛ قال : أنا لا أريد مساعدتك أنت لا تجل رب العالمين، قال له : كيف ؟ قال : أنت صليت بالحذاء، معنى ذلك أنت لا تحترم الله عز وجل.. لا تجله، قال : فجئت بواحد وترجم له : أن رسول الله ﷺ كان يصلي بالحذاء، قال : كذلك، قال : نعم، قال : إذن، أنا أخذ المساعدة، ميت من الجوع...ميت !!.

ومن هنا العزة التي بناها الإسلام في أعماقهم هي التي جعلتهم يقفون أمام الدنيا كلها، والمؤامرة العالمية عليهم تريد أن تختلس ثمار جهادهم وهم وقفوا أمام العالم كله، والله يا إخوة : لو كان عندي وقت لحدثتكم عن المؤامرات العالمية التي جرت عليهم خلال الأربع سنوات الأخيرة وخاصة في السنة الأخيرة، لا يمكن لهذه المواقف أن تكون إلا من مجاهد أبداً، روسيا ضربت ضربة شديدة، ولذلك الشيوعيون في العالم العربي مساكين والله، لم يسلموا العزة لروسيا، خلاص انكبوا مزعوا الدفاتر انتقت الشيوعية في الأرض، نفس غورباتشوف رجع عن الشيوعية فتل الأفغان دماغه، انتهت الشيوعية تكتب الصحف العربية وغيرها، انسحب الروس، هل الروس انسحبوا ؟ الروس اندحروا هزموا، مزقوا شر ممزق في أفغانستان.

يا إخوان : أنتم لا تعرفون حال الروس في داخل أفغانستان، والله التقيت مع أسير روسي سمع مجموعة أسرى لكن واحدا منهم - أقول له ممن تخاف كثيراً ؟ أي شيء يخيفكم كثيراً ؟ قال والله أكثر شيء نخاف منه في المطار المحمي بالصواريخ، بالطائرات، بالدبابات، بحقول الألغام، بالأسلاك الشائكة، قال : والله لا تنام ليلة نضع رؤوسنا على الوسائد إلا ونظن أنها الليلة الأخيرة في حياتنا، لأي شيء ؟ نخشى من مير محمد.. من مير محمد ؟ قائد مجموعة، شيخ مسجد عنده مجموعة من حول المطار، يخافون أن يأتوا ويذبحوهم بالسكاكين، في المطار، يا سلام !!... يا سلام !!... يا سلام !! هذا محمي بكل الوسائل ويخاف من مير محمد يذبحه بالسكين لأن بعضهم يحب الذبح بالسكاكين، لا يحب إطلاق النار نعم، واحد اسمه عبد الصبور، شاب في كابل قلت له : يا عبد الصبور، كم واحدا قتلت من الشيوعيين ؟ قال : الذين ذبحتهم بالسكين في كابل تسعة وعشرون، نعم، يا سلام !!.

إن المنية لو لاقتهم جفلت

وعناء تتهم الإقدام والهريا

شجاعة المجاهدين الأفغان

المنية تخاف منهم -حامل السكين الكندرجي هذا الحذاء هذا الرقيق الناعم، حاطه في جيبته ما شي يمر بالشارع يلقي سمثلا- واحدا شيوعيا، شاب حالق لحيته، مطول شوربه، هذا

الشباب المجاهد لابس (جينز كابوي) حتى يظنوه من أولاد الشوارع، أولاد البسكوت يأخذه على جنب، يقول له : يا أخي تعال اقرأ لي هذه الرسالة معي ويمد يده على جيبه على الرسالة، ويأخذه على طرف شارع بسم الله الله أكبر، ذبح شرعي ويمشي ليس لحما بلغاريا ولا رومانيا، ذبح بالطريقة الإسلامية.

شاب عمره إحدى وعشرين سنة، أمام وزارة الداخلية، واقفة سيارة محافظ هرات وبجانبه مستشار روسي، يرى السيارة، يميل عليهم يقتل اثنين ويركب في السيارة، ويأتي بها من باب وزارة الداخلية إلى بيشاور حتى يسلمها لحكمتيار، هم الحقيقة جن جنونهم، الروس صاروا يفكرون أن الأفغان جن وليسوا بشر، صدقوا أنهم لشدة رعبهم، بعضهم كانوا يظنون أن الأفغان لا يموتون، نعم.

حدثني الشيخ أرسلان - وهو من القادة الثقات - قال : جاءت الطائرات قصفت مركزنا، اتصلت الطائرات بالدبابات الشيوعية والروسية قالوا : تقدموا دكناهم وذبحناهم قالوا : ما ذبحتوهم، الأفغان شياطين ينزلون تحت الأرض لا يموتون، قالوا : تقدموا دكنا المركز وانتهى، قال : تقدمت الدبابات وطلعنا لهم وخرجنا، وب (R.B.J) وجرقنا مجموعة من الدبابات وهربت البقية، قالوا لهم : ما قلنا لكم أن الأفغان لا يموتون، صدقوا لشدة رعبهم -أنا لا أتكلم خيالاً ولا مجازاً- من شدة رعبهم من "الله أكبر" يظنون أن الله أكبر نوع من القذائف ؟ يبحثون عن أسلحة مضادة لقذائف الله أكبر، على التلفاز الروسي يسألون جندياً راجعاً من كابل، قالوا له : كيف حالكم ؟ كيف حال الجيش الروسي في كابل ؟ قال عندما نسمع صوت الله أكبر نبول على ثيابنا، لا تظنوا الروس انسحبوا من خاطرهم، لقد حاولوا المستحيل أن يبقوا في داخل أفغانستان، فلم يستطيعوا، لا يمكن أن يظلوا، لا يمكنهم أبداً إلا إذا زرعو أسداً في جوف قلب كل روسي، الحالة منهارة جداً، معنويات متهالكة، قائد الجيش الروسي عندما انسحب أقام مؤتمراً صحفياً في ترمذ على حدود النهر - بلد الترمذي - قال : هذا اليوم الذي كنا نتمناه منذ سنوات، هذه حالة قائد جيش منسحب، هل هذه حالة قائد جيش غازي ؟ وغورباتشوف قال : لقد كان دخولنا إلى أفغانستان خطيئة.

ضياء الحق والجهاد الأفغاني

ضياء الحق رحمه الله -ادعوا لهذا الرجل كثيرا كثيرا ؛ فما اكتحلت عيناى بجاكم أفضل منه، وما رأيت رجلاً يتكلم بقلبه أو يجيبك بدمعته مثل هذا الرجل، تشعر أن الرجل يتكلم من أعماقه عندما يتكلم، وعندما يتكلم ينسى أنه رئيس دولة وأن التلفاز يبث إلى العالم، كأنه خطيب مسجد، ويخطب والله إن خطباء المسجد في بلادكم يحتاطون ويتوَعون ويحسبون

حساباً أكثر من ضياء الحق وهو يتكلم على شاشة التلفاز للعالم، قال : التقيت بالسفير الروسي، قلت له : أنتم وصلتم الفضاء بأقماركم الصناعية وبمراكبكم الهوائية، ولكن يبدو أنكم ما درستم التاريخ، قالوا : كيف ؟ قال لو درستم التاريخ ما دخلتم أفغانستان، أما علمتم أن الأفغان قد قهروا كل البلدان، الذين دخلوا بلادهم.

سقوط الشيوعية في الأرض

لكن ورطة يا جماعة، إلى متى ستبقى الشيوعية تتخر في أعماق العالم الإسلامي، وتدمر العالم، يكفي ها هي الآن مر عليهم سبعة عقود سبعون سنة ما دمرت فكرة من الفكر في العالم كما دمرت الشيوعية.. ما دمرت، تدمير، خراب، إجرام، كله قائم على الإلحاد، الدين أفيون الشعوب، صراع الطبقات، الحقد يصوغ، كل الفكرة قائمة على الحقد، فالله أراد أن يهزم الشيوعية، الآن خلاص الحمد لله، إنتهت الشيوعية.

كارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي يلتقي بوزراء دفاع حلف الناتو، قال له وزراء دفاع الحلف الأطلسي لكارلوتشي : يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، قال : أو تظنون ذلك ؟ لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم كله، وجدوا أن عقيدة الشيوعية عبارة عن أوهام، يمشي الناس وراء السراب، منذ سبعة عقود، ما فتح غورباتشوف إلا ووجد روسيا قاعاً صفصفاً، روسيا التي كانت تمد العالم الغربي بالقمح، مقاطعات أوكرانيا وليتوانيا الآن تنتظر شاحنات القمح الأمريكية شهراً شهراً، ما عندهم الفلوس ليدفعوا ثمن القمح، ستة عشر مليون طن قمح تستورد سنوياً من أمريكا، وتتكفل بثمنها ليبيا، هذا تاجر القمح هو نفسه تاجر سلاح بترول هذا (ادورد همر) اليهودي العالمي المعروف وهو الذي بقيت شركته الوحيدة تعمل في ليبيا، شركة (اكسندنل) يأخذ القمح من أمريكا ويعطيه لروسيا ويأخذ السلاح من روسيا ويعطيه ليبيا، ويأخذ الفلوس من ليبيا ويعطيها لأمريكا، الآن قطع في الاتحاد السوفياتي مرهونة على ثمن القمح لأمريكا، يعني سقطت، ثم وجد أن الشيوعية لا يمكن أن تقف أمام الأديان، وأن الدين أفيون الشعوب، وجد أن الشيوعية هي أفيون الشعوب، وأن الشيوعية مخدر وأنها علقة تمتص دماء الشعوب، وأن الدين وقف بشعب قليل، أعزل، حافي القدمين، خاوي البطن، خالي الجيب، وقف أمام روسيا العظمى والاتحاد السوفياتي وحلف وارسو، حتى اليمن الجنوبية أرسلت لهم أناساً يقاتلون معهم، نعم وبعض اليساريين من المنظمة كذلك، لقد وجدنا في الفتوحات الأخيرة على بوابه خيبر، مجلة المنظمة باللغة العربية في داخل قواعد الشيوعيين الأفغان، كيف يفهمون العربية ؟ معنى ذلك بينهم من اليساريين الذين يقاتلون معهم، أقول كل العالم الشرقي وحلف وارسو وقف ضد الأفغان وكلها انهزمت ؛ كوبا، حتى بلغاريا، ورومانيا، اشتركت كل الدنيا معهم، ولكن هل يهزمون رب العالمين؟ كما

الدولية، وقلب كل المعادلات السياسية، ولم تستطع أي ظنون أو طروح أن تصدق على الجهاد الأفغاني، ما رأوا الجهاد الأفغاني إلا وهو بانتصارات ساحقة، وروسيا تنهزم وتفقد الموقع تلو الموقع، وتثن من جراحها وتشكو من الآمها، وأنا رأيت مثل الجهاد الأفغاني مثل الولد الحامل خنجرا وأمامه رجل ما شاء الله كبير ونازل فيه بالخنجر في بطنه، وهو يستحي أن يئن أو يرفع صوته بالبكاء أو الصراخ، اليهود قالوا لهم -الأمريكان- : أنتم فرحون بما يجري في أفغانستان، أنتم مساكين، الأفغان هؤلاء أنتم لا تعرفونهم لقد جرى تغيير العالم عدد مرات من البقعة التي منها أفغانستان، هؤلاء سيسقطون روسيا وسيحتلون أوروبا وستضطرين يا أمريكا أن تتازلي المسلمين، وأين ؟ في أواسط أوروبا، فخذوا على أيديهم قبل أن يشتد عودهم وينطلقوا.

أحد كبار كتابهم شاخترمان كتب بحثا عسكريا سياسيا قدمه للأمريكان، ماذا فعلنا ؟ نحن أيقظنا العملاق، (ميتران) قال لهم إن أفغانستان سرطان يأكل جسد الإمبراطورية الروسية، رجل أمريكي اسمه شاليزي -كان يعمل أفلاما في بيشاور- كان يقول : إن أفغانستان هي المسمار في نعش الإمبراطورية الروسية، صحيح ؟! راجعوا حساباتكم، أنتم الآن تفركون أيديكم فرحا بهزيمة روسيا، أرسلوا رجالاتكم، انظروا ماذا في أفغانستان ؟.

أمريكا والجهاد الأفغاني

أرسلوا نكسون، جاء نكسون بنفسه، أروه المخيمات حول بيشاور قال : لا.. أريد أن أصل أرض أفغانستان، دخل نيكسون الحدود ورأى، ماذا رأى نيكسون ؟ شعبا بكامله بخيله ورجله، بطفله وشبيهه وشبانه، بأرملته وعجوزه، كلهم تحركهم "الله أكبر"، رجع إلى أمريكا عمل مؤتمراً صحفياً على التلفاز الأمريكي، الصحفي الأول قال له : أي شيء عملتم للمشكلة الفلانية ؟ قال هذه مسألة سهلة .. المشكلة الفلانية قال له : هذه سهلة ... سهلة قال له : إذن ما هي المشكلة ؟ قال : المشكلة هي الإسلام، يجب على أمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا ليوقفوا الزحف الإسلامي الذي بدأ ينمو ويمتد، قالوا لعلك غلطان يا نيكسون، نرسل الرئيس الأمريكي، أرسلوا كارتر بنفسه..

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: 146)

يحاربون هذا الدين عن معرفة وليس عندنا عشر معشار اهتمامهم بقضية الجهاد في أفغانستان .. عشر معشار !! نعم يا إخوة لا يمر أسبوع على أمريكا إلا ويعقدون في كبرى الجامعات ندوة موضوعها واحد : أفغانستان وأثرها على العالم، يدعى إليها كبار السياسيين

قال أحمد عمر هذا : من أقوى أنت أم روسيا ؟ هو أقوى، قالوا لسياف - أول جلسة لمجلس الوزراء جاء صحفيون أمريكيان وبريطانيون من كل العالم في داخل أفغانستان - قالوا : كيف انتصرتم ؟ : قال انتصرنا لأنكم تقولون بأن هنالك قوة عظمى اسمها أمريكا وقوة عظمى اسمها روسيا، ونحن نقول إن هنالك قوة هي قوة رب العالمين، وتمسكنا بها، فانتصرت قوة رب العالمين على قوة روسيا، قال: تمسكنا بالقوة العظمى فهزمت قواتكم العظمى، وجاء بها التلفزيون الأمريكي كما قال، نفس العقيدة الشيوعية تراجعوا عنها، بدأت أذربيجان تطلب حكماً ذاتياً، مظاهرات مئات الألوف في أذربيجان، غورباتشوف ماذا يفعل؟ يعرف أن الشيوعية لا تستطيع أن تقف أمام الإسلام خلاص علمه الأفغان انتهى، فلجأ الآن إلى إحياء عقيدة النصرانية لتقف أمام العقيدة الإسلامية، صار يوزع الأناجيل في أرمينيا حتى يقف الأرمن أمام الأذربيجانيين، وبدأت الإذاعات تقول هنالك اختلاف على الحدود.

ورب العالمين علم أن أذربيجان الآن ما عندهم سلاح يستطيعون أن يقفوا به أمام روسيا، هو سبحانه أدار المعركة بنفسه، زلزال في يوم واحد قتل مائة ألف من الروس وانتهت القضية، الأفغان عشر سنوات قتلوا خمسين ألف روسي، رب العالمين قتل في يوم واحد واحد مائة ألف روسي، أقول : الجهاد الأفغاني أثر في كل العالم، الغرب - الأمريكيان، انظروا إلى أمريكا، للغرب - الغرب فرح كثيراً عندما زلت أقدام الجندي الروسي على سفوح الهندوكوش، قالوا هذه فرصة نشفي صدورنا وبنفس أبقادنا لأيام فينتام، كما كانوا يتفرجون علينا أمام الفيتناميين الآن جاء دورنا لننتفرج عليهم وهم يذبجون بيد الأفغان، والأفغاني ما شاء الله مستريح نعم، الطائرات تضرب يا سلام...!! عقيدة التوحيد طائرات تضرب وهو على مضاد الطائرات، هذا الزيكويك يسموه رشاشا لا يؤثر لكن عل الأقل الطيارة تهرب، تضرب من بعيد، وفي قاعدة الزيكويك هذه (الحفرة) واضع إبيريق الشاي ويغلي الشاي، والطيران نازل فيهم، كل ساعة تقتل مجموعة، فإذا انتهى الطاقم يبدل بطاقم آخر والطيارة تضرب ويقول له انظر إلى الشاي هل انتهى أم لا، لو مائة سنة الروس يقاتلون ماد رجله ما دام الشاي موجود، والخبز موجود كل شيء على الدنيا السلام، نعم فالأمريكان فرحوا، الغربيون فرحوا بهزائم روسيا، قالوا نشغل روسيا بهؤلاء الأفغان والفخار يكسر بعضه، إن ذبح الأفغان فنحن رابحون، وإن ذبح الروس فنحن رابحون، وإن ذبح الإسلام فنحن رابحون، لا أحد يضايقهم أبداً، دعهم يشتغلون، كانوا يظنون أن جهاد أفغانستان عبارة عن جرح بسيط، ينزف قطرات من جسد روسيا، وكانوا يظنون أنها ستشغل روسيا وتستنزفها اقتصادياً، وتدمر لها بعض آلياتها وطائراتها عسكرياً، وتقتل آلافاً من جنودها في ساحة الميدان، ولكن رب العزة الذي يريد بهذه الأمة خيراً أخلف كل الظنون، لقد حطم الجهاد الأفغاني بفضل الله كل الموازين

والإداريين والدبلوماسيين وعلماء الاجتماع، ماذا عن أفغانستان الآن ؟ وماذا سيكون نتائجها فيما بعد ؟.

بريطانيا والجهاد الأفغاني

واحد كبير من التلفزيون البريطاني جاء مرتين ودخل أفغانستان اسمه (ديزول) قال : لا ينام الشعب البريطاني ليلة إلا وثلاثة يعرف ماذا جرى في أفغانستان هذا اليوم، لازم قبل أن ينام كل ليلة الشعب البريطاني - كل ليلة- إلا ويعرف ماذا جرى في أفغانستان ؟ يتابع أخبار التلفزيون.

المسلمون والجهاد الأفغاني

ونحن ماذا ؟ قلت لواحد من المسلمين قلت له اسمع مني - لكن معه فلوسا كثيرة، وأنا فقير ولكنني أغنى منه الحمد لله- قلت له : اسمع مني أخص لك قضية أفغانستان، قال لي : أنا مستعجل، ما عنده وقت يسمع قضية أفغانستان قلت : خذ مني 5 دقائق فقط. أخص لك القضية، قال خمس دقائق فقط ؟ قلت له : خمس دقائق فقط، قال طيب انتظر أبحث عن الطاقية -طاقية يلبسها تحت الغطرة- ظل لخمس دقائق وهو يبحث عن الطاقية، قلت له : خمس دقائق للطاقية وخمس دقائق لعرض القضية، خمس دقائق لطاقيتك وخمس دقائق لأعظم قضية في الأرض، هذا اهتمامنا نحن في أعظم قضية في الأرض.

عودة إلى التآمر الأمريكي ضد الجهاد الأفغاني

المهم كارتر وصل بيشاور، أرسلوا كارتر مرة ثانية، قال كارتر لا أريد بيشاور أريد أن أرى أفغانستان حملوه بطائرة هليكوبتر إلى لندى كوتل -آخر مدينة باكستانية- قال : لا، أنا أريد أدخل لأرى أفغانستان بنفسى.. يا سلام !! كارتر رئيس الولايات الأمريكية تهمة هذه القضية !! فيمشي إلى داخل أفغانستان ليرى رجوع، يبدو أنه رجوع نفس التقرير، أمريكا قالت لروسيا خلاص، قالت روسيا : وافقت على الانسحاب، أنا عندي شرط واحد ؛ إبحثوا عن واحد ترتضونه أنتم يكون بديلا عند ما أنسحب، خلاص يعني إيش واحد، قالوا : إسلام على الطريقة الأمريكية، إسلام أمريكي، يعني مرن دينه مطاط يمت حسب الأهواء الغربية، إيش على الأهواء الأمريكية ؟ يعني الفتاوى جاهزة بجيبه، كيف جاهزة ؟ نريد أن نحدد النسل يحضروا مشايخ ليقفوا على التفاز، يقولوا "كنا نعزل والقرآن ينزل ولو كان شيئا مما نهانا

عنه القرآن لنهانا¹ نريد الاشتراكية يأتي الشيخ ويعلن أن الاشتراكية دين الله، والاشتراكيون أنت إمامهم، نريد القومية، يأتي شيخ ويفتي حب الوطن من الإيمان، وهكذا، أصدرت فتاوى على الجاهز بالجانب، مثل ما يسموه في أمريكا، الشباب المسلم يعني آلة الفتوى إضغظ على زر تطلع بيبسى كولا، إضغظ الزر تطلع ميرندا، إضغظ على الزر تطلع فتوى جاهزة (فتوى ماشين)، دينه (فتوى ماشين) والآلة يجب أن تكون غريبة، نعم تشتغل على النظام الغربي.

قالوا لهم : يا أفغان نعم.. يا مجاهدين -قالوا- نرجع ظاهر شاه، سياف قال : نعم، نرحب بظاهر شاه بشرط واحد : أن نقتله في المطار، لما كانوا يقولون لظاهر شاه : ترجع ؟ يقول : عندما يوافق سياف وحكمتيار، في الليل الله أعلم يبقى يرجف من سياف ومن حكمتيار، غول اسمه سياف يأتيه في المنام يلبسه.. كابوس.. طيب.

طبعاً الكلام الطويل، الذي عايشناه بأنفسنا ساعة ساعة، لحظة لحظة، ونحن نرى المؤامرة العالمية على هذا الدين، نعم ليل نهار نعيش القضية قالوا طيب نعمل معاهدة اسمها معاهدة جنيف، إيش معاهدة جنيف ؟ الذي رتبها (أرنولد همر) اليهودي الذي يرسل القمح للاتحاد السوفياتي والسلاح لليبيا فالمهم رتبها، جاءوا للمجاهدين، قالوا لهم : روسيا ستسحب لكن يريدون منكم بعض التنازل، إيش التنازل ؟ يرجع المهاجرون إلى أوطانهم أنتم تعيشون في أوطانكم معززين مكرمين، ويصدر عفو عن مجرمي الحرب سياف وحكمتيار وخالص ورباني -وشر المصائب ما يضحك، قالوا : روسيا ستهزم، روسيا منهزمة، روسيا ليس لها طريق إلا الهزيمة - قالوا ما نفع، راح الثاني، صار غورباتشوف مسلماً يرسل وراء المعروفين في العالم الإسلامي ويقول لهم اذهبوا وتوسطوا عند المجاهدين، يأتي حامل حقيبة ويظن أنه حامل الدنيا كلها في هذه الحقيبة، يأتي إلى المجاهدين يقول لهم لقد وسطني غورباتشوف لكم يقول لكم : نريد أن تشكلوا حكومة مشتركة مع نجيب، نصف الوزارة منكم ونصف الوزارة منهم، وقد تستلمون رئاسة الدولة، وأنا أنصحكم أن ترضوا بنصف الحلول، يا جماعة، السياسة لها خندق والحرب لها خندق، لا بد من التنازل قليلاً حتى تتسحب روسيا، قالوا : ارجع من حيث أتيت، ستهزم روسيا، عقدوا مؤتمراً، رتبوا مؤتمر جنيف، وقالوا للمسلمين في العالم : هذا مؤتمر جنيف، هذه معاهدة جنيف عبارة عن الانفراج الدولي، إيش، الانفراج الدولي ؟ نحن نريد أن وقف لكم حرب الخليج، ونعمل لكم مؤتمراً دولياً في فلسطين، ماذا تريدون أكثر ؟ أعينونا على أفغانستان نعينكم على حل قضية فلسطين وحرب الخليج.. خلاص.

1 - حديث موقوف على جابر رواه البخاري في صحيحه.

مواقف مشرفة لضياء الحق

وبدأت الوفود تأتي لضياء الحق حتى تقنعه أن يوقع معاهدة جينف وذهب واحد من الحكام العرب مندوبا عن المؤتمر الإسلامي، وجاء لضياء الحق قال له : والله التوقيع، ونريد أن ننهي الحرب ونريد أن نحل قضية فلسطين، قال له ضياء الحق : أنت تفكر أن الجهاد في أفغانستان طلاقات عبر الحدود كم طلقة، أو واحد يدخل يضع لغما ويهرب، قال له : والإحصائيات التي بين يدي من خلال الأعمار الصناعية التي تصور الدبابات والطائرات ومن خلال أجهزة التصنت الباكستانية تقول لي : إنه سقط حتى بداية 1988، 2080 طائرة واستهلك لروسيا مثلها ن، يعني روسيا فقدت 4150 طائرة في أفغانستان، قال له ها!، قال له هاها قال له : اسمع، لقد دُمر لروسيا سبعة عشر ألف دبابة ومجنزة في أفغانستان، قال له : نعم إحصائيات، الصور، وغيره إحدى وعشرين ألف ناقلة لروسيا دمرت في أفغانستان، فغر الرجل فاه، وقال له : أنا والله لا أعلم، هو يفكرها لغمين وضعا تحت الدبابة الروسية، وانتهت القضية ويهربوا على باكستان ولا يدري أن روسيا ما استطاعت منذ أن دخلت إلى أن خرجت أن تخرج من السجون، الأقفال الحديدية التي تسمى بالمستعمرات والقلاع الروسية أبدا لقد بقيت روسيا سجينة في أفغانستان تسع سنوات متواصلة.

طيب رجع الرجل وقال لهم : يا جماعة أنا سمعت من ضياء الحق شيئا غريبا عجبيا، يقول ضياء الحق : كذا وكذا قالوا : لكن الحل المؤتمر الدولي حتى نحل قضية فلسطين، ولو الدول رضيت أن تجتمع من أجل فلسطين أن نحلها، سيرجعوا لنا المسجد الأقصى، سيوقفوا لنا حرب الخليج التي أكلت الأخضر اليابس، عقدوا مؤتمرا للسلام في كراتشي وجاء المسلمون والدعاة يمدحون غرباتشوف وروسيا أنها تحب السلام وتريد الانسحاب، وقف ضياء الحق وإذا تكلم نسي أنه رجل دولة وأنه يحكم دولة، وأن العالم كله يحصي عليه كلماته، كأنه داعية فوق منبر من المنابر، قال : أنا لا أدري على أي شيء ننثي على روسيا وننثي عليها ونمدحها، روسيا لص، القوة العظمى!! روسيا لص دخل بيتنا وأحرق متاعه وقتل أهله، فهل يستحق اللص ثناء ؟ هذا كلام ضياء الحق.

يا إخوة : نحن خير أمة، بعث الله لنا خير نبي ﷺ رفع راية الجهاد، فقدنا العالم بهذه الرؤية، أسقطنا راية الجهاد، تركنا ديننا، صرنا بعثية، وشيوعية، وقومية واشتراكية، عُدنا إلى ذيل القافلة، رب العزة أراد أن ينقذ الأمة من غفلتها، ويضرب لها مثلا عمليا واقعيا، فجاء لنا بقضية أفغانستان واختار أضعف شعب، وأكثره أمية، وأكثره فقرا مقابل أقوى قوة في الأرض وهزم الله القوة هذه أمام هذا الشعب، هذا كلام من ؟ ليس كلامي والله، كلام ضياء الحق، هذا يصدر من سياسي ؟ رأيته عدة مرات، كنت أحس أنه يتكلم من قلبه، وطبعا إلى الذين

يتفلسفون والقاعدون على الكراسي هنا بعد ما يأكلون المنسف والكبسة أو التفاح ومن هنا
القطايف والكناييف وما إلى ذلك وهو يتجشأ، يبدأ يحلل في السياسة، يقول لك : ما هي الحرب
في أفغانستان، معقول أن روسيا ليست قادرة على الشعب الأفغاني، هذه لعبة النجوم CIA مع
KJB، يفهم، الله يفتح عليه، الله يفتح عليه يفهم.

الأثر الحضاري للجهاد (2)

ضياء الحق وقادة الجهاد

...جمع المجاهدين، قادة الجهاد، قال لهم : لقد تلفتُ حولي فلم أجد عدوا ولا صديقاً يقف بجانبني، واستفدت جميع السهام في كنانتي، ولا أملك إلا التوقيع على المعاهدة ؛ لأن رئيس وزرائي "جونيجو" (جن إيجو !!) ووزير الخارجية "توراني" يضغطون عليّ، وكذلك ثلاثة عشر حزبا سياسيا من خمسة عشر يضغطون علّ، ويعملون المتفجرات في المدن ؛ حتى يضغطوا على ضياء بقتل الأبرياء، ولا بد من طرد المهاجرين الأفغان لأنهم هم الذين يقطعون حبل الأمن في البلد، قال : أنا لا أملك إلا التوقيع على المعاهدة، فقال له سياف : يا ضياء الحق أنت سرت معنا مسيرة المسلم والرجال، وهذه المسيرة المشرفة مدة ثماني سنوات، إن كان هنالك ضغوط عليك من العالم فنحن نعذرک، وقل لنا اخرجوا من بلادي لا أستطيع، إن وجودكم في بلادي يشكل لي مشكلة لا قبل لي بحلها، فضلا عن أن توقع وثيقة بيع أفغانستان وأعراضها ودمائها وجهادها، وتلصق في تاريخك، قل لنا نخرج، وخلص تعذر أمام العالم، نحن نرجع إلى بلادنا. أطرق ضياء الحق، وكان رجلا وقافا عند الحق.

يحدث ابنه قال : رجع والدي مهموما مغموما، ولعله لم يكتحل بالنوم قُط، وفي الصباح قدمننا له فطوره فأبى، واقتحمنا عليه وحشته : ما الذي يقلقك يا أبي ؟ قال : لأول مرة أضطر أن أخذل إخواني المجاهدين، ولا أملك...، وذهب ضياء ووقع معاهدة جنيف، واستدرك عليها استدراكا، قال : لا يمكن أبدا أن أطرده مهاجراً أفغانياً من البلاد، إذا رضي "المهاجر" أن يرجع برضائه يرجع.

الشيء الثاني : لا أملك، لا أضمن لكم أن يقف إطلاق النار في أفغانستان، وقّع ورجع.

كان - هذا جونيجو - (جون إيجو !!) مسرورا أن أمريكا والغرب والأمم المتحدة وعدته بمدالية اسمها مداليه -نوبل- اليهودية للسلام ؛ لأنها جائزة يهودية ولا تعطى إلا لمن يخدمون اليهود، ولذلك نجيب محفوظ ما أعطيت له إلا لأنه خدم قضية تطبيع العلاقات بين اليهود وبين مصر، وأعطوه على أي فعل جائزة نوبل ؟ على قصة مليئة بالطعن في الدين وبمحاربة الإسلام اسمها (أولاد حارتنا)، ليس أولاد بلدنا، أولاد حارتنا، جادون، وضياء الحق يريد أن لا ينفذ معاهدة جنيف، أخير جونيجو قال له : سأقدم بك تقريرا للأمم المتحدة وأمريكا وروسيا : أنك لا تريد تنفيذ المعاهدة.

قال لي مستشار ضياء الحق : قال لي ضياء : أنا لا أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلاً، ثم فكر طويلاً، لا طريق إلا أن يطيح بالحكومة المدنية جمع مجلس الشورى في ليلة من الليالي قال : لقد قررت حل الحكومة ومجلس الشورى، وأعلن نقطتين :

أولاً : قال سأطبق الإسلام وإن كلفني أهلي وعرشي ونفسي.

ثانياً : سأقف مع الجهاد الأفغاني حتى أودع آخر واحد منهم معزراً مكرماً منتصراً على باب خيبر، قال له "أسلم ختك" وزير داخلية : سيقنتك الغرب يا ضياء، قال : يا ختك إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، قال لي مستشاره : كذلك قال لي ضياء قبل أن يقتل بشهرين أو ثلاثة : لقد وقع الغرب أوراق قتلي، وجمع قادة الجهاد، قال : المرحلة هذه مرحلة تصفيتنا أنا وإياكم جسدياً، ولا أدري من السابق إلى الله، وسبق إلى الله.

لكن قتل ضياء جاء متأخراً جداً، ولو قتل ضياء قبل سنة ؛ لاستطاع الغرب أن يسرقوا ثمار الجهاد الأفغاني، أو يسرقوا بعضها، ولكن القدر بيد رب البشر، وليس بيد البشر، تأخر كثيراً.

ما بعد معاهدة جنيف

قُتل ضياء وقد تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر، بعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها الجهاد في هذا العام، في هذا العام المجاهدون انتصروا انتصارات أكثر من الانتصارات التي حققوها خلال ست سنوات سابقة، بعد معاهدة جنيف كل العالم أطبق عليهم، وأغفل حقهم، ولكن رب العزة يقول :

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْتَقُونَ ﴾ (النمل: 50-53)

هنالك إله .. هنالك رب، هنالك رب أقوى من أمريكا والغرب، أتصدقون ؟ والله أقوى من روسيا، وأقوى من الدنيا كلها، ويريد من يتوكل عليه فقط..

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:

3)

ماذا ... من رجوع المهاجرين، إلى دولة مشتركة، إلى نزول نجيب عن الحكم، لكن إيش ؟ إشراك بعض الوزراء من الشيوعيين، إلى دولة محايدة، يعني حكومة محايدة لا هي من المجاهدين، ولا هي من الشيوعيين ما فيه فائدة إلى حكومة قال له : فورنسوف أخيراً -

فورنسوف وكيل وزارة الخارجية الروسية- أخيرا قال : يا جماعة : أدخلوا ثلاثة وزراء من
الطيبين من حكومة نجيب ؛ حتى نخرج ببقية ماء وجهنا من داخل أفغانستان، قالوا: إن
الشيوعي لا يعطيه الإسلام حق الحياة "فمن بدل دينه فاقتلوه"¹ فكيف نعطيه حق الحكم؟!.

أخيرا هذا شفرنادزه وزير الخارجية جاء إلى إسلام آباد، قال : فقط أدخلوا مجموعة بين
خمسمائة في مجلس الشورى الذين اجتمعوا في مدينة إسلام آباد - في مدينة الحجاج - قالوا
لن يدخل واحد معنا من الشيوعيين، سبّ على باكستان، وعلى الأفغان، والمجاهدين ورجع.

يا سلام !! أي عزة هذه؟! أي صلابة هذه؟! أناس لا يملكون شيئا من الدنيا وقفوا أمام
الدنيا كلها.

أُيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافِ ظَامِئَةً

وَالطَّيْرِ جَائِعَةً لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ

حَتَّى رَجَعْتَ وَأَقْلَامِي قَوَائِلَ لِي

الْمَجْدِ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ

والآن أفغانستان على أبواب النصر... حكم الشيوعي هذا، حكم نجيب..

سحابة صيف عن قليل تَفْشَعُ وشمس شتاء عن قليل تَقْنَعُ

احسب عيد الأضحى بإذن رب العالمين الواحد القهار في كابل نلتقي جميعا، نصلي العيد
بإذن رب العالمين، أقصى شيء عيد الأضحى بإذن رب العالمين، نجيب الآن يستجد، أنا قبل
أن آتي بيومين أرسل لنا نجيب قال : أريد أن أتنازل عن الحكم بشرطين :
أن تَوَمَّنُوا على حياتي، لا تذبحوني ذبح شرعي.

والشيء الثاني : أن تسمحوا لي أن أدخل الانتخابات قال لي أحدهم : تحب أن تلتقي
بمبعوث نجيب، قلت : لا أريد أن التقي بمبعوث نجيب، إذهب وقل للشيخ سياف أو إلى رباني
أو حكمتيار، في كل يوم يرسل رسالة مسكين، لا ينام طول الليل، هو يكتب رسائل، نجيب
البقر هو اسمه نجيب البقر، مسكين والله !! نعم.

ولذلك الجهاد ذروة سنام الإسلام، فوق الصلاة، وفوق الصيام، الصلاة عمود الدين، كيف
ذروة سنام الإسلام !!، لولا الجهاد لا يوجد صلاة ولا صيام ولا لحي ولا سواك ولا جلباب،
ما فيه .. لا يمكن !!

¹ - حديث صحيح رواه البخاري، انظر الإرواء 2471.

﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: 40)

قبل أن يحمل السيف الأفغان ويقفوا أمام الشيوعيين، كان نجيب مديرا للمخابرات، إذا أرسل رجلا من رجاله ترتج له البلدة، أين نجيب الآن !؟

من أساليب الطغاة

الآن نجيب أسلم !! ما ترونه يصلي، أصدر قرارا : من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته، نعم ! وظف مطاوعة من الشيوعيين حاملين عصا يسوقون الناس بالعصا إلى المسجد عند الأذان، إذا فعلا ذروة سنام الإسلام الجهاد، من الذي أذل هؤلاء ؟ رمضان الماضي، أو عيد الأضحى، أرسل مجموعة من الشيوخ بالمصاحف - إذا أراد الأفغاني أن يستجد أو يستجير أو يتوسل بشيء يرسل واحدا بالمصحف - أرسلهم بالمصاحف للمجاهدين : من أجل هذا المصحف لا تضربونا... في رمضان.

مغبة ترك الجهاد

يا سلام...!! إذا : ذروة سنام الإسلام صحيح الجهاد، وبدون جهاد لن تبقى لحيّة، ولن يبقى جلباب، ولن تبقى مآذن، ولن تبقى مساجد، وإن كنتم في شك مما أقول، فاسألوا مساجد بخارى التي تعد سبعة عشر ألفا هل بقي منها مسجد واحد !؟ إسألوا بخارى أين لحاها ؟ إسألوا طاشقند أين علماؤها ؟ إسألوا سمرقند أين جلبابها ونساؤها ؟ إسألوا أنزبيجان أين محاربيها ومساجدها ؟ إسألوها ؟ لقد كانت خطة الروس عندما دخلوا - هم دخلوا في آخر أربعة أيام من 1979- خبطهم 1980 إخضاع أفغانستان، 1981 احتلال باكستان وبلوشستان والوقوف على الخليج العربي ؛ هذه الخطة التي اكتشفها المجاهدون، لكن الله ساق إليهم جنده، وكم يطلو لي أن أنشد لهم مع أبي الطيب في ختام هذه المحاضرة على لسان كل أفغاني :

لئن عمّرتُ جعلتُ الحرب والدة

والسمهري أخا والمشرقي أبا

بكل أشعث يلقي الموت مبتسما

حتى كأن له في موته إربا

فج يكاد سهيل الخيل يقذفه

عن سرجه فرحا بالغزو أو طربا

مرقعي خيلهم بالبيض متخذي

هام الكماة على أرماحهم عذبا

إن المنية لو لاقتهم جفلت

رعناء تتهم الإقدام والهربا

السمهري : الرمح، والمشرفي : السيف.

حتى كأن له في موته إربا : كان له غرض في موت نفسه.

فضائل الجهاد

يا أيها الإخوة : إن رب العزة لم يجعل ثواب الجهاد في هذه المنزلة، وبهذه الجزالة،
ورسول الله ﷺ وهو يقول : (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)¹.

(لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)² (قيام
ساعة في صف الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)³.

(قيام ساعة خير من قيام ستين سنة)⁴ هذا الثواب العظيم لم يجعله رب العزة عبثاً، إنما لما
يعلم الله من أن من فائدة الجهاد للنفس البشرية، وصقل الأرواح، وعلو الاهتمامات، وإفراز
النماذج، وإبراز القيادات، وإقرار التوحيد في أعماق النفس البشرية، وحماية هذا الدين ؛ ولأنه
سبحانه يعلم : أن السيف والسلاح حصنه الحصين، وركنه الركين.

يا أيها الإخوة : بالجهاد عزتنا، وبالجهاد نحمي بيضتنا وبالجهاد نأخذ حقوقنا، وبدون
الجهاد لا قيمة لنا في الدنيا، ولا وجود لنا في الآخرة..

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ (النساء: 97-99).

¹ - جزء من حديث صحيح رواه البخاري، انظر جامع الصغير 3482.

² - رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ "موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود" انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1068).

³ - حديث صحيح رواه أحمد والترمذي، انظر صحيح الجامع الصغير رقم 4429.

⁴ - ورد الحديث بلفظ "قيام رجل في الصف في سبيل الله ساعة أفضل من عبادة ستين سنة" انظر صحيح الجامع 5027.

وختاما لا يسعني إلا أن أوجه قلبي ونفسي بالدعاء لمركز الدعوة والإرشاد ؛ الذي كان سببا للقاء بهذه الوجوه الكريمة، ولا يسعني إلا أن أبلغكم شكر إخوانكم المجاهدين الأفغان لما قدم هذا القطر الكريم لهم، ولما ينتظره كذلك من تقديم، وكذلك لا يسعني إلا أن أعبر عن راحتني بالصفحات المشرقة، التي قدمها نماذج من شباب هذا البلد، والذين خط بعضهم بدمائه صفحات التاريخ الإسلامي الجديد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة

السؤال الأول: ما هي حقيقة الإشاعة عن المساعدات العسكرية والمالية الأمريكية للمجاهدين؟! وفي نفس الورقة سؤال آخر: ما سبب الزيارة التي قام بها أبو عمار ياسر عرفات لباكستان واجتماعه مع قادة المجاهدين؟!

الشيخ:

أما بالنسبة لأمريكا : سئل حكمتيار في أمريكا نفسها من قبل الصحفيين، كم قدمت لكم أمريكا؟ قال: لم نستلم دولارا واحدا من أمريكا، السلاح الوحيد الذي قدم للمجاهدين هو ستنجر، السلاح الأمريكي الوحيد الذي يستعمله المجاهدون من السلاح هو ستنجر، وستنجر دفعت السعودية ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار أمريكي.

المقدم:

الشق الثاني: ما سبب زيارة أبي عمار لباكستان واجتماعه مع قادة المجاهدين ؟

الشيخ:

والله يؤسفنا موقف المنظمة... بقدر ما كان موقف المجاهدين طيبا تجاه قضية فلسطين، ما سمعنا في محفل واحد من المحافل الدولية كلمة واحدة طيبة من المنظمة أبدا، ولا مرة، ولا في محفل دولي، ولا إسلامي، وقفت بجانب قضية أفغانستان، إما معارضة أو متوقفة عن التصويت، طيلة العشر سنوات، نجيب عندما غرق، الآن يمسك بحبال الهواء... بقشة، الآن قال لأبي عمار : توسط عند هؤلاء، لعلمهم يعفوا عني، ونصل إلى حل، فجاء أبو عمار لمجددي قال له: أنا أحب أفغانستان، وأنا أعيش بها بمشاعري وما إلى ذلك، وأنا مستعد أن أتوسط لكم عند نجيب، قال له: جزاك الله خيرا، قال له: أين كنت في العشر سنوات الماضية

!؟

المقدم:

ما هو دور الشباب العربي في الجهاد الإسلامي في أفغانستان ؟

الشيخ :

أما هذا فحديثه يطول، وكل واحد منهم، أو الكثير منهم أحيوا سيرة الصحابة مرة أخرى، صدقوا يا إخوة الآن في معركة جلال آباد، الشباب العرب يتسابقون إلى الموت.

يستعذبون مناياهم كأنهم

لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

الأفغان رجال، لكن الأفغان مضوا برحلة طويلة مثل واحد يركض عشرة أميال ضاحية، الأفغان ركضوا تسعة أميال ونصف، فهم يلهثون، يعني تعبوا كثيرا والعربي جاء في آخر نصف ميل قوته معه، طاقته معه، كأن واحدا جاء من أندونيسيا، أو جاوا أو الصين ورأى الكعبة لأول مرة، العربي بالنسبة للجهاد الأفغاني مثل الجاوي أو المصري القادم أول مرة للكعبة، كيف شوقه إليها ؟

والأفغاني بالنسبة للجهاد مثل المكي والكعبة... (شعبان جهاد) فالشباب العرب الذين قدموا معظمهم جاء للشهادة جاء للجنة.

والله يا إخوة : عن أي شيء أتحدث ؟ كل واحد له قصة كل واحد تستطيع أن تكتب عنه قصة طويلة ؛ شجاعة، تجرد، من هذا البلد، الشباب الذين استشهدوا : أبو يوسف القطري، فلان وفلان هؤلاء الشباب، في مقتبل عمرهم، كم تخطوا من العقبات حتى وصلونا ؟ تجد الشاب المصري يجمع القرش صاغ سنتين أو ثلاثة ثمن تذكرة حتى يصلنا، شاب اسمه سعد الرشود، من نجد، من القصيم، من اسكاكا يعمل في الجيش السعودي أخذ إجازة، وهرب إلى أفغانستان، ستة عشر شهرا وهو يبحث عن الشهادة في أفغانستان، وصل حدود روسيا قبل يستشهد بشهر، قال لي: يا شيخ عبد الله نعطيك تقريرا عن رحلتي، ففهمت أنه متزوج وله ثلاث بنات قلت له: لو أحضرت أهلك هنا، قال دعهم يجاهدوا بالصبر على فراقي، قلت له : لو أعطيناك مبلغا ترسله لهم قال: عندهم ما يكفيهم ولا أريد أن يتوسعوا، قال : يا شيخ عبد الله هل تعلم أنني نسيت صور بناتي، وذات ليلة رأيت صورة بنت من بناتي في المنام، فحن قلبي إليها، فهبت من نومي مذعورا كأنما لدغنتي أفعى، وتقلت على يساري ثلاثا، واستعذب بالله، قلت : هذه البنت ستعيدني إلى حياة الكبسة مرة ثانية، ولقي الأعداء، كان هو وعبد الوهاب الغامدي، (عبد الوهاب صالح الردة) في خندق واحد، ليلتها كل واحد منهم رأى في المنام : نساء جميلات لم يروا مثلهن، قالوا : خلاص.. الجنة قربت .. الحور معناها، جاءت القذيفة بينهما، استشهدا عبر النهر، ما استطاع المجاهدون الأفغان أن ينزلوا في النهار

ليأخذوهم، في الليل دخلوا وحملوهم، يقول لي عبد المتين القائد الأفغاني، قال : صدق عندما حملنا سعد الرشود اهتزت الأرض تحت أقدامنا، وضعنا جثتي عبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود، وجاء شيخ أفغاني يقرأ القرآن بعد ثماني عشرة ساعة من استشهداهم، فبدأ سعد الرشود يرتجف عند قراءة القرآن، كأنه حي، وعندما سمع القرآن خضع، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد:28)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر:23) .

ودفن سعد الرشود وعبد الوهاب الغامدي في قبرين متجاورين، وبدأ النور يخرج من قبورهم ليلة الاثنين وليلة الخميس ؛ ليلة الصيام، والأيام التي ترتفع فيها الأعمال إلى رب العالمين، وبدأ الأفغان يتحدثون عن سعد الرشود وعبد الوهاب الغامدي وعن النور، وذهب العرب ورأوا النور بأعينهم يخرج من القبر، عبد الله الغامدي -ثمانية عشر عاما- استشهد، بقي التكبير يخرج من قبره سنة ونصف، الله أكبر، كلما يمر المجاهدون من جانبه يصيح : الله أكبر .

هشام الديلمي ثمانية عشر عاما، زكريا محمود تسعة عشر عاما : استشهدا (اللون لون الدم والريح ريح المسك)¹ تقريبا نصف الإخوة العرب شممنا لدمائهم رائحة المسك .

في معركة جلال آباد، الشباب العرب يتسابقون على المطار، والمطار فاتح الرشاشات كوابل المطر، الفوج يتقدم يقتلون ويرجعون، ويتقدم فوج آخر، الأفغان رجال، وعندهم نخوة ومروءة، العربي يتقدم علينا !! فيتسابقون ولذلك العرب ألهبوا المشاعر، في الأسبوع الأخير استشهد أربع وعشرين عربيا حول مطار قندهار .

شاب اسمه خالد بن معلا الأحمد الحربي، من السعودية، من الحروب، واحد ثاني اسمه كذا المطوع (أبو البراء السعودي) تقدموا، جاءت قذيفة - دمر المجاهدون في فوجهم ست دبابات - جاءت قذيفة بينهما قتل أبو البراء السعودي، وجرح خالد -هذا ابن المعلا الحربي .

¹ - جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (راجع ذخائر العباد في نصوص الجهاد ص 68).

شاب لبناني أبو عائشة أبي على نفسه كيف يترك أخاه جريحا، الرصاص نازل، الموت
فتن...

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال جرحى كليلة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

حمل أخاه، يا سلام المحبة في أرض المعركة !! هذا لبناني، هذا سعودي، وهذا أردني،
وهذا فلسطيني، وهذا قطري نكلها ذابت، ذابت الحواجز ذابت الجنسيات، الإسلام يجمعهم،
وحب الجنة يحركهم، حمل أخاه قال : على الطريق خرجت روحه فعندما خرجت روحه،
بدأت الريح الطيبة تهب منه، وعادة إذا كان الإنسان مغمى عليه لا يعرف أنه مات إلا إذا
خرجت ريح الطيب منه، "أخرجي أيتها الروح الطيبة، بالجسد الطيب، كنت تعمريه في الدنيا،
أخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان"¹ الدم نزف من خالد الحربي على البتو -
السال هذا الذي يضعونه على أكتافهم - الساعة الحادية عشرة في الليل وصل بيشاور، اتصلوا
بي، قالوا : وصل أبو بدر، من هو أبو بدر ؟ قالوا : أبو بدر الحربي، قلت سبحان الله !!
صدق الله فصدقه.

كنت ألقيت محاضرة مثل هذه المحاضرة في جدة، فوالده مسك بيده وجاء إليّ قال : هذا
ابني متزوج وله ولدان، ويريد أن يخرج بدون إذني، ويترك زوجته وأولاده، هل الشرع يقبل
هذا، قلت : الشرع يقول هكذا، قال : إذا الشرع يقول هكذا ؟! خلاص روح، راح، خلاص،
الشرع يقول هكذا، غاب، زوجته تتصل فيّ، أمه تتصل فيّ، أبوه يتصل فيّ، هو موظف،
زوجته جامعية، في وظيفة، له أولاد، ستضيع الوظيفة والدنيا، يظن الناس أنه إذا أعلق باب
الوظيفة فقد انقطع الرزق ولا يعلمون أنه :

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (المنافقون: 7)

ويتصلوا، يا أبا بكر، أهلك اتصلوا، قال : دعك، اتصل بهم، قال : لا أريد أن أسمع البكاء
على التلفون، ترجع إليهم ؟ قال : لا أريد إلا بالشهادة أو فتح كابل، ورزقه الله الشهادة، هو
أسود، لونه أسود وإذا بوجهه يشرق بالشهادة يصفو صفاءً عجبياً بعد اثنتين وعشرين ساعة

¹ - ورد ضمن حديث طويل عن أحداث الموت والقيبر وهو صحيح وأورده ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ((ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)).

يدفنوه ودفناه يوم الثلاثاء، الساعة الواحدة، يوم الثلاثاء الماضي وضعته في القبر، وجهه سبحانه الله !! كأنه نائم !! تعرفون الميت له وحشة، لكننا نحب أن ننظر إلى وجوه الشهداء، كم الإنسان نفسه تهفو أن يحمل بين يديه شهيدا ويضعه في القبر.

واحد اسمه ياسين عبد الشكور الحماية من الكرك، من الأردن، استشهد قبل شهر أو أقل، دفناه بعد العشاء، حملته بيدي، صدقوا يا إخوان : سخونة بدنه وصلت إلى كفي، الميت بارد، والدنيا شتاء، وبعد العشاء، جسده كأنه قائم من النوم تحت اللحاف، ويتثنى بين يدي كالنائم، والميت معروف أنه خشبة، متصلب، فتحت الكفن عن وجهه حتى أوجه وجهه إلى القبلة، وإذا بإشراق نور عجيبة بعد العشاء !! قلت: سبحانه الله !!

يا إخوة : ماذا أحدث، قصصهم تذكرنا بمصعب، وبالقعقاع، وبعاصم، وبحمزة، وهكذا قصص السلف الأوائل شباب ماذا أقول؟! أبوه وزير، والله عندنا أبناء وزراء، يتركوا النعيم، والفراش الوفير، ويأتي هناك في الجبال ؛ يعيش على الخبز والشاي بلا سكر، كأن لسان كل واحد يقول لنفسه ولقلبه وهو يخاطب ربه :

عذابه فيك عذب	وبعده فيك قرب
حسبي من الحب	أني لما تحب أحب

أسامة بن لادن -أكرمه الله وحفظه- أخذوا عطاء توسعه الحرم المدني ثمانية آلاف مليون ريال، ترك العطاء وهو يعيش الآن بين الشباب في جلال آباد، وكل لحظة ممكن أي يموت، إخوانه، شركة بن لادن أكبر شركة في العالم الإسلامي، أكبر شركة خاصة في الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي شركة ابن لادن، ترك الدنيا كلها، نحيف، نبضه، ضغطه منخفض واضع شوية ملح في جيبه هذه، وبجيبه هذه قنينة ماء، ويبلغ ملحا، ويشرب ماء ؛ حتى يرفع ضغطه شويه، ويستطيع أن يواصل القتال مع الشباب.

الحقيقة كما قلت لكم : الوقت يطول بنا لو أردت أن أحدث لكل واحد منهم قصته، كل واحد منهم يحيى الأمل، وكلما استشهد شهيد منهم يستصغر الإنسان نفسه ويرى أن هؤلاء لولا أنهم أفضل عند رب العالمين، ما اختارهم في سنة، ونحن منذ ثماني سنوات ونحن نبحث عن الشهادة، ولم نرزقها بعد، الأفغان يقولون : اللهم انصرنا في كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، قالوا : إيش رأيط يا شيخ عبد الله ؟ قلت : اللهم ارزقني الشهادة عاجلا يا رب العالمين لأن القلوب بيد الرحمن، لا تدري يقلبها كيف يشاء، (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي

على دينك)¹، فنرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة، فإن كان لنا قدر أن نرجع إلى فلسطين ونجاهد نرجو الله أن يفتح لنا ثغرة في فلسطين، إن شاء الله.

في المناسبة أحدثكم، والذي عمره تسعين سنة معي هناك، نأخذه إلى معسكر التدريب، دربناه على كلاشنكوف ورمى عليه، قلت له: نعطيك كلاشنكوف، قال: لا ... بندقية أنجليزية التي حاربت فيها سنة ثماني وأربعين... بندقية أنجليزية، قال له سياف: هذه على حسابي... هدية مني، وكلما شاف سياف وحكمتيار غيره يونس خالص يمسك... مد يدك، يقول أبي: مد يدك عاهد، أعاهد، أعاهد أني أذهب إلى المسجد الأقصى نقاتل، وكلما نذهب عندهم يقول لهم : العهد يا سياف... العهد، يقول له : خلاص.. بإذن الله سننتقل إلى المسجد الأقصى، فمرة - تسعين سنة عمره- ودعته، وذهبت إلى الجبهة، فاغرورقت عيناه بالدموع، قال : ما الفائدة يا بني؟ مضى عهد الشباب الذي يمكن أن نتألنا هذه الشهادة والآن فتح المجال وقد وهن العظم، واحدوب الظهر.

الناس هناك -العرب.. العرب- قالوا : الفرق بين نساءنا هناك ونساؤكم هنا، أنا في المعسكر، قالوا : ابتدأت معركة جلال آباد قبل أسبوعين، جاءني واحد قال : أولادك تركوا المدرسة، وركبوا بالسيارة إلى جلال آباد، رجعنا نرى، وإلا المرأة ليست في البيت كذلك، وأين الزوجة؟ قالوا : والله أخ استشهد، أبو حسام السوري، وذهبت لتعزي أهله، وتجبر خاطرهم، وما إلى ذلك، وترتب أمور مواساتها بين النساء العرب، يعني الزيارة، وصنع الطعام لها، وما إلى ذلك، المعركة قائمة، تجد النساء يعجن العجين، يصنعن الكعك، يرسلنه إلى المجاهدين، قاعدات النساء مع بعضهن، اليوم جرح فلان، استشهد فلان، فلان خرجت لدمه رائحة، فلان أشرق وجهه، فلان طلع النور من قبره، فلان، فلان، وهذه أظن أحاديث نساءكم هنا والله أعلم.

المقدم :

على ذكر أسرة سعد الرشود -عليه رحمة الله- نحن نعرفها، لأمه ثلاثة أولاد، هذا الذي استشهد وإثنان غيره، قالت للأوسط منهم : إذهب والحق بأخيك فيكفيني منكم واحد، جاءتها بعض النساء للتعزية، فقالت لهن: إن كنتن جئتن لتباركن لي بشهادة فلان فمرحبا، وإلا فلست بحاجة إلى التعزية، هذه تذكرنا بموقف الخنساء رضي الله عنها حينما أخبرت بشهادة أولادها الأربعة، قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، تعالوا إلى نساءنا اليوم اللاتي يتصلن بمندوب

¹ - كلام الشيخ مقتبس من حديث الرسول ﷺ الذي يرويه الترمذي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 91.

المجاهدين في بيشاور، وبيكين على أولادهم الذين سافروا إلى هناك، بل الآباء يذهبون إليهم هناك ليعيدوهم من الجهاد.

أذكر أن شابا... (الشيخ مقاطعا)

الشيخ : شابا ليس شابا...

المقدم : أنا أذكر واحدا...

الشيخ : لا ... عشرات، التلفون دائما شغال...

المقدم : أنت أدري بذلك، وأما أنا أعرف شابا ذهب أبوه فأحضره، وسحب منه جوازه، وأصدر له جوازا ليس فيه إلا أن يزور بلدا واحدا في الخليج.

الشيخ : ما تركوا سفارة في إسلام آباد ولا حكومة إلا واشتكوا عليّ، عبد الله عزام أخذ أولادنا، عبد الله عزام يريد أن يقتل أولادنا، وكل يوم تأتيني الشرطة يتساءلون : أين فلان، وأين فلان، عشرات عشرات والقصاص تطول وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المقدم :

هذا سائل يقول أنا شاب سائق دبابة هل تقبلوني بينكم ؟

الشيخ :

إسمعوا ! نحن نرحب بكل أخ عربي يريد أن يأتي إلى الجهاد، لكن كان الأخ أسامة ابن لادن - ربنا يكرمه إن شاء الله، ويبارك له في دينه وماله وأهله- قد تكفل بتذكرة وطعام وسكن وكفالة أسرة كل أخ عربي يأتي إلى الجهاد، كل عربي، لكن ثقل حملنا كنا في الأول عدد قليل خمسين، ستين، سبعين، الحمد لله الآن أكثر من ألف الآن لا نستطيع لا ندفع تذاكر، ولا أن نكفل القادم المتزوج، إذا كنتم تحبون الجهاد خاصة الفلسطينيين، يا إخوة : سوق عقد ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، أعدوا أبناءكم أبناء فلسطين الذين يتحرقون على فلسطين أعدوهم، لأن الآن الشباب الذين جاءوا من فلسطين، من الأردن، هناك كل واحد في ذهنه : متى أنقل المعركة إلى المسجد الأقصى، انكسر حاجز الخوف، تحرروا ارتفعت أرواحهم، صاروا يفكرون في مصير أمة، الفلسطيني الذي يريد (الجاد في إعادة فلسطين) كل عشرة فلسطينيين يكفلون واحدا ويرسلونه، يكفلون أسرته يكفلون تذكرته ذهابا وإيابا، ثم هناك يخوض بعض المعارك، يتدرب، والآن معركة المدن، يعني : معارك فلسطين التي تنتظر، حرب المدن ولا يوجد أرض لبناء النفس المجاهدة على واقع حي إلا في أفغانستان فهي تدفع ... والله لو كنت مسؤولا في الدول العربية لأرسلت من كل بلد ألف ضابط حتى يتدربوا في

أفغانستان مناورات حية، والله لو انتبهوا، لو انتبهت الجيوش العربية، وأرسلت إلى ضباطها لخرجوا بتجارب لا نظير لها أبدا، ولا يمكن أن تتوفر في أي مكان في العالم، ومجانا ؛ المرقة ببلاش عند الأفغان، نصفها سمنة واغرق في هذا السمن، ففرض مرق وخبز وشاي بدون سكر، وكل حتى تشبع لا يكلفهم شيء، يعني الضابط الذي يرسلونه إلى أمريكا إلى أوروبا، يكلفهم عشرات الألوف من الدولارات بإمكانهم أن يدرّبوه بدون أن يكلفهم مائة دولار، فالجادون من الفلسطينيين، الجادون في تحرير العالم الإسلامي من الكفار، لابد لهم أن يعدوا لذلك العدة، والله عز وجل جعل العدة علامة الصدق...

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: 46).

المقدم :

نختم بهذا السؤال ؛ لأن الوقت قد طال والله الحمد في طاعته نسأل الله أن تكون في موازين حسناتكم جميعا، ما هي حقيقة الخلافات بين المجاهدين التي يروج لها الإعلام العالمي ؟

الشيخ :

طيب ... أبشركم أن دولة الإسلام ستقوم في أفغانستان -بإذن الله- وأبشركم أنه ذلك إن شاء الله قريبا بإذن الله، كما نرى، وأبشركم أن ما أظن أن يزيد على عيد الأضحى على أقصى حد، أن تقوم أول دولة إسلامي على رؤوس الرماح والسيوف، وأبشركم أن هذه أول دولة في الأرض نقلت من قبضة العالم كله وقرارها يصنع في رأسها، على هدي من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وأبشركم أكثر من ذلك أن الجهاد في أفغانستان هو بداية تحويل خط العالم كله، سيتحول التاريخ بإذن الله بداية من أفغانستان...

﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: 88).

وستذكرون ما أقول لكم، وسترون بإذن الله أن كثيرا من أوضاع المسلمين في العالم كله ستتغير نحو الخير، ونحو الأمتل، وسترون بإذن الله عز وجل أن الجهاد في أفغانستان سيغير وضع الأرض المقدسة المباركة، وستشهدون بإذن الله كثيرا من التغيرات في واقع الأرض بعد هذا النور الذي انبعث من أرض أفغانستان، وستدركون يومها أنكم ما قدرتم الجهاد الأفغاني حق قدره، وأنكم فرطتم فيه، ماذا على المسلمين لو أقاموا في كل مسجد احتفالا بيوم النصر الذي ما رأته الأمة الإسلامية منذ ثلاثة قرون، ماذا على المسلمين لو أرسلت كل بلدة وفدا لتهنئة الأفغان بنصر أعز الله به دينه، ورفع الله رايته، ورفع كل مسلم به رأسه؟! ماذا على المسلمين لو خصصوا (5%) من راتبهم في هذه الأشهر القادمة من أجل بناء دولة الإسلام في الأرض.

ماذا على المسلمين لو خصصوا يوماً برنامجاً في تلفازهم لمدة ربع ساعة عن قصص البطولة -بدل أفلام الكرتون- يعلمونهم قصصاً واقعية يبنون ويعلمون بها الأطفال، بناءً جهادياً إسلامياً.

ماذا على المسلمين لو زاروا أرض أفغانستان مثل ما زارها كارتر ونيكسون.

ماذا على المسلمين لو دفعوا أبناءهم وشبابهم ؛ حتى يستروحوا أوج العزة في الآفاق العليا، ويستحلوا ويستعذبوا طعم العزة فوق أرض الهندكوش، أرجو الله عز وجل أن يفتح أبصارنا وبصائرنا إنه سميع قريب مجيب.

المقدم :

نعيد مرة أخرى بالنسبة للمحاضرات القادمة بناءً على الطلب :

الأربعاء إذا -إنشاء الله- بعد العشاء في مسجد أبي بكر الصديق... معروف.

والخميس بعد صلاة العشاء في نادي قطر الرياضي.

والجمعة هنا -إن شاء الله- خطبة الجمعة، وبعد العصر في جامع الوترة.

الشيخ :

وكذلك لا تنسوا أن المجاهد استشهد فوق أرض أفغانستان شقيق هاشم العوضي من أبناء العوضي الذي عمره في العشرين أو دون ذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاكمية المطلقة لله

فيا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:65)

ويقول عز شأنه :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَنبَأَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة:44-47)

أخطر قضية في العصر الحاضر

آيات كريمات منزلات من لدن عزيز حكيم تتكلم عن أخطر قضية في العصر الحاضر. وما ابتليت الأمة الإسلامية بقضية عقدية أخطر من هذه القضية التي تتكلم عنها الآيات، وقد تكلمت الآيات بوضوح حاسم وقطع جازم، لأن القضية ليست من القضايا الفرعية الفقهية التي يفسق فاعلها، إنما هي قضية عقدية تتصل بهذا الدين وبمفهوم (لا إله إلا الله)، القضية التي تتكلم عنها هذه الآيات الكريمات ؛ قضية الحاكمية في حياة البشر، وأما الحكم بما أنزل الله عز وجل إنما هو المدلول العملي الواقعي ل (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولو شبهنا هذا الدين بقطعة معدن أو بورقة عملة لكان الوجه الأول مكتوب عليه : لا إله إلا الله، والوجه الثاني مكتوب عليه : الحكم بما أنزل الله، فهما وجهان لعملة واحدة لا تتفصل عراها أبداً، لا ينفصلان ولا يفترقان أبداً، لا إله إلا الله تعني الحكم بما أنزل الله، وعدم الحكم بما أنزل الله يعني نفي الألوهية في حياة البشر، وادعاء بعض البشر الربوبية على البشر دون أن يعلم.

وقد فسّر هذا رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم وقد دخل عليه وهو يلبس الصليب إذ كان نصرانياً، فقال له : (ألق هذا الوثن)¹ - فالصليب وثن - وقرأ عليه - رسول الله ﷺ -

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 31).

فتعجب عدي بن حاتم، هذا كلام رب العزة، ولكنه يخالف صورة العبودية التي نسجت في ذهنه.

إن صورة العبودية في ذهن عدي، الركوع والسجود وتقديم الشعائر والطقوس، والندور والقرايين، قال: يا رسول الله !؟ ما عبدوهم، قال : بلى، أحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم.

إذاً على لسان رسول الله ﷺ، العبودية تعني إطاعة الشرائع، طاعة القوانين، فإذا كانت هذه الشرائع من عند رب العالمين، فالعبودية تقع لرب العالمين، وإن كانت هذه الشرائع من عند البشر، فالعبودية تقع للبشر، ولو أدى بعدها الناس الشعائر حسب ما أنزل الله، وأقاموا الصلاة، وأدوا الزكاة، وصاموا لله في رمضان، وحجّوا إلى البيت الحرام.

بلى أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فتلك عبادتهم إياهم.

وقد اتفق الفقهاء جميعاً ؛ على أن من أحل الحرام فقد كفر، ومن حرم الحلال فقد كفر.

يقول ابن تيمية : "انعقد الإجماع على أن من أحل النظره فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع" من قال إن النظره حلال فإنه يخرج من الإسلام، ومن قال إن الخبز حرام فإنه يخرج من الإسلام..

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: 59).

هل أذن لكم رب العزة بالتشريع للناس !؟

ولذا فالآية الكريمة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، اختتمت بالتوحيد ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾، إذاً طاعة الشرائع تتنافى مع الألوهية الواحدة، وطاعة الشرائع البشرية تتنافى مع توحيد الألوهية والربوبية، وتتنافى مع توحيد الأسماء والصفات، ﴿وما

¹ - رواه أحمد والترمذي وابن جرير بنحوه، انظر القصة في تفسير ابن كثير مجلد 2 / صفحة 544 تحت تفسير آية 31 من سورة التوبة.

وهذا الحديث روي من طرق لا تخلو من مقال إلا أن مجموعها يصل بها إلى درجة القبول والله تعالى أعلم.

أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا، هو المشرع وحده، الذي يطاع شرعه، وهو الواحد الحكم، ﴿لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾، يشركون به عباده؛ بأن يطيعوا قوانينهم وينفذوا شرائعهم.

وقد عرّف رب العزة مرتين في سورة يوسف أن العبادة هي الحكم بما أنزل الله فقال:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ إِنَّمَا تَعْبُدُوا إِلَهًا إِيَّاهُ﴾ (يوسف: 40).

وإلا إذا سبقها نفي فإنها تصبح للحصر والقصر يعني: ما الحكم إلا لله، أي أن الحكم مقصور ومحصور بيد رب العالمين.

وهذا هو الدين، وهذه هي العبادة..

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 40).

وقد فهم الصحابة هذه المعاني، وما كان يدور بخلدكم أن إنسانا يعترف بالله ربا، وبمحمد نبيا ورسولا، وبالقرآن حكما وإماما يضعه جانبا، ثم يرتضي بعد ذلك حكم البشر ويقدمه عليه.

وعندما كان الفقهاء والعلماء والصحابة يَمرون على آية ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، ما كان يدور بخلدكم أن مسلما يعي الإسلام ويقرّ الله عز وجل بالوحدانية ثم بعد ذلك ينفي شريعة الله من الحياة ويرضى ويستبدل بها شرائع أخرى.

إن الذي يقدّم أمر رجل من الناس على أمر رب العالمين سواء كان لمصلحة أو لأمر من الأمور فإنه يقدّم عبادة هذا الإنسان الفاني، على الله الأزلي الأبدى - سبحانه - على الأول والآخر، ولا يُشرّع أحد قانونا من القوانين - يستبدل به قانون الله عز وجل - إلا ويمرّ في خاطره؛ أن هذا القانون أفضل من قانون رب العالمين لهذه المرحلة، وهذا كفر بواح، وشرك صراح لا يشك به أحد من أهل هذه الملة، أما الصحابة فكانت القضية واضحة في أذهانهم.

وقد روى الحاكم في مستدرّكه أن سبب نزول الآية ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾... نزلت في يهودي ومناقف اختلفا على قضية، فقالا نحتكم إلى محمد ﷺ، ورضي اليهودي لأن الحق معه، ويعلم أن الرسول ﷺ سيحكم بالحق، فذهبا إلى رسول الله ﷺ ورفعوا إليه الأمر، فحكم لليهودي، وبعد أن خرج، قال المنافق: لا، بل نحتكم إلى أبي بكر، فذهبا إلى أبي بكر، فحكم أبو بكر لليهودي، قال المنافق: لا، بل نحتكم إلى عمر، فذهبا إلى عمر ﷺ، وقال اليهودي: قد احتكمنا إلى محمد فحكم لي، واحتكمنا إلى أبي بكر فحكم لي، ولم يرض هذا الرجل إلا أن نحتكم إليك، قال عمر ﷺ: بين يدي حاجة أريد أن أنجزها وأخرج لكما، فدخل عمر، وأشاح سيفه، ثم قطع رأس هذا الرجل، وهرب اليهودي، وأهدر رسول الله ﷺ دم هذا الرجل، لأن الذي لا يرضى حكم الرسول ﷺ ليس مسلما ودمه هدر.

والقضية كانت واضحة في أذهان السلف، وكما قلنا عندما نفتح التفسير نجد كلام ابن عباس أو ابن مسعود -رضي الله عنهم- أو حذيفة أو غيرهم يريدون أ، يصرفونها للقاضي الذي يجور في الحكم، وهم يستقلونها ؛ أن القاضي الذي يجور بقضية من القضايا، ويحكم بها بغير العدل يخرج من هذه الملة، ويصبح كافرا بها .

قوانين ما أنزل الله بها من سلطان

ولذلك كانوا يظنون أن القضية تتكلم عن القضاة الظالمين الجائرين ؛ الذين يرتشون ويغيرون الحكم من أجل المنفعة، ما كان يظن هؤلاء الصحب الكرام، وما كان يدور بخلدكم ؛ أنه سيأتي يوم من الأيام أناس ممن يتبعون رسول الله ﷺ - يرفضون شرع الله، ويرفضون شرع رسول الله ﷺ، ثم يحكمون في دمائهم وأعراضهم وأرواحهم وحياتهم قول جون وأنطون وكبتيان وجسران ونابليون وغيرهم.

القضية بقيت واضحة في أذهان السلف والصحب الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان، إلى أن وقعت الأمة الإسلامية أول مرة بهذه القضية العقديّة المهمة، هذه القضية الخطيرة في حياة البشر، فعندما جاء هولوكو، واجتاح بغداد، وقتل ثمانمائة ألف منها...

وما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

عندما دخل هولوكو بغداد، ثم اجتاح الأردن وفلسطين، وتوجه نحو الشام، والله عز وجل ساق له قطز والظاهر بيبرس، وقطر من أفغانستان كما تروي الروايات التاريخية، ونازل قطز التتار في عين جالوت سنة 658 هـ، وهزمهم شر هزيمة، ومزق شملهم، وخر قطز ساجدا لله عز وجل.

هولوكو أراد أن يطبق قانون جده جنكيز خان المسمى "بالياسق" أو الياسا أو السياسات الملكية، وهذا الياسق مأخوذ من اليهودية والنصرانية والإسلام.

وحكم العلماء قولا فصلا في القضية، وعندما صار التتار يصلون ويصومون، ومع ذلك إلى الياسق يحتكمون، وتحرّج الناس في قتالهم، قال شيخ الإسلام بن تيمية "إذا رأيتموني بينهم والمصحف فوق رأسي فاقتلوني، إذا رأيتموني بينهم والمصحف فوق رأسي فاقتلوني.

وقال ابن كثير بعد أن ساق كثيرا من سخافات الياسق، قال في البداية والنهاية ومن أراد أن يرجع إليها في المجلد الثالث عشر صفحة (118)، ويتكلم كثيرا عن الياسق - يقول : "من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع

المنسوخة فقد كفر. فكيف بمن تحاكم إلى (الياسا) وقدمها عليه، لاشك أن هذا يكفر بإجماع الأمة".

وحمل عالم ثالث الياسق بيده، وأمام الناس قال ما هذا ؟" -ولعله العز بن عبد السلام-، قالوا : هذا الياسق، قال من حكم بهذا الكتاب فقد كفر، ومن تحاكم إليه فقد كفر.

وحُسمت القضية، وكان هولاءكو وقازان -وربيته- أعدل من حكامنا في العصر الحاضر، فجعل قازان محكمة للياسق ومحكمة للقرآن والإسلام والسنة، محكمة للمسلمين، ومحكمة للياسق، من ذهب إلى محكمة الياسق يحكمون عليه بالكفر، ومن ذهب إلى محكمة الإسلام يحكمون له بالإسلام، ويتعاملون معه كمسلم له ما لهم وعليه ما عليهم، يأكلون ذبيحته، ويتزوجون ابنته، ويصلون معه، ويصلون وراءه ويصلي وراءهم، (من أكل ذبيحتنا، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا فهو مسلم)¹.

معاول الهدم لهذا الدين

ودار الزمن، وجاء العصر الحديث، ووطنت سنابك جيوش نابوليون الأزهر الشريف، ووعى نابليون أن هذا المعقل الحصين لهذا الدين، وهذه القلعة المنيعة التي مضى عليها قرابة ثمانمائة عام ؛ رغم أنها دارسة، والغبار يكسوها من كل مكان، وحجارتها تكاد تتداعى، إلا أنها حية تحرك الشعوب وتدفع الجموع، والجياد العتاق، والمذاكي، تخرج بصيحة من داخل هذا الرواق الكريم، في داخل هذا المعهد، في الأزهر الشريف، تخرج وتهزم نابليون، وتجعله يذل، ويتظاهر بلبس العمامة والجمبة ويحضر مرتين في الأسبوع درس العلماء في الأزهر.

وانتهت حملة نابوليون، بقتل كليبر على يد سليمان الحلبي، أحد أبناء سورية الذين كانوا الأزهر، وقد أغمد الخنجر في أعماق كليبر، وانتهت فرنسا وانتهت حملتها . إلا أن نابليون قال : يجب أن يقتلع هذا الدين من جذوره، من أعماق هذا الشعب، حتى نستطيع حكمهم، ولا يمكن لشعب يجري بدمه (لا إله إلا الله)، وتجري عقيدة الإيمان في عروقه، وتتخلل كلمة التوحيد مساربه أن "يحكمه" البشر كائنا من كان، فبدأ ينظم دورات -لمصر- من الجيش المصري، وولى على مصر رجل غريب لصيق لا يُدرى ما نسبه، وكيف تولى حكم مصر محمد علي باشا الذي حكم مصر مائة وخمسين عاما -هو وسلالته، بقوا يحكمون من 1804 إلى 1953- حيث خلع فاروق إلى مصيره الذي ينتظره، وذهب ممن ذهب رفاة الطهطاوي

¹ - كلام الشيخ (رحمه الله) مقتبس من حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه الإمام البخاري بلفظ "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته" انظر صحيح الجامع الصغير رقم 6350.

* يقصد بها النعم.

وكان شيخا أزهريا وهناك غسلوا دماغه وقلبه، وعلموه الرقصة الفرنسية، والأكل بالشوكة بالشمال وعاد ليمجد بآلاء باريس* وليكتب كتابا سماه تلخيص الإبريز في مناقب باريس (يعني : الذهب المصفى في فضائل باريس)، وقد تولى ---- تبديل دين الله عز وجل.

وقد بدأوا يغيرون دين الله شيئا فشيئا، ولكنهم لا يمسون الشعائر أبدا، بقيت المآذن مرتفعة، والمحاريب شاخصة، والمنابر قائمة، والقوافل إلى بيت الله الحرام تسير كل عام، ولم تمس صلاة ولا صيام، كأنهم أخذوا هذا الدين كساعة ثمينة وفتحوها من أسفلها، وبدأوا ينزعون قطعة قطعة ؛ ويركبون بدل قطع دين الله هذه، قطعا من ساعات غريبة عجيبة، ودين الله ظاهراً لم تتغير شعائره، ولم تمس، أركانه الخمسة لم يقتربوا منها، لكنهم غيروا دين الله نهائياً، وبقيت لهم الساعة كما هي، وميناؤها كما هو، وعقاربها كما هي، لأنهم لا يريدون أن يثيروا مشاعة الذين يدينون بالولاء الغامض لهذا الدين.

إن مساس المنابر والشعائر هذه لا يفعله إلا الأحمق، مثل حافظ الأسد والقذافي، أما الإنجليز والفرنسيون، فهم أدهى من أن يثيروا عليهم الشعوب.

وغُيِّرَ دين الله تدريجياً، قانون العقوبات غُيِّرَ، والقانون التجاري، والقانون المدني، وكل القوانين إلا الأحوال الشخصية المختصة بالزواج والطلاق، لأنهم لا يريدون أن يثيروا النصارى الذين يرفضون أن يحتكموا إلى قوانين غير القوانين التي يدينون لها في عقد الزواج والطلاق، ولذا قالوا نترك الأحوال الشخصية، والأحوال الشخصية تعني الزواج والطلاق، أما الميراث فقد عبثت به كذلك أيدي البشر، وندرس في الجامعات القانون المدني السوري، مأخوذ، عن القانون المصري ذي الأصل الفرنسي.

ويريد القضاة في عمان أن يعملوا قانونا مدنيا أوروبيا بدل مجلة الأحكام الشرعية التي كانت تطبق في أيام تركيا، فترجموا القانون المدني السوري حرفا بحرف، ولكن أخيرا خانتهم ذاكرتهم في آخر كلمة... صدر في دمشق كذا وكذا، لم يكتبوا صدر في عمان، نسوا أن يستبدلوا كلمة دمشق بعمان، قانون العقوبات، الزنا، القذف، الخمر، القصاص، كل ذلك غير، الربا سموه فائدة، وأصبح القانون يحميه،

والله عز وجل يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: (278-279)).

وتدخل على كل عاصمة من عواصم البلدان الإسلامية، فتجد هذه القلاع المحصنة، المليئة بالذخائر، التي تحارب الله ورسوله من الثامن صباحا حتى الثالثة بعد الظهر المسماة بالبنوك، وسموا المحق (فائدة).

الفهم الحقيقي لهذا الدين

والناس للإنصاف في فهم الإسلام يظنون أن العبادة إنما تعني تطبيق هذه الأركان الخمسة التي سماها الفقهاء تقسيما فنيا، يقسم العبادات، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأحوال الشخصية، فظنوا أن العبادات إنما هي هذه الأركان الخمسة فمن أقامها فهو مسلم مهما عمل بعد ذلك من أعمال.. والناس لا يدركون.

أما الذي يقول : إن السارق يسجن شهرين لا يفترق أبدا عن الذي يقول إن صلاة المغرب أربع ركعات، هذا تغيير لشرع الله، وهذا تغيير لشرع الله، والذي قال من فوق السبع الطباق...

﴿وأقيموا الصلوة﴾ (البقرة : 43).

هو الذي قال :

﴿فاقطعوا أيديهما﴾ (المائدة : 38)

وهذه آية قرآنية، وهذه آية قرآنية ..

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: 85).

ليس هنالك فرق بين الذي يقول : إن صلاة الصبح ثلاث ركعات وبين الذي يقول : إن حكم القاتل السجن سنة، ليس هنالك فرق بين الذي يقول إن عقوبة الزاني ستة أشهر، وبين الذي يقول : إن الصيام ليس في رمضان إن الصيام الآن في محرم..

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: 37).

فتاوى العلماء

وقد أفتى العلماء المعاصرون بشأن هذه القوانين الوضعية، وممن أفتى بهذا بوضوح، العالم المحدث أحمد شاکر وأخوه محمود شاکر قال : إن الأمر في شأن هذه القوانين الوضعية

واضح وضوح الشمس، إنه كفر بواح لا خفاء فيه ولا موارد، فليعرف كل امرئ مكانه من هذا الحديث، وكل امرئ حسيب نفسه.

ويقول : إن ولاية القضاء في ظل هذه القوانين الوضعية باطلة بطلانا أصليا لا تلحقه إجازة ولا تصحيح.

ويقول سيد قطب - رحمه الله - عند التشريع، عند قضية التحليل والتحرير بالنسبة للأطعمة :

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (الأنعام: 119).

ثم قال آخر الآية :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: 121).

يقول معقبا على هذه الآية (إن الذي يحكم على عابد الوثن بالشرك ولا يحكم على الذي يتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتخرج من هذه ولا يتخرج من تلك، إن هؤلاء لا يقرأون القرآن، فليقرأوا القرآن كما أنزل، وليأخذوا قول الله بجد ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ .

إذا ما حكم هؤلاء الذين يُشرعون بغير ما أنزل الله ؟ أما الحاكم الأول الذي في البلد، الذي يُشرع بغير ما أنزل الله، فأية مادة قانونية بشرعها خارجة عن الكتاب والسنة ومصادمة له، هذا يخرج بها من الإسلام ويكفر بدين الله عز وجل، لا يمكن لأحد أن يحلل الحرام ويحرم الحلال ويبقى في دين الله لحظة.

ما دام بن تيمية يقول : إن الذي يحل النظرة فقد كفر بالإجماع، فكيف الذي يشرع قوانين يحكم بها جون وأنطون وبطرس وغيرهم في أعراض المسلمين ودمائهم.

الحاكم الأول الذي يُشرع بغير ما أنزل الله، هذا خارج من الملة ولو كانت مادة قانونية واحدة، هذه واحدة.

مجلس الشورى أو النواب الذي يصادق على القوانين، كل مادة قانونية مصادمة للكتاب والسنة يوافق عليها أي واحد من النواب يخرج من دين الله ويرتد، مادة قانونية واحد يوافق على تحريمها للحلال، أو تحليلها للحرام يخرج بها من الإسلام، أو وزراء، المشرعون الذي يصوغون القوانين الموجودة في رأس الحاكم ويخرجونها على شكل قوانين، يخرجون من دين الله.

فالحاكم الأول الذي يُشرع بغير ما أنزل الله يخرج من دين الله، يُشرع، يعني : يضع القوانين الجديدة، هو رب للبشر، يشرع لكم بغير ما أنزل الله كما قال الله عز وجل :

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: 21).

فهم شركاء الله.

مجلس النواب، أي مجلس يوافق على مادة تشريعية واحدة تصادم دين الله يخرجون جميعا من دين الله، فإذا دخل أحد مجلس النواب يجب أن يعارض كل مادة قانونية تخالف دين الله طيلة وجوده في هذا المجلس وإلا فهو خارج من هذا الدين.

الوزراء ليسوا مشرعين، وإنما تنفيذيون فهم فاسقون، رواتبهم حرام، لا يجوز لهم أن يعملوا هذا العمل، لكن لا أظنهم يخرجون من هذا الدين لأنهم ليسوا مشرعين.

القضاة كذلك، عملهم حرام، رواتبهم حرام لا يجوز الأكل من بيوتهم لقمة واحدة إذا كانوا يعتمدون على رواتبهم في القضاء فقط في الطعام والشراب واللباس.

عامة الشعب، المحامون : فيهم تفصيل فمنهم الفاسق ومنهم الكافر، والأولى أن يتركوا هذا العمل مهما كان.

الشعب الذي يتحاكم إلى هذه المحاكم -لأن قازان وهو لاكو كانا أعقل من حكامنا ؛ جعلنا محكمة للياسق ومحكمة للكتاب والسنة، فالمسلمون كانوا يذهبون إلى محكمة الإسلام وغيرهم الذين يذهبون إلى محكمة الياسق يُكفرون بذهابهم إليها، كذلك ابن تيمية يحكم على الذين يحكمون بقوانين القبائل بالخروج من الإسلام، قوانين القبائل هذه ؛ وسواليف البادية كما ينص عليها (من حكم بها أو تحاكم إليها وهو راض فإنه يخرج من الملة).

الشعب.. كل من تحاكم إلى القوانين الوضعية التي هي تغيير لما أنزل الله، يعني الشعب عندما يقبل راضيا أن يكون حكم السارق سجن شهرين، فهو كمن يصلي وراء إمام يصلي بهم الفجر ثلاث ركعات، لكن الشعب مُكروه ؛ غالبا ساخطون لهذه الأحكام، غير راضين عن تشريعها، ولذلك لا يخرجون من هذا الدين، وحكمهم حكم المضطر في التحاكم إلى هذه القوانين، وإن كان الأستاذ المودودي يقول : لأن تذهب حقوقنا وتهدر أموالنا خير من أن نصل إلى هذه المحاكم ونرفع إليها شكوانا.

كل هذا حتى تعرفوا ضخامة القضية التي نحن نعيش فيها.

الناس وقفوا مع بي نظير* متساهلين بالقضية، وهي لا تريد أن تشرع بما أنزل الله، ولا أن تحكم بما أنزل الله هذا كفر يخرج من الملة -إن كان عالماً بالحكم وراضياً به- وإن كان العامة، قد يكونون جهلة فيعذروا بجهالتهم، ولكن العلماء لا عذر لهم عند الله، ويخرجون بهذا من دين رب العالمين.

كل من عرف أن هذه الفتاة لا تريد أن تشرع بما أنزل الله، ومع ذلك وقف بجانبها لمصلحة أو لهوى أو لدنيا يخرج من الإسلام ولا يعامل كمعاملة مسلم، بعض الإخوة الذين كانوا معي في فترة من الفترات كم يركزون على قضية القبور، ويقولون : التوسل بالقبور شرك، قلت لهم : نعم شرك والتوسل بأصحابها شرك ويخرج من الملة، لكن يا أيها الإخوة : لماذا تدعون شرك الأحياء، وتبحثون عن شرك الأموات، إن هنالك شرك وقع الناس فيه، شرك يقع فيه الناس وهم لا يعلمون، الشرك الذي فرضه عليهم القذافي وحافظ الأسد، وعبد الناصر، وفلان، وفلان، لماذا لا تتكلمون عنه، تكلموا عن شرك الأحياء وعن شرك الأموات معاً، ما تجد مثقفاً يأتي إلى قبر ويتمسح به ويمرغ عليه وجهه، لكن كثيراً من المثقفين يؤيدون الطواغيت ويتحاكمون إلى الطواغيت، وهم يتفاخرون أن لديهم مناصب عليا بجانب هؤلاء الطواغيت، ولا يعلمون أن معظمهم خارج من هذا الدين وهم لا يدرون.

وثيقة خطيرة ضد هذا الدين

كان في ذهني ولكن أخذنا الوقت أن أفتتح بقضية الحاكمية ثم أنتقل إلى باكستان، كيف قامت باكستان؟ وكيف وصلت إلى هذا الحد؟ وأنتقل إلى العداء العالمي والمعركة الواحدة التي يشنها أعداء الله على المسلمين حيث كانوا، ولكن أخذنا الوقت، ويكفي أن تعلموا أن الانتخابات الباكستانية، كل العالم وقف مع هذه البنت ضد المسلمين فيها، كل العالم، دول عربية بلغنا أنها دفعت خمسة وخمسين مليون دولار لهذه الفتاة يعني ألف مليون روبية، الأمريكان، إيران، الهند، الشيعة في داخل باكستان، آغاخان، والوقت قصير، لكن أكتفي بأن أقرأ عليكم الوثيقة التي نشرتها مجلة تكبير في 17 نوفمبر الماضي هذه السنة 1988 في العدد 46، هذه الوثيقة صادرة بقرار الملة الجعفرية بخصوص الانتخابات : "إن الملة الجعفرية تواجه اليوم المشاكل العديدة، والقوة الأمريكية، والسعودية، والروسية تحاول إثارة الفتنة بين صفوف الشيعة، وأعداؤنا يشتمون أئمتنا، ويتدخلون في مسيرتنا المأتمية، ويحاولون إيقافها ويعتبرون كلمة (علي ولي الله) زائدة عن الأصل في الآذان، في حين حصلت منظماتنا العسكرية مثل : المختار، حزب الله، سباه العباس، حيدري، سكارس، على سلاح كاف لتدمير

* وهي كانت رئيسة لوزراء باكستان سابقاً.

الدولة السنية -باكستان-، لكن هذا يشكل خطرا لنفوس الشيعة، ولذلك قررنا أن نبذل كل غال ورخيص لانتصار أعدائنا أو مؤيدينا في الانتخابات لكي نحصل على حقوقنا عن طرق دستورية ونرجو من الشيعة أن يصوتوا لصالح إنقاذ الملة الجعفرية ؛ لأن السنة عموما غاصبون، وأبطالهم : معاوية، ويزيد، وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، ومحمود الغزنوي، وتيبو سلطان، وكلهم أعداء لأهل البيت لا يسمحون بإنشاء حكومة لأهل البيت، والبريلوية، والديوبندية، وأهل الحديث، والمودوديون كلهم ملعونون يريدون إثارة الفتنة بين الجعفرية، إعلموا أن نصرت بوتو، وبنظير بوتو من الجعفرية، ولذلك تم ترشيح نصرت بوتو من منطقة جنرال ؛ الأكثرية شيعية، وكذلك سيد داكتر حسين شاه من راولبندي، ونظر حسين كيان، ورياض، وعلى أصغر، وسيد أكبر، ثم عدوا... عدوا، قال وقد تم الاتفاق معهم سرا، وأما مرشحي حركة إنقاذ الفقه الجعفري فقد تم الإعلان عنهم في الجرائد.

ملاحظة : إن حكومة المؤمنين ستنتشر المتعة الفردية والاجتماعية وذلك لسد الفحش، وستقطع العلاقات الدبلوماسية مع السعودية والأردن ومصر، وستضيف كلمة علي ولي الله في الأذان، وكذلك خميني حجة الله، وسنحتفل بأيام أئمتنا الإثني عشر، وستكون العطلة الرسمية في اليوم الثالث عشر، والعشرين والأربعين من مقتل الحسين، وسنحول قصر الرئيس، وصالات الدولة والبلدية في (راولبندي) و(جهلا) و(أتك وكوجرخان) إلى معابد شيعة.

ترجمة عن مجلة تكبير الأسبوعية 17 نوفمبر 1988 كراتشي صفحة 21 عدد 46.

هل رأيتم أيها المسلمون المؤامرة العالمية على هذا الدين، ومع ذلك المسلمون في داخل هذا البلد متفرقون، وفي كل البلدان متزقون مختلفون على قضية فقهية بسيطة، ويا ليتهم يعلمون !!

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه..

أيها الإخوة : إن الحكم بما أنزل الله هو التفسير العملي ل"لا إله إلا الله"، وتغيير أي حكم من أحكام الله كفر بما أنزل الله وخروج من الملة، والجهلة يعذرون بجهلهم، لكن يُعلمون، فإن أصروا على جهلهم فحكمهم حكم من يعلمون، إن تحليل الحرام وتحريم الحلال خروج من هذا الدين وخلع لربقة الإسلام من عنقه.

أيها الإخوة : قضية التشريع بغير ما أنزل الله أكبر مصيبة حلت بالعقيدة في العصر
الحاضر، وأكبر خنجر مسموم، حتى الذين يظنون أنهم يعلمون ويدعون إلى دين الله، أنا أبكي
لحالهم من أعماقي.. والله.

شهر الصيام والقيام

فيا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 183-185).

هي كما قال رب العزة أياماً معدودات بل ساعات محصيات، فرمضان إما سبعمائة وعشرون ساعة وإما ستمائة وستة وتسعون ساعة، وكل دقيقة منه لها ثمن . والسلف رضوان الله عليهم والصحابة كانوا ينتظرون هذه الأيام من العام إلى العام وقد جاء في الأثر أن الصحابة كانوا يقولون إذا أقبل رجب : "اللهم أعنا على رجب وشعبان وبلغنا رمضان".

أثر العبادة البدنية والمالية على النفس البشرية

لأن رمضان المحطة السنوية للغسيل الروحي والنفسي والبدني، وآثاره في الروح وفي النفس البشرية ليست قليلة، والعبادات ؛ عبادة الروح مختلفة، ويقدر ما ينال الجسد من آلام في أثناء العبادة بقدر ما يكون انعكاس النور على الروح، ولذا كان الجهاد ذروة سنام الإسلام لأنه أكثر العبادات مشقة وأحزمها، وكان أجره أعظم، وأثره في النفس البشرية أعمق، ونتيجته في بناء الروح وفي تعميق التوحيد في النفس البشرية عظيم.

ولذا فهناك عبادات مالية، ولكن أثرها على النفس أحياناً يقل عن العبادة البدنية، فالزكاة لها أثر عميق على الروح أنها تطهرها من الشح..

﴿وَمَنْ يُوقَ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: 9) .

لكنك لا تستطيع أن تشارك الفقير وتحس بالآلامه إلا إذا عشت كما عاش وجعت كما جاع، فإذا جعت تشعر بأثر التلوي والفاقة على جسدك، وعندها تنبسط نفسك بالبذل، وتتطهر نفسك تدريجياً من الشح، وكذلك الجهاد، فالجهاد بالمال لا يطهر الروح كما يطهرها الجهاد بالنفس، ومن هنا لم يعف الإسلام أحداً من الصحابة من الجهاد بالنفس مهما كان ماله، ومهما علت منزلته ومهما كثرت ثروته، فكان عثمان ﷺ يسمع رسول الله ﷺ يقول : (من يجهز جيش

العسرة وله الجنة¹ فيجهز جيش العسرة ولكنه يكون في مقدمة الركب، لأن النفس البشرية عندما تتعرض لأهوال الحروب وتقع تحت فتنة السيوف تتعري من الركام وتتعرض أجهزة استقبالها لتلقي إحياءات هذا الدين وفهم أسرارها وكشف مدخراته.

قيمة رمضان عند الصحابة

ورمضان... كان السلف رضوان الله عليهم يحسبونه بالدقيقة فكانوا وراء أبي بن كعب وقد اتخذ عمر بن الخطاب إماماً للتراويح كانوا يتخذون العصي وراء أبي لطول القيام، وكان الصحابة يقولون كدنا يدركنا السحر وراء أبي ونخشى طلوع الفجر فنبتدر الطعام المبارك - كانوا يسمون السحور الطعام المبارك- فيسرع غلماننا حتى لا يفوتنا الطعام المبارك أي السحور، ولقد روي عن التابعين ومن بعدهم -من ناحية القرآن والقيام- أن بعضهم كان يختمه ستين ختمة في رمضان، وقد روي ذلك عن الإمام الشافعي رحمته الله أنه كان يختمه في الليل ختمة والنهار ختمة، وبعضهم كان يختمه في كل يوم وليلة ختمة وبعضهم كان يختمه في كل ثلاثة أيام ختمة حتى إذا أقبلت العشر الأواخر واعتكف الناس فإنهم يختمون في كل يوم ختمة.

وختمة القرآن في اليوم سهلة إذا علمنا أن القرآن المرثل إنما يأخذ أربعة وعشرين ساعة أو قريباً منها، وقراءة الحذر التي هي أسرع من قراءة الترتيل يمكن أن يختم القرآن الكريم فيها في عشر ساعات، يمكن للقارئ الحافظ أن يختم جزءاً في كل ثلث ساعة فيختم الثلاثين جزءاً في عشر ساعات، لقد كان يحدثنا الأستاذ أبو الحسن الندوي، قال : أدركت مشايخي وكان بعضهم لا يتكلم في رمضان، إنما هي العبادة والقرآن والقيام وإذا كلمه أحد إنما يعدّ عليه الكلمات ويضن عليه بالدقائق والثوان.

فرمضان هو الصيام والقيام ولذا قال رحمته الله : (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)².

ولذلك كان السلف رضوان الله عليهم إذا أقبل رمضان كالإمام مالك وغيره يعتزل حتى الدرس، ويقول : إنما رمضان القيام والقرآن وبعضهم يقول إنما رمضان القيام والإحسان والقرآن، الإحسان يعني الصدقات، (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان) فكان إذا لاقاه جبريل تراه كالريح المرسلة. وقيامكم وصيامكم في أرض الجهاد يتضاعف، وفي الحديث (من صام يوماً في سبيل الله -أي في الجهاد لأن كلمة في سبيل الله

1 - جزء من قصة رواها البخاري.

2 - رواه مسلم، انظر مختصر مسلم 398.

كما يقول ابن حجر في الفتح : إذا أطلقت كلمة في سبيل الله فإنها تعني، أو المتبادر منها هو الجهاد، (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفاً)¹ وحديث آخر صحيح (من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً عرضه كما بين السماء والأرض)².

وكان ﷺ يتعجب من إنسان يدرك رمضان ولا يغفر له، ففي الحديث الذي يجب أن نتلوه بنصه في الحديث الصحيح (أتاني جبريل وقال يا محمد من أدرك من أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين، قال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله، قل آمين فقلت آمين فقال ومن ذكرت عنده فلم يصلي عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين، فقلت آمين)³.

نصوص في فضائل رمضان

والأحاديث في شهر رمضان وفضله كثيرة أقرأ عليكم حديثاً أو حديثين (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)⁴، وحديث يحيى بن زكريا (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن... ثم قال وأمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة -جماع- كلهم يجد ريح المسك وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)⁵، وحديث آخر، (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواب الكبر فلم يدخله الجنة)⁶.

والكلام يطول ف فضائل رمضان ولكن أنتم عليكم أن تستغلوا هذا الشهر الكريم لغسيل ذنوب العام كله، وكل عبادة لها آداب ... فالحج..

1 - متفق عليه.

2 - رواه الترمذي، انظر المشكاة رقم 2064.

3 - حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير (انظر صحيح الجامع الصغير رقم 75).

4 - حديث صحيح رواه الترمذي، انظر المشكاة رقم 1960.

5 - جزء من حديث صحيح رواه أحمد والنسائي (انظر المشكاة رقم / 3694).

6 - حديث صحيح رواه الترمذي، انظر المشكاة رقم / 3694.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾
(البقرة: 197).

ورمضان ... (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وإن سابه أحد أو شاتمه فليقل
إني صائم)¹.

والجهاد كذلك... إذا سابه أحد أو شاتمه فليقل إني مجاهد، فالعبادات وقد وضح ذلك رسول
الله ﷺ في الحديث، أو كما قال ﷺ (الغزو غزوان : فمن خرج ابتغاء مرضات الله وأطاع
الإمام -الأمير- وأنفق الكريمة -ماله- وياسر الشريك -أي كان خلقه طيبا مع إخوانه الذين
يجاهد معهم -واجتنب الفساد -القتل والقال والنميمة والمحارم، من الغلول والزنا والعصيان
وما إلى ذلك -من فعل هذه الخمسة كان نومه ونبهه أجرا كله، ومن خرج رءاء وسمعة ولم
يطع الإمام ولم يجتنب الفساد لم يرجع بالكفاف)² أي رجع مأزورا غير مأجور.

وأما بالنسبة لرمضان ؛ أنه تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران وتصفد الشياطين،
فإن هذا واقع فعلا، حدثني أحد الثقات الذين كان لهم صلة بالجن ثم تاب بعد ذلك قال : كنت
إذا طلبت من الجن الذين يعملون معي أن ينقلوا لي الأخبار قالوا نحن لا نتحرك في رمضان،
قال فأدرکت من جوابهم -وكانوا يظهرون لي أنهم من الجن المؤمن إذ يصلون معي
ويصومون وغير ذلك، فعندما أجابوني أننا لا نتحرك في رمضان أدركت أنهم من الشياطين
أي الجن الكافر قال ثم اكتشفت بعد ذلك من خلال التجربة العملية أنهم فعلا من الجن الكافر إذ
طلبت منهم ذات يوم أن يشفوا بنت عمي أو عمتي فقالوا : هذه لا تشفى إلا إذا لبست الصليب
فقلت لهم : إذا أنتم من الشياطين، أنتم من الجن الكافر، قالوا : نحن من الجن المؤمن، قال :
هذا فراق بيني وبينكم قالوا : سنؤذك قلت : أتدركم أن تؤذوني ولقاؤنا هذه الليل الساعة
الثانية عشر في المقبرة أكثر الأماكن وحشة وخوفا قال وفي الساعة الثانية عشر توضأت
وصليت ركعتين ثم ذهبت إلى المقبرة، وليل ثلاث وأنا أتحدى الجن فلم يستطيعوا أن يقتربوا
مني، فهو فعلا ماديا ليس معنويا، تصفد الشياطين أي لا تتحرك بالإفساد بين الناس، تصفد
مردة الجن أي كبار الشياطين، أما الشياطين الصغيرة فإنها تبقى تتحرك ولذلك كان صاحبنا
على صلة بمردة الجن واكتشف هذا من خلال العلم، من خلال هذا الحديث، بينما لبسوا عليه
عدة سنوات أنهم من الجن المؤمن، وهكذا بالنسبة لكثير من الناس، دخل عليه الجن من طريق
الإيمان والصلاة والصيام ثم بعد ذلك قاده إلى الكفر والغواية والضلال، ورأيت بعضهم وكان

¹ - حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه.

² - رواه أبو داود، انظر المشكاة رقم 3846.

من كبار العباد الصالحين، ثم وجدتهم قد خرجوا من دين الله نهائياً، وصاروا لا يصلون ولا يصومون لشدة ما عذبهم الجن، وقد بدأوا معهم بداية طيبة فكانوا يظهرون لهم على شكل أياد من نور فكلما توضع أيادنا كتبوا بأحرف من نور، لم يتم وضوءك ويبقى في الحمام من طلوع الفجر إلى بعد طلوع الشمس حتى تضع عليه الصلاة، وكلما أراد أن يخرج من الحمام، امتدت اليد من نور تكتب بأحرف من نور : لم يتم الوضوء، وكان الأخ هذا أولاً في أوروبا، فكانوا يكتبون له بالانجليزية ثم عاد إلى البلاد العربية فبدأوا يكتبون له بالعربية، وهكذا حتى ترك الصلاة نهائياً.

قيمة رمضان في الجهاد

وأنتم الآن في أرض، الثواب يتضاعف وأقبل رمضان، ورمضان الفريضة فيه بسبعين، والنافلة فيه بفريضة، وأيام الجهاد يومها بألف يوم (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يصام نهارها ويقام ليلها)¹، (ولأن أرباط يوماً في سبيل الله - يعني لأن أرباط ليلة في رجب أو ليلة في ربيع - أحب إلي من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)²، أحاديث صحيحة، فكيف قيام ليلة القدر في أرض الجهاد والمعركة، والساعة في أرض المعركة بقيام سنتين سنة في الأيام العادية (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام سنتين سنة)³ (ولمقام أحدكم في الصف خير من مقامه في بيته سبعين سنة)⁴، ورمضان هو رمضان الجهاد، فأنا أنصح كل واحد منكم أن لا يفرط بيوم واحد في رمضان.

كنت في قطر أو في الإمارات، قالوا : اتصل فيك الإخوة من أمريكا حتى تقضي معهم العشر الأواخر، قلت : سبحان الله أقضي العشر الأواخر في أمريكا وأترك جلال آباد وقندهار وكابل مشتعلة، الساعة فيها خير من قيام سنتين سنة، وأذهب وأدخل إلى أمريكا حتى في رمضان ! ولذلك كنت طيلة وجودي - خاصة في السنوات الخمس الأخيرة - أحب أن أقضي كل رمضان خارج بيشاور ولا أدخل بيشاور إلا مضطراً، فكنت أقضيها إما في المعسكر في صدا أو في جاجي أو في أي مكان آخر حتى يكتب لنا رمضان الرباط، ورمضان الرباط بألف رمضان فيما سواه في غير أرض الرباط.

¹ - رواه النسائي والترمذي وحسنه.

² - حديث صحيح رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ "موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود" انظر ص 60/ رقم 6636.

³ - حديث صحيح رواه الترمذي، انظر السلسلة الصحيحة رقم 902.

⁴ - هذا الحديث سبق تخريجه برقم 13 بنحوه.

فيا أيها الإخوة : من كان منكم مرتبطا بعمل ف بيشاور فليجعل جزءا من أيامه في أرض المعركة إن استطاع ذلك، وإن استطاع أن ينقل من العمل ما لم يكن طبيبا مرتبطا بمستشفى أو مرتبطا بعمل ضروري لا يستطيع أن يتركه في رمضان، لأن هنالك بعض الأعمال كذلك ينتظرها الجهاد وينتظرها العالم الإسلامي كالإعلام مثلا، العالم الإسلامي متعطش لكل كلمة من أرض الجهاد، تجدهم يحفظون كل كلمة تأتيهم من أرض الجهاد، هذه مجلة الجهاد، ومجلة البيان المرصوص، ولهيب المعركة، هذه لهيب المعركة تصور النسخة خمسين ومائة وتوزع حتى كل الناس يعرفون ماذا يجري فوق أرض أفغانستان، لأن العيون كلها ترنو إلى معركة جلال آباد، وإلى فتح كابل، والقلوب كلها متوثبة متهيئة لفتح كابل لتشارك المجاهدين فرحة الانتصار النهائي بإقامة حكم الله في الأرض.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 4-5).

برنامج الصائم اليومي

من أقام منكم في بيشاور فليأخذ نفسه ببرنامج يومي :

أولا : أن لا يسهر في رمضان لأن رمضان هو القيام والصيام والاستغفار بالأسحار، فافطروا في بيوتكم على تمر أو ماء، أو افطروا في المسجد، واجعلوا في المساجد تمرا وماءً وهنيئا لمن فطر الصائم (من فطر صائما فله مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء)¹، ولو على حبة تمر ولذلك فليتسابق المتسابقون على الأجر العظيم، كنت في قطر فقال بعض المحسنين : نريد أن نفطر ألف مجاهد طيلة شهر رمضان، كم يكلف المجاهد في رمضان ؟ قلت له : يكلف ثلاثة ريالات أو دراهم -ريالات قطرية- أي حوالي خمسة عشر روبية، وإذا به يكتب شيكا بتسعين ألف ريال قطري، قال : هذه طعام ألف مجاهد حول جلال آباد، وأرجو أن تعتني بتوصيلها، وعندما وصلت بالأمس رن جرس التلفون، وإذا به يقول هنالك تسعين ألف أخرى تصلك أموالها على الطريق، أطعمهم رزا ولحما كل يوم -ألفي مجاهد- أطعموهم من الرز واللحم خيرة الطعام مهما كلف الطعام حتى ننال تفطير ألفي صائم في اليوم.

إعملوا لكم برنامجا وهو سهل، أن تفطروا في المسجد، ثم تصلوا بعدها صلاة المغرب، ثم تعودوا إلى بيوتكم وتأكلون ما قدر الله لكم، وبعد ذلك تستغفرون وتنتظرون صلاة العشاء ثم تصلون العشاء في المسجد والتراويح، فإذا انتهت التراويح فعد إلى بيتك وفي السحور تسحر،

¹ - حديث صحيح رواه الترمذي، انظر ص 90/ رقم 6415.

واحرص على هذا كذلك، لأن السحور طعام مبارك، كذلك فترة للاستغفار بالأسحار، فبعد السحور أسرع إلى الوضوء، وتهجد في آخر الليل، بضع ركعات وأكثر من الاتصال برب الأرض والسموات، فإن رب العزة (إذا كان الثلث الأخير من الليل نزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مسترحم فأرحمه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ ولا يزال كذلك حتى يطلع الفجر)¹، فاغتنموا هذه الأوقات -أوقات السحر- فالإجابة فيها عادة صائبة موفقة وقريبة من الدعاء.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:17).

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذريات:18).

فإذا جاء وقت الفجر تذهب إلى المسجد وتصلي في المسجد وحال -ما لم تكن موظفا- أن لا تنتم الفترة ما بين الفجر وطلوع الشمس، (لأن اجلس مع قوم بعد صلاة الغداة يذكرون الله عز وجل -الغداة يعني : الفجر- حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل)² ثم بعد ذلك إذهب ونم واسترح إلى أن يأتي وقت دوامك، ثم بعد الدوام حتى العصر، اقضي أهلك حاجاتهم وتخففوا وقللوا من الطعام والشراب والحلويات، وتذكروا أن حولكم من الأراامل والأطفال والأيتام ما لا يدركون الرز الجاف، هؤلاء اجعل حلوياتك رزا أو خبزاً لهم.

ثم نساؤكم كذلك بحاجة أن تغتسل أرواحهن، وبحاجة إلى أن يتفرغن لقراءة القرآن والعبادة، فإشغالهن بالطعام إنما هو إشغالهن عن وظائف رمضان، وعن الاستغفار والقراءة والعبادات، فإذا صليت العصر ولم يكن لديك عمل وارتباط آخر فاعتكف في المسجد حتى غروب الشمس، وأكبّ على قراءة القرآن (ولأن اجلس مع قوم يذكرون الله عز وجل من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل) فإذا أذن المغرب فأفطر وصل المغرب ثم عد إلى بيتك.

رمضان شهر لفعل الخيرات

إنه برنامج بإمكان كل واحد أن يطبقه، أو يطبق معظمه إذا كان مقيماً في بيشاور، ولذلك إحرصوا على هذه الأيام، واحرصوا على هذه الساعات، وليس في رمضان مجال للقليل

¹ - رواه مسلم بلفظ "يترى الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفري فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر" انظر مختصر مسلم 389.

² - جزء من حديث رواه أبو داود، انظر المشكاة رقم 970.

والقال، ولا لسهر على التلفاز، ولا للجلسات، لا تزوروا في ليالي رمضان بعضكم بعضا في بيوتكم، لأن هذا ممحقة للوقت كذلك سرقة لوقت رمضان المبارك، هنالك المساجد التي بإمكانكم أن تلتقوا بها، وأن تتكلموا بعد صلاة التراويح، وأي واحد من إخوانكم لك معه حاجة فملتقاكم المسجد، ومتفرقكم من المسجد، فلا تشغلو الناس بزياراتكم في ليالي رمضان، إنما زوروا إخوانكم الذين سطروا بدمائهم أسمى آيات الشرف بتاريخ هذه الأمة، تفقدوا الذين استشهدوا من إخوانكم العرب أولاً، فلتزر نساؤكم نساءهم، وليتعرفن على أحوالهن واكفلوهم، وإياكم أن تغفلوا عنهم بكثرة أشغالكم، والدنيا كلها أبواب مفتحة لإشغال الإنسان أكثر من وقته، وزوروا كذلك إخوانكم الجرحى في المستشفيات الذين جاءوا من جلال آباد أو من غيرها - وأكثرهم من جلال آباد- وكذلك في هذا الشهر تقلل على نفسك، وأعط غيرك من المحتاجين، وليكن راتبك - إن كنت موظفا- بين عائلتك وبين الأيتام والفقراء و أسر الشهداء والجرحى، فإذا كان راتبك خمسمائة دولار مثلا فيكفيك في هذا الشهر مئتين وخمسين دولارا، ومئتان وخمسون أخرى إنما تنفقها على المحتاجين وأسر الشهداء والأيتام، ولإطعام المجاهدين في أرض المعركة، لا كما يفعل الناس في معظم أجزاء العالم أنهم ينفقون في رمضان ضعف ما ينفقون في الأيام العادية، وطعام رمضان يتضاعف أضعاف أضعاف الطعام في الأيام العادية -أيام الإفطار- فرمضان كأنه شهر المأكولات والحلويات والقطائف والكنائف والعرائس والكيك وغير ذلك، والصائم ماذا يأكل؟ ليت شعري ما يأكل الصائم؟! إنما هي لقيمات ولا تستطيع معدته أن تتقبل أكثر من لقيمات بعد بضعة عشرة ساعة من الإمساك والصيام.

العالم الإسلامي مع الجهاد الأفغاني

وأما بالنسبة للعالم الإسلامي، فنفسهم وأرواحهم معلقة بهذا الجهاد العظيم، وهنالك تيار إسلامي ضخم هم قد يكونون من أبناء فلسطين كذلك تشغلهم قضية فلسطين، ولكن لا ينسون جلال آباد وقندهار، ويتساءلون حيثما حلت وأينما سرت: ما بال جلال آباد قد تأخر فتحها؟ فاعتذرت عن المجاهدين أن المجاهدين قد انتقلوا من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، وكذلك جلال آباد هي منبت الشيوعيين في أفغانستان، ولذلك كل مرادة الشيوعيين والجن إنما الآن تدافع عن جلال آباد، والدولة تقذف بكل ما تملك لتحمي جلال آباد من السقوط، ترسل من هرات ومن مزار شريف ومن بدخشان ومن غيرها، من أماكن كثيرة تريد أن تنقذ جلال آباد، والحمد لله كما علمتم أن هنالك حملة قد تحركت من مزار شريف لإنقاذ جلال آباد لكن الأخ أحمد شاه مسعود قد استولى عليها بكاملها، قد أسرها بكاملها، فيها أربعون ضابطا، وفيها بضع دبابات صالحة، وفيها ثلاث وعشرون سيارة محملة بالذخائر، وثلاث ناقلات محملة بالمؤن والحمد لله رب العالمين.

أقول اعتذرت عن المجاهدين وقلت لهم : لو تتبعتم أخبار الحرب العالمية الثانية والأولى، ورأيتم كيف كانت جيوش هتلر تقف أمام مدينة واحدة عدة أشهر، يقتل معظم جنود هتلر بثلوج روسيا، وكانت أحد أسباب هزائم هتلر هي وقوف لنين جراد وغيرها في وجه جيوش مدججة بالدبابات والطائرات وغير ذلك، لكن الناس يريدون أن يأكلوني لأنني قادم من أرض الجهاد، لا أستطيع أن أمشي بين الناس، أخرج بعد المحاضرة من الأبواب الخلفية حتى أخلص من الذين يسلمون عليّ حتى لا يمزقوا ثيابي، وكما ألقيت محاضرة في الرياض في مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وقد أقامت احتفالا لمدة أسبوع -أسبوع خيريا- لأفغانستان وفلسطين، وفي اليوم الأول تدعى الناس من كل صوب وناحية وفتحت القاعة الكبرى، وامتألت القاعة الكبرى وفتحت قاعة ثانية وثالثة، والناس حول القاعات كذلك، والتلفاز يبث لهم المحاضرة، وقبل أن أدخل المحاضرة أو عندما خرجت تكتفوا على الأبواب حتى يسلموا عليّ، فأخذني الإخوة المشرفون على المحاضرات، ووضعوني في غرفة ريثما يخف الناس و يذهبوا إلى بيوتهم، وبعد فترة خرجت، وإذا بالناس لا زالوا ينتظرون من أجل أن يسلموا عليّ، وأعلن في المحاضرة أن لي محاضرة في مسجد الملك خالد في اليوم التالي وذهب الناس وصلوا العصر، وظلوا من العصر ينتظرون حتى المغرب من أجل أن يجدوا مكانا في المسجد عند المحاضرة، واجتمع بضعة آلاف في المسجد ينتظرون المحاضرة، وهكذا في قطر، ما استطعت أن أرتاح لحظة، وأقول لهم : دعوني أنم حتى أستطيع أ، أتكلم ولكن لا حياة لمن تتنادي..

يا لائمي في الهوى العذري معذرة

مني إليك ولو أنصفت لم تلم

محضتتي النصح لكن لست أسمع

إن المحب عن العذال في صمم

الناس كأنهم بالنسبة لهذا الجهاد يرددون :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس

لي متأخر عنك ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيدة

حبا بذكرك فليلمني اللوم

الإعلام العربي ضد الجهاد

لكن اليسار في العالم العربي وصحفه يكاد يقضي أسي وغيظا يتمزقون حقدا ويريدون أن ينفذوا نجيب ولكنه هالك -جريدة الخليج في الإمارات والسياسة، والوطن في الكويت، وحدث عن صحف الكويت من سوئها، ومن بذاعتها ومن.. ومن.. وحدث ولا حرج، كأنه ليس أمام صحف الكويت بالذات عدو في الأرض إلا المجاهدين، فلا تجد فرية إلا وتطلقها على المجاهدين، ولا تتقل إلا من أخبار كابل حرفا حرفا، وتردد كلام نجيب صباح مساء، بل هي متحمسة أكثر من نجيب، لأن نجيب يعيش حالة يائسة ممزقة، وبعد أيامه الأخيرة قبل أن يسقط أسيرا بيد المجاهدين، وكما بشرتهم على أن نجيب لن يخلو من ثلاث ؛ إما القتل وإما الهرب وإما الاستسلام قبل أن يصل إليه جند الحق وليوث العرين، وأما إذا أسر فالحكم أصدره الشيخ سياف بأن يجلس عليه الشيخ تميم -والشيخ تميم مائة وخمسون كيلوجرام- !! فروحه ستخرج رأسا إن شاء الله.

أما النساء -والله- رسائلهن مع حليهن، عندما يقرؤها -كان الشيخ تميم يبكي والشيخ تميم جوابه عادة ليس بلسانه جوابه عادة بدموعه -البننت تقول ليس عندي إلا هذه الحلي، وليتي أستطيع أن أشارك بنفسي، وأتمنى الشهادة فوق أرض أفغانستان، وفي محاضرة في دبي، نساء قليلات بعد المحاضرة في المساء يقول لي الأخ المسؤول عن المحاضرة : إن الأخوات دفعن حوالي ثلاثة كيلوا جرامات من الذهب، وفي قطر كذلك بعد محاضرة أو محاضرتين، الذي حمله الشيخ تميم ثم لحقه بد ذلك اثنين كيلوا وستمائة غرام من الذهب، وحملها الشيخ تميم بيده -وقطر فيها خير كثير، والجزيرة والسعودية فيها خير كثير كثير، لكن بقعة قطر لأننا صغيرة يبدوا النظافة عليها في كل مكان، وحمل الشيخ تميم حقيبة الذهب ومر في المطار، فعندما رأوا الذهب قال أحد الشرطة لابد من استئذان الضابط، فقال الشيخ تميم : ألا تعرفنا ألا تعرف الشيخ عبد الله ؟ قال : لابد، وكان الضابط من اليساريين الذين يعيشون تكاد أرواحهم تقضي مع سقوط الشيوعية في العالم كله.

المهم... حجز حقيبة الذهب وأرجعها الشيخ تميم بيد أحد الشباب وأخرجوا لها إننا من المحاكم الشرعية ولحقتنا على دبي.

أقول : اليساريون الآن في العالم العربي يعيشون حالة من الضياع والغثيان والدوار، خرجوا عن أطوارهم وبدت العداوة من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، لكن قلت ليت اليسار ف العالم العربي قد شهدوا معنا تمزيق هيبة أهمهم، وتشتيت جمعها وتفريق شملها وضياعها بين جبال الهندوكوش، وعلى حوض الهلمند، وفي شواطئ هري رود، حيث قد مزقت شر ممزق، أهمهم الكبرى، روسيا، وطاغوتهم الأكبر غورباتشوف يتراجع عن الشيوعية

كثيرين، ولقد جاءت الشهادة وهو يقرأ القرآن الكريم حول أشرف مجال، حول مطار جلال آباد وبقديفة طائرة، وإخوان عبد الله النهمي كثيرون، والوقت يضيق عن الكلام عنهم، ولكن كل واحد منهم إنما يأخذ جزءاً من نفوسنا أو من قلوبنا أو من أكبادنا ثم يمضي إلى الله.

واعلموا أن الله صلى وسلم على نبيه قديماً، فقال تعالى ولم يزل قائلاً عليماً وأمراً حكيماً، تنبئها لكم وتعليماً، وتشريفاً لقدر نبيه وتعظيماً :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
(الأحزاب:56).

ليبيك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم مكن المؤمنين في الأرض، اللهم مكن المؤمنين في الأرض، اللهم مكن المؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحيينا سعداء وأممتنا شهداء واحشرتنا في زمرة المصطفى ﷺ .

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان، اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وأهدهم سبل السلام، اللهم ارفع راية الإسلام فوق المسجد الأقصى، اللهم حرر الأرض المباركة، اللهم افتح لنا الطريق إلى المسجد الأقصى يا رب العالمين، اللهم انصرنا في أفغانستان ولا تمتنا إلا شهداء في ساحة الأقصى يا رب العالمين، اللهم انصر المجاهدين في لبنان، اللهم انصر المجاهدين في الفلبين وفي الصومال وفي تشاد وفي إريتريا وفي اليمن وفي بورما وفي كردستان وفي كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن، واجعلنا من جنود القرآن.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون، أذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم.

الجهاد وأثره في بناء الجيل

كرامات :

...دعونا الله عز وجل وبكيت، ثم تذكرت أن رسول الله ﷺ قد حمل حفنة من الحصى يوم بدر ويوم حنين، وضربها على المشركين فلم تدع مشركا إلا وامتألت عيناه منها، قال : فأخذت حفنة من الحصى وقرأت عليها..

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (أنفال: 17).

ورميتها نحو الدبابات، ولو رآه بعضنا لسخر منه، وملاً شذقيه ضحكا، فتقدمت الدبابة الأولى، وكانت الطريق ضيقة، وكان هنالك جسر فنزلت من فوق الجسر وتدمرت، وتقدمت الثانية، فرمينا عليها زجاجة ملتوف -بنزين- فانفجرت بجانب الدبابة، فظن سائق الدبابة أن هنالك لغما تحت الدبابة، فابتعد عن منتصف الطريق فلم يحتمل التراب الدبابة، فتعرضت الدبابة بالعرض، ومنعت الطريق عن باقي الدبابات، وإذا بالجنود من داخل الدبابات يرفعون أيديهم مستسلمين، وغنمنا كل القافلة*.

في 10 نوفمبر قبل أربعين يوما أغارت الطائرات على منطقة جكري، وعندما أغارت اختبأ المجاهدون، إلا رجلا أميا اسمه الحاج محمد عمر، نظر إلى الطائرة وإلى أعلى، قال : يا رب.. أنت أقوى من هذه الطائرات، أنت تدع هؤلاء الكفار يذبحوننا بطائراتهم وصواريخهم، يا رب.. أيهم أكبر وأقوى.. أنت أم هؤلاء ؟ ما أتم دعاءه إلا وانفجرت الطائرة ونزلت، وكان فيها جنرا لا روسيا، وأذاعتها الإذاعات... القصص كثيرة في هذا.

يحدثني نصر الله منصور : كان جل محمد شابا مجاهدا راجعا إلى كتيبته ليلا، فضل الطريق، ودخل معسكر الروس، يحمل سلاحه.. ما الذي جاء بك يا فلان ؟ ما الذي جاء بك ؟ قال : أنا مقاتل، أقاتلكم، قالوا : سنقتلك. قال : اقتلوني، فقال له الضابط الروسي : قبل أن نقتلك أريد أن نسألك سؤالا : كيف يخترق رصاصكم أحيانا دباباتنا، فقال الرجل في نفسه : أنا ميت ميت، سألقي الرعب في قلبه، قال له : ليس رصاصنا الذي يدخل فقط ! لو رمينا حجرا سيدخل الدبابة، قال له الضابط الروسي : هذه دبابة، واحمل حجراً لأرى كيف يخترق الحجر الدبابة ! قال : دعني أصلي ركعتين، قال : فصلى، وفي السجود قال : يا رب لا تفضحني، أنت تعلم أن حجارتنا لا تفعل شيئا، وأطال الدعاء، وبعد الصلاة قربوا له دبابة، فأخذ حفنة من الحصى ورماها على الدبابة، فاشتعلت... فاشتعلت الدبابة نارا، فأمر القائد الروسي أن تبعد بقية الدبابات* حتى لا تحترق، فسلمه الضابط الروسي سلاحه، وقال له : خذ واذهب لا نريد قتلك.

والشعور بمعية الملائكة معهم، قصة الملائكة واشتراكها مع المجاهدين الآن متواترة، وقد رويت في الكتاب عن عدد التواتر.. من هؤلاء ؟ على أنهم، يرون الطيور تحت الطائرات تدافع عن المجاهدين، بل أكثر من ذلك، لقد أصبح الأطفال يميزون بين الطائرات التي تريد أن تقصف أو لا تقصف، إذا مرت الطائرات المحاربة ومعها طيور معنى ذلك هنالك قصف، فيختبئ الأطفال الصغار، وإذا لم يكن معها طيور معنى ذلك لا قصف، وأصبح من المتواتر أن الطيور تأتي قبل الطائرات فيعرف المجاهدون بقدم الطائرة، وإذا جاءت الطائرات تكون الطيور تحت الطائرات، ومن المعلوم أن الطائرة سرعتها ضعفي سرعة الصوت، أو ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، يعني ألف متر في الثانية، أي طير هذا الذي يطير كيلو متر في الثانية؟! يسابق طائرة الميغ 21-32.. هذا مستحيل !! طائر يطير في الثانية عشرة أمتار، هذا خيالاً، أما أن يطير ثلاث أضعاف سرعة الصوت، (وسرعة الصوت 365 متراً في الثانية) ! فأى طير هو الذي يطير 730 م/ث ويجمع المجاهدون أنه إذا اشتركت الطيور تكون الخسائر قليلة أو معدومة.

وممن حدثني ممن رأى الطيور كثيراً جداً محمد كريم، رأيتها أكثر من 20 مرة، جلال الدين حقاني : رأيتها كثيراً جداً، أرسلان : رأيتها كثيراً جداً، وممن رأى الطيور كثيراً بدون جداً- محمد شيرين، مولوي عبد الحميد، علم جل، فضل محمد، جان محمد، خيال محمد، وزير باد شاه، سيد أحمد شاه، علي جان، والأسماء كثيرة ... الذين رأوا الطيور ونقلت عنهم. إن شعور هؤلاء بقرب الملائكة قرب الملائكة منهم، وأن الملائكة تشترك في المعارك، هذه المعية .. معية الملائكة تترك في النفس راحة عميقة، وسعادة كبيرة.

حدثني أرسلان قال : كنا حوالي خمسة وثلاثون شخصاً، وحاصرنا الدبابات، وبقينا نقاوم حتى نفذت جميع ذخيرتنا، وعندها تمنيت أن أقتل بأي طريقة، حتى لا يمسكني الروس حياً، ثم توجهنا في اللحظة الأخيرة نحو رب العالمين، ودعونا الله أن لا يجعل للكافرين علينا سبيلاً، قال : ورحمة الله قريب من المحسنين، وإذا بمعركة تدور على الدبابات من كل ناحية، نسمع أصوات ولا نرى أحداً، وهزم الروس، فقلت لأرسلان - وهو معروف (شيخ كبير) حرر أو اشترك في تحرير منطقة كبيرة اسمها بكتيكا، ويطبق فيها الإسلام - أقول : قلت لأرسلان : كيف تفسر هذا... الملائكة ؟ قال : إن لم يكونوا الملائكة فمن إذن؟! ... وأقسم لي القاضي البادغسي أنني اشتركت في معركة ليس معنا أي مضاد للدبابات، وتحطمت الدبابات أمامنا.. كيف يكون هذا ؟

كثير من الأحيان يسأل الروس، يحملون رصاصاً : من أين لكم هذا الرصاص ؟ ليس هو أمريكا، وليس هو روسيا، الملائكة تستعمل سلاحاً جديداً... القصص كثيرة.

قرب الله، المعية مع الملائكة، التعامل مع القدير، التعامل مع الله القدير، قلنا التعامل مع الله السميع القريب، التعامل مع الله القدير، أضرب لكم مثالا.

وجوب الإيمان بالكرامات

في يوم عرفة هذا، يوم عرفة 9 ذي الحجة 1403، هجم الروس على قرية اسمها (دراسو)، فيها ستون مجاهدا، الروس معهم مائة وثمانون دبابة، والذين دخلوا اثنا عشر ألف روسي وأربعة آلاف شيوعي أفغاني، ستة عشر ألفا مقابل ستين، نقلهم أربع عشرة طائرة وتحميهم مائة وثمانون دبابة ومصفحة، ودارة المعركة بين 60 مجاهدا.. 160!! اسمع ستون مقابل ستة عشر ألفا؟! وهزم الروس، وقتل منهم سبعمائة وستون شخصا، واستسلم منهم وأسر مائتين وسبعون شخصا بسلاحهم، وقتل من المجاهدين شهيد واحد اسمه محمد أسلم، هل يصدق العقل البشري هذا؟! إن هذا لا يدخل العقل البشري؛ لأن هذه قدرة الله عز وجل، خارجة عن السنن، وتوقف السنن والقوانين التي رآها العقل، واعتاد عليها، وإن كنتم في شك من هذه القصص، فراجعوا -إن شئتم - هذا الدين، راجعوا مرة أخرى، واعلموا أن نصف هذا الدين إيمان بالغيب.. «الذين يؤمنون بالغيب»، إن لك أن تكذب قصة، وقصتين، وثلاث، وعشر، أما أن تنفي القصص كلها فهذا خطر على عقيدتك، لأن عقيدة أهل الكتاب والسنة..

وأثبتن للأوليا كرامة

ومن نفاها فانبذن كلامه

اسألوا السلف.. أسألوا ابن تيمية.. واسألوا أحمد بن حنبل.

ابن تيمية يقول: كنت في السجن، كنت خارج السجن أتفقد بعض الأسر، وبعد أ، دخلت في السجن كانوا يخبرونني: أنك لا زلت تأتينا وتتفقدنا بنفس المبالغ، يقول ابن تيمية: لعل هؤلاء إخواننا من الجن يتمثلون بصورتني ويقومون بعلمي.

وأنا كتبت على ظهر الكتيب الصغير* هذه الكلمات: هذا الكتاب يتكلم عن أكبر كرامة وقعت في القرون الأخيرة، ما هي الكرامة؟ الكرامة الكبرى وهي الانتصارات التي حققها الشعب الأفغاني - لا نريد القصص - الشعب الأفغاني الأعزل أشرس قوى الأرض، والتي جعلت ذوي البصائر يتنبهون إلى الكرامات التي غابت عن وقع المسلمين منذ زمن بعيد، ل عادت بعض الألسنة المسلمة تمزق لحوم الذين يصدقونها، هذه الكرامات جعلت الصحفي الفرنسي النصراني يكتب في الصحف بالخط العريض: رأيت الله في أفغانستان، ودفعت الصحفي الشيوعي الإيطالي لإعلان إسلامه على التلفاز، ويصرح على التلفاز الإيطالي قائلا: رأيت الطيور تدافع عن المجاهدين تحت قذائف الطائرات في أفغانستان، ولقد حدثني أحد

الشباب في إيطاليا : أن هذا الصحفي يصلي معهم الجمعة، وقد تكلمت بلفظ حدثني على طريقة أهل الحديث، ولم أكتب قصة إلا ممن وقعت معه أو رآه بنفسه.

ولقد صرحت بحقيقة كبيرة : إن الكرامات التي تنزلت على الأفغانيين -اسمعوا جيدا- إن الكرامات التي تنزلت على الأفغانيين أكثر من الكرامات التي تنزلت على صحابة رسول الله ﷺ، ورضوان الله عليهم، وهذا ما حيرني، حيرني قلت : يا ترى هل الأفغانيون أفضل من الصحابة؟! ثم وجدت الحل في كتب العقيدة، فوجدت ابن تيمية، وأحمد بن حنبل يقرّون أن الكرامات التي تنزلت على التابعين أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة، وهم أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ، وذلك لأن الكرامات لتثبيت الناس على طريق الله إذا ضعف إيمانهم، فليت شعري، متى يزن المسلمون بالموازن الربانية؟ وهل يصدقون؟! ألا ليت قومي يعلمون.

ومن نتائج الجهاد كذلك : بناء الشجاعة وغرسها في أعماق النفوس، الآن تجري الشجاعة في دماء الأفغانيين جريانا، ما رأيت أشجع من هؤلاء.. الأطفال، الأطفال الصغار.

انتهى الوقت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سؤال :

هل المجاهدون في أفغانستان يحتاجون إلى مجاهدين، وإذا أراد أحد أن يذهب إلى الجهاد هل من الممكن أن يحضر معه كمية من العدة والعتاد للحرب؟

جواب :

إن لم يكونوا بحاجة -وهم بحاجة- إن لم يكونوا بحاجة إليك، فأنت بحاجة إليهم، أنت بحاجة إلى عبادة الجهاد، كما أنك بحاجة إلى عبادة الصلاة، وكثير من الكفاءات بحاجة إليها، هم بحاجة إلى الدعاة، ليعيشوا بين المجاهدين، إذ أن صفوة الناس وعلماءهم قد سقطوا على الطريق عبر هذه المدة التي امتدت ثماني سنوات في قتال، الآن المعركة مضى عليها ثماني سنوات.

يقول سياف : إن معظم أبناء الحركة الإسلامية الذين قادوا المعركة من البداية قد سقطوا على الطريق، فكننا حوالي مائتين وسبعين شخصا يعني الناضجين من أبناء الحركة الإسلامية لم يبق منهم سوى ثمانية، وهم بحاجة إلى الدعاة، وهم بحاجة إلى المهندسين، وهم بحاجة إلى الأطباء، وهم بحاجة إلى الإعلاميين، وهم بحاجة إلى الصحفيين، بحاجة إلى كثير من الكفاءات، وأي عربي يأتي يكون دفعا قويا لهم.

يقول سيف : يا عبد الله أدع لنور الدين الجزائري، شاب كان في المدينة المنورة يدرس، ثم جاء في عطلة الصيف هناك واستشهد، يقول لي : إن مليون شهيد أفغاني في كفة، ونور الدين في كفة أخرى في نظري.

فوجود أي عربي يدفع .. يدفعهم دفعة قوية إلى الأمام، ويؤرخ الأفغانيون بها يقولون : يوم أن جاء فلان، وغادر فلان، تدخل التاريخ.

ولذلك الحقيقة يا إخوة -كما قلت أنا- النفوس لا تصقل إلا في المعارك، الرسول ﷺ يا ترى، هل قسم المجتمع قسمين ؟ قال : يا عبد الرحمن بن عوف، ويا أبا بكر أنتم تجار تزودون المعركة، وأنت يا بلال ويا عمار فقراء لا يهم أن تموتوا، الجميع كانوا في خضم المعركة، حتى تصقل نفوسهم تحت بوارق السيوف، يسألون رسول الله ﷺ : يا رسول الله لم لا يفتن الشهيد في قبره ؟ قال : (كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة)¹ تزيل غبشه، وتذيب غشه، وتصفله، وتتركه كتلة صافية من الصدق.

أنتم بحاجة إلى الجهاد : ولا يمكن لواحد أن يفهم الإسلام إلا داخل المعركة، لا يمكن، وكما قلت : الذين يريدون أن ينتزل عليهم النصر من وراء الطاولات، ونحن نكتب... إن شاء الله فلينتظروا مائة من السماء عليها دولة إسلامية ! إن شاء الله قادمة !

سؤال :

هناك من يتهم الجهاد الأفغاني المسلم بأنه دفاع عن الأرض، وليس لرفع راية الإسلام، فما رأيكم في ذلك؟ وهناك أيضا من يتهم المجاهدين المسلمين في أفغانستان بأن لديهم انحراف في العقيدة، فما صحة ذلك؟

الجواب :

أنا لا أبرئ الأفغانيين، أنا لا أقول أنهم شعب طاهر مطهر، نزل من السماء، هم من الأرض، وجاءتهم هذه المعركة، عندهم بعض العيوب، لكن بالمقارنة يأتي الشعب الأفغاني أفضل شعب في الأرض من ناحية دينه، من ناحية عزته، من ناحية الثقافة حول العلماء، نعم عندهم جهل، فلماذا لا يأتي الفاهمون يعلمونهم العقيدة ؟ إذا كان عندهم غبش في العقيدة، تعالوا وصفوها لهم وهم يتقبلون هذا، وأنتم أسألتهم، أما من بعيد...

الشيخ ذيب أنيس الله يجزيه الخير، دائما يحدثنا قصة -نكتة- يقول : في واحد قليل خير، يعني بطيء الحركة، لا يحب أن يتحرك، فيريد أن يسكن في الخيمة، يريدون أن ينتقلوا من

¹ - حديث صحيح رواه النسائي، (انظر صحيح الجامع الصغير رقم / 4483).

مكان إلى مكان، وقالت زوجته : تعال ننقل، قال : لا بل انقلي أنت، هدمت زوجته الخيمة، ونقلتها، نقلت الأواني، نقلت كل شيء، قم، قال : لا، ثم قال لها: أركبيني على الحمار، قالت : لا أقدر، قال لها : ضعيني في كيس، ثم استعيني بواحد مار حتى تضعوني على الحمار، فالمهم مرّ واحد مستعجل، قالت له : يا أخي قال : نعم، قالت : بالله أن تعينني على رفع هذا الكيس على الحمار، قال لها: يا أختي أنا مستعجل، إسألني عن غيري، فأخرج رأسه من الكيس وقال : ما أقل خيرك، إرفع معها.

ونحن كذلك.. قاعدين من بعيد، وفلان أعور، وفلان أعمى... تعال صحح عقيدته... هذا يؤول، هذا يشبه، هذا عنده توسل، وهذا.. تفضل يا أخي، تفضل، نحن نقبل يدك ورجليك لتأتي هناك، هذا مثل الذي داخل الكيس يقول للأفغانيين ما أقل خيركم.

سؤال :

هل يجب على من رغب الخروج للجهاد أن يستشير والديه، فإن لم يوافقا فما الحكم ؟ وماذا عن الزوجة والأبناء، أهنالك حقوق يجب أن تراعى قبل السفر للجهاد ؟

بالنسبة للوالدين، أنا الذي أظنه من خلال النصوص يعني: أن الجهاد الآن فرض عين في كل مكان، فإذا منعت في فلسطين تنتقل إلى سوريا، منعت في سوريا تنتقل إلى مكان آخر، فتح لك باب في أفغانستان، في أي مكان تؤدي فرض العين، ومعلوم باتفاق : أن فرض العين لا يحتاج إلى إذن الوالدين -هذا ظني- وإن كان بعض الناس قد يخالفني، أنا أقول : لا حاجة لإذن الوالدين، إن كان غيره يستطيع إعالتهما والقيام بشأنهما، إن كان غيره يستطيع إعالتهما، أما إذا كانت أمه لها أربعة أولاد أو خمسة يآذن والديه ؟ والله ما يآذن بين كل مليون واحد، لا يآذن نصف واحد، من التي تقول لابنها : اذهب إلى المعركة، ما في أحد قليل جدا جدا، أنا أرى أن لا إذن للوالدين، أما الزوجة، فيجب أن يكفلها، ويجب أن يؤمن لها قوتها، وضرورتها قبل أن يغادر، ولا يغيب عنها كثيرا، والذي يريد أن يجاهد ويتفرغ للجهاد، هناك دور طين، يجب أن يستعد للطين، لأنهم يسكنون في بيوت من طين، فالشيخ سيف، وأحمد شاه، وأمثالهم في بيوت طين وتراب، أما أن تنتقل من أمريكا الشيراتون إلى هناك...

سؤال :

هناك ناس كثيرون يحاولون أن يغيروا معاني أحاديث الجهاد، إلى معنى أن الجهاد يعني الدعوة إلى الله فقط، مثلا كأن يقول : يقول حديث النبي ﷺ (لروحة أو غدوة في سبيل الله

خير من الدنيا وما فيها)¹ فيقولون : أن القصد من هذا الحديث : هو أنه الذي يذهب ويزور الناس ويهديهم فإن هذا ينطبق عليهم معنى الحديث ؟

جواب :

إن جمهور العلماء - إن لم يكونوا شبه إجماع - قالوا : إن كلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت تعني الجهاد، الجهاد...ذبح*.

سؤال : هل توافق مع من يقسمون العالم إلى مجتمعات مكية ومدنية ؟

جواب : لا أوافق..

سؤال :

ما هو الدور الذي تلعبه إيران في القضية الأفغانية ؟ أهو إيجابي أم سلبي ؟ ولماذا ؟ أفيدونا جزاكم الله خيرا.

جواب :

تريدون الصحيح أو ابن عمه ؟* الصحيح أن إيران ليس لها أي دور في المعركة - صفر-، أي دور، لم يقدموا حتى الآن درهما واحدا للمعركة، بل يضيقون على المهاجرين عندهم، نعم هم استقبلوا مليون مهاجر أفغاني جزاهم الله خيرا، لكن الآن بدأت بعض الأسر تهاجر من إيران إلى باكستان بسبب التشديدات في الأموال، إذا أراد الأفغاني أن يرسل إلى أهله من إيران إلى أهله الذين يسكنون في الداخل أو غيرها، يمنعون أن يرسل إلا بنسبة معينة، ولذلك يضطرون إلى حيل كثيرة حتى يستطيعوا أن يرسلوا إلى أهلهم بعض النقود، بالإضافة إلى أنه في الداخل، مناطق الشيعة معظمها معظمها ليس كلها- لم يشترك في القتال حتى الآن، ومعظمها لم يضرب بالدبابات الروسية ولا بالطائرات، رغم أن كل أفغانستان حرثت حراثة، وأحرقت حرقا، بالإضافة إلى بعض المواقف السلبية في الداخل ؛ أنهم أحيانا يأخذون أسلحة المجاهدين إذا دخلوا وهم في الطرقات.. أحيانا، لكن هم كما قلت حتى الآن فاتحين الحدود مع بعض التطبيقات، هم أبعثوا المهاجرين على الحدود، فاتحين الحدود في مناطق (هرات وفراه ونيمروز) وما إلى ذلك، فاتحين الحدود أمام المجاهدين، لم يمنعوهم حتى الآن، أما مال وأما سلاح فلا، وإن أعطوهم سلاحا فبشرط : أن يحملوا مقابل قطعة

¹ - قطعة من حديث صحيح رواه الإمام البخاري ومسلم بلفظ "الغدة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها" (أنظر صحيح الجامع الصغير رقم

السلاح خمس قطع إلى الشيعة في الداخل، الأحزاب الشيعة التي تقاتل : شوري، اتفاق، ونصر وغير ذلك.

سؤال :

نسمع اليوم كثيرا، ونقرأ بأن ما يدور في سوريا ليس جهادا، بل حرب أهلية، وأن ما يدور في أفغانستان ليس جهادا، بل هو ثورة شعبية، فهل هذا صحيح ؟

جواب : ما أقل خيرك * .. الجواب ما أقل خيرك* .

سؤال :

هل من حرج على المسلم أن يشترك في القتال مع منظمة التحرير الفلسطينية، حيث لا يوجد حتى الآن منظمة إسلامية تقاتل هناك - وخاصة فتح فهي علمانية- وما جزاؤه إذا مات في قتال مع العدو الصهيوني ؟

جواب :

ليس من أجل الثورة الفلسطينية القتال، القتال دفاعا عن النفس والعرض والأرض، وهذا واجب .. (من مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون نفسه فهو شهيد)¹، والناس في فتح وفي الثورة طبعاً إن كانوا يعلنون الكفر، خلاص انتهى خالدون في جهنم أبداً، أما إن كانوا أناس عاديين وطيبين، فيبعثون على نياتهم، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يبعثون على نياتهم، وأنا لا أنكر أن هناك بعض الشباب الطيبين، بعض الشباب الطيبين.

حدثني شاب قال : كنا ثمانية نفر حللنا محل الجيش السوري ستة آلاف، ستة آلاف هربوا، فمكثنا محلهم ثمانية، قالوا : السيارة السورية كانت تتسع عشرين، فمن سرعة هربهم كانوا يركبون 120 في السيارات، ففي أول منحنى الطريق تسقط السيارة فيموت نصفهم، قال : أنزل عليها اليهود ستة وأربعين إنزال طائرات، وصددناها، وصددنا أمام اليهود تسعة وأربعين يوماً، ونفذ الماء منا، والدنيا رمضان، وعطشنا كثيرا، وإذا بالله عز وجل يرسل إلينا الطائرات نقذفنا بقذائف ثقيلة، أخرجت النبع من الأرض، فتوضأنا وشربنا.

ففيهم أناس، لكنهم قلة جدا جدا بالقياس مع الأفغانيين، أنا سألت عدة قادة جبهات : هل عندك واحد لا يصلي ؟ قال : لا يوجد واحد لا يصلي، عند واحد عند ثلاثة آلاف ومائتين،

¹ - جزء من حديث صحيح رواه ابن عساكر عن علي (أنظر صحيح الجامع رقم / 4172).

اسمه محمد جل نصري واحد عنده خمسة آلاف، واحد عند ثمانية آلاف، يمكن واحد لا يصلي، قال : لا، عندك أناس يقومون الليل؟ قال : حوالي الربع، هل تقرأون القرآن؟ قال: كل يوم كل مكان يجب أن يختم القرآن عندنا، يقسمون القرآن من الصباح بعد صلاة الفجر عليهم ثلاثين جزءاً، ثلاثين شخصاً، كل واحد يقرأ جزءاً، بحيث يختمون كل يوم ختمة قبل أن يعملوا أي شيء في النهار.

هذا محمد جل نصري، قبل أيام هجم عليهم الروس بقوات ضخمة جداً، واستمرت المعركة ستة عشر يوماً عليهم، بالطائرات والدبابات والصواريخ، وانتصر هؤلاء، انتصر المجاهدون؛ القرآن.. الإسلام.. الصدق.. الصلة بالله عز وجل.. البساطة، ترى الأفغانيين ما يعرفوا فلسفة، ما تعلموا الفلسفة، ناس بسطاء على الفطرة، ليس عندهم ثقافة كثيرة، لكن إذا تكلموا بالحكمة، تحسبهم من حكمتهم أولياء.

وصدقوا أيها الإخوة -ليست مبالغة- أنني عندما أرى مجالسهم أتذكر مجالس السلف الصالح، مجالس الصحابة، أناس بسطاء، كيف طبقوا هذا الدين؟ كيف أقام الله على أيديهم هذا المنهاج؟ كيف هزموا العالم؟ كيف أصبحوا سادة وقادة؟ كيف كان عمر في المدينة المنورة يدير نصف الأرض.. ثلث الأرض؟ كيف كان يدير وهو إنسان بسيط؟ لكنها قدرة رب العالمين وإلهامه إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

هذا السؤال عن الكرامات كما قلت.. أنت لك : أن تنفي قصة أو قصتين أو ثلاث، أما أن تنفي القصص كلها، فهذا جرح في عقيدتك، وخطر على دينك، نحن نقرأ القرآن، ونعلم أن الملائكة قد تنزلوا في بدر، وفي أحد، وفي حنين، نعلمهم.. نسمع قول الله عز وجل يقول :

﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: 125).

قال القرطبي والحسن والبصري : هؤلاء الخمسة آلاف عدة ورد، لكل عسكر صبر واحتساب إلى يوم القيامة، الملائكة جاهزين، في صحيح مسلم : أحد الصحابة -وهو في رواية ابن عباس- أحد الصحابة كان في أثر أحد المشركين، قال : سمعت ضربة سوط، وسمعت واحداً يقول : أقبل حيزوم.. أقبل حيزوم -من فوق- فسقط المشرك أمامي -دون أن يضربه- فنزلت، قال : فرأيت أثر السوط، وقد خطم أنفه ووجهه، واسود ذلك كله، فجاء وقال لرسول الله ﷺ، فقال : صدقت ذلك مدد السماء الثالثة¹.

¹ - رواه مسلم.

وكتبت عن الملائكة - هنا في هذا الكتاب - لأنني قبل أن أذكر كرامات الأفغانيين، تتبعتها من كرامات الصحابة، إلى كرامات التابعين، وعلى الطريق حتى وصلنا كرامات الأفغانيين، عدة أحاديث... يقول سعد بن أبي وقاص في الحديث الصحيح قال : " رأيت يوم أحد اثنين يلبسان البياض، يقاتلان عن رسول الله ﷺ أشد القتال، ما رأيتهما من قبل ولا من بعد، من هم هؤلاء ؟ .. من هم هؤلاء ؟¹ .

في الحديث الحسن كذلك أن عباس بن عبد المطلب كان رجلا بدينا فأسره رجل صغير ضعيف من الصحابة، فعندما جاء به يجره، ضحك الصحابة، قالوا : يا عباس، كيف يأسرك هذا الصغير الضعيف؟ قال: يا رسول الله، والله ما أسرني هذا، أسرني رجل طويل، يلبس البياض، فقال الصحابي : والله يا رسول الله كذب، إنني أنا الذي أسرته، قال : صدقتما، أعانك عليه ملك.

هذا في السنة وفي القرآن، في السنة وفي القرآن، وقصص الصحابة والتابعين التي رواها تيمية في كتابه "الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، قصص عجيبة جدا وكثيرة، فهل تشكون في عقيدة ابن تيمية؟ ثم قبل أن أكتب هذا الكتاب، أرسلت رسالة للشيخ ابن باز، فهل أحد يشك في عقيدة شيخنا الكبير ابن باز، الذي يمثل الفكر السلفي، والعقيدة السلفية الواضحة؟ قلت له : ما رأي فضيلتكم في القصص؟ وقصصت عليه بعض القصص، ثم قابلته، قلت : لقد أرسلت إليك قصصا ماذا ترى فيه؟ فقال : بشرى خيرة، تبشر بنصرهم إن شاء الله.

فإذا كان ابن باز قد أقرّ بها فماذا يريد هؤلاء الأفراخ الصغار؟!

سؤال :

يقال إن هناك بعض الحكومات العربية تدعم المجاهدين، فما رأيكم في ذلك؟

جواب :

نحن لا نعلم حكومة رسمية قدمت للمجاهدين، إنهم يساعدون المهاجرين، الذي رأيناه : الهلال الأحمر السعودي، والهلال الأحمر الكويتي، والهلال الأحمر الكويتي حتى معظمه شعبي، فهو هيئة شعبية قامت بأموال الشعب، والهلال السعودي رسمي، نعم، لكن لا نعلم أنهم قدموا شيئا رسميا للمجاهدين، عدا مساعدات المهاجرين.

سؤال :

¹ - حديث صحيح رواه الشيخان (أنظر الرحيق المختوم صفحة / 301).

هل يجوز استخدام السلاح في إقامة دولة الخلافة، مع أن رسول الله ﷺ يستخدم السلاح في إقامة الدولة إلا بعد أن أقام في المدينة المنورة، وهل عندك دليل شرعي؟

جواب :

﴿أَنْزَلَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج:39).

وإذا كان رسول الله ﷺ آمن به أناس بايعوه، عند البيعة قبل إقامة الدولة (قالوا له: على أي شيء نبايعك؟ قال : على أن تحموني مما تحموا به نساءكم وأبناءكم، قال أحدهم : أن تعضكم السيوف : هناك قتال وقتل، قالوا: ماذا لنا يا رسول الله ؟ قال : لكم الجنة، قالوا : ربح البيع، لا نقييل ولا نستقيل)¹، أما الصحابة رضوان الله عليهم، كان السلاح جزءاً من حياتهم، وكل واحد منهم كان فارساً مدرباً، المجتمع كان مسموحاً فيه استعمال السلاح وحمل السلاح، ولا يخلوا واحد من حمل السلاح، والرسول ﷺ .. هل أقام الدولة منذ أن وطئت قدماه المدينة؟ أو مكث ممددة حتى يركز أركانها بالقتل والقتال، وبالدماء وبالأرواح؟

الرسول ﷺ في رواية - رواها أحد أصحاب السنن - رأى سكة محراث بباب أحد الأنصار، فقال : (ما دخلت هذه بيتاً إلا دخله الذل)² معنى ذلك : الإسلام يمنع الزراعة ؟ إن الإسلام يعتبر الاشتغال بالزراعة جريمة في وقت معركة تتعرض الأمة بكاملها للزوال.

ولذلك كانت كل طاقات الأمة منصبة كلها للقتل.. للقتال، والرسول ﷺ قال لهم : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة) في الحديث الذي رواه أحمد وهو صحيح : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)³. روى ابن رجب في شرحه لهذا الحديث يقول: لقد سمع عمر بن الخطاب أن المجاهدين في فلسطين بعد أن فتحوا فلسطين، زرعوا سهل الحولة بحنطة الزرع، فبعد أن وصل رسول عمر، وأحرق الزرع، بلغهم رسالته : "إن تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع، فرضت الجزية، وعاملتكم معاملة أهل الكتاب، إن أقواتكم مما تستخلصونه من أفواه أعدائكم".

رواية قريبة من عمر إلى عنبسة بن الأسد العنسي، عندما كان حاكماً في حمص أميراً، وقد عمل زرعه، فأرسل إليه مثل هذه الرسالة.

1 - حديث صحيح، (أنظر الرحيق المختوم صفحة / 167-168).

2 - رواه البخاري.

3 - جزء من حديث صحيح رواه أحمد وغيره بلفظ "بعثت بين يدي الساعة بالسيف..." (أنظر الإرواء رقم / 1369).

ولذلك يا إخوة :

كل طاقات الأمة كانت معبأة للجهاد، ورسول الله ﷺ : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة - بالسيف- وجعل رزقي تحت ظل رمحي).

ولذلك من نتائج الجهاد : الرزق، الرزق، وإن كنتم غير مصدقين فكل المشاريع الإنتاجية في العالم العربي، في الأردن، في سوريا، والخطط الخمسية والعشرية وغيرها، هل تساوي مجموع الأموال التي استولى عليها اليهود في يوم واحد، من حيفا أو يافا أو نابلس؟ أجيوا وأنتم تعلمون!.

سؤال :

هل ترى أن للجهاد دور في صقل الجيل الرباني، وكشف الزيف عنه...؟

جواب :

يا سلام.. يا سلام.. يا سلام، إن لم يكن الجهاد يصقل الأرواح فماذا يصقلها؟! إن لم يكن الجهاد هو الذي يبني النفوس فمن بينها!؟

﴿لَمْ * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَأَلْقَدْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت: 1-6).

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

يا إخوة اسمعوا :

هنالك فرصة لمن شاء أن يتبرع، من فاته فرصة التبرع، فلا تنسوا هؤلاء السابقين من الأفغان، لا تنسوهم، فإله سائلكم عنهم.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الرابطة الإيمانية

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد.

فيا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (آل عمران: 103).

والآية تذكر المسلمين بعقد الأخوة بينهم ؛ أن الرابطة التي تجمع بين الناس هي : رابطة العقيدة والدين، لا رابطة التراب والطين.

هذه العقيدة هي التي جمعتهم أول مرة، وصنعت منهم أمة قال الله عز وجل عنها :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (آل عمران: 110).

فهي أول أمة في تاريخ البشرية تتبثق من بين دفتي كتاب، وتصاغ من خلال آيات، وكلمات قالها رب العزة والسموات، أو قالها رسول الكائنات ﷺ .

أول أمة في تاريخ العرب :

أول أمة في تاريخ العرب على الأقل تنشأ من خلال توجيهات ربانية، ومن خلال إرشادات نبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

كانوا ممزقين، وأكبر دليل على تمزقهم : أن أبرهة الحبشة أو الأشرم، أراد أن يغزو أقدس مقدساتهم في الجاهلية وفي الإسلام، هذا البيت العتيق الذي اتفق الناس على حرمة، وهذه الأرض المباركة المقدسة التي ما كان أصحابها يطبقون فراقها حتى في الحج، ما كان أهل مكة يقفون على جبل عرفة، أثناء الحج، لأن جبل عرفة من الحل والمزدلفة من الحرم، فكانوا يأفون ويأبون أن يخرجوا من مزدلفة، ويقفوا على عرفة، ويقولون: كيف نخرج من الحرم؟ ونقف في الحل ؟ حتى نزلت الآية :

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: 199).

أبرهة متوجه لهم الكعبة بعد أن برز أحد العرب في الكنيسة التي بناها أبرهة، وهي كنيسة القليس، ورأى أن يحول حج الناس إليها، فبرز له على منبرها، فأقسم ليهدم البيت الذي يقده العرب، وقد سأل أبرهة : من هذا الذي فعل هذا ؟ قالوا : رجل من الحمص، وكانوا

يسمون أهل مكة من الحمص، فأقسم ليهيمن كعبتهم، لم يجد أحدا يقف في طريقه أبداً، واخترقهم.. اخترق الجزيرة من أقصى الجنوب، من اليمن حتى وصل مكة، لم يقف في وجهه واقف أبداً، ثم مر بالطائف، وتبرع أهل الطائف بتقديم رجل له يدلّه على طريق البيت الحرام وهو (أبو رغال) الذي مات بالمغمد، وما زالت العرب ترحم قبره بعد ذلك.

فلم يكن هنالك أمة اسمها العرب، كانوا ممزقين، وأكبر مثال على هذا: حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، إذ تقوم حروب طاحنة شعواء بين أكبر قبائل العرب على أمر تافه حقير : مثل ناقة البسوس، التي قتلت، أو مثل سباق داحس لفرس الغبراء، وقال زهير بن أبي سلمى :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما

تفانوا ودقوا بينهم عطر منسم

وكل ذلك بسبب : أن الغبراء سبقت في ميدان السباق حسان داحس، فقامت بين عبس وذبيان حروب طاحنة، ما أنهاها إلا تدخل هريم بن سنان، ودفع ديات القتلى حتى يوقف هذه الحرب الضروس، التي طحنت هاتين القبيلتين الكبيرتين.

شروط الخيرية في أمة الإسلام

ثم جاء رسول الله ﷺ، وشكل منهم أمة.. أمة أخرجت للناس، فهي أخرجت إخراجاً، لم تخرج بنفسها، أخرجت من خلال القتال، أخرجت، قدمت للناس من خلال السنة النبوية الشريفة، من خلال التربية النبوية الكريمة، التي رعت هذه الأمة حتى أتت عليها رب العزة وقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ولكن بشروطها :

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 110).

بهذه المبررات تقدمت الأمة المسلمة وسادت البشرية، بالأمر بالمعروف، وبالنهي عن المنكر، وبالإيمان بالله، بهذه الروابط أصبحت أمة، وبهذه المؤهلات تقدمت للبشرية فأنقذتها.

الله -كما قال رباعي- الله ابتعثنا -لم يقل جئنا-... الله ابتعثنا : لنخرج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وبقيت الأمة -بهذه المؤهلات، وبهذه الأسباب- سيدة الأرض كلها، ربحا كبيرا من الزمن، وقرونا تصل إلى ثلاثة عشر قرناً، حتى قال الله عز وجل عنهم :

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: 10)

أي بذكر من هذا القرآن تذكرون بين الأمم، وبتمسككم بهذا الكتاب، تتمسك بكم الأمم، وإذا نسي هذا الكتاب، نسيتم في المعمورة بين الناس أجمعين.

الأعداء يدركون :

وبقينا نحكم الدنيا قرونا بهذا الدين، رابطتنا هي العقيدة ؛ ملاكها المحبة في الله، وشاؤها الأخوة في الله، عنوانها لتكون كلمة الله هي العليا، أهدافها الموت في سبيل الله أسمى أمانينا، هذه الروابط، وهذه الأمانى، هي التي قدمت هذه الأمة للبشرية، وقد أدرك أعداؤنا منا هذا، ولذلك أرادوا عن بكرة أبيهم، وتواصوا فيما بينهم منذ أن غلب لويس التاسع في المنصورة، وأسره شعب أمي بسيط، في قرية في مصر، اسمها المنصورة، هزم... وأسر... وهو مدجج بالسلاح، في سور من الحراس تحميه، ولكن الشعب الذي حركه الإيمان، ودفعته الغيرة الدينية، هزم أبناء فرنسا المدججين في الحروب الصليبية، وأسر ملكهم لويس التاسع، وألقي رهين السجن في دار لقمان بالمنصورة، وعندما فكر طويلا كيف يمكننا أن نهزم مثل هذا الشعب؟ كيف يمكننا أن نتغلب على هذه الشعوب الإسلامية؟ وأوصى بعد إطلاقه وعودته إلى أوروبا : أنه لابد لكم أن تسحبوا هذه الروح التي تسري في أوصالهم، هذه الحياة التي تحيا بها قلوبهم، وتتبض بها أفئدتهم وهو هذا الدين، وتضعوا مكانه روابط جديدة وشائج جديدة عليه.

ثم جاء بعدها نابليون، وجاء بعده كلادستون رئيس وزراء بريطانيا، الذي يقف في مجلس العموم البريطاني، ويرفع الكتاب ويقول : ما دام هذا الكتاب بين يدي المسلمين فلن تستطيعوا أن تستقروا بأقدامكم بين المسلمين، وأوصى كلادستون أي يسحب القرآن من بين يدي المسلمين عملا لا علما، وواقعا لا كلمات، يجب أن تغيب آثار معاني القرآن في حياة المسلمين.

وجاء قبله نابليون، وعندما هزم نابليون، وقتل كليبر على يد سليمان الحلبي أحد جنود الأزهر، بعد أن داست سنابك خيل نابليون بسط الأزهر، ووقف الشعب المصري المسلم يحركه الأزهر، وقفات تغنى الدهر بأشعارها، وسارت الركبان بذكر أبطالها، أدرك أن هذا المسجد القديم بالحجارة البالية، والملاط المتناثر ؛ أنه له قوة وروح تسري في أوصال هذا الشعب، كما يفعل بهم فعل السحر.

وهكذا أساليب الطغاة

ولذلك اضطر نابليون في آخر وجوده، آخر فترة وجوده في مصر، أن يلبس العمامة والجبّة، وأن يظاهر بالإسلام، وأن يجلس مع مجلس الأزهر يومين في الأسبوع، وتظاهر بالإسلام، وأعلن إسلامه، طبعاً نفاقاً لا حياً، وخضوعاً لا رغبة، وانبتاقاً ذاتياً، كما يفعل الآن نجيب، نجيب كان يقول : لا تقولوا لي نجيب الله، أنا نجيب، لأنه يرأس الحزب الشيوعي في جامعة كابل، وكان يرفض أن يقال له نجيب الله، وتحت ضربات مطارق المجاهدين، وبسبب الهزائم المتوالية على رأسه، اضطر أن يعود مرة أخرى، وعلى شاشة التلفاز يقول : لا تقولوا لي نجيب، أنا نجيب الله، واضطر أن يصدر مرسوماً يعلن فيه : من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته، ولو رأيتهم وهم يحملون العصي كالمطوعين، الشيوعيون يحملون العصي، يسوقون الناس بالعصا كل صلاة إلى المسجد، كل ذلك خضوعاً وذلاً بعد أن أيقظته ضربات المجاهدين على رأسه ؛ أنّ هذا الشعب..شعب مسلم، لا يفهم لغة لينين ولا ستالين، لا يفهم إلا لغة القرآن الكريم، ولا يفهم إلا لغة الرسول العربي المبين ﷺ .

ولذا فعندما يشتد بهؤلاء الطغاة، يشتد الحال، ينظرون إلى الأحوال من حولهم ؛ ليخاطبوا الشعب باللغة التي يفهمها، ولذا ليس عجباً أن أواجه في العالم العربي بأسئلة : هل يجوز لكم أن تقاتلوا نجيباً، وقد أعلن الشهادتين، وهو يصلي، وهو يحض الناس على الصلاة ؟ نعم.. استطاع أن يخدع بعض المغفلين وهم لا يعلمون أنه لا زال رئيساً للحزب الشيوعي، ولا زال رئيساً للجنة التنفيذية في هذا الحزب، ولا زال الأمين العام للحزب، ولا زال يقود كتائب الحزب ؛ ليجتث هذا الدين من جذوره في داخل أفغانستان.

ومن هنا تجمعت جحافل الصليبيين علينا، الصليبيون الجدد باسم القومية، وباسم الاشتراكية، وباسم الشيوعية.

وهكذا الأعداء في كل عصر :

لورنس يقول في مذكراته (أعمدة الحكم السبعة) قال : الذي يدور في ذهني وأنا متوجه من بريطانيا إلى الشرق : هل يمكن لنا أن نستبدل هذا الشعب روابطه القومية بالروابط الإسلامية ؟ هل يمكننا أن نزيل من صدره أخوة الإسلام بالنسبة للمسلمين، وأن نزرع مكانها قيماً جديدة ؟ أنه عربي يربطه بالعرب روابط اللغة والنسب، ووشائج اللغة، والتاريخ وغيرها.

كانت أحلاماً تراود مخيلة لورانس وهو متجه إلى الشرق ليقود فيما بعد الثورة العربية، وليقول عنه العرب : ملك الصحراء العربية، وملك الصحراء غير المتوج، هو الذي دفع العرب ليعلموها عربية قومية ضد الأتراك، ونجحت أماني لورانس، وأصبحت أحلامه واقعة،

ووقف المسلمون أمام المسلمين، وقف المسلمون العرب أمام المسلمين الأتراك ؛ يذبّونهم بجانب بريطانيا، إرضاء لشهواتها، وطمعا لأماني معسولة، كتبوا للشريف حسين ؛ أنه سيصبح ملك الأمة العربية، وبعد أن هزمت تركيا، وانتصرت بريطانيا، ودخل النبي القدس في شهر سبتمبر أو أكتوبر 1917، وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية، الآن دخل النبي القائد الإنجليزي القدس، وقال : انتهت الحروب الصليبية.

ماذا فعلوا ؟ أمسكوا بالشريف ونفوه إلى قبرص، ثم إلى خيمة مسجوننا وحيدا على شاطئ العقبة حتى انتهى.. حتى مات، ومزقوا هذه الأمة شذرا مذرا، وتفرق الناس أيدي سبأ، لا يجمعهم عقيدة، ولا يربطهم دين، ولا يلمهم وشيعة، تفرقوا بعد أن غابت تلك المنارة، بعد أن تقطعت تلك الأواصر، بعد أن ضاعت تلك الروابط.. روابط الدين، روابط العقيدة، حتى حزن نصراني على ما أصاب المسلمين وقال -بشارة الخوري- :

سائل العلياء عنا والزمانا

هل خفرنا ذمة مذ عرفانا

قل لجنيول إذا عاتبته

سوف تدعوننا ولكن لا ترانا

يوم نادانا فلبينا النداء

وتركنا نهية الدين ورانا

رواد القومية العربية

أقول : من الذين مزقوا روابطنا ؟ من الذين فكروا بهذا ؟ أعداؤنا يوم أن اقتلعوا هذه الجذور العميقة في تاريخنا، يوم أن قطعوا حبال المودة والأخوة والمحبة، التي تلف الدنيا بأسرها، مجموعة من النصارى يعيشون في لبنان، فكروا بهذا -بالقومية العربية- ليضعوها روابط جديدة مكان روابط الإسلام، وكان برأس هؤلاء إبراهيم اليازجي، وأبوه ناصيف اليازجي، وشاهين مكاربوس وغيرهم، إلياس حبالين، ونمت فكرة القومية العربية في داخل الجامعة الأمريكية، يرهاها خمسة من الشباب النصارى، ويوزعون المنشورات السرية ضد تركيا المسلمة، وضد الخلافة الإسلامية، وكان (الشيخ!!.. الشيخ ناصيف اليازجي) و(الشيخ!! إبراهيم اليازجي)، والله وأنا صغير، وكانوا يعلموننا في المدارس الشيخ إبراهيم ظننته أحد علماء الإسلام الكبار، وما عرفت أنه نصراني إلا بعد أن درست في كلية الشريعة، كنت أظن

أن إبراهيم اليازجي أحد علماء الأزهر المرموقين، ولم أعلم أن من رهبان النصارى الحاقدين،
كان يقول إبراهيم :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب

لقد طمى السيل حتى غاصت الركب

أقداركم في عيون الترك نازلة

وحقكم بين أيدي الترك منتهب

فهم يثيرون الناس على الأتراك، والأتراك هم الذين يمثلون الإسلام، وفيهم الخلافة، ومنهم
ال خليفة والسلطان، فبدأت القومية تنمو من خلال كراهية العرب للأتراك، وواجههم الأتراك
برد الفعل، فأنشئت في تركيا جمعيات تركيا الفتاة، وجمعيات الاتحاد والترقي، أن هذه الدولة
تركية، ولا بد من التتريك، والعرب هؤلاء خونة، إنهم يحاربوننا ؛ لأننا أتراك، والذين قتلهم
جمال باشا رغم أن جما باشا من الماسونيين- إلا أن الذين قتلهم، وقيل لهم ما قيل في جمال
باشا السفاح وما إلى ذلك، كل الذين قتلهم من سوريا، وفلسطين وغيرهم، كلهم وجدهم
يتعاملون مع السفارة الفرنسية، والسفارة البريطانية وبوثائق، يتعاونون مع البريطانيين
والفرنسيين ضد الأتراك المسلمين.

وتقطع الناس، وتفرقوا أيدي سبأ بهذه القومية، وجاءت الانقلابات العسكرية، ونادت باسم
القومية، والدنيا كلها تشير إليهم من بعيد ؛ أن لا تقربوا من الإسلام؛ لأنكم إن اقتربتم من
الإسلام سنمزقكم، ونطيح بكم، وننل عروشكم، وجودكم مرهون بالحرب على الإسلام،
وجودكم مرهون وموقوف برفع شعائر غير شعائر الإسلام، ومن هنا كان كل الذين يحاربون
الإسلام في المنطقة يُرفعون ويُجلون، ويضخمون، وكل الذين يدعون إلى الإسلام أو به
يتمسكون يغمرون، ويطمسون، ويطحنون فوق أي بقعة وتحت أي سماء.

النميري كإسلافه من الطغاة :

أنظر النميري ؛ النميري وجد الوضع متهاويا، والاقتصاد منهارا، والمجتمع متمزقا،
والشيوعيون يسعون لاقتلعه، وللإطاحة به، ففكر، أو فكر له بعض الناس، ما النجاة من هذا
؟ قالوا : لا نجاة لك إلا بأن تتادي بالإسلام، وبدأ النميري ينادي بالإسلام كتجربة للإنقاذ،
وكوسيلة للخلاص تحت هذا الشعار، ثم بدأ الناس المسلمون المخلصون يتجمعون حوله،
واستعان ببعض المسلمين، وأعلن أننا نريد أن نحكم بالشرعية، وإذا بالأرض غير الأرض،
تكررت له الدنيا بأسرها، وأوقف الصندوق الدولي دعمه له، وجمع اليهود الجنيه السوداني،

واشتروه بثمنه وأنزلوه في السوق بأرخص الأثمان حتى تحطم الاقتصاد نهائياً، فبعد أن كان الجنيه بعدة ريالات، في فترة قليلة وإذا بالجنيه أقل من نصف ريال... وقطعت العلاقات بينه وبين الدنيا عربا وعجما، مسلمين وكفاراً، وكثرت الخطوب في وجهه، أغلقت عليه المنافذ، وأحصن عليه الحصار، ولم يعد أحد يستطيع يتبسم في وجهه، وعندها مد يده إلى الصندوق الدولي، فجاء بوش بنفسه -هذا الرئيس الأمريكي كان نائبا سابقا- وجاء، قال : نعطيك بشروط :

- الشرط الأول : أن توقف قضية تطبيق الشريعة.
- الشرط الثاني : أن تبعد الجماعة الإسلامية التي يرأسها الترابي.
- الشرط الثالث : أنك تعطينا قطعة ندفن بها نفايات التجارب النووية.
- الشرط الرابع : أ، تفتح السودان لهجرة يهود الفلاشا من الحبشة ؛ حتى ينسابوا إلى فلسطين.

وأصبحت الصحف العربية لا تتكلم في الدنيا إلا عن المجاعة في الحبشة، وأصبح الناس في كل مكان يتباكون، إن كانوا مسلمين يتباكون على الذين يموتون جوعا في شوارع أديس أبابا، وإذا كانوا كفارا سيكون على النصارى الذين يموتون إملاقا وفاقة... وفجأة، وبعد أن تباكى الناس، ورسمت الطريق، وإذا بيهود الفلاشا ينسابون من خلال السودان ليصلوا إلى فلسطين.

وعندما وافق معهم النميري، وأبعد الجماعة الإسلامية، وأوقف تطبيق الشريعة، ووافق على ما افترضوه عليه، ذهب إلى مصر أنهى مهمته، وأبقوه هناك، ذهب بذل الدنيا والآخرة، وخزي الدنيا والآخرة، وجاء نظام جديد، نظام سوار الذهب ؛ الذي أطاح بنميري، وهو الشخص الوحيد الذي رأيناه في العصر الحديث يتنازل عن عرشه برضاه ليسلمه للشعب، إذا أخرجوا حكومة جديدة.

العداء الأمريكي للإسلام :

وأمدوا جنوب السودان، أمدوا قرنق، وقرنق نصراني عدو الله ولرسوله، يمدد كل العالم لمحاربة المسلمين في السودان، وعندما بلغ السيل الزبي، وازدادت الخطوب، واهتزت أرض السودان، وارتفعت الحاجات في كل مكان، قام انقلاب عسكري جديد، واعترفت به كثير من الدول العالمية، والسبب ؛ أنه بدأ بالترابي، ووضع في السجن، ووضع صادق المهدي في

السجن، ووضع بعض الإسلاميين في السجن، فقال الناس : إذا هذا عدو الله ورسوله، بدأوا يساعدونه.

عندما بدأت بعض الأخبار تصلهم : أن هذا الرجل خدعكم هذا حسن بشير، هذا خدعكم، وهذا شاب ميوله إسلامية، وعاطفته إسلامية، وحوله شباب يقيمون الصلاة، لم نجد أناسا منهم يشربون الخمر أو يزنون، وهذه من علامات التجريح عند الغرب، إذ بدأوا الآن يتريثون بالأمر، وجاء كارتر بنفسه إلى الحبشة ؛ ليرعى مرة أخرى عوامل التنصير في الحبشة، وعوامل دعم قرنق وجنوب السودان، ليواصل معركته ضد النظام القائم.

كارتر بنفسه الآن في الحبشة، يقود معركة التنصير والتكفير، والتدمير لهذا الدين، فهي معركة واحد في كل مكان على هذا الدين، حيثما كانت الرابطة رابطة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحيثما كانت الوشيحة هي هذا الكتاب، وهذه السنة النبوية الشريفة، وهذا هو الأمر الذي يحصل الآن تماما في داخل أفغانستان، بعد أن تداعت عليهم الأمم من كل جانب، وقرنوا بين الشيوعية وبين الإسلام.

تقول جريدة شيكاغو صندي تايمز : إن الشيوعية فكرة غريبة، وبإمكاننا أن نتفاهم معها، أما الإسلام فلا تفاهم معه إلا بالحديد والنار.

ومن هنا قرنوا بين نجيب وبين المجاهدين بين هؤلاء الشباب الذي يقودون مسيرة الجهاد، ممن يسمونهم بالأصوليين -أي الذين يريدون الرجوع إلى الكتاب والسنة- وبين الشيوعيين، فوجدوا أن نجيبا يمكن أن يشتري، ويمكن أي يتفاهم معه، ويمكن أن يُقايض عليه مع الاتحاد السوفيتي، ويمكن أن يباع، أما هؤلاء بعد أن نثروا كنانتهم وغمزوا عودهم، وجدوا أنهم لا يباعون ولا يُشترون.

المؤامرة العالمية ضد الجهاد الأفغاني

ولذلك أحكمت الأرض كلها خناقها عليهم، وأطبقت الكروب كلها تخنقهم، وتحاصرهم من كل جانب، أثاروا لهم مشاكل في الداخل، مشاكل في الخارج، ألّبوا عليهم الدول الصديقة التي تحيط بهم، حركوا الدول التي كذلك تحيط بهم ولم تقدم لهم خيرا طيلة الوقت، وأصبح الإعلام لا يتكلم إلا عن تشويه هؤلاء القادة، ولو ذهبت تنتظر في الصحف الغربية قلما يمر يوم دون مهاجمة هؤلاء القادة، وبالذات حكمتيار، كل الصحف الغربية باستمرار تحرق شخصياتهم، تحطمها، تريد أن تنهباها، وكذلك قالوا : هذه محاولات عامة، أما التصفية الجسدية فلا بد منها، فالمؤامرة العالمية الآن هي التصفية الجسدية لهؤلاء القادة، لأنهم وجدوا أن الذي في أدمغتهم لا يزول إلا بإزالة رؤوسهم، وكل يوم البوليس الباكستاني -بعض المخلصين منهم- يكتشفون

مؤامرات غربية وشرقية، يقولون لهم : انتبهوا !! هنالك مؤامرة الآن لاغتيالكم، لقتلكم، انقلوا أماكنكم، غيروا سياراتكم، غيروا عمائمكم، غيروا لباسكم، غيروا أماكن تواجدكم، لا تعطوا موعدا ثابتا، لا تحضروا المهرجانات العامة، لا تخطبوا في الجماهير، ولذلك عجبت كيف غاب الشيخ حكمتيار ورباني عن جنازة الشيخ تميم، ما وجدت جوابا إلا هذا، أنهم لم يستطيعوا أن يحضروا الجنازة ؛ لأن المنبئين الآن من الغربيين ذوي الوجوه الأفغانية كثيرون في الساحة ؛ وظيفتهم قتل هؤلاء القادة، والمطلوب هو تشويه الجهاد الآن، حرق قادته، الطعن في أفذاذه، لأسباب ثلاثة :

السبب الأول : مسح آثار هذا الجهاد في أعماق الأمة المسلمة، حتى لا يبقى قدوة يقتدى بها، وأسوة تترسم خطاها، ويحتذى أثرها، لا بد من مسح عقيدة التوكل التي صنعها هذا الجهاد عبر السنين بالجماجم والأشلاء، وبالأرواح وبالدماء.

الهدف الثاني : أن تعود قضية أفغانستان قضية محلية قومية، يمكن أن تبتلع دون أن تثير مشاعر المسلمين، ولا أن تحرك جماهيرهم ممن يتعاطفون معها، بعد أن تقطع الروابط من خلال تشويه الجهاد بالإعلام بين هذه الجماهير، وبين هذا الجهاد، فبعد أن تنطفئ روح المحبة في نفوس الناس لهذا الجهاد، وبعد أن يصبح القادة مضغة يلوكها المتشددون، والمتفككون في داخل المجالس، إذا قتل رباني أو حكمتيار أو سيف أو خالص، ماذا هم ؟ أناس يتصارعون على الكراسي، وتحركهم الأهواء، وانتهى القتال، والحرب أهلية، فلا بأس فقد قتل حكمتيار ؛ هذا الذي سيدور في أذهان الأمة المسلمة بعد أن ينجح الغرب فيما يرمي إليه من خلال إعلامه، ومن خلال الصحف العربية التي تردد ما يردده الغرب، ووكالات أنبائه.. ماذا ؟ قتل حكمتيار هذا جزاؤه، لقد قتل مئات المسلمين في داخل أفغانستان، قتل سيف، قتل خالص، رباني، لا بأس، هؤلاء قوم لا يريدون وجه الله، ولعل قتلهم يكون خيرا للمسلمين، ويتحد الأفغان بعد أن يقتل هؤلاء.

نعم.. هذا يدور الآن في أذهان الذين في الساحة العربية، والصحف اليسارية في الدول العربية تركز على هذا المعنى، وتزيده قرارا في الأعماق، وبعض الناس من الجهلة أو الغافلين -بصدق، وبحسن نية، أو بجهل، أو بغير ذلك- أو حاقد، هؤلاء يزيدون النار اشتعالا، ويؤذون نفس الغرض الذي تريده أمريكا والغرب ؛ حرق القادة، تشويه الأفذاذ، تحطيم هذا الجهاد.

ومن هنا الناس لم يعودوا يتفاعلون بهذا الجهاد كما كانوا يتفاعلون، الصحف اليسارية رأيتها في العالم العربي، تكره الإسلام قطعا، لكنها تريد أن تشكك بالإسلام من خلال التجربة

الإسلامية الأفغانية، تريد أن تدمر آمال هذه الأمة من خلال تدمير هذه الشخصيات التي أصبحت حديث السامر، وهداء الركبان على الطريق الطويل.

القضية الثالثة : يريدون أن يكفوا أيدي المحسنين المسلمين من التجار السعوديين والكويتيين والخليجيين، يريدون أن يكفوا أيديهم عن البذل لهذا الجهاد ؛ حتى تكتمل حلقات هذه الخطة، وحتى يخنق هذا الجهاد، ويصبح رهن أيديهم، وحتى يضعوه بين فكي الكماشة.

قلت لبعض اليساريين أو لبعض المسؤولين من الصحفيين في العالم العربي، قلت لهم : لينكم تقفون مع قضية أفغانستان كما وقفتم مع قضية فيتنام، هل الشعب الفيتنامي أقرب لكم من الشعب الأفغاني ؟ لماذا كنتم متحمسين ؟ لا يمر يوم إلا وتطالعونا بعجائب البطولات التي تجري من قبل جيش (فيتكونج) و(هوشي منه)، والآن أنتم لا تتبعون إلا السوءات، لا تتبعون ولا تتشرون إلا العورات !! أين أخوة الإسلام إن كنا مسلمين ؟ قلت لهم : كل من يحارب الجهاد الأفغاني أحد اثنين : إما جاهل فيعلم، وإما حاقد فهو خارج عن الإسلام...

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: 45).

إذا ذكر نجيب يستبشرون ويفرحون، وإذا ذكر المجاهدون الذين تعتر السماء بهم، إنهم يناطحون السحاب عزة، هؤلاء الذين هم يقفون أمام الدنيا، يخنقون كابل هكذا، ويحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم، ويمنعون القوافل منذ أواسط أغسطس حتى الآن، أن تمر شاحنة عبر طريق حيرتان/سالانج/كابل، أن تصل إلى كابل، ودمأؤهم، وجماجمهم سد حمى الأمة المسلمة من الطوفان الأحمر الذي كاد يعرق الأرض بأسرها، وحمى أرض البترول، وحمى المياه الدافئة، وحمى المسلمين في كل مكان، هؤلاء أرخص عليكم، وأقل من شعب فيتنام ؟ الذين لا زلتم تتغنون ببطولاته، وتحدثون بقصصه، لكن هو (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) أولئك...

﴿إِنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ (القلم: 51).

يرمونك بنظرات شذرة، ويثيرون عليك.

عجيب أن بعض الصحف في الكويت قبل أيام لا زالت تحبي مقابلات مع آباء شباب من العرب أسروا قبل سنوات، فقط حتى تتدد بنا، وتتبه أن هذا الشعب الفلسطيني، يا أهالي الرجال، يا آباء هؤلاء الشباب، لماذا يذهب الشاب الفلسطيني إلى كابل، وهذه المعركة مشتعلة في بيت المقدس، لولا التغرير بهؤلاء الجهلة، الذين يصحبهم بعض تجار الموت، ليلقون بهم بين فكي الردى في ساحات جلال آباد، وفي معركة كابل.

يا أيها الإخوة :

انتبهوا!!! القضية كبيرة، والمعركة لا زالت منتصرة، وبجانب المجاهدين، لكن الإعلام لكثرة ما نشر نكاد نحن نصدق الإعلام، نحن الذين نعيش مع الجهاد نكاد نشك بمعلوماتنا، وبالحقائق التي بين جوانحنا، ولذلك قلت لكم، وأقول لكم : إسألوا كثيرا عن هؤلاء القادة، ما من قائد إلا وله عيوب، فأقول لهم : أما تريدون إحساسي الداخلي، فهؤلاء القادة الذين في داخل أفغانستان أو خارج أفغانستان، وتعيبون عليهم، وتتهمونهم، ما أحس به من خلال معاشتي لهم : أنني أشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي أحد هؤلاء أن أجلس بجانبه، فأنتم تنظرون إلى الهالات التي في بلدانكم، ولم يبق إلا أن تقدسوه، أما أولئك الذين صنعوا التاريخ بدمائهم، وخطوه بنجيعهم، هؤلاء أرخص عليكم من حكام بلادكم الذين تمدحونهم، وتذكرون محاسنهم، وتبجلونهم في حضورهم وغيابهم، وهؤلاء أقل من هؤلاء الذي يعيشون حكاما، ولم يصنعوا واحدا بالمائة.. بالألف مما صنع هؤلاء.

فاتقوا الله في أنفسكم، وأذكر هنا كلمة سعيد بن المسيب سيد التابعين : "إنه ما من شريف، ولا عالم، ولا صاحب فضل، إلا وعنده نقص، فإذا كثرت حسناتهم على نقائصهم فإن نقصهم يوهب لحسناتهم"، وكلمة ابن القيم وهو يقول : "وإذا كان للإنسان أثر ظاهر في الإسلام، وكثرت حسناته، فإنه يغتفر له ما لا يغتفر لغيره، ويغضى عن عيوبه ما لا يغضى عن عيوب غيره، فإن النقص خبث، وإن الذنب خبث، وإذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث.

في الحديث الشريف الصحيح : (إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث) أي لم يحمل النجس، فإذا بلغ الماء برميلا -أي عشر تنكات من الماء مائتي لتر- ونزلت فيه يد طفل منجسة، أو بال فيه طفل صغير، فإنه لا ينجسه، لأن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث.

وهؤلاء بلغت حسناتهم ليس القلتين بلغت حسناتهم ما يسير به الراكب ما بين المشرقين وما بين المغربين، فيغتفر لهم ما لا يغتفر لغيرهم، ويغضى عنهم من الهفوات ما لا يغض عن هفوات القاعدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله و على آله وصحبه ومن والاه.

الأفغان قوم مسلمون باتفاق جميع العلماء الذين يعتد برأيهم، ولم يتجرأ عالم من العلماء في الأرض من المعاصرين ممن يؤخذ رأيهم، ويستفتون، أنه قال أن هذا شعب كافر، فهو شعب

مسلم، يربطنا به أخوة الإسلام، فعقد الأخوة قائم بيننا وبينهم، ولنفرض أنه لم يخض هذا الجهاد المشرف، ولم يصل إلى هذه النتيجة التي تعتر بها الجوزاء، وتطاول بها فخرا عنان السماء، لنفرض أنه لم يصل إلى هذه النتيجة، لنفرض أنه هزم... أنه هزم أمام الروس، ولم يستطع أن يصمد بضعة عشر عاما أمام هذه القوى المدججة بالسلاح، بل سقط، عقد الأخوة الإيمانية القائمة بيننا وبينه، ويوجب علينا نصرته، ويوجب علينا مساعدته، ويوجب علينا محبته، ويوجب علينا كراهية مضرته، ويوجب علينا حب نصرته ويوجب علينا أن نعيش بمشاعر الأمل بالنصر له، لا يجوز لنا أن نخذله، ولا يجوز لنا أن نتركه لأعدائه، ولا يجوز لنا أن نقطع مساعداته مهما كان الطرف، ومهما كان الإعلام... (المسلم أخو المسلم لا يسلمه -يعذله- ولا يخذله -عند شدته- لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وأن يظن به إلا خيرا وأحب الناس إلى الله أنفعهم إلى الناس وأحب عمل تقدمه إلى الله -حديث صحيح- سرور تدخله على قلب مسلم) (من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.. يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته)، كما قال عيسى للحواريين من حوله، قال لهم : أرأيتم أخوا لكم نائما وانكشفت ثيابه عن عورته، ماذا تصنعون به ت؟ أتريدون كشفها، أم تسترون عورته ؟ قالوا : بل نستتر عورته، ونغطي عليه ثيابه، قال: لا إنكم تزيدون كشف سواته وتبين عورته ؛ لأنكم وجدتم من أخيكم زللا زدتموه وفضحتموه، وما سترتموه.

والشافعي يقول : "أخوك الذي يسد خللك، ويستتر ذلك" .. أخوك الذي يسد خللك، ويستتر ذلك.

ونحن قوم شرفنا الله أن سمحوا لنا بالجهاد معهم، شرفنا الله بخدمة هؤلاء، وما من عالم ولا شريف، ولا ذي فضل إلا وله النقص، والنقص يوجب للإنسان، وهب للمسيئين المحسنين، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وحسناتها بحر طام، فهو الأولو في سيئاتهم التي تبدوا لصغار العقول، أو لمن ينظرون نظرة قريبة صغيرة، فيهلولونها ويعظمونها ولا يدرون أنهم لأعدائنا خادمون، ولهدف الكفار مؤدون دون أن يعلموا، ويحسبون أنهم يحسنون ما يصنعون.

حديث للشباب المسلم

موقعك من الجهاد

الجهاد يحتاج أن تتذكر أنك أنت ومالك ونفسك وعزتك وجاهك وصحتك من من رب العالمين، فلا بد أ، تقدم شيئاً لرب العالمين، فإن جاهدت فأنت سعيد في حالة الجهاد، وفي النتيجة أنت سعيد لأنه إما النصر أو الشهادة.

الجهاد لا يحتاج إلى أن تنظر إلى البشر ولا إلى أن تنظر إلى الدنيا..

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة: 54).

﴿فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (المائدة: 44).

فتحتاج أن تبحث عن المؤمنين وتواليهم وتقف معهم، وخير الناس من الأولياء والمؤمنين هم الذين في المعركة، هؤلاء هم أولياء الله..

ولذلك، كانوا إذا وقعت بهم مشكلة يقولون إسألوا أهل الثغور فإنهم يفتح عليهم، هؤلاء الذين يفهمون الإجابة، إذا.. المعركة مفتوحة، ولا عذر لأحد، لا عذر لأحد أن يتخلف عن مساعدتهم بما يستطيع، ولو بكلمة، ولو أن أجلس معهم أراهم في الأسبوع، مرة يشعرون أنني بجانبهم، ولو أن أحضهم بكلمة، أن أقدم شيئاً، لا المال يسد، ولا الكلام يسد، ولا الخطاب يسد، لا يسد مسدك إلا أنت، فالثغر مفتوح، وأنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك، ولا يضيع عليك شيء، والدنيا تقبل عليك بالجهاد، حتى الدنيا، الفلوس تقبل عليك بالجهاد...

فضل الهجرة

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (النحل: 41)

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: 100).

التراب كثير، والسعة والفلوس كثيرة..

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

﴿(النساء: 100)

إذا مت في بيشاور وقع أجرك على الله، لأنك خرجت من بيتك مهاجراً إلى الله ورسوله (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) ثم يزيد رب العالمين (وكان الله غفوراً رحيماً) مغفرة ورحمة، لأنك خرجت مهاجراً إلى الله

ورسوله، مت على الطريق فأنت مع نيتك، مت في بيشاور أنت محبوس للجهاد، فأنت مرابط، مت في ترمنكل، مت في طريق إسلام آباد، في الطائرة، في أي مكاني، فقد وقع أجره على الله، لأنك خرجت من بيتك مهاجرا إلى الله ورسوله فأدركك الموت..

﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ (الحج: 58).

ماتوا في بيشاور أو في إسلام آباد، أو قتلوا (الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا) ليس (قتلوا) فقط..

﴿أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (الحج: 58-59).

سيدخلهم الجنة إن شاء الله سيدخله الله الجنة (لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ) والمدخل الذي يرضونه هو الجنة.

قيمة الوقت في الرباط

فانثبوا ولا تضيعوا أوقاتكم، ولا تدعوا الشيطان يتسلل إلى قلوبكم، فأنت مهاجر، ومرابط، وخرجت في سبيل الله من بيتك، مهاجرا في سبيل الله، فإن أدركك الموت فأنت على ما خرجت عليه، وبيعتك الله على نيتك وخاتمتك التي ختمت عليه، فنومه ونبيهه أجر كله، و(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل)¹، كل يوم هنا بألف يوم في بلادك، اليوم بألف، حديث حسن رواه عثمان ؓ : (رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه) كل يوم بشهر، إحسب، الشهر بثلاثين شهرا، مائة يوم بمائة شهر، فكلما ربطت نفسك فإنما تربطها في بحر من الحسنات، فاجمع ما شئت، إجمع...! استبقوا الخيرات، ربنا فاتح (أوكزيون) هنا... سوق، تعالوا استبقوا الخيرات، أين تذهبون ؟ فاستبقوا الخيرات ! أبواب الجنة مفتوحة، مفتوحة هنا على حديد أفغانستان، ما لكم ؟

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة: 38)

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر: 41)

أين تذهبون ؟ أين ذهبت عقولكم ؟ الله يناديكم، يناديكم، يدعوكم..

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: 25).

يوزع بطاقات دعوة، أين تتركون مائدة الله؟ وأين تتركون جبل الله؟ وأين تتركون كلمة الله عز وجل؟ وتغركم الدنيا.

فيا أيها الإخوة :

اشتغلوا بالطاعة، فتدخل الطاعة على الطاعة، ويزيد الثواب على الثواب، القرآن الكريم، كل يوم جزء، قيام الليل إذا استطعت، صلاة الجماعة، الذكر، عدم الكلام إلا بالخير، الصحبة الطيبة باستمرار، المطالعة في دين الله، تربية الروح بالعبادة، تربية الجسد بالرياضة، وتربية العقل بالثقافة، واجعلوا نياتكم خالصة لله؛ أنها هجرة لله وفي سبيل الله، ولعل الله عز وجل يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، إنه كريم جواد حلِيم.

ذكريات

... في نيسان 1970 كان العيد المائة لميلاد لينين،، كل الجبهات الفدائية الفلسطينية أقامت احتفالا بعيد لينين، استمر الاحتفال سبعة أيام في أمانة العاصمة في عمان، والدولة لم تستطع أن تفعل شيئا؛ لأن المنظمات كانت تسيطر على البلد، وجاءوا بمئات الألوف من صور لينين، وما تركوا مفرق شارع ولا باب حانوت إلا ولوثوه بصورة لينين، ومن الرجل الذي يجرؤ أن يعترض لأنه يموت، الذي يلصق (صور لينين) في كتفه كلاشنكوف، إذا قال له أحد : لا تلصق هذا، قد يقتل.

أنا يومها تألمت كثيرا، فذهبت إلى المسجد، كنت في الأردن عائدا من القاعدة، فقالوا : اخطب، كانوا يحبون أن أخطب، فكنت عادة إذا خطبت خارج المدينة أخطب وأنا حامل كلاشنكوف أتكى على كلاشنكوف، لأنه لا تشعر أن هنالك أحد أعز منك، سلاحك جنبك، مسدسك على جنبك، لابس (الكاكي)، غير سائل عن شيء في الدنيا، تقول ما شئت متى شئت، لا يعترضك معترض.. من الذي يعترض، نعم متى شئت كيف شئت، عايش ملك، فأنا أعيش هذه الآلام، قالوا : أخطب، قلت : طيب، فتكلمت عن هذه، قلت لهم : أنا ما كنت أعلم شجاعة سيدنا محمد ﷺ واقعيا فعليا إلا في هذه الأيام، ما فهمت كيف الرسول ﷺ بهذه الشجاعة، يوم أن كان القرآن ينزل عليه يقول له عن الوليد بن المغيرة :

﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيمٍ * عِثْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: 11-13).

ثماني صفات من أقبح الصفات، وعلى رأسها زعيم، وزعيم ابن زنا، ويجب أن يبلغ، يبلغها مسامع الوليد، وحول الوليد ثلاثة عشر رجلا منهم خالد، فهمت شجاعة سيدنا محمد ﷺ عندما عشت هذه الأيام، عندما أرى صعاليك جورج ونايف يلطخون أبوابكم بصور لينين صانع دولة الإلحاد في الأرض، ولا يجرؤ واحد أن ينبس بنبت شفة، فهمت شجاع رسول الله ﷺ .

تكلت عن جورج وعن نايف، وجورج.. كان جورج ! جورج حبش لا أحد يجرو أن يتكلم عليه كلمة، الناس الحاضرون خافوا أن أقتل وأنا على المنبر، لأنه كان بجانب حول مسجد المدرسة الإسلامية قاعدة للجبهة الشعبية لجورج حبش، والجبهة الديمقراطية، الناس الذين يحبونني خافوا أن أقتل على المنبر، فبعد أن أنهيت، بعض الإخوة كانوا يعملون معنا فرأسا جاءوا بسيارتهم وهم مسلحون وأخذوني خلاص، وانتهت القضية، المهم أن أحد الحاضرين كان محافظا أو متصرفا في ذلك الوقت، وأصبح وزيرا فيما بعد، حدثني شخص أن هذا الرجل قال : سمعتم خطبة أبي محمد البارحة ؟ قالوا : والله تكلم كلاما لا يستطيع الشريف ناصر أن يقوله (الشريف ناصر كان قائد الجيش، وكل الجيش يرهبه ويرتجف منه) وفعلا لا يستطيع الشريف ناصر أن يتكلم هذا الكلام، من يجرو أن يتكلم على جورج حبش ونايف حواتمة في الأردن في ذلك الوقت ؟ من ؟ لكن أيام عز، أيام كان سلاحك في جنبك، وغير مكترث بأحد، كنا نمرُّ والرشاش فوق السيارة، الرشاش فوق السيارة ونحن راكبون، ثم تبدلت الأيام، وأصبح من يقتني رصاصة أو مسدسا يحاكم محكمة عسكرية، وقد تؤدي به قطعة السلاح إلى المشنقة، الآن في القانون : من اقتنى قطعة سلاح، مسدس حكمه كذا، كلاشكوف كذا، قنابل كذا، هذا في الحكم موجود عندنا، فصرنا نتحسر على تلك الأيام، أيام العزة، ثم أصبح الإنسان ليس بينه وبين المرأة التي يجلس معها فارق، وأي لص يدخل عليك بسكين يأخذ زوجتك ويمشي، اليوم نحن نتجرع الآما، هذه الآلام التي نبدتها أحيانا بكلمات نتذكر تلك الفرصة التي فانت المسلمين في الأردن، أيام أن كانت الدنيا مفتوحة كلها وهم نائمون ونقول لهم :

﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعَلِمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ (آل عمران: 167).

كنا نقول لهم : تعالوا قاتلوا، يقولون : أين القاعدة الصلبة التي نقف عليها ؟ نريد أن نربي القاعدة الصلبة، ربي يا سيدي !! نعم... كيف نقائل تحت راية جاهلية؟! يجب أولا أن نقيم الدولة الإسلامية ثم بعدها ننطلق للجهاد، قلت : اللهم أنزل علينا دولة إسلامية من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا على طبق من ذهب، ستنزل عليكم الدولة الإسلامية، مساكين..

أذكر ؛ مرة قتل قسم من الشباب في قاعدة بجانبنا، فأرادوا واحدا يخطب طبعاً هم يعرفونني - فجاءوا إليّ قلوباً : نريد أن تؤبن مجموعة من الشهداء في القاعدة، قلنا تفضلوا، جاء المصقف السياسي لفتح ومسؤولون في القطاع وأخذوني، ذهبت ودخلت القاعدة، قلت لولد عمره أربع عشرة سنة : ما اسمك ؟ قال : لي : جيفارا، والذي بجانبه : قال لي : ماو، والذي بجانبه : كاسترو، والذي بجانبه : هوشي منه، الذي بجانبه : كذا، ما سمعت اسماً إسلامياً، أما

أبو جهل فكان سائق السيارة التي تحضر لنا الطعام، صدقوا!! كان الذي يحضر لنا الطعام يسمى نفسه أبا جهل.

ندخل كلمة في هذا الكلام في تلك الأيام جاءوا بوزير صحة بعثي أو قومي عندنا في الأردن كنيته أبو لهب، لأنهم يعتزون بقوميتهم، أبو جهل وأبو لهب.. نعم كنيته أبو لهب، واسمه دكتور طراد سعود القاضي... فواحد يقول -زجل شعبي- :

والله ما قصدي شغب شغلة غاية العجب

الملك ابن الرسول والوزير أبو لهب !؟

بالفعل شغلة غاية في العجب.. فالمهم ذهبت وسألتهم، فتكلمت وقلت لهم : من جيفارا؟ من ماو؟ ألا يوجد في تاريخنا أسماء إسلامية؟ أين أبو عبيدة؟ أين خالد؟ أين المثني؟ أين؟ أين جيفارا قاطع طريق في غابات بوليفيا تجعلونه بطلا ومثالا لحياتكم، المتقف الثوري قرونه طوال، فذهب واشتكى لقائد القطاع، طلبوني للمحكمة العسكرية، جاء المسؤول عني وقال لي : أنت مطلوب لقائد القطاع، ذهبت أنا وإياه، ووجدنا قائد القطاع غائبا، ووجدنا المتقف الثوري قاعدا عند المدعي العام، قلت : ما القضية؟ قال : أنت تكلمت على جيفارا، فعجبت والله، قلت لهم : من هو جيفارا؟ قال : مناضل شريف، قلت له : أنا أريد أن أسألكم سؤالا : ما هو دين فتح؟ قال : فتح لا دين لها، والله... هو قالها : لا دين لها : نصرانية واشتراكية، وشيوعية، وإخوان المسلمين وكله... قال : فتح لا دين لها، فقلت له : أما أنا فديني الإسلام وأنا جئت إليكم لأودي فريضة اسمها فريضة الجهاد، وجيفارا تحت قدمي هذه.. والسلام عليكم، ثم تركتهم ومشيت طبعاً الكلاشنكوف على كتفي لا أحد يتجرأ أن يتكلم معي، لا أحد له سلطة على أحد، معه كلاشنكوف ومعني كلاشنكوف، لكن اليوم التربية الحديثة هذه، إذا يمر واحد غريب من بيتك يسأل، تقول : هذا مخابرات جاء يتصنت عليّ، وتبقى أسبوعا وأنت لا تأكل ولا تشرب تصاب بالأرق، نعم.. حتى صاروا لا يتكلمون الكلام إلا بالإشارة، التربية بالإشارة، التربية الحديثة، تخويف، غرس الجبن في القلوب حتى كنت مرة، في المسجد النبوي واحد من تلاميذي رأني فأرسل إليّ : يا شيخ عبد الله أنا لا أستطيع أن أسلم عليك، أرجو أن تزورني في بيتي حتى أسلم عليك، قلت : الله يعوض عليك، لا يستطيع أن يسلم عليّ في مسجد رسول الله ﷺ الذي في الآلاف.

الحقيقة يا إخوة : لا تتربى العزة ولا الشجاعة ولا الرجولة ولا ... إلا في هذه الميادين، الله أكبر قاعد في هذا القمم في العالم العربي لا يكفي راتبك لشقة، راتب خريج الجامعة الأردنية (ثلاثة وتسعون أو خمسة وتسعون) ديناراً، الشقة في عمان بثمانين ديناراً، فأكل لا يستطيع أن

يأكل الإنسان.. أكل!! لا يستطيع الواحد في بعض الدول العربية والعلم الإسلامي أن يتكلم كلمة، ولا أن يجلس، ولا أن يصلي في مسجد واحد، ولا أن يربي لحيته، ولا أن يسلم على واحد معروف في الشارع، ماذا تصنع؟ ربنا فتح لك هذا الباب، هذه أبواب هنا، تتكلم كما تشاء وتتحرك كما تشاء، وتقبل العيش هناك، كيف تقبل العيش في ذلك الوضع وتترك هذه الحرية؟!، أبواب مفتوحة، أسواق مفتوحة إذهب إلى (بارا)، واذهب إلى دارا واذهب إلى الدنيا... انظر كيف الناس يعيشون، لا يخضعون لقانون في الأرض أبدا، كيف تترك هذه المنطقة أو هذه الديار؟ كيف تتنفس؟ أم ألفت الحياة!؟.

وجد الأطباء أن الذي يعملون -أجلكم الله- في تنظيف المداخل، وفي تنظيف المراحيض باستمرار، وفي القمامة (عمّال القمامة)، أنهم إذا نقلوا إلى مكان فيه زهور يصيبهم الزكام، نعم.. تؤذيهم الرائحة الطيبة، نعم... الجعلان (الصراصير) التي اعتادت أن تعيش في القمامة لا تستطيع أن تعيش في أماكن نظيفة، البعوض، الذباب الذي يعيش إلا في الأماكن القذرة لا يستطيع أن يعيش في الأماكن النظيفة.

الوطواط (الخفاش) الذي لا يعيش إلا في الظلام لا يستطيع أن يعيش في النور.

فيبدو أن نفوس الشعوب مع طول الظلم والاستبداد والدكتاتورية وما إلى ذلك تأنف نفوسهم هذا الجو، فلا تطيق أن ترى الحرية.

أذكر لما أعلنوا إنهاء العبودية في السعودية وتحرير العبيد في أيام الملك فيصل رحمه الله، قالوا: أمر الملك فيصل الأمراء أن يحرر كل واحد منهم ما عنده من العبيد، فبدأ العبيد يبكون لأنهم سيحررونهم، يبكون! يقولون: نحن لا نريد أن نتحرر بل نريد أن نبقي عندكم عبيدا. لا يطيقون الحرية، العبودية، إذا ألفت النفس العبودية، فإنه يؤذيها معاني الحرية وتستغربها، ولذلك إذا رأوا واحدا شجاعا يقولون هذا متهور، لأن الجبن حكمة، نعم الجبن أصبح حكمة:

يرى الجبناء أن الجبن حزم

وتلك خديعة الطبع اللئيم

تجده إذا تكلم في حياته مرة واحدة مع المسؤول عنه كلمة فيها شيء الله عز وجل، يبقى طول حياته مسرورا أنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

وهؤلاء الأفغانيون تجد الواحد منهم قُتل أخوه وأبوه وأخته، وهدم بيته عدة مرات، الآن يا إخوان أنتم لا تعرفوا ما هي المصيبة في أفغانستان، الناس يعيشون في أنصاف بيوت، البيت مهدم، نصفه مهدم وباقي قليل منه، يعيش تحت هذا القسم وتحت الشجرة، ومع ذلك عندما تكلمه، يقول: نحن ما قدمنا شيئا.

هذا محمد صديق تشكري أنا جالس وهو يحدثني فقال : اليوم جاء خبر أنه قتل اثنان وعشرون شخصا من أقاربنا، ثم انتقل كأنه حدث قصة من التاريخ القديم وانتقل.

يقول لي عمر حنيف : والله سقط أمامي ألف شهيد، منهم ابني وأخي ما نزلت لي دمة واحدة، وذهبت إلى سفارة من السفارات لآخذ فيزا فعاملني الموظف بعنجهية كأني متسول، هذا الموقف حفر في قلبي من الآلام والأحزان أكثر من رؤية الألف شهيد.

امرأة هنا تسألها أهلي : أنتم لماذا لا تزوجون غيركم ؟ قالت : لم يعد في النفس أي ميل للحياة، أي ميل ! قالت : والله ما تزوجت إلا ليكون معي واحد يرافقني في الذهاب والإياب، وليس للجنس أو الشهوة أي مكان في نفوسنا، ذهب كل شيء، قتل الأب، وقتل الأخ، وقتل العم، وهدم البيت، وأخذت الدار، كيف تميل النفس أن تلتذ بشهوات الدنيا ؟ ثم بعد ذلك يأتي بعض الناس في العالم الإسلامي تقول له : يا أخي ساعد الجهاد الأفغاني، يقول : هؤلاء مختلفون وهؤلاء ناس.. وما إلى ذلك، والله أنا سمعتها من داعية كبير يقول لي : هؤلاء كذا وكذا لماذا ؟ لأنهم مختلفون، وهم قد يكونون مائة في بلد مثل الكويت أو قطر تجد المائة لهم عشرين تنظيما، عشرين تنظيما للمائة !!، هؤلاء جماعة فلان، وهؤلاء جماعة فلان، وهؤلاء أتباع فلان، هذا انشق عن فلان، وهذا عمل طلائع البعث، وهذا عمل طلائع الإسلام، مائة لم يستطيعوا أن يلتقوا على قراءة كتاب ؟! وتريدون من شعب بكامله أن يتوحد في مهجره، وكل أيادي العالم تشتغل فيه، وتريد أن تمزقه وتوقف هذا الجهاد، أو تحطمه، أو تمنع انتصاره، تريدون منهم وهم قبائل، مئات القبائل أن تلتقي على رجل واحد، ومائة منكم لم يستطيعوا أن يلتقوا على كتاب يقرأون فيه، يقولون : نعم.. هؤلاء مختلفون أما أنتم متفقون ؟!، الله يبارك فيكم !! الله يوفقكم، ما شاء الله !!.

كما قال الرسول ﷺ : (يرى أحدكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه)¹ الجذع في عينه لا يراه، القذى صغيرة في طرف عين أخيه يقول أنظروا، أنظروا إلى عينه وسخة قذرة، (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).

والكلام طويل والقلب والصدر مليء بالآلام، لو بقينا نبث من آلامنا ساعات وساعات لا تنتهي ونرجو الله عز وجل أن يحيينا بالإسلام ويميتنا على الإسلام، ويميتنا شهداء في سبيله، إنه سميع قريب مجيب.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العلماء بين الابتلاء والسقوط

هذا سيد قطب اسمه عالم أو مفكر، وبعضهم (العلماء) كان يشترك في عملية غسل الأدمغة، وإقناع الشباب أن يتركوا الدعوة التي هم عليها بالأدلة، تأتي بهم الدولة، يعني ناس كانوا مع الدعوة الإسلامية، عندما اشتدت المعركة وطل المسير، واشتدت السياط على الجلود، سقطوا على الطريق، فاننقت الدولة منهم المشايخ الذين يحفظون من القرآن والمن السنة وقالت لهم : وظيفتكم الآن أن تقنعوا هؤلاء المخدوعين الذين غرر بهم، وغرر بهم حسن الهضيبي وحسن البناء، وغيره، أن تقنعوهم أن يقلعوا عن هذا الطريق، فكانوا يأتون لسيد قطب ليقتنعوه، فيقول : إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر فيه حكم طاغية، يرى حوله الكبار الذين سقطوا على الطريق، كانوا في أيام الثورة في تموز وفي أيام أعياد النصر، يكتبون التهئة والتأييد لعبد الناصر بدمائهم، يجرح الواحد نفسه، ويمسك ريشة، ومن دمه يكتب تأييدا لعبد الناصر، من الساقطين على طريق الدعوة، بل أكثر من ذلك، كانوا يصفون هؤلاء الساقطون صغافا يهتفون : إلى الجحيم يا بناء، إلى الجحيم يا قطب، إلى الجحيم يا بناء، يهتفون !، هؤلاء تربية الاحتفالات والمهرجانات، ليس تربية المعركة الحية، تربية الشدة، محك الرجال، فهؤلاء فكروا الدعوة الإسلامية أن يحضر أحدهم الاحتفال، ويصفق، ويستمع لخطبة البناء، والسلام عليكم، ويسلم عليه، ويبدأ.. أخوك في الله فلان، أخوك في الله فلان، أخوك في الله فلان، ويقبل لحية البناء أو كتف البناء ويرجع، لما كسرت المصيبة عن أنيابها، وظهرت مخالب الطاغوت بارزة، قالوا : لا.. نحن ما اتفقنا على هذا، نحن ما جئنا لهذا، المسألة هكذا !؟ نحن جئنا للاحتفالات، فالله غايتنا، الجهاد سبيلنا، نحن نفكر الجهاد سبيلنا يعني : في دار الإخوان، كلام عربي على باب دار الحلمية، كانت الشوارع تسد لما يخطب البناء -رحمه الله- كان المسجلون في الإخوان أكثر من نصف مليون، وفيها تمزيق، وفيها سياط لا.. لا، نحن فقط شغلنا احتفالات، شغل مهرجانات، أقصى شيء اشتراكات، نصف مليون، ثلاثة ملايين أكثر شيء، ولذلك عندما سجن سيد قطب -رحمه الله- أخذوا كل الرجال والنساء من بيته، لم يبق إلا بنت أخته، أخرجوها بعد عدة أشهر، رجل كبير في السن من أصهارهم، قالت (ابنة أخته) : كنا نذهب ونحاول أن نقترض الفلوس لناخذ لهم زيارة (لسيد ولمحمد) في السجن، فعندما تدخل البيت لا يتعرفون علينا يردوننا من الباب، يقولون : نحن لا صلة بيننا وبينكم، تبرأوا من معرفتنا.

فالأزمات تحتاج إلى رجال ذوي همة عالية، الذي يدخل الدعوة الإسلامية يجب أن يعرف أن المسألة فيها موت، هؤلاء جماعة الأربعة وخمسين (الذين عاصروا محنة سنة 1954)، أما

جماعة الخمس وستين، فهؤلاء دخلوا على أساس أن هناك موت وهناك سجون، وهذا التنظيم الذي كان يشرف عليه سيد قطب تنظيم شباب مثقف وجامعي... جاء تربي في المحنة، في الستينات كان الأستاذ يكتب في داخل السجن للأسر ويرسله مع أخته فتقرأه الأسر، ثم جمع هذا، وتناقشته الأسر ثم أعيد له ونقحه، وأصبح كتاب المعالم، فلما واجهوهم سنة خمس وستين نموذجاً آخر غير نماذج سنة أربع وخمسين، سنة أربع وخمسين صاروا يشهدوا على بعضهم هؤلاء الكبار.

سنة 1965 بعد التربية في المحنة وعلى المحك، على محك الشدة جاء عبد الناصر بعلماء أمريكا حتى يدرسوا هذه الظاهرة، ما القضية؟ هذا جيل تربي وعاش في وقت كنا نذب فيه الإخوان المسلمين، كيف نشأ هذا الجيل؟ قادتهم في السجن، فجاء علماء النفس الأمريكيان ودرسوا... جاعوا إلى الشباب في السجن وأعطوهم استمارات لعلم النفس: كم عمرك؟ متى دخلت الدعوة؟ هل تصر على العمل الإسلامي؟ فبعد أن فرغوا الاستمارات وجدوا أن كل الشباب يقولون: كنت ضائعاً فهداني الله لهذه الدعوة أو لهذا الدين أو لهذا الطريق، العلماء الأمريكيان قالوا له: هؤلاء لا يمكن أن تُغسل أدمغتهم ولا نغيرهم، لا يزول ما في الرأس حتى يزول الرأس، لا بد أن تقتلهم، وكانوا قد جمعوهم على أساس علاقات ساخنة (تعذيب)، وبعد ذلك يفلتوهم، ولكن عندما قرر علماء النفس هذا بدأوا الإعدام.

طلبت أمريكا إعدام زينب الغزالي وسيد قطب بالذات، فقال لهم: هؤلاء اثنان لهما ثقل في البلد فأنا أعدم واحداً، فحكم على زينب الغزالي بالأشغال الشاقة المؤبدة، وحكم على سيد قطب بالإعدام، وزار في تلك الفترة روسيا وأعلن أن الإخوان يريدون القيام بانقلاب عليه من فوق قبر لينين - قال: اكتشفنا مؤامرة، ولئن عفونا في المرة الأولى فلن نعفو في المرة الثانية، واعتقلنا سبعة عشر ألفاً خلال يوم واحد، أنا سمعت خابه من موسكو (عبد الناصر).

طلب منه خرتشوف؛ أن يقتل خمسمائة أو خمسة آلاف من الإخوان، فقال: أنا لا أستطيع أن أقتل - نسيت الرقم خمسمائة أو خمسة آلاف - فعندما قال له: لا أستطيع، أمر خرتشوف بنقله من قصر الضيافة إلى المحلات الشعبية، فلما رأى الكباب والتفاح وما إلى ذلك قد ذهب، ورجع إلى العدس وما إلى ذلك، وتغيرت من ضيافة القصر الجمهوري إلى المنازل الشعبية.. فكر يومين... ثلاثة وقال: خلاص، أنا أقتل خمسمائة أو خمسة آلاف - نسيت الرقم - فرجع...

هو في الحقيقة صدم صدمة عنيفة، وعندما اكتشفوا أن هناك تنظيماً للدعوة الإسلامية جن يعني: أصيب بلوثة عقلية، كان يضرب رأسه بالحائط، يهلوس ويقول: "إزاي، إيه اللي جرى، إزاي مرة - عن زينب الغزالي مرة في مصر شتيمة - إزاي مرة وأباني - أباني يعني

عبد الفتاح اسماعيل بياع خضرة- مرة وأباني يسرقوا مني جيل الثورة، إنتوا فين، يقول للمخابرات، بتعملوا إيه" وزاد جنونه عندما اكتشف أن حارسه الخاص من الإخوان، اسماعيل الفيومي هذا يصيب الهدف الطائر، فوق رأسه دائما، فوق رأس عبد الناصر يحميه، بيده دائما المسدس وكان في ترتيبه أن يغتال عبد الناصر إذا حدثت مواجهة فلما اكتشف عبد الناصر أن الإخوان وصلوا حتى لحرسه أمسكت المخابرات برجلي إسماعيل الفيومي وضربوا رأسه بتمثال عبد الناصر فمات، وكانوا يوزعون تماثيل برونز كبيرة في الشوارع كان في وزارع الداخلية تمثال برونز أو في السجن، أحداثا كانت رهيبة.

يقول أحمد رائف في كتابه البوابة السوداء : كنت ذات ليلة في غرفة وكانوا يعذبوننا في الليل حتى آخره، يرجعون الواحد نصف ميت، يحتضر، فأرجعوا واحدا ظل يصيح حتى مات من شدة الألم، وفي الصباح عندما فتح الشرطي الباب قلنا له : أفندم ده واحد مات، قال لهم : "يا أولاد الكلب بس واحد مات حنودي وشنا فين من الرئيس، نخبره أنو ما متش إلا واحد، حنودي وشنا فين من الرئيس".

يقول : لما نقلونا من سجن أبي زعل إلى السجن الحربي وعلمنا أننا ذاهبون إلى السجن الحربي كنت أدعو الله في قلبي أن تتقلب بنا السيارة فنموت، لأن السجن الحربي كل يوم يرى فيه الموت، قال : ولشدة ما كانت دهشتي عندما علمت أن هذه كانت أمنية كل واحد في السيارة، كل واحد كان يتمنى أن تتقلب السيارة، المهم حاجة غريبة عجيبة جدا !!.

كتابات سيد تعري الضعفاء

فالحقيقة أن الأستاذ سيد عاش هذا كله، ورأى النماذج في السجن، وكيف تميزت أقدار الرجال، فكان يكتب وهو ينظر إلى هؤلاء عندما يقول لك أن وراء حب الدعوة وإيثار السلامة سقوط الهمة، وذلة النفس، وانحناء الهامة، كان يراه ويسجل تسجيلا فقط لا يحتاج أن يفكر، كانت النماذج أمامه.

سؤال من أحد الشباب المسلم : بعضهم يقول أن هذه الكتابات كتبها وهو في السجن فلا تصلح للنشر في الخارج، نعم كتبها وهو في السجن، وحبل المشنقة يلوح أمام ناظره، لأنه كان يكتب وهو يودع الدنيا والداعية يجب أن يعلم أن دخوله الدعوة وداع للدنيا فسيد كتبها وحبل المشنقة يلوح أمام ناظره، فالموت أمامك إذا تكلمت، والعذاب الشديد، كان متجردا من كل ضغوط الأرض.

فأمثال هؤلاء، الذين يتكلمون على سيد رحمه الله، هؤلاء لا يعتبرون سيد قطب من مفكري الإخوان المسلمين، ولذلك هم يكرهون أن يُمدح قطب... صدق! ويوم أن رددت على الشيخ الألباني.

يوم أن كتب أن سيد قطب يقول بوحدة الوجود، احمرت كثير من أنوف الذين يدعون إلى الإسلام لأنني دافعت عن سيد قطب، ليس لأنني تكلمت على الألباني، هم على خلاف طويل عريض مع الألباني لماذا؟ لأن كتابات سيد قطب تعري الضعفاء، تعريهم!.

والله سألت واحدا من أكبر الكبراء في القوم، أقول له: سيد قطب.. يقول: مفكر مفكر، بل قال: ليس مفكرا.. أدبيا، بل كاتباً، ما زاد، أعدت عليه، وقلت: سيد قطب؟ قال: هو أديب محترف.

مثل هذا كمثل الذي قال لي: إن مروان حديد ليس من الدعوة الإسلامية، قلت له: إن أنت من الدعوة الإسلامية! عندنا مثل يقول "إسمك ذكر والمطعم الله" المرأة التي يكون لها ولد ضعيف مريض تقول له: إسمك ذكر والمطعم الله، المطعم ربنا، قلت له: ماذا تساوي الدعوة الإسلامية في سورية بدون مروان؟ هؤلاء خطر، والله، كانوا يقولون عن مروان حديد هذا مجنون، فعلا.. الحقيقة أن الشجاعة التي كان عليها تعتبر جنونا بالنسبة هؤلاء الذين يتهاوون على الطريق، كانوا يقولون مجنون، أحدهم لقيني أيام أن كان مروان حديد مطاردا في داخل دمشق، يحمل السلاح حيثما ذهب في داخل دمشق، مطاردا، قال لهي: يا أخي هذا ما يد يد لك من يلقاه، يقول له بايعني على الموت. ولذلك انظروا: هذه كلمات تخرج من قلب دام يرى المأساة أمامه.

ولذلك لما جاء بعد المآسي التي عملها عبد الناصر في الإخوان وفي نساتهم في أبنائهم وفي دعوتهم، يوم موته يقف هؤلاء الدعاة في قطر أو في غيرها في السفارة المصرية يتقبلون التعازي بموت عبد الناصر، أنا أعتبر هذا جريمة ليس بعدها جريمة، ماذا؟ أبعد هذا يتقبل التعازي في موت عبد الناصر؟ يقفون صفا حتى يأتي الناس ليعزواهم، لأنه من أولاد العشيرة، مات ابنهم، هؤلاء تعدهم دعاة؟ هؤلاء هم الذين يهاجمون الآن سيد قطب لأن فكر سيد قطب خطير عليهم يا أخي، خطير على أوضاعهم، خطير على منازلهم ورواتبهم، ولذلك عندما يواجههم الشباب... شاب مثلك نفسه طيبة، قلبه متفتح، ما عرف اللف والدوران في الحياة، عندما يواجههم بحقيقة الأمر يقولون: اكتشفنا، فيبدأون يشككون في الفكر نفسه، وإلا صدق كما أظن لولا دفع الله عز وجل ثم تثبيته لسيد قطب ووقفته في سنة 1965 لكانت الدعوة انتهت، خلاص، على أبواب الموت، فدفعها من جديد، أحياءها، كانت تحتضر، لكن الوقفة الصامدة التي ثبته الله بها، أمر ليس منه، إنما هو من الله.

فالشباب الذين حولهم - كما كتبت عنهم الجرائد - يلتفون حوله كأنه نبي، وفعلا لو تكلم كلمة واحدة في أي قائد من قادة الدعوة الإسلامية سنة 1965 لو تكلم سيد عليه يسقط القائد، عندما كانوا يسألون الشباب - شاب مثلك - يسألون : أنت اتصلت في سيد قطب ؟ قال : أبداً، أبداً ما اتصلت فيعذبونه فيقول لهم : أنا لم أتصل. فذهبوا إلى سيد قطب، قالوا : فلان ثبت أنه اتصل بك وجاء عندك، قال لهم : اتصل، فرجعوا كأنهم سجلوا كلام سيد، قالوا له : أنت اتصلت به ؟ قال : أبداً، قالوا : لكن سيد قطب قال إنك اتصلت به، قال : إن قالها فقد صدق، إن قالها فقد صدق.

زينب الغزالي نموذجاً للتحدي

وعندما كانوا في شدة المحنة يسألون عن سيد قطب في المحكمة، زينب الغزالي تقول : أن الإمام المجدد سيد قطب، تواجه المحكمة بها، قالوا لها : سيد قطب كذب عليك، قالت حاشا لله أن يكذب سيد - في المحكمة - حاشا لله أن يكذب سيد، قالوا لها : أنت سميت عبد الناصر أبا جهل ؟ قالت نعم أنا سميت أبا الجهل، وسعيد رمضان سماه أبا الجاهلين، لكن أنا متأسفة لأنه ليس أبا الجهل، هو أبا الأجهال كلها، قالوا لها أسماء، ثانية ؟ قالت : سميت ذبابة - عبد الناصر أيام أن كان يذكر في تلك الأيام الملوك والرؤساء كلهم يرتجفون - ثم وجدت حديثاً صحيحاً أن في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء، وهذا لا دواء فيه، قالوا لها : آخر تسمية ؟ قالت لهم : آخر تسمية خيال المائة، خيال المائة يعني : حارس البستان، العصا التي توضع عليها الثياب، حارس البستان رجل من القش يحمي الثمار ويحرس الزروع، وصاح المدعي العام لأن التسجيل يؤخذ لعبد الناصر، قال لها : يا كذا يا كذا من كلمات أبناء الشوارع، أربعون مليوناً يدارون بعضاً ؟ قالت أربعون مليوناً يدارون بعضاً ؟ والعصا تدار من الخارج، يا أخي مواقف عجيبة !!.. جاء زوجها بمحام يدافع عنها، فقال : إن هذه المرأة الطيبة والسيدة الفاضلة المسكينة التي لا تحمل في حقيبتها سوى الروح (أحمر الشفاه) لا يمكن أن تضع في حقيبتها القنابل والمسدسات، وصاحت : إخرس ! زينب الغزالي تضع قلم الروح في حقيبتها ! أخرجوه، أخرجوه.. أنا لا أريد أن يدافع عني، أخرجوه.

جاء عبد الناصر، أشياء عجيبة يا أخي، والله أشياء عجيبة جداً، هذا تعدد، وتعد الذين كان يؤيدون بالدم، يجرح نفسه ويضع رأس الريشة بدمه، ويكتب تأييداً في أعياد الثورة لعبد الناصر، هذا صنف من الدعوة وهذا صنف واحد !! أنتم ما قرأتم كتابها "أيام من حياتي" ؟ هذا كله سمعته منها فما لأن قبل أن يخرج الكتاب، كنا نجلس معها إلى الصباح، في أيام عصيبة ولا أحد يستطيع أن يصل إليها، لكن قلت لهم : اسمحوا لي أن أذهب إليها، أنا مهتد بالطرده، وكانوا يعتبرونني في قائمة المبعدين، قالوا : هذا لن يحصل على الدكتوراه، فقلت لهم : أنا

أحضر لكم أخبار القوم، اسمحوا لي بالذهاب لمحمد قطب وزينب الغزالي، خلاص شطبوا عليّ، وكانوا قد سمحوا لي، هم يعلمون أنهم لم يسمحوا لي فلن أقبل، قالوا : لنسمح له، فكنت دائما مع محمد قطب وزينب الغزالي، ولذلك بعض الشباب لم يكونوا يتجرأوا على زيارة دارنا، يعني : يعتبرون --- مراقبة - لا حول ولا قوة إلا بالله تكلمنا عن أنفسنا كثيرا-، فجاء شمس بدران، قالت : اللهم إن كان عبد الناصر يعلم بهذا التعذيب فأرني ذلك، قالت : بعد يومين أو ثلاثة جاءوا بي إلى التعذيب، قال شمس بدران : يا صفوت -شمس بدران كان وزيرا للحربية- حربية يعني : على المسلمين، قال له : يا صفوت -صفوت الروبي كان صول، الصول أجلكم الله يعني : روث الإبل والبقر كما نسميه، أما المصريين فيسمون الصول العسكري الذي بثلاث شرايط- قال له : إرفعها يا صفوت خمسمائة، خمسمائة كرجاج، قالت : كانوا يربطون يديّ ورجليّ ويضعوني كالذبيحة ويجلدونني، فقالت: كنت قبل التعذيب دائما أربط ثيابي بخيوط حتى إذا تمزقت لا تبين عورتني، قال له : يا صفوت إرفعها، رفعتني، أنزلها، فأنزلني، ثم أمر بإحضاري إلى الغرفة، قالت كانت يداي وعيني منتفختا، وكذلك رأسي، طبعا الجروح تنزرو دما وقبحا، قالت : ضربوني ستة آلاف وثمانمائة سوط مجموعها نعم.. ستة آلاف وثمانمائة، أي ثمانية وستين حد زنا، فقالت : كانت غرف التعذيب ثلاثين وكل غرفة فيها ما ليس في الأخرى من أدوات التعذيب، أشياء عجيبة، المهم... قال : أسقها كأس ليمون، قالت : كأس ليمون في السجن الحربي، عجيب!، قالت : أسقاني كأس ليمون، قال هتها أجلسها هنا، قالت : ما كنت أستطيع أن أجلس فأجلسوني على طاولة الطعام، فنظرت وإذا بعبد الناصر قاعدا على صفة وراء شمس بدران خلف شبك، ممسكا نظارته السوداء وبجانبه عبد الحكيم عامر، وشمس بدران أمامه، قال لها : يا زينب، قالت له : إيه؟ قال لها : تكلمي جيدا، قالت له : نعم.. ماذا تريد ؟ قال لها : لو استلمت هذا الكرسي الذي أنا فيه ماذا تصنعين بنا ؟ قالت له : لسنا طلاب كراسي، قال لها : لو استلم الإخوان المسلمون الكرسي الذي أجلس عليه، ماذا يفعلون بنا ؟ قالت :

أولا : أنا أقول لك الإخوان المسلمين ليسوا طلاب كراسي، هم يريدون أن يرفعوا راية لا إله إلا الله فوق المجتمع، ثم بعد ذلك يحكم تحت هذه الراية من يحكم.

ثانيا : لو حكم الإخوان المسلمون أنا لا أكون في هذا الكرسي لأنني امرأة، والمرأة لا تحكم.

ثالثا : لو حكم الإخوان المسلمون وأرادوا استعمال هذا الكرسي الذي تجلس عليه ليظهره، لأنه كرسي نجس أجلسك عليه الطاغوت الكافر الفاجر.

قال له (شمس بدران) : يا صفوت، قال : نعم، قال : إرفعها 250 قالت : فرفعوني : 250، ثم أنزلت بين الموت الحياة، هنالك أربعة أطباء يشرفون على تعذيبي حتى لا أموت، هم يريدونني أن أبقى حية حتى أعذب، وسمعت طبيبا يقول لهم : أتريدونها أن تبقى حية ؟ قال له عبد الناصر : نعم، نريد أ، تبقى حية للمحاكمة، وهكذا ثمانية أشهر من التعذيب، قال لهم : إذا يلزمها حقنة بخمسة عشر جنيها في العمود الفقري، فقال : نعم هي موجودة في صيدلية، عبد الحكيم إذهب يا فلان وأحضرها، قالت : فأعطوني بسبعة وعشرين جنيها أدوية، واستيقظت بعد أربع وعشرين أو ست وثلاثين ساعة بعد أن كنت في حالة غيبوبة، قالت : عندما استيقظت وجدت الطبيب فوق رأسي، لأنه يخشى عليّ الموت، كان الأطباء الذين يشرفون على تعذيبي شيوعيون ونصارى حتى لا ترق قلوبهم، قالت : فتحت عيني فوجدت الطبيب فوق رأسي، قلت له : يا دكتور، قال : نعم.. قلت له : أنت لا تملك أن تزيد من عمري لحظة واحدة -لأنه قال لهم : أتريدون أن تبقى حية- قالت له : لن تزيد من عمري ساعة واحدة..

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس: 49).

قال لها : أريد أن أسلم، قالت له : أنت الآن مسلم -هو بالإسم مسلم- قال لها أنا أريد إسلاما مثل إسلامكم، قالت له : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالت له : إذهب لسيد قطب حتى يعلمك الإسلام، قال لها : يا حاجة، قالت : نعم، قال لها : حسن الشرطي الذي يأخذك للتعذيب يريد أن يسلم مثل إسلامك، قالت له : هاته، فجاء به، قل : أشهد أن لا إله إلا الله، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالت له : إذهب لسيد قطب حتى يعلمك الإسلام، قالت : بعد هذا أصبح حسن الشرطي ينقل بيننا وبين سيد الأخبار.

كانت (زينب الغزالي) تحب سيدا حبا عجبيا، وقد كانت مسجونة هي وحميدة أخت سيد، وكانت زينب الغزالي غنية وزوجها مليونير، ولشدة حبه له عندما صادروا ممتلكاته بسبب زوجته لم يؤثر هذا عليه، وعندما صدر عليها الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة سقط مشلولا شللا نصفيا، هم في بداية المحاكمة قالوا له : طلقها، قال : إنها امرأة بريئة، وليس عليها شيء، إذا حكم عليها أن أطلقها، فعندما صدر الحكم جاءوا وقالوا له : طلقها، قال : اتركوني -وهو مشلول- قال لهم: قد أعيش ثلاثة أسابيع وأموت، أسبوعان.. ثلاثة.. وأموت، قالوا : أطلقها الآن أم ننقل السرير للسجن الحربي ؟ قال لهم : أكتبوا، فكتبوا : أطلق هذه المرأة لأن أخلاقها سيئة -وهو على فراش المرض وقع-، ثم أرسل وراء أحد أقاربه، وقال له : اكتب : أشهد أن

زينب الغزالي الجبيلي هي زوجتي في الدنيا والآخرة، ووقع، قال له : إذا مت أعط هذه للقاضي، وبالفعل مات بعد ثلاثة أسابيع.

كان يحبها حبا عجيبا، وهي شخصية أنا ما رأيت نظيرا لها، ما رأيت مثلها، معظم الناس تسمع عنهم فعندما تراهم تقل الصورة عن السماع إلا هي فزادت، زادت الصورة عن السماع، فبعد أن مات جاء ابن عمه أو قريبه وأعطى الورقة للقاضي، جاءت المخبرات - هو ترك حوالي خمسين ألف جنيه- وكانوا قد صادروا ممتلكاته وبعض شركاته، شركات سالم سالم في أكبر شوارع القاهرة، شارع فؤاد.... ممتلكاته الباقية وضعوا عليها مسؤولا يديرها وسرق الأموال وأرسلها للكويت، المهم... بقي له خمسون ألف جنيه، يكون نصيبها الربع أو الثمن، لا أدرى هل جاءها أولاد أم لا؟ غالبا ما جاءها أولاد، يخرج لها ستة آلاف جنيه من الإرث، فقالوا : هو طلقها لا إرث لها، فالقاضي ابن بلد كما يقول المثل يعني : رجل، فقال لهم : هذا الطلاق غير واضح، لأنه طلاق في مرض الموت، والطلاق في مرض الموت لا يقع (طلاق إكراه) والمرأة ترث منه ؟ وهذا طلاق مكره ولذلك ترث.

عندما وجدوا أنه يخرج لها ستة آلاف جنيه، أصدروا قائمة جديدة حسابات على زوجها ؛ أن زوجها عليه اثنان وسبعون ألف جنيه ضرائب ومائة ألف بدل الإسم (الإسم التجاري)، وثلاثة وأربعون ألفا تأمينات، المهم (72) ألفا و(43) ألفا ومائة ألف (215) ألفا، وهو لم يترك إلا خمسين ألفا، كم يبقى للدولة ؟ يبقى للدولة مائة وخمسة وستون ألفا، لا يوجد معها مال، فختموا بيتها بالشمع الأحمر وصادروه.

الحقيقة أنها قصص أغرب من الخيال ولكنها وقائع، تجد هذه المرأة نموذجا للتحدي أمام هؤلاء الضعفاء، إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة وطراوة الإدارة، وكثير هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة، العارفة بتكاليف الدعوات، ولكن هذه الصفوف في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك، لأنها تدرك بفطرتها ؛ أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألد وأجمل من القعود والتخلف، هؤلاء لا تعجبهم الحاجة زينب الغزالي... لا تحيا الدعوات إلا بأمثال هذه المرأة.

الدعوة الإسلامية وكفاحها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد.

ماذا نريد ؟

فيا أيها الإخوة :

السلام عليكم

أرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم الهجرة والرباط والإعداد والجهاد.

وأرجو الله عز وجل أن لا يترنا وإياكم أعمالنا، وأن يثبتنا على الطريق، وأن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يرزقنا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرزقنا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع قريب مجيب.

ماذا نريد ؟ نريد في الدنيا المجتمع المسلم الذي ترفرف فوقه راية لا إله إلا الله، ونريد في الآخرة الجنة، ونرجو الله عز وجل أن يعطينا الاثنتين، وأن لا يحرمننا، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

نريد المجتمع المسلم، المجتمع المسلم له خطوات :

الخطوة الأولى : قيام دعوة تدعو إلى : لا إله إلا الله، وتقر التوحيد في أعماق أتباعها، وتربيههم على الإسلام، حتى يصبح الواحد منهم نموذجا حيا للإسلام يمشي على الأرض، فإذا رأينا الواحد منهم نرى مصحفا يتحرك فوق المعمورة، إنهم من لحم ودم، ولكن القرآن قد تحول في داخلهم إلى حركات وأخلاق، وكلمات، وسلوك، ومعاملات، وما لم يكن هنالك نماذج بهذا الشكل، تحمل دين الله عز وجل فإن أي مجتمع مسلم يقام فوق عناصر هشة، وفوق أساس غير متين، فإنه سينهار.

هذه المجموعة التي تُربى على دين الله عز وجل، وكما جاء في الحديث (الذين إذا رؤوا نكر الله) إذا رأيتهم تذكر الله، حاله يذكرك بدين الله عز وجل، مظهره يذكره بالله عز وجل، هذه المجموعة لا بد أن تتعرض لكيد الكفار في كل مكان لأنهم...

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: 217).

هذه المجموعة.. لا بد أن تحرص على أن يلتفت حولها الشعب المسلم، وهي تكون الصاعق الذي يفجر طاقات هذا الشعب المسلم، ثم تعلن الجهاد في سبيل الله، وتستمر المعركة مع الطواغيت الذين يُعبَدون الناس لأنفسهم من دون الله، حتى يُظهر الله دينه.

تجربة واقعية

والآن قد سنحت الفرصة، وفُتحت الأبواب، وقضى الله أن يحصل الانقلاب الشيوعي، وانقلاب داود قبل الانقلاب الشيوعي، وهو عبارة عن جسر للشيوعية دخلت عليه.

إنقلاب داود (محمد داود) في يوليو سنة 1973 كان بتدبير روسيا مع الحزب الشيوعي في داخل أفغانستان، وجاءوا بـداود قريب الملك وزوج أخته حتى لا تكون معركة دموية، هذا رجل من الأسرة المالكة، حلّ محلّ رجل من الأسرة المالكة، وجيء بـداود لتصفية أبناء الحركة الإسلامية أو أبناء الدعوة الإسلامية، أبناء الدعوة الإسلامية كانوا نماذج فريدة، فقرروا أن يدخلوا في معركة مع داود، وكانوا في البداية ثلاثين شابا، اجتمعوا في بيشاور حول حكمتيار ورباني، وقرروا الجهاد.

المصطلحات الشرعية توقيفية

والجهاد معناه (القتال المسلح).. هذا معنى الجهاد، ولا يجوز أبدا -كما قلت- أن نمنع النصوص، مصطلحات ربانية ونبوية؛ أن الجهاد يطلق على عبادة من العبادات فلا يطلق على قيام الليل جهاد، وإن كان مجاهدة نفس، ولا يطلق على الصوم جهاد مع أنه مجاهدة نفس.

الجهاد مصطلح شرعي كالصيام، الصيام لا يستطيع أحد أن يقول: إن الصيام هو الإمساك عن الكلام، أو الإمساك عن الطعام عدة ساعات، الصيام مصطلح شرعي: هو الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، فإذا جرح هذا الاصطلاح لم يعد صياما شرعيا، فإذا جاء واحد وصام من طلوع الشمس إلى العشاء، هل يعد هذا صياما شرعيا؟ طبعا بإجماع الفقهاء لا يعد صياما شرعيا، وإن كان صام نفس الساعات التي يصومها المسلمون.

الصلاة مصطلح شرعي: عبارة عن حركات وكلمات تُبتدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، لكن الصلاة لغة: هي الدعاء، فلا يجوز أن نطلق على من يدعو أنه يصلي.. نعم يصلي لغة، لكنه لا يصلي شرعا، ولا يُطبق المصطلح الشرعي.

والجهاد مصطلح شرعي في القرآن الكريم، بالنظم الرباني العظيم، وعلى لسان النبوة الشريف. (يا رسول الله : ماذا يعدل أجر المجاهد ؟ قال : لا تستطيعونه، قالوا : ماذا يعدله ؟ قال : هل يستطيع أحدكم أن يدخل مسجده فيقوم فلا يفتر، ويصوم فلا يفطر، قال : من يستطيع ؟ قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت، لا يفتر عن صلاة أو صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد).

إذا الجهاد عبادة، غير الصلاة، وغير الصيام، مع أن مكابدة القيام هو جهاد نفس، ومع أن مكابدة لأواء الصيام، كذلك هو جهاد نفس، لكن الجهاد -قال لهم غير ذلك- : (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت).

إذاً ما هو الجهاد ؟ هو : القتال، وأنا كتبت هذا في كتابي (عبر وبصائر) وأوردت تعريف الأئمة الأربعة للجهاد ؛ الجهاد في اللغة : بذل الجهد.

(عبر وبصائر) هذا طبعته دار المجتمع في جدة جديداً، نحن طبعناه في العام الماضي، أو قبل العام الماضي هنا في باكستان، والحمد لله طبع جديداً، وخرج في هذا الشهر في دار المجتمع في جدة.

الحنفية :

جاء في فتح القدير لابن الهمام ؛ الجهاد دعوة الكفار إلى الدن الحق وقتالهم إن لم يقبلوا. وقال الكاساني في بدائع الصانع : (بذل الوسع والطاقة بالقتال)، بذل الوسع والطاقة بالقتال، ليس بالدعوة في سبيل الله عز وجل، بالنفس والمال واللسان، وغير ذلك، بالقتال، تقاتل بلسانك، وتقاتل بمالك، وتقاتل بنفسك.

والمالكية :

قالوا : الجهاد قتال المسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخوله أرضه له (أرض القتال).

والشافعية :

قال الباجوري : الجهاد : أي القتال في سبيل الله.

وكذلك قال ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري المجلد السادس الصفحة الثالثة : والجهاد شرعاً بذل الجهد في قتال الكفار.. بذل الجهد في قتال الكفار.

والحنبلية :

قالوا - كما جاء في مطالب أولي النهي وغيره، والعمدة، ومنتهى الإرادات : الجهاد قتل الكفار، الجهاد القتل، القتال، وبذل الوسع منه لإعلاء كلمة الله تعالى.

إذاً (كلمة الجهاد) إذا أطلقت إنما تعني (القتال في سبيل الله)، ولا يجوز أن نغير المصطلح الشرعي، وأما قصة رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وينسبونه إلى الرسول ﷺ، فهذا حديث موضوع لا أصل له، وإنما هو قول لأحد التابعين اسمه إبراهيم بن عدلة، وهو مخالف للواقع، يقولون : الجهاد الأصغر، قتال الكفار، والجهاد الأكبر جهاد النفس، هذا مصادم للشرع ومصادم للواقع.

وكلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت - كما يقول ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري- : والمتبادر من كلمة (في سبيل الله) هو الجهاد، أي قتال الكفار، إذاً كلمة الجهاد إذا أطلقت تعني : القتال، وكلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت تعني : القتال.

أما أن نمسي اجتماع ثلاثة أو أربعة على كتاب جهاداً في سبيل الله، هذا ليس صحيحاً، سموه ما شئتم إلا أن تسموه جهاداً فليس صحيحاً، سموه دعوة إلى الله، سموه علم شرعي، سموه ما شئتم، أما الجهاد، فلا تميموا المصطلحات الشرعية، وكلمة (في سبيل الله) أطلقت في القرآن الكريم على أساس أنها فئة معينة من المجتمع..

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (التوبة: 60).

(في سبيل الله) إذا.. مصطلح شرعي هو : القتال والجهاد باتفاق الأئمة الأربعة، أما لو لم يكن مصطلحاً شرعياً، فأعطاء الفقراء في سبيل الله، وإعطاء المساكين في سبيل الله، وسد دين الغارمين في سبيل الله، لكن... العطف يقتضي التغاير، في اللغة العطف يقتضي التغاير، إذا... إعطاء المساكين، وإعطاء الغارمين، وإعطاء المؤلفة قلوبهم غير إعطاء في سبيل الله، في سبيل الله هو : القتال، أما أ، نميع النص ونقول : في سبيل الله بناء الجسور، بناء المستشفيات، وبناء المدارس، وبناء ما إلى ذلك، إذا... اجمع الزكاة حتى تعمل كوبرى في بلد من البلدان لأجل الذين يريدون أن يفحطوا بالسيارات يسيرون عليها.

في سبيل الله : القتال، أما أن نسمي خرج ثلاثة أو أربعة إلى مسجد، وكلام ربع ساعة أو عشر دقائق نفسر به حديث رسول الله ﷺ : (الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)، لعمر الحق إن هذا لظلم عظيم، وهذا تميم للنصوص الشرعية، الغدوة في سبيل الله تعني : الخروج إلى القتال في أول النهار، والروحة في سبيل الله : الخروج في سبيل الله في آخر النهار.

فانتبه !! لا يسمى الكلام على المنابر جهادا، لأن الجهاد قتال، ذبح، هذا الجهاد، ولا تسمى الكتابة في الجرائد جهادا، ولا يسمى تأليف الكتب جهادا، إلا إذا كان في القتال وللقتال، يجب أن يكون هذا معلوما.

وبدأ تنفيذ التجربة

فقررت المجموعة في سبيل الله (أي القتال) وتقسمت مجموعات، ونزلت إلى بنجشير، وإلى بدخشان، وإلى لغمان، وإلى غيرها... الدكتور محمد عمر -رحمه الله- حمل قنبلتين ومسدسا، وذهب إلى بدخشان على بعد تسعمائة كيلومتر من بيشاور، مشاها يحمل قنبلتين ومسدسا، وهجم على معسكر كبير لداود، وكانت أجهزة داود تبث الدعايات : هؤلاء خارجون على الإمام، خارجون على الحاكم الشرعي، هؤلاء بغاة، يجب قتالهم، وإن كنت أنسى فلا أنسى قصة الشابين الذين جرحا في بنجشير، هجموا على بنجشير وجرح اثنان، شابان في كلية الهندسة من أبناء الدعوة الإسلامية، وواحد منهم أستاذ في الكلية، فجرحا، فانسحبا، زحفا إلى حافة نهر... إلى مكان وجلسا، فمر عليهما راع ورأى دماءهم تنزف، قال : من أنتما ؟ قالوا : نحن نجاهد في سبيل الله جرحنا هنا، فتذكر الراعي أن الإذاعة قالت : هؤلاء بغاة، خارجون على الإمام، قال : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نشرب ماء، قال : انتظروا، فذهب الراعي وجاء بحجر كبير وضرب رأسيهما وقتلها، لأنهم خارجون على الإمام ! خارجون ! بغاة هؤلاء! ثم ذهب فرحا هذا الراعي يخبر إمام المسجد، قال : لقد قتلت اثنين من البغاة الذين تقول عنهم الإذاعة هؤلاء، قال له : من ؟ قال : اثنان هنا في جنب بنجشير، قال له : هؤلاء من خيرة أهل العصر، أنت قتلت مسلمين صادقين مجاهدين، وكيف يمكن أن يغفر الله لك هذا، ولذلك عندما سمع الراعي قول إمام المسجد، جنّ الراعي، طبعا وتجد من المشايخ من يفتي أن هؤلاء بغاة، يجب قتالهم، هؤلاء يجب مطاردتهم، والآية حاضرة..

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (المائدة: 33).

علماء على عتبة السلاطين :

وهذه الآية وأمثالها طبقت على الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وخرج كتاب كامل من الأزهر الشريف، كتاب كامل يكفر سيد قطب، بدأت بفتوى من شيخ الأزهر، وهو عند ربه الآن، ثم تلاه كبار علماء الأزهر يكفرون هذه الفئة ويعتبرونها خارجة على الإمام يجب قتالها وقتلها.

والمهم... يوضع على صدر الواحد منهم قماش أبيض، تكتب عليه هذه الآية وتحتها :

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 179).

هؤلاء المشايخ في كل زمان ومكان، الذي يعبدون الطواغيت من دون الله عز وجل..

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 9).

يبيعون دين الله بثمن العنز - كما قال الحسن وغيره - يغدو أحدهم في سخط الله، ويروح في غضبه، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز، بل أقل من ذلك، ابتسامة من الطاغوت، والله عز وجل يأبى إلا أن يسلط الطاغوت نفسه عليهم، نعم، رأينا هؤلاء الذين كانوا يحاربون أولياء الله ودين الله من أجل الطاغوت، قبل أن يموت الطاغوت ينتقم منه، من الذي قتل عبد الحكيم عامر؟ أليس عبد الناصر؟ يقول عبد الناصر: لقد أخذ فنجان القهوة الذي فيه السم أمامي، عبد الحكيم عامر، شعراوي جمعة الذي كان وزيراً للداخلية، ومنع إدخال الفاكهة إلى السجن نكاية بشباب الدعوة الإسلامية في مصر.

ودارت الأيام، وسجن الأستاذ محمد قطب مع أخته حميدة في القناطر الخيرية، وطلب محمد قطب بعد سبع سنوات أن يرى أخته، وهي في نفس السجن! فقال مدير السجن: أنا لا أستطيع، إرفعوها إلى مدير السجن العامة حتى ينظر من بعيد إلى أخته في نفس السجن، مدير السجن العامة: أنا لا أستطيع، لوزير الداخلية: وزير الداخلية كان شعراوي جمعة قال: قولوا لمحمد قطب لن يرى أخته لا حية ولا ميتة، ومنع إدخال الفواكه على السجناء جميعاً نكاية بهؤلاء الدعاة، وما مضى سنة واحدة على كلام شعراوي جمعة - هذا - حتى كان شعراوي جمعة نفسه في السجن ومحمد قطب وأخته في الدار..

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ﴾ (ابراهيم: 42).

وجاءت زوجة شعراوي ومعها الفاكهة لتزوره، الشرطي فتح، قال: هذه فاكهة، قالت: أيوه دول لشعراوي بيه (نعم هذا لشعراوي) قال: شعراوي جوزك (زوجك) قالت له: أيوه (نعم) قال: جوزك أدى أمر (زوجك أعطى أمر) ممنوع إدخال الفاكهة للمساجين، وأنا شرطي تابع لوزارة الداخلية، كنت أطيعه طاعة تامة، وسأطيعه وهو في داخل السجن، والله لن يذوق حبة واحدة.

ليس بيده، القدر بيد رب البشر، يجريه كما يشاء، والقلوب ليست بأيدي أصحابها:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: 24).

وقلب هذا الطاغوت الذي حارب الإسلام من أجله، ليس بيده، إنما هو بيد خالق القلوب، و (من أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ).

كتب معاوية ؓ إلى عائشة رضي الله عنهما جميعا : أوصيني ولا تطيلي عليّ، قالت :
"بسم الله الرحمن الرحيم من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس،
ومن أسخط الله برضى الناس، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، واعلم على أن رضي الله
لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره" حديث صحيح أو حسن على الأقل.

نبذة من محنة طويلة

هؤلاء الشباب بقوا يشتغلون، لكن معظمهم استشهد في سبيل الله، كانوا نماذج فريدة.

يحدثني سياف عن هذه الصفوة التي فجرت الجهاد في أفغانستان، منهم أنجنير حبيب
الرحمن الذي سمينا هذا المسجد باسمه، كان أمينا عاما للحركة الإسلامية في أفغانستان، كان
يدرس في الكلية، كلية الهندسة، هذا الرجل.. هذا الشاب، يقول لي الشيخ سياف : بدأ يشكو
في الجامعة قسوة قلبه لإخوانه، فقالوا : ما علامة قسوة قلبك ؟ قال : والله يا إخوة، قبل أن
أدخل الجامعة هذه المختلطة كنت أسمع تسبيح الشجر والحجر، منذ أن دخلت الجامع صرت لا
أسمع شيئا، كانوا نماذج فريدة.. نماذج فريدة!.

أرسل داود وراء مولوي حبيب الرحمن (مولوي كان في كلية الشريعة) وتكلم معه، قال :
لا رجوع عن هذا الطريق، إن الحكم إلا لله.

شباب وضعوا في السجون، كبار المجرمين من الحشاشين في داخل السجون كانوا لا
يصلون، لكن ينتظرونهم بباب مسجد السجن حتى ينهوا، فإذا أنهوا، رتبوا لهم الأحذية حتى
يأخذوا أجرا، الحشاشين...!! الناس يحترمونهم احتراما عجيبا.

حكم على الشيخ سياف بالإعدام، واحد من كبار الحشاشين علم أن سيافا سيعدم، قال لسياف
: قل لمدير السجن، عندي عشرون مليون روبية أفغانية في خارج السجن، إن قبل أن يفلتك
سرا، أنا أكتب له ورقة ويستلم المبلغ.. حشاش!! إحترامهم لهم عجيب، الحقيقة كانوا محط
أنظار الناس، ويوم أن أرادوا قتل أبناء الحركة، رفض الشرطة أن يطلقوا النار عليهم،
رفضوا فأبدلوهم، وجاء اثنان وأطلقوا، كانوا هم في عنبرين.

هذه قصة نجات الشيخ سياف، قرروا في ليلة واحدة إعدام مائة وسبع عشرة من أبناء
الحركة الإسلامية، منهم الشيخ سياف، وما كان عندهم وقت ليعلقوهم¹، وكان عندهم
بلدوزرات مثل البلدوزر هذا، يحفرون خندق، ويصفونهم على جانب الخندق، ثم يرشهم
الرشاش فيسقطون في داخل الخندق، ويأتي البلدوزر ويدفن مرة أخرى.

فجاءوا - وهم كانوا في عنبرين - أخرجوا الشباب الذين من العنبر الأول، وبدأوا يوتقون أيديهم، ويزجونهم في داخل السيارات، فعلموا أنهم يذهبون إلى المقصلة، وعندها قاموا إلى الشرطة، وهجموا على الشرطة، أخذوا البنادق، وجدوا البنادق فارغة من الرصاص، وصاروا يضربون بأكعاب البنادق، بالحجارة بالخشب... أعزة حتى آخر لحظة ! ففتحت الرشاشات التي فوق السجن أمرت الدبابات التي تحرس السجن بفتح الرشاشات على السيارتين اللتين تحملان الإخوة، فتمزقوا.. تمزقت لحومهم داخل السيارة، الرجلان اللذان أطلقا النار جُنا.

انتقلوا إلى العنبر الثاني، العنبر الثاني فيه إخوة لم يخرجوا، أغلق الإخوة باب السجن، باب السجن حديد كثيف لا يخترقه الرصاص، فصاروا يلقون من كوات العنبر (يعني نوافذ العنبر الصغيرة) يطلقون عليهم القنابل، وبقوا يطلقون عليهم القنابل حتى الرابعة صباحا، من الحادية عشرة ليلا إلى الرابعة صباحا حيث سقط آخر شهيد منهم.

حملوا السيارتين ووضعوهما بباب السجن، وقد تخرقتا، صارت أصوات التكبير تخرج من هاتين السيارتين، صار الحراس عندما يقفون بجانبهما يهربون، فأخذوهما بعيدا عن السجن وأحرقوهما.

الشيخ سياف كان في سجن آخر، اسمه معهم، في الصباح جاء مندوب الداخلية، ووجد الجثث المترامية، والأعضاء المتناثرة، والجماجم المحطمة، فوقع على الورقة : نفذ حكم الإعدام بالجميع، وكان الشيخ سياف وواحد آخر في سجن آخر.

هذه المذبحة صارت في بل شرخي ؛ سجن كبير في داخل كابل، وسياف كان في (دهمزنك) في سجن آخر في كابل، وبقي سياف حيا في الواقع، ومعدوما في أوراق الحكومة، لكن هو معروف، من قبل الشيوعيين، معروف، حفيظ الله أمين رئيس الجمهورية يعرفه، وكان رئيس الوزراء ثم صار رئيس الجمهورية، يعرفه، بابر كاركمل يعرفه، كل الشيوعيون يعرفونه من خلال الصراع في داخل جامعة كابل.

فصار كلما جاءت مجموعة من الناس تقف على السجون، المكان الذي لا يدخلونه هو مكان الوضوء، فكان يدخل ويغلق على نفسه الباب حتى تذهب اللجنة.

قبل أن يدخل الروس بسبعة أيام تماما علم حفيظ الله أمين أن سيافا حي، فاتصل بمدير الأمن العام، أظن كان اسمه بيتمان، قال : خذ سياف إلى المقصلة، أو يهاجم الأشرار، الأشرار يعني المجاهدين، كان المجاهدون تابعين لحكمتيار ورباني، قد وصلوا مشارف كابل ويريدون أن يدخلوها.

إن لم يهاجم المجاهدين فخذة إلى المقصلة، فقال له مدير الأمن العام : معك إلى يوم السبت، إن لم تهاجم المجاهدين سنقتلك، فأرسل يستشير إخوانه في كابل المختفين، ويستشير أمه، إخوانه قالوا : قف على التلفزيون أو غيره حيثما شئت وهاجمنا حتى لا يقتلوك، وأمّه قالت : لا تهاجمهم وإن قتلوك.

يوم الجمعة قتل أحد وزراء حفيظ الله أمين، وجرح ابن أخته، ثم انشغلوا به يومين... ثلاثة، أمر حفيظ الله أمين أن يغادر قصره إلى دار الأمان إلى مكان آخر، الروس بدأوا يستعدون للدخول، يوم الخميس دخل الروس وقتلوا حفيظ الله أمين، عندما دخل الروس بدأت الطائرات تضرب، والرشاشات تضرب مكانه، وقال لحراسه : أخرج لعل الأشرار وصلوا - الأشرار الذين هم المجاهدون- خرج قال : أصحابك الذين وصلوا -الروس- قال : قل لهم ماذا يريدون أن أوقع لهم عليه ؟ لكن الرصاص لم يمهل، وجرح، وسحب ابنه والطباخون من رجليه مثل الكلب، للمطبخ، ووضعوه تحت التريزه (طاولة) في المطبخ، دخل الجنود، قصره له درج، دخلوا عليه، وقف ابنه يتلقى عن أبيه فقتل، جروه من تحت التريزه وقتلوه، إلى جهنم وبئس المصير.

هذا خدم روسيا، هذا الذي نفذ انقلاب داود، وهذا رئيس الجهاز العسكري للحزب الشيوعي، وهذا الذي رتب انقلاب تراقي، وهذا الذي حفظ الشيوعية وأقامها في داخل أفغانستان، ماذا فعل له الروس ؟ قتلوه، وربطوه في جنزير إحدى الدبابات تطوف به في شوارع كابل.

ونجا بأعجوبة

سياف حي، لا زال حيا، الحزب الشيوعي اجتمع، أرادوا أن يخرجوا كل المساجين، إلا السجناء الخطرين عليهم، فقالوا : سجلوا لنا -مدرء السجن- أسماء المساجين الذين عندهم، جاءوا إلى السجن الذي فيه الشيخ سياف، وهذه المرة أكثر مرة تأخر في مكان الوضوء - الشيخ سياف- حوالي ربع ساعة، بعد أن خرج -كان مدير السجن من تلاميذه- قال له : ماذا يريد هؤلاء ؟ قال : أخذوا أسماء المساجين، قال : أريد أن أخلص من هذه الحياة، تعطيهم الاسم يقضي الله أمره في، قال له : ما أعطيتهم اسمك، قال : إحقق بهم، فلحق بهم ولم يدركهم، كتبت الأسماء، الأسماء اثنا عشر ألف سجين، جاء الحزب الشيوعي وقرأوا الأسماء كلها، ووضعوا علامات حمراء (دوائر حمراء) حول الخطرين، حول ثمانين واحد، ثم جاءوا والناس قد اجتمعوا كلهم في بل شرخي، اثنا عشر ألفا، والطائرات تصور، ومدير الأمن العام ينفخ في بوقه على أساس نحن جننا نحرر الشعوب، ونحرر المساجين، وما إلى ذلك، قالوا :

فلان وفلان وفلان وفلان، الثمانين، عدوا الثمانين، قالوا : أنتم ابقوا، والبقية يخرجون، فلو كان اسم سياف مسجلاً لبقني ؛ مدير الأمن العام يقره، قال : لكن هو مشغول بالنظر إلى الطائرات التي تصور حتى تظهر صورته في التلفزيون هكذا، الشيخ سياف كانت لحيته إلى وسطه في ذلك الوقت تقريبا فلف لحيته بالبُتُو - هذه القطيفة، تعرفون القطيفة الأفغانية؟ - لفها به وخرج، وصل إلى قريته كأن صاعقة نزلت عليهم من السماء، قالوا : هذا بعده حي ؟ هذه الدبابات والطائرات ستهدم القرية، ذهب أهل قريته، ذهبوا وتبرعوا بإخبار الحكومة أن سيافا حي وهو في البلد.

حركوا له اثنتي عشرة دبابة، الطريق إلى بيته ضيقة، وكان قد غادر البيت، لكن من الذي يجرؤ أن يؤوي سيافا ؟ روسيا دخلت الآن، ليس الشيوعيون فقط، وكان ذلك في السابع والثامن والعشرين من ديسمبر، دخلوا في السابعة والعشرين من ديسمبر، الثلوج تغطي كابل وبغمان وشاوى خيل وكل المنطقة، فأخذ أولاده وزوجته، وهام على وجهه لا يدري من الذي يؤويه، الدبابات وصلت قرب بيته، قبل أن تصل البيت كانت الدبابات تريد أ، تحرث البيت، قبل أن تصل البيت خربت الدبابة الأولى، الطريق ضيقة، لا تستطيع أن تتجاوزها التي بعدها، نزلوا، حاولوا تشغيلها، من هدير الدبابة وهم يحاولون تشغيلها، خرج أهل الدار إخوانه.. أمه وما إلى ذلك، وجدوا الدبابات متوجهة إليهم، هربوا من البيت، بقيت أمه، ترجل الجنود، ودخلوا البيت وفتشوا : أين سيافا ؟ تحت التخت، تحت الفراش ما إلى ذلك، قالت : سياف خرج، فأخذوها حافية ووضعوها على الثلج حافية مدة ساعتين، ثم عادوا خائبين، أحد أقارب سياف اسمه دوست محمد الآن رئيس حرس عنده، له سيارة، قال : تعال يا شيخ، وضعه في السيارة، ومن كابل إلى بيشاور، رجولة يا شيخ، المسألة تحتاج إلى رجولة، وضعه في السيارة وسار به حتى وصل بيشاور، بمجرد أ، وصل بيشاور، ذهب إليه، يونس خالص، ومجددي وجيلاني، ومحمد نبي، ورباني، وقالوا : نريد أن نصير رئيسا للاتحاد، قال سياف : اتركوني، أنا مريض الآن وما إلى ذلك، إذا أردتم أن تشغلوني، شغلوني عمل عسكري، سلموني جبهات كابل أديرها، قالوا : أنت إن شاء الله، أنت تستلم الاتحاد، وحملوه حملاً وسلموه الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان.

فلا نامت أعين الجبناء

المهم ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلًا﴾

فقولوا لأمهاتكم اللواتي يخفن عليكم :

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلًا﴾ (آل عمران: 145).

وقولوا لهن : إن خالد بن الوليد مات على فراشه، وقال على فراش الموت : لقد شهدت زهاء مائة زحف وما في جسدي شبر إلى وفيه رمية بسهم، أو طعنة برمح، أو ضربة بسيف، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء... لا نامت أعين الجبناء :

طمنوا الذين يخافون عليكم إن جئتم للجهاد، أي للقتال، على أنه..

أَيَّ يَوْمِي مِّنَ الْمَوْتِ أَفْرَّ

يَوْمَ لَا قُدْرَ أَمْ يَوْمَ قُدْرٍ

يَوْمَ لَا قُدْرَ لَا أَرْهَبُهُ

ومن المقدور لا ينجو الحذر

طمئوهم... على أن القدر لا ينتظر الأسباب، وإذا أراد الله إنفاذ أمر سلب من ذوي العقول عقولا، طمئوهم... على أنه كم من قائد من القادة دخل مئات المعارك... والله، سألت إنجنير ---، قلت له : حضرت حوالي مائة معركة - هذا قائد محل صفى الله أفضلي في هرات - فيها ؟ قال : مائة معركة ! أظن حوالي ألف معركة، ولا زال حيا في هرات في أفغانستان. هذا أحمد شاه مسعود، كم محاولة ومحاوله حاولتها روسيا أن تغتاله، والله عز وجل يُجيبه، وحتى الآن ما جرح ولا قتل.

فلذلك، إن الذين يريدون مجتمعا إسلاميا ترفرف عليه راية التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويسعد الناس فيه بالاستقلال بفيء شريعة الله، لا بد أن يجاهدوا، ولا يمكن أن يقوم دين الله وينتصر بدون جهاد طويل كجهاد أفغانستان، والآن فرصة أفغانستان مفتوحة، ليس لأحد عذر بعد مرور أربعة عشر عاما من الآن عن بداية الجهاد، وبعد مرور عشر سنوات من اشتداد القتال في أيام تراقي، ومرور ثماني سنوات من دخول الروس، ليس لأحد بعد ذلك عذر.

إذا غامرت في شرف مروم

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير

كطعم الموت في أمر عظيم

كلها ميئة، فلتنك في سبيل الله، كلها ميئة، فلتنك محاولة للشهادة في سبيل الله، الآن بعض الناس ينظرون إلى هؤلاء الشباب، فيشفقون عليهم، يقولون : مساكين هؤلاء الشباب، تركوا جامعاتهم، وتركوا وظائفهم، وتركوا أهاليهم، وجاءوا إلى أفغانستان، هؤلاء متهورون، طائشون، لا يقدرن المسؤولية، ولا يفكرون بالعواقب، لا بد أن يكون عندهم اتزان وعقل.

يرى الجبناء أن الجبن عقل

وتلك خديعة الطبع اللئيم

شبهات

في واحد موظف كبير في بلادي يسأل دكتوراً من أصدقائنا قال له: صحيح أن الشيخ عبد الله يقول للطلاب يتركوا جامعاتهم ويذهبوا لأفغانستان ؟ قلت : والله لو سألتني هذا السؤال لقلت له : يجب عليك أن تترك الكرسي الذي أنت في وتأتي إلى أفغانستان.

والله، فرض عين ؛ استئذان الوالدين ؟ لا يوجد استئذان، لا استئذان للوالدين، ولا لأحد من العالمين.. (ففيهما فجاهد) هذا يعارضه حديث آخر رواه ابن حبان وأورده ابن حجر في شرح هذا الحديث : (والذي بعثك بالحق لأتركنهما وأجاهد) قال ابن حجر : والتوفيق بين الحديثين، أن الحديث الأول في فرض الكفاية (ففيهما فجاهد) في شرح البخاري، والحديث الثاني في فرض العين.

الشبهة الثانية الآن التي تقول : كيف نقائل وليس لنا أمير، لا أدري والله، لا يقرأون الفقه ؟ يقول ابن قدامة : فإذا عدم الإمام، لم يؤخر الجهاد، لتقويت مصلحته بتأخيره، يبقى منتظر ؟ حتى متى ؟ أخذوا فلسطين سنة 48 ونحن ننظر، أخذوا الضفة الغربية والجولان وسيناء سنة 67 ونحن ننظر، دخلوا أفغانستان ونحن ننظر، متى يصبح الجهاد فرض عين ؟ ليت شعري متى يصبح الجهاد فرض عين ؟!

أعداء الله يدقون أبوابنا من كل جانب، كل بقعة من بقاع الإسلام مهددة، وأين ؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، فنحن الآن نلجأ إلى أمريكا حتى تحمينا من الشيعة.. أليس كذلك؟ بلى، ولو ! ما في رجال ! لماذا.. لماذا.. لماذا أمريكا ؟ لماذا لا يكون كل واحد منا قبيلة.. لماذا ؟.

إنما الإسلام في الصحراء امتهد

ليكون كل مسلم في أرضه أسد

الهند ثمانمائة مليون عندما هجمت على باكستان في الستينات، وجهت سبعمائة دبابة أو ثمانمائة دبابة إلى لاهور، ووصلت قرب لاهور، الدبابات الهندية تقدم لها سبعمائة باكستاني، كل واحد على صدره حزام ناسف، ورمى نفسه تحت الدبابة، انفجر بالدبابة، وهزمت الهند.. انتهت المعركة بسبعمائة واحد، نريد سبعمائة واحد، قالوا : أليس هذا انتحار ؟ قلت لهم : هذا كما يقول ابن تيمية والجصاص وغيرهم :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة:207).

وهل أكثر من أن وجود بنفسه لله؟! يقول ابن تيمية : ويجوز قتل النفس إن كان في ذلك مصلحة للدين كما فعل الغلام، قال الملك : أعرفك كيف تقتلني، خذ سهمًا، وقل : بسم رب الغلام، أقتل هذا الغلام، فقتل الغلام فقالوا : أما برب الغلام.

الشبهة الثالثة : يقولون : كيف نجاهد مع الأفغانيين وكلهم بدع، وكلهم شركيات ؟ أنا أقول لهم ما يقول ابن تيمية رحمه الله، تعرفون ابن تيمية، شيخ الإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -في الجزء الثامن والعشرين، صفحة خمسمائة وست، إحتفظوا ؛ في المجلد الثامن والعشرين صفحة خمسمائة وست - : "ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل برّ وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور، فإنه لا بد من أحد أمرين : إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرارا في الدين والدنيا، وأما الغزو مع الأمير الفاجر، فيحصل بذلك دفع الأفرجين، وإقامة أكثر شعائر الإسلام، وإن لم يكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة، وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل مع الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت عن النبي ﷺ (الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغرم) فهذا يدل على أن الجهاد مستمر إلى يوم القيامة".

ثم يقول في نهاية الكلام هذا.. يقول : وعدم الغزو مع الفجار إنما هو فعل الحرورية - يعني الخوارج- نوي الورع الكاذب الناشئ عن الجهل... عدم الغزو مع الفجار إنما هو فعل الحرورية -الخوارج- نوي الورع الكاذب الناشئ عن الجهل.

الشبهة التي بعدها : بلادنا بحاجة... طيب، بحاجة إلى متى ؟ نحن نقول : الجهاد الآن فرض عين.. فرض عين، كل بلد فيها على الأقل مائة ألف طالب في الجامعات تقريبا... خمسون ألف، هل تخرب البلد لو جاء ألف من الخمسين ألف؟! لو جاءنا ألف من كل بلد عربي لتجمع عندنا إثتان وعشرون ألفًا، إثتان وعشرون ألفًا يغيرون فرض العين إلى فرض

كفاية، ويكفون لإخراج روسيا من داخل أفغانستان، أتخرب البلاد إذا جاء ألف منه ؟
الشحويوعيون سيستلمونها إذا غبنا عنها، ثم هؤلاء الذين يأتون يكونون حصنا حصينا لأمتهم،
الآن عندما يأتي ألف من بلد من البلدان يقدمون أرواحهم ودماءهم من أجل المحافظة على
أرض إسلامية، على بعد آلاف الأميال من مسقط رؤوسهم، هؤلاء هل يضمنون بأرواحهم
ودمائهم إذا تعرض الحَرَمَان لغزو كافر أو ضال ؟ هؤلاء هم الذي يحمون، لأنهم هنا جاءوا
وتدجروا وواجهوا روسيا، فيسهل عليهم أن يواجهوا اليهود في المسجد الأقصى، وأن يواجهوا
أعداء الله في أي مكان آخر.

والله، لو كان حكامنا متعقلين -حكام البلاد العربية- متعقلين لأرسلوا الجيل كله، يتعلموا
في مدرسة التربية الجهادية الأفغانية، لو كانوا منتبهين لأرسلوا ضباطهم هنا دورات يتعلمون
البطولة والرجولة من هؤلاء الحفاة العراة الجياح.

ما بقي من شبهات ؟ كيف نقاتل مع الأفغان وهم متفرقون ؟ أنا لا أدري عندما قاتل صلاح
الدين الصليبيين كان المسلمون مجتمعين أم متفرقين ؟ أمير دمشق يطلب مساعدة الصليبيين
ضد أمير حلب !! ضرغام، شاور، شاور في القاهرة يختلف مع آخر اسمه ضرغام، يطلب
حماية الصليبيين له ضده، في حلب أمير، في دمشق أمير، في القدس أمير، في القاهرة أمير..

وتفرقوا شيعا فكل محلة

فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولذلك لو اختلفت الأمة هذا لا يوقف الجهاد أبدا، والإمامة العامة إنما تأتي من خلال
الإمامة الخاصة، والولاية العامة تأتي من خلال الولاية الخاصة، فقائد الجهاد هذا خلال
سنوات يبرز الذي بايعناه على الجهاد ثم يصبح أميرا عاما، يصبح خليفة، يصبح أمير
مؤمنين، أما إذا أردتم أمير مؤمنين بدون جهاد انتظروا... اللهم أنزل علينا خليفة من السماء
يكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا... لا يمكن ... مستحيل !!¹

¹ - لا يمكن إقامة دولة إسلامية بدون جهاد.

نريد دولة الإسلام

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن

الرحيم :

﴿ألم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مَنْ يُشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 1-5) .

آيات كريمات مكيات، تنزلت على قلب رسول الله ﷺ في أم القرى ؛ حيث المسلمون يطحنون، يضطهدون ويحاربون ويشردون، وتفرض عليهم مجاعة لثلاث سنين متواصلة حتى أكلوا العهز، والعهز: الشعر والدم المختلط ببعضه البعض.

وأكل سعد بن أبي وقاص - ؓ - جلد بعير، سمع صوت بوله ينزل عليه ذات ليلة، فأخذه وطهره وغسله وقضم ما استطاع أن يقضم منه.

يقول سعد : كنت سابع سبعة حول رسول الله ﷺ . ليس لنا طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا، وإن أهدنا ليضع كما تضع الشاة، كالبعر ليس له خلط، في هذا الجو الكئيب، حيث الظلام مدلهم، ولا يرى المسلمون بصيص نور من أفق قريب أو بعيد، تنتزل هذه الآيات، وما للمسلمين الموحدين في مكة ولانتصار الروم الذين يقولون : إن الله ثالث ثلاثة، ما لهم ولهم حتى يفرحوا بهذا النصر، الذي يسميه رب العزة من فوق السبع الطباق نصر الله، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)، وقد تمحل بعض المفسرين فجاءوا بتفسير بعيد عن سياق الآيات قالوا : إن انتصار الروم على الفرس حدث يوم بدر، فالنصر الذي يشار إليه في الآيات هو نصر المؤمنين في بدر على الكافرين، وهو تفسير بعيد عن سياق الآيات القرآنية.

لماذا يفرح المؤمنون بنصر الروم ؟ أليسوا هم الذين أنزل الله فيهم بعد سنوات قليلة ؛

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة: 73)

ألم يقل فيهم :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَاحِدًا﴾ (التوبة: 31).

لأن المؤمنين في حالة الاستضعاف لا بد لهم من أمل على الطريق...

يقول الترمذي : لقد كان المؤمنون في مكة -في حديث بسنده- يحبون أن ينتصر الروم على الفرس لأنهم مثلهم أهل كتاب، أو أصل الكتاب الذي تنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو الإنجيل وقد تحرف خلال هذه القرون الستة، وعملت عليه أيدي بولس وغيرهم والمجامع الكنسية حتى أصبح شيئاً غير الشيء الذي أنزله رب العالمين، ومع ذلك كان المؤمنون يحبون أن ينتصر الروم على الفرس، لأن الفرس عبدة النار والروم يعبدون ثالث ثلاثة، وهذه السيرة النبوية الشريفة تدل على أن المؤمنين كانوا يحبون أن ينتصر أي واحد يتلقى معهم من قريب أو بعيد.

في الحديث الحسن قالت أم سلمة : ما حل بنا بعد أن نزلنا في جوار النجاشي يوماً أشد من اليوم الذي قام فيه ملك آخر ينازعه الحكم، فاجتمعنا وبدأنا ندعو الله عز وجل أن ينصر الله النجاشي على عدوه، ثم أوفدنا الزبير ليرقب المعركة، واخترق الزبير النهر وراقب المعركة، حتى إذا بدا النصر لجانب النجاشي شمّر عن ساقيه واخترق النهر مرة أخرى وصار يلوح لهم إشارة للنصر قالت : ففرحنا كثيراً بهذا. ورواية أخرى لم أتحقق من صحتها ؛ أن الزبير قد اشترك مع النجاشي ضد هذا الملك العدو.

بوارق أمل ؟

لماذا ؟ المسلمون مخنوقون في الأرض، لا يكاد يتتفسون، يريدون حليفاً يبادلهم ولو المشاعر، ولو في بقعة من البقاع حتى يبقى الأمل قائماً في النفوس وتستمر المسيرة، لأن أشد النكبات التي يمكن أن تلتم بالدعوات هو اليأس وانطفاء الأمل من أعماق القلوب، واستمر هذا.. خزاة، وبعد أن قام لرسول الله ﷺ كيان تشريعي ودولة قائمة في المدينة يحالفها، وكانوا نصحة عيب له في الجاهلية وفي الإسلام ؛ أن يأتئهم على أسرارهم، وكذلك بعض الأحابيش الذين يسكنون حول مكة.

الآن : الأمل بوارقه عظيمة بانتصار الأفغان المسلمين على أكبر قوة في الأرض وأشرسها، هي قضية المسلمين الأولى الآن، والأمل بالله أولاً ثم معلق بها، والذين في رأسهم

مسكة من عقله أو في قلبهم ذرة من إيمان يتابعون هذه القضية على أساس أن الانتصار في أفغانستان هو انتصار الأمة الإسلامية جميعا، والذين لا يدركون سنن الله في تغيير المجتمعات، ولا يعرفون كيف تدول الأمم وتحيا المبادئ، وكيف تنتصر الدعوات لا يدركون هذا، ولا يهمهم كثيرا أن يتابعوا قضية أفغانستان يوما بيوم، باعتبارها القضية الإسلامية الأولى في الأرض.

ميلاد جديد

لقد تمخضت الأمة الإسلامية عبر قرنين من الزمان فولدت الجهاد الأفغاني، وتمخض الجهاد الأفغاني عبر سنوات عشر عجاف لم ير التاريخ مثيلا لها في الإبادة والطحن والسحق، فأبرز إلى السطح قيادات نراها تتحرك على الساحة، هذه القيادات إنما هي زبدة عمل إسلامي مستمر، زبدة الأمة الإسلامية التي برزت من خلال هذه المعاناة الطويلة، ومن خلال هذين القرنين الأخيرين، المحافظة على هذه القيادة واحترامها والوقوف بجانبها وتأييدها بالنفس والنفيس والدم والمال والأهل، إنما هو فرض شرعي يأمره رب العالمين من فوق سبع سموات، وأي تشويه لهذه القيادات التي برزت على السطح في داخل أفغانستان أو في الساحة السياسية هنا، إنما هو تشويه للإسلام ذاته، وتحطيم لآمال المسلمين بهذه القضية، وبعض الناس يتساهلون في تشويه رباني أو حكمتيار أو سيف أو خالد، أو في الطعن في أحمد شاه مسعود وبشير وفريد وجلال الدين وما إلى ذلك.. هكذا بسهولة، ولا يدرون أنهم يطعنون آمال المسلمين في الأعماق ويوجهون الطعنة النجلاء لهذه القلوب التي تعلقت بهذه القضية، وتتابعها بنبضاتها ودقاتها وأنفاسها.

الأمريكان، الإنجليز، الغربيون، الروس، كلهم يدركون خطر الجهاد الأفغاني وأثاره القريبية والبعيدة، ولذا يريدون أن يزيحوا من الساحة هذه القيادات النظيفة التي عرفت بنظافتها منذ نعومة أظفارها، لم يأت سيف لقيادة الجهاد أو حكمتيار أو رباني أو أحمد شاه أو غيرهم، لم يأتوا من الشوارع، ولم يظهروا بين يوم وليلة قادة أخرجهم البيان الأول في ليلة مظلمة في داخل غرفة من الغرف بانقلاب عسكري، هؤلاء قادة الحركة الإسلامية منذ أن كانوا شبابا في الجامعة بل من أيام الدراسة في الثانوية، وحياتهم نذرت عبر هذه المسيرة المريرة التي تجرعوا فيها الغصص ما لا يستطيعه إنسان، وما لم يتحملة بشر حتى وصلوا إلى هذا المدى، فأبي إصبع يشير إلى هؤلاء بالاتهام أو التشويه أو غير ذلك، لا يدري أنه إنما يطعن في الإسلام ذاته، وإنما هو خنجر مسموم يطعن في أعماق المسلمين الذين يحملون بين جوانحهم أملا عريضا، وهدفا عظيما بانتصار المسلمين بعد أن ذاقوا خلال قرنين متتاليين من الويلات والهزائم، وعلى جميع المستويات العسكرية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك.

التفت ببعضهم ممن يُعرفون بالعلم أو الفضل أو ما إلى ذلك... كنت أتمنى أن يكون السؤال مبتدئا من أفواههم أن يسألوني ماذا في داخل أفغانستان الآن ؟ الدنيا كلها مشغولة بأخبار الانتصارات التي فرضت نفسها بعد معاهدة جنيف ومؤامراته على الجهاد، لم يستطيعوا أن يتجاوزوا القضية، من أعظم القضايا في الأرض، أعظم قضية في الأرض الآن تشغل ذهن الأمريكيان والروس والغربيين هي قضية أفغانستان، الكفر متخوف، والمسلمون متأمنون، المسلمون الصادقون الذين يدركون أبعاد المؤامرة العالمية على الإسلام، والهزائم التي مني بها، وتجرعوا مرارة هذا التاريخ وخاصة منذ بداية هذا القرن أن كل مسئول إلا من رحم الله عبارة عن ألعوبة بيد الغرب أو الشرق، لا يستطيع أن ينقل خطوة، ولا أن ينبس ببنت شفه إلا ويستأذن من البيت الأبيض أو البيت الأحمر..

قيادة من نوع جديد

الآن برزت قيادة فلتت من أيدي الشرق والغرب، تصنع قراراتها على هدي من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، هذه القضية يجب أن تستحوذ على اهتمامنا أربعا وعشرين ساعة حتى في منامنا، يجب أن تكون أحلامنا ورؤانا تتعلق بالجهاد الأفغاني، كان لا بد للمسلمين في الأرض أن ينتبهوا لهذه القضية، ويعطوها حق حجمها، وأنت تقطع المسافات الطويلة وآلاف الأميال حتى تحدثهم عن تاريخ حديث تصنع سطره بالدماء، وتبنى أمجاده بالجمام والأشلاء، هم يجب أن يسعوا إليك حتى يسألوا، لا أن تسعى إليهم حتى تتحدث إليهم . المسلمون في الأرض وفي مقدمتهم العلماء مطلوب منهم أن يكونوا في ساحة بيشاور، لماذا تركوا هذه القضية للشباب الصغار ؛ الذين لا يعرفون قراءة القرآن جيدا إلا القليل منهم ؟ لماذا تترك للذين ليس لهم تجربة، ولا محك في هذه الحياة ؟ وليس لهم من الصيت والذكر الحسن الذي تقبل في آراؤهم في الإصلاح في ذات البين، لماذا تترك القضية ؟ يترك الإصلاح بين فلان وفلان في داخل الجبهة في تخار أو في بدخشان أو في الأورجون أو في غيرها، شاب في السابعة عشر وشاب في العشرين لا يعرفون أحكام القرآن جيدا، لا يعرفون الأحكام الشرعية جيدا، متحمسون مخلصون، نرجو الله أن يتقبل منا ومنهم جميعا، ونرجو الله أن يختم لنا ولهم بالشهادة، لكن هذه القضية قضية الإسلام الأولى الآن.

نعم ؛ قضية فلسطين هي قضية الإسلام الأولى، ولكننا لم نتجاوز حتى الآن تقطيع اللحم وإحضار الرز من داخل الشارع حتى نضعها في داخل الإناء الذي نريد أن نطبخ في الطعام، طبخة أفغانستان طبخة جاهزة، لم يبق إلا دقائق قليلة حتى تنضج، فما بال المسلمين يعرضون عنها !؟ كل يشتغل في دنياه، يشتغل في مسائل خاصة، وإن اشتغل بالإسلام فهو اشتغال بالمهم عن الأهم، قد يشتغل في تعليم الناس، قد يشتغل في إرشادهم في بلاده، لكن قضية

المسلمين الآن هي إيجاد بقعة من الأرض يقام عليها حكم يتبنى مصالح المسلمين في الدنيا جميعا.

ماذا نريد ؟

نحن نريد دولة تتبنى المسلمين في الأرض كما تتبنى دولة إيران مصالح الشيعة في كل الأرض، نريد دولة تتبنى مصالح السنة في كل الدنيا، نريد دولة تجرؤ أن تعطيك جواز سفر إن كنت هاربا بدينك وعقيدتك، نريد دولة تحمي عرضك ودمك إذا التجأت إليها، لا تسلمك إلى السلطات التي تريد أن تنتهك عرضك وتجتث الإسلام في أرضها، نريد دولة تتبنى فعلا الإسلام وتكون منطلقا وقاعدة صلبة للجهاد في الأرض، نريد دولة تشن الحرب على من يحارب الإسلام وتسالم من يسالم الإسلام، هذا الذي ينقص المسلمين في الأرض، أما البيع بالأقراض أو بالأقساط أهو جائز ؟ أو غير جائز نحن نريد أن يلتزم المسلمون بكل صغيرة وكبيرة، لكن هنالك قضية الإسلام الأولى وهي غياب القرآن عن الحكم، غياب المسلمين عن التوجيه، غياب الناس الذين يصنعون قراراتهم بهدي من وحي ربهم ومن سنة نبيهم ﷺ، نريد الناس الذين يُخشى جانبهم فلا يضرب الإسلام رهبة من هؤلاء الذين يتبنون الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة. لو تتبعنا الذين في الساحة الآن كم عالما نجد في الساحة ؟ كم مفكرا نجد في الساحة؟ كم أستاذا جامعيا نجد في الساحة!!!

أين المسلمون ؟

قلت لأحمد شاه مسعود : هل فعلا قبلت أطباء فرنسيين في جبهتك ؟ قال : نعم، قبلت أطباء فرنسيين في جبهتي، هل أرسلتم لي طبيبا واحدا حتى لا أقبل طبيبا غربيا ولا كافرا ؟ قال : لم يأتي طيلة العشر سنوات متواصلة والشباب يموتون نزفا، نزفا، أرجلهم تقطع فلا يستطيع أحد أن يضمد الجراح حتى يوقف نزيف الدم، لم يصلني إلا شاب سعودي هو الأخ أبو بشار، لم يأتي إلا واحد خلال هذه السنوات العشر، والفرنسيون سبقوكم، أيجوز أكل الميتة ؟ نعم يجوز أكل الميتة.

أي دين وأي شرع يمنع من استعمال الفرنسيين في تضميد أنظف الأرجل في الأرض حتى لا يموت نزفا ؟ أي دين وأي شرع يمنع أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ؟ لقد أفتى العلماء وعلى رأسهم أحمد بن حنبل ؛ أنه إذا غصت بلقمة وكان عندك خمر، وامتنعت عن شرب الخمر حتى تجيز اللقمة فإنك تموت أثما.

قال أين المسلمون ؟ سؤال كبير يطرحه عليّ، فبدأت أدافع عن المسلمين، قال أمة إسلامية عظيمة، وحركات إسلامية منتشرة في الأرض، ودعوات مبنوثة في كل المعمورة، هل

عجزت أن ترسل خمسة أطباء، أو عشرة دعاة عندي؟ فهنا رفعت يدي مستسلماً، قلت: إن المسلمين مقصرون، ثم استدركت قلت له: يا أخي إن الصورة في أذهاننا مشوهة، كنا نعتبرك رجلاً غريباً متصلاً بفرنسا وبريطانيا، قال: وهل هذا لكم عذر عند رب العالمين؟ لماذا لا ترسلون أحداً يتحقق عن هويتي ويعرف مسيرتي ويتعرف على شخصيتي؟ هذه النتيجة التي وصلها الجهاد الأفغاني ليس بجهدنا، ليس بجهدنا، ولذلك سألوه في المؤتمر الخامس لشورى نظار...

قال: أما أنا فأجيب عن جبهتي وعن نفسي، أو شاب عربي مسلم أراه هو أبو عاصم العراقي قبل ثلاث سنوات فقط، ثم جاءنا قبله بقليل أو بعده بقليل الأخ أنور الدين، ثم جاءنا بعده عبد الله أنس، إذن أي أثر لهم في واقعنا وهو يتكلم عن واقع فعلاً يعيش مرارته.

لقد تقدم هذا الجهاد وانتصر، ليس اعتباطاً ولا صدقة، وليس كما يحلل المحللون من خلال لعبة (CIA) مع (KJB)، ومن خلال المقايضات الأمريكية والروسية، لقد دفعوا من الجهود ما لا يستطيعه البشر العاديون، إن أكثر من تسعة وتسعين في المائة من البشر في الأرض الآن لا يستطيعون أن يقدموا عشر ما قدمه الأفغان أنفسهم، والذين عاشوا معهم وتقلوا وصعدوا الجبال ونزلوا يدركون ما قدمه الأفغان.

كيف تسلط الألسنة على هؤلاء؟

قبل أيام كان عندي محاضرة بسيطة مع لجنة البر الإسلامية في جدة، وهذه اللجنة من أكثر اللجان التي لها مشاريع في داخل أفغانستان - جزاهم الله خيراً - رفلاً قدموا الملايين من الدولارات إلى داخل أفغانستان نفسها، عن طريق الشباب المسلم الذي يدخل داخل أفغانستان، فأتوا بي لإلقاء محاضرة، قلت لهم: يا معشر أصحاب هيئة البر، مع احترامي لكم إن جهودكم جميعاً والله لا تساوي الجهد الذي يبذله صاحب الحمار الذي ينقل الأسلحة أو الذخائر أو الأمتعة أو الطعام إلى داخل أفغانستان، لا يستطيعون، نعم، تصور مهني جبالاً مرتفعاً أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، وأحياناً درجة الميل تصل زاويتها إلى درجة سبعين، ومطلوب منك أن تتسلق هذا الجبل مع حصانك الذي يحمل الذخائر والأطعمة، ثم مطلوب منك أن تنزل من فوق هذه القمة مع الحصان المحمل إلى أسفل الوادي، كنت أسيّر وبجانبي الحصان الذي أستأجرته، لا أستطيع أن أحمل جاكيتي بيدي، كنت أضع الجاكيت على الحصان. والأفغاني وراء حصانه أو حماره يدفع في الصعود أربعة آلاف متر حتى يوصله القمة، والثلج قد تجمد حتى أصبح جليداً، وما أن يضع يده أو رجله - الحمار أو الحصان - حتى ينزلق بما عليه، فيدفعه أو يستعين بمن يمر عليه، يدفع معي من أجل الإسلام. وإذا مز أحد ولم يساعده يقول

له : ألم تقل الكلمة ؟ يعني : ألم تقل كلمة التوحيد ؟ كيف تمر عليّ وأنا في هذه الحالة، ويصعد ست ساعات متواصلة حتى تصل قمة الجبل، ولا تضع قدما إلا وأنت تتوقع أن تأتي على ظهرك منسدحا لأن الثلج قد تجمد، فأصبح كالزجاج، وفي قمة الجبل أنت صاعد ومئات بل عدة مئات من البغال والحمير نازلة هكذا.. وأنت صاعد، وأي حمار ينزلق يأخذك معه إلى الهاوية فتتخطم، كنت على بعد مائة متر من القمة وأفكر وأنا أمشي على أربع كيف يمكنني أن أصل إلى القمة ودونها خراط القتاد، والقلب بلغ الحنجرة وقد استنفذت ما في أعماقي من طاقة، وبلغ مني الإعياء مبلغه، وفي هذه الحال وإذا بمنظر حمار ينزلق من فوق الجبل بما عليه، يهوي ويلحقه صاحبه يريد أن ينقذه بما استطاع من قوة، يتدحرج معه حتى إذا أعياه ذلك ترك حماره إلى مصيره بما عليه يتخطم ويموت، وفي آخر القمة يأتي هذا الرجل الأفغاني صاحب الحصان الذي استأجرته، ولا أستطيع أ، أركبه لا في الصعود ولا في النزول، لأنه من الخطر أن تركبه لأن انزلاقه سيهوي بك إلى الهاوية، جاغني الأفغاني وأشار إليّ هكذا، أي بختم وقال : شيخ : (أسب مرد) مات الحصان، سبحان ربك رب العزة عما يصفون !

وفي الطريق هذا واضع يديه على رأسه، وهذا يمسك كليته التي بدأت تتلوى، وذلك ينتفض من البرد، وثالث يدعوك حتى تقرأ على رأسه، ورابع يقول لك : أعندك شيء من الحبوب لأني أعاني من آلام المغص في أعماقي ؟ وهكذا...

فتابع معي كيف يقطع سبعة جبال متوالية وهو معلق بهذه الحالة بين السماء والأرض ؟ هل تستطيع أي هيئة إسلامية في العالم الإسلامي أن تقوم بجهد صاحب الحمار أو الحصان ؟ لا تستطيع، لا تستطيع، كل الذي كان يدور في ذهني وأنا ألتقط أنفاسي ؛ كيف يمكن للناس أن يتكلموا على هؤلاء البشر؟! الذين ما كان يدور في ذهني إلا بيت الشعر :

لا أبعد الله عن عيني غطارفة

جنا إذا ركبوا إنسا إذا نزلوا

جن، أن طاقة البشر محدودة يكاد يحسبهم الإنسان ضربا من الجن لما يقدمونه من طاقات، فقلت ويل للذين يتكلمون على هؤلاء ! إن أي إنسان في قلبه إيمان يمنعه أن يتكلم على هؤلاء الذين يصنعون التاريخ بدمائهم، ويبنون مجده بجماعهم، كم من الناس ماتوا تحت الثلوج ؟ قبل أن نصل بيوم قالوا : مات بالأمس خمسة بسبب البرد، وواحد قطعت رجلاه، ومجموعة غابت تحت الثلج لا تدري أين هم ؟ وتابعت المسيرة إلى جبل آخر، وفي قمة الجبل والساعة الواحدة ظهرا يبدأ الثلج ينزل علينا، ونزول الثلج يعني قتل مجموعة من المجاهدين لا محالة.

لأن معالم الطريق تضيق، فإذا أقبل الظلام ضاع الإنسان، فيسقط من فوق جبل، أو يغرق في نهر، أو تغوص رجلاه في الوحل.

وما كنت وحدي، كان معي ابنان صغيران، وبدأ الثلج يزيد، وأنا أدعو : اللهم إنا نعوذ بك من شر الثلج والمطر، وبدأ صدري تجول فيه الوسوس، إن منيتنا قد أحضرتنا إلى هذا الطريق، ولكن الحرص على الحياة يناديني من الأعماق ؛ لبتك لم تأت بابنيك حتى يلاقوا هذا المصير، وأسرعنا، نزلت عن الحصان لأنني لا أستطيع أن أبقى راكبا على الحصان لأن الثلج ينتزل فتتجمد الأرجل، نزلت لأسير بين الثلوج، واقترب المغرب ونحن نحاول جاهدين أن نصل إلى الحدود أو إلى أي مأوى حتى لا نموت في تلك الليلة تحت الثلوج، لأن الثلوج إذا تراكمت مات الناس تحتها، وبقدر من الله، وأربع ساعات والثلوج تنتزل علينا، إلا أن المنطقة القريبة من باكستان كان الثلج قليلا فلم تغطي معالم الطريق، وبقينا نتابع بقايا من آثار الطريق، وساق الله إلينا أفغانيا في هذا الطريق، فسار أمامنا وسرنا وراءه، ووصلنا حدود باكستان عند الغروب، والذي كان يؤلمني زيادة أولئك الذي يصعدون الآن (مجاهد كوتل) الذي يرتفع أربعة آلاف متر، هؤلاء قطعوا قسم غير قليل قد مات تحت الثلوج، والثلج لا زال في بدايته - هذا قبل شهر -، فكم غاب تحت الثلوج من جنث، ماتت ما عرفوا بموتها إلى بعد ستة أشهر عندما تذوب الثلوج وتبين الجنث ؟

(سحركل) يحدثني : كانت امرأة شاققة طريقها صاعدة على الجبل الأبيض، ثم جاءت إلينا بعد ثمانية أيام وقد تركت ابنها بين الثلوج يموت، لأنها إما أن تموت مع ابنها، وإما أن تتركه وتتجو بنفسها :

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس: 34-36).

فعلا لا نستطيع أن تقدم لأخيك أن تحمل عنه قميصا، لا نستطيع، قالت : لو أنفدتم هذه الجنّة، جنّة الطفل حتى ندفنها، قال : ذهبنا وحفرنا تحت الثلوج، وبقدر من الله، ولا أدري كيف ذلك، وجدنا الطفل لا زال حيا، بعد ثمانية أيام !!

فالذين يظنون أن لهم يدا طولى في الجهاد الأفغاني، هؤلاء واهمون، إن أهل أفغانستان قد أعدهم الله عز وجل، ودفعوا الثمن غاليا، ونحن قدمنا القليل القليل بجانب هذا الجهاد، فإياكم إياكم أن تشتغلوا بنشويه هذه الصورة المشرقة التي تمخضت الأمة الإسلامية قرنين من الزمان حتى أخرجتها.

أيها الإخوة : الانتصارات متوالية، ويجب أن نفرح بها، وموقع الأفغاني منا لا أظنه أقل من موقع الروم من نفوس الصحابة في مكة، فكما فرح الصحابة بانتصار الروم على الفرس،

يجب أن نفرح بانتصار الأفغان المسلمين على الروس، وبعد أن أحدثوا دويًا هائلًا، وانقلابًا عظيمًا في عالم الأرض، لا يستطيع أحد أن يدرك الانقلاب الهائل الذي أحدثه الجهاد الأفغاني في واقع الأرض كما يعرفه الكفار..

﴿الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: 146).

ولذلك يُقدرون له حق القدر، ويحسبون له ألف حساب، والناس، وكثير من المسلمين مع حياتهم مع دنياهم، مع كتبهم، مع مجلاتهم، سادرون ويظنون أنهم يمكن أن ينصروا الإسلام في الأرض بهذه الطريقة، ويتركون أعظم قضية في الأرض، حتى إذا جئت تحدثهم أعطوك خمس دقائق أو عشر دقائق لأخطر قضية وأعظمها وأهمها في الأرض.

(الأرغون) تدخلها الآن -والحمد لله رب العالمين- أربع وعشرون دبابة ومدرعة، الغنائم الصالحة مما تركه العدو، الغنائم التي لا تعد ولا تحصى، والروس وأجهزة الإعلام الغربي، وأجهزة الإعلام العربي تريد أن تلتفت أنظار الناس عن هذه الانتصارات، وتخوف المجاهدين وغيرهم، أن الروس قد أدخلوا ثلاثين طائرة "ميغ 29"، أدخلوا (إيرفور بمبورديك)، طائرات متطورة أكثر من (F16) في آخر شهرين أو ثلاثة، بعد أن جرب الروس كل الأسلحة التي بين أيديهم ونفذت كل مخزونات الذخائر القديمة، وصاروا يصنعون الذخائر للمعارك، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا، والله لو أدخلوا كل أساطيلهم، لا يستطيعون أن يبقوا ويستمرروا في أفغانستان، لو وضعوا في قلب كل روسي أسدا ما استطاع أي يقف أمام الأفغان.

صدقكم وهو كذوب

ويسأل أحد الصحفيين ريجان الكافر الذي لا يريد أن تقوم للإسلام قائمة : هل يستطيع الروس أن يستمرروا في أفغانستان ؟ قال نعم بشرط واحد، أن يدخلوا لكل مجاهد مائة روسي !! أقل من مائة روسي لا يستطيعون أن يقفوا أمام المجاهد الأفغاني، هذه الحالة، حالة الانهيار والدمار التي قلبت النظرية الشيوعية نفسها، جعلت غوربتشوف الآن يفكر في قلب الدولة نفسها، وفي إعادتها إلى النصرانية والرأسمالية، وذلك تحت ضربات المجاهدين، التي أيقظت وعيه وأعادته إلى رأسه، هذا ألا يستحق منا اهتماما ؟ وبعد ذلك، أناس لا يدركون هذه الأبعاد، لا يعرفون الأعماق التي وصل إليها هذه الانتفاضة المباركة في بيت المقدس، اليهود كانوا يتوقعونها قبل أربع سنوات، وأنا أحس بهذا.

الضغوط اليهودية

من خلال الضغوط اليهودية علينا هنا، من خلال الضغوط اليهودية على الأمريكان والغرب لكي يخرجونا من داخل باكستان، من خلال الضغوط اليهودية والغربية لمنع إعطاء التأشيرات للعرب، وخاصة الفلسطينيين، كانوا يدركون أن الزلزال الذي حدث في جبال الهندكوش لا بد أن يتردد فوق المكبر في القدس وهؤلاء الذين يقومون بالانتفاضة الآن، كنت أسمعهم قبل سنوات من خلال أشرطتهم يقولون بالنشيد الشعبي :

بدنا رجال..... تعد أجيال تقوم الليل.....تهد جبال.....زي سياف الصامد

أخي يا حكمتيار على العدا مثل النار....أخي يا سياف.....الروس منك تخاف

أناشيدهم العذبة التي يتسلون بها في حالة سفرهم وفي حلهم وترحالهم، فكان هذا الصادى المبارك، وكانت هذه الانتفاضة التي زلزلت اليهود من أعماقهم، فهل ينتبه المسلمون؟! وهل يفرحون كما فرحنا؟ كما فرح الصحابة ورسول الله، رسول الله ﷺ، فرح بانتصار الروم على الفرس لأنهم مثلهم أهل كتاب، هل نفرح بانتصارات الأفغان؟ هل نفرح؟ ونحن نرى ذلك الجند الإيماني الذي يتقدم بالأمس ويستلم المدخل بين أفغانستان وباكستان من جنود الرحمن بعد أن احتلوا طورخم واحتلوا الآن بوابة أفغانستان، هل نفرح والذي لا يفرح ليراجع إيمانه، أو ليراجع علمه من هذا الدين فهو في خطأ مبين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، الحمد لله، لا إله إلا الله، صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

الانتصارات متوالية، والمدن تسقط الواحدة تلو الأخرى، وبإذن الله إذا بقي الأمر جاريا كما نرى وصدق الله ظننا، فإننا إن شاء الله سنصوم رمضان في كابل، بإذن الله، بإذن الله، إذا صدق الله ظننا وبقيت الأمور تجري كما نظن فإن كابل لن تستطيع أن تستمر أكثر من رمضان، والآن هم يبحثون عن طريق للخلاص.

إمرأة نجيب تأخذ جواز السفر لتخرج خارج أفغانستان، كبار الشيوعيين يأخذون جوازات السفر، ولأول مرة دولة شيوعية تصدر جوازات السفر لكي يفر الوزراء، وكبار رجالات الدولة إلى مأوى بعيد يقضون فيه بقية حياتهم الخبيثة النتنة، ولذلك يجب أن نصب جهودنا

الآن على هذه القضية، وأن نركز عليها، وأن نقف بجانب هؤلاء الذين أعز الله بهم دينه، ورفع رايته، وأعز الله بهم كل مسلم في الأرض، وأذل الله بهم الكفر، هؤلاء كما قلت في بداية الخطبة هم زبدة مخاض استمر قرنين من الزمان، حتى أفرز عندنا هذه القيادات والذين يريدون تشويبهها، أو التسلي والتفكه بالكلام عليها، هؤلاء يلعبون الأوراق بأوراق المصحف، كالطفل الذي يمزق أوراق المصحف ليلعب بها كما يلعبون بأوراق البلوج وغيرها، انتبهوا!!

والقضية كما قلت لكم إسلامية خالصة والحمد لله رب العالمين، يقودها أناس نظيفون، منذ نعومة أظفارهم، ولكن الإنسان عبر مسيرة طويلة لا بد أن تكون له عثرات، ولا بد أن تكون له سقطات، وأنتم تعلمون من الفقه كما يقول ابن القيم : إن الرجل إذا كثرت حسناته فإنها تعفي على سيئاته، ويعذر ما لا يعذر غيره، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث)¹ نجس لو وضع في ماء كثير فإنه لا يؤثر فيه، ألم يقل الرسول ﷺ : (أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فإنه والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده في يد الرحمن)²؟ أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن.

ولذلك، خاصة أنتم الذين جنتم إلى الجهاد حافظوا على حسناتكم، حافظوا على ثوابكم، واعلموا أن الغيبة والنميمة وغير ذلك إنما هي من أكبر الكبائر.. من الكبائر. والإمام مالك يفتي : أن الأشرار الذين يرفعون دعايا للمحكمة، أو المعروفين بالخير والطيب هؤلاء يسجنون ليعزروا.

ولذلك، الله عز وجل نصر هذا الدين من خلال هذا الجهاد، ليعز هذه الأمة، ولا سمح الله.. ولا سمح الله ولا قدر، لو هزم هذا الجهاد، يحتاج المسلمون نصف قرن أو قرن آخر حتى يحصلوا على قضية بهذه العظمة، وانتصارات بهذه الضخامة، والآثار التي خلفها الجهاد الأفغاني في واقع المسلمين تكفي لتربية أجيالهم إلى يوم الدين، تكفي لتربية الأجيال قرونا طويلة من خلال هذه القصص التي بعضها غاب تحت رمال الهلمند، أو فوق نرى الهندوكوش، لم تجد من يسجلها، وبعضها نقل ولكنه باختصار شديد وإيجاز كبير.

أيها الإخوة : نحن جننا للجهاد، يجب أن نقف بجهودنا وقلوبنا ومالنا وأعصابنا ونفوسنا بجانب هذا الجهاد.

¹ - حديث صحيح رواه الإمام أحمد (أنظر صحيح الجامع الصغير رقم / 416).

² - رواه الإمام أحمد وأبي داود بلفظ "أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود" وهذا صحيح، (أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم / 638).

والحمد لله، والمنّ له، منذ أن رأيت عظم قضية أفغانستان، يوم أ، وطئت قدمي أول مرة قبل سبع سنوات أرض أفغانستان، ووجدت انهزام الروس أمام هؤلاء الجنود، وأنا أعرف حال المسلمين في العالم العربي، وأنا دخلت الجهاد في فلسطين، وأعرف ما هي حالة الجهاد، وأعرف أ، تجميع الناس على الجهاد أمر من أشق النفوس، عندما رأيت هؤلاء نذرت على نفسي أن لا أتكلم في قضية إلا في هذه القضية، حيثما ذهبت، وأينما حلت، قلت هنا طابت الحياة، وطاب الممات، الحياة حياتكم، والممات مماتكم، هنا، هذه الأرض التي كنت أبحث عنها قبل ثلاثين سنة، وأنا أعمل في الدعوة الإسلامية، فوجدتها واقعا شاخصا أمام ناظري، ووجدت الذين كنت أراهم في عين الخيال قادمين قائمين في عالم الحياة يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وما تزيدي الأيام إلا ثقة بهذا الشعب، واطمئنانا لهذه المسيرة، وإعجابا بهذه التضحيات التي فاقت الأساطير أو تجاوزت الخيال.

توجيهات جهادية

هذه من السنة نتركها فترة من الزمن، حتى يتقوا بنا ثم بعد ذلك نعلمهم العقيدة، والسنة، والهيئات وكل شيء، شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في رسالة "اختلاف الأمة في العبادة":
وترك المنذوبات والمستحبات لمعارض راجح أولى وأحسن، لأن إبتلاف القلوب أولى من هذه المنذوبات. ألم تر أن رسول الله ﷺ قد ترك هدم الكعبة وإعادتها على أسس إبراهيم خوفاً من نفرة قلوب الناس فقال: (يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة وأعدتها على أسس إبراهيم وجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرج الناس منه) يبوب البخاري باباً عند هذا الحديث يقول: (باب ترك الإمام للمختار الراجح خوفاً من نفرة القلوب) وفضيلة الشيخ الألباني يقول -والشريط عندي-: قلت لكم هذا (إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا -الحديث- فإذا ركع فاركعوا، فإذا صلى قاعدا فصلوا قعوداً أجمعين).

يقول الشيخ الألباني: إذا كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نترك ركناً من الأركان من أجل متابعة الإمام لأن القيام في الصلاة الفرض ركن، فأمرنا بتركه والصلاة قاعدتين وراء الإمام القاعد متابعة له... فيسألونه: معنى ذلك ألا نرفع أيدينا، ألا نجلس جلسة الاستراحة؟ قال الشيخ: نعم، إذا الإمام لا يجلس جلسة الاستراحة، فلا تجلسوا، وإذا كان لا يرفع فلا ترفعوا، وهكذا.. فقال: (فصلوا قعوداً أجمعين) صلوا فعل أمر، والأمر للوجوب وينصرف للندب بقرينة، أقل حالات هذا الأمر هو الندب، فإذا أردت متابعة رسول الله ﷺ وإذا أردت الثواب، وإذا أردت السنة فصل كما يصلي إمامك والله أعلم.

والتعليق للشيخ، لكن كما قلت لكم، هنا (في المعسكر) أنتم ترفعون أيديكم وأنتم تقولون آمين وتحركون أصابعكم كما تشاءون وتعقدون أيديكم بع الرفع من الركوع، ما أحد سألكم لماذا؟ لأننا لا نخشى فتنة من هذا بل اتباع السنة علينا واجب، يعني يجب علينا طاعة رسول الله ﷺ.

فمتابع رسول الله ﷺ في هذه الهيئات أقل حالتها سنة، أننا مثابون عليها، هل تظنون ديننا بهذا الشكل، يعني؛ لا نخشى الله عز وجل؟! ونحن لا نحب اتباع سنة الرسول ﷺ!! فنقول لكم: اتركوا هذه السنن!! نقول لكم: اختيار أهون الشرين، واحد من اثنين -إما تطبيق هذه السنة ونترك الأفغان يقولون: هذا وهابي فلا جهاد، وترجع على بلادك تقول: هؤلاء الناس لا يعرفون السنة، أو تتركها شهر شهرين حتى يحبك هؤلاء الناس، ثم ترجع تعلمهم العقيدة بعد أن يحبوك، الأفغان إذا أحبوا إنساناً أعطوه قلوبهم ونفوسهم وأرواحهم وبذلوا دماءهم فداءً له... هذا معروف عن الأفغان وكثير من الإخوة العرب تركوا هذه في البداية، ثم أصبحوا

أئمة، وأصبحوا مرشدين، وأصبحوا قادة وموجهين، وأصبحوا لا يأخذون إلا من هذا الشاب، لكن في البداية هم يراقبونكم شهر إلى شهرين.. والله، مراقبة دقيقة، أين يضع يديه؟ على الصدر!! شطب عليه... وهابي الله يرحمه، انتهى... نعم، فهم يراقبونك... هم يضعون على السرة، ضع يا سيدي فوق السرة.

كان أحمد ابن حنبل - في الرواية الصحيحة - يضع يده بين الصدر والسرة تبطل الصلاة؟! لا تبطل الصلاة ولا تنقص من أجرك.

خذ مني، والله سيزيد أجرك... ترك سنة - أنا لا أظن في مثل هذه الحالة من أجل أداء الفرض - لك أجرها عند الله، لأنك حريص على أداء السنة ولكن لا تفعلها في فترة من الفترات حتى تصل إلى مقصود أعظم، ألم تر أن عبد الله بن أنيس الذي ذهب لاغتيال خالد بن سفيان الهذلي مكث شهرا لا يصلي، لا يصلي أبدا!! سمع رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان يجمع عند عرفة ليغزو المدينة ويضرب الدعوة الإسلامية، فأرسل إليه عبد الله بن أنيس فأظهر له أنه من جماعته وصار يتقرب إليه ويستشير به وما إلى ذلك، وحتى في يوم من الأيام كان نائماً معه قطع رأسه ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحمى المسلمين من شر عظيم، فقال له رسول الله ﷺ: كيف كنت تصلي؟ قال كنت أشير بعيني!!

يا إخوة فقه الدعوة إلى الله عز وجل، فقه العمل الإسلامي، الدين الآن يجتث من الجذور، أنت نحاسبني أن نرفع أيدينا أم لا نرفع؟! - لا ترفع - أنت آثم إن رفعت، أنا أفتي بها أمام الشيخ وأمام الناس أجمعين لأنهم بحاجة إليك، بحاجة إلى أن تصلح عقائدكم، بحاجة أن تعلمهم السنة، بحاجة أن تساعدكم في الجهاد، فاتركها شهرين ماذا يحصل؟ العقيدة إن شاء الله لا نتهاون بها وندخل إليهم - إن شاء الله - فقط كما قلت لكم أعطوهم فرصة شهر، شهر ونصف حتى يتقوا بك.

لا تسكت عن العقيدة، وإن رأيت تميمة فاقطعها بالحكمة والموعظة الحسنة.

يا أيها الإخوة: جننا لنجاهد مع الجهاد الإسلامي، نحن وإياكم متفقون على أن هذه البدع موجودة يجب إزالتها، لكن كيف يجب إزالتها؟ نحن نعطيكم خلاصة تجربتنا معهم سبع سنوات، تحب أن تأخذ هذه التجربة؟ هيا خذها، لا تحب! جرب بنفسك، نحن متفقون معكم على أن هذه السنن يجب أن تحيا يجب أن تطبق - على أن هذه البدع يجب أن تزال، العقائد المنحرفة يجب أن تصحح، لكن كيف نصل إلى هذا؟ نحن نقول لك بهذه الطريقة، تحب أن تأخذ منا أهلاً وسهلاً - لا تحب جرب، والشقي من وعظ بنفسه، والسعيد من وعظ بغيره، هذا خلاصة ما عندي، فلا تفرض نفسك أنك حريص على السنة أكثر منا، إفرض نفسك مثلنا ولا

تفرض نفسك أنك أغير على دين الله منا، إفرض أننا مثلك، لا تفرض نفسك أنك أعلم بالسنة أو بالعقيدة منا، إفرض أننا مثلنا مثلك.

﴿لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور: 12).

لماذا تفرض في نفسك أنك أغير على دين الله وأنتك أغير على السنة أو أغير على العقيدة من غيرك؟ نحن نقول: نحن جننا للجهاد وحننا إن شاء الله محاولة منا أن نساعد هؤلاء - لعل الله يقيم دولة إسلامية في داخل أفغانستان، فنسعد بإقامة دين الله كله... وكل البشرية تسعد بالرجوع إلى شريعة الله عز وجل، كما قلنا الطريقة أن تمشي الهويينا وتأخذ الأمور بالحكمة والموعظة، لأن هذا الشعب من خلال تجربتنا معه، لا يأتي بالعنف؛ روسيا صار لها معه عشر سنوات، رافض أن يطأطيء رأسه، رافض أن يخضع لها... ويقول لها: كلنا نموت دفاعاً عن ديننا الممثل في المذهب الذي نعرفه، قدمنا مليون و 200 ألف شهيد من أجل الدفاع عن المذهب الحنفي، أنت تأتي بيومين تريد أن تغير مذهبنا؟ لا نريدك، ولا نريد مساعدتك، هكذا يقولون لك باختصار العبارة.

فأنت أدخل إلى قلوبهم، وأعنيهم، ثم بعد ذلك - هذه خلاصة تجربتنا - إذا أحبوك سيأخذون منك كل شيء، سيأخذون منك العقيدة وسيأخذون منك السنة، وستصبح مرشدهم وإمامهم وواعظهم، خلال تجربتنا عبر سبع سنوات معهم نقدمها لك في خلال بضعة أيام تقضيها معنا في صدى، تحب أن تأخذ حياك الله، لا نريد منك جزاءً ولا شكوراً، تحب أن تجرب بنفسك وتزيل المنكر بالطريقة التي تريدها وتصلح العقيدة في يومين أو ثلاثة أيام كما تظن؟ تفضل، والله نحن نحب هذا؛ أن الإنسان يغمض عينيه ويفتحها فيجد شعباً كأنه شعب الصحابة في عقيدته، وفي دينه وفي سنته وشريعته، لكن تغيير الأمة والمجتمعات لا يتم تغييرها في يوم، ولا يومين ولا أسبوع ولا شهر ولا بالسنة ولا بالسنوات، المجتمع الذي أقامه الرسول ﷺ عشر سنوات حتى استطاع أن يطبق السنة عليه، مرّ عليه عشر سنوات لأن دين الله يطبق بالتدرج والبشرية والنفوس... تنتقل إلى دين الله عز وجل هكذا بالتدرج، لا يمكن أخذ الأمور اعتباطاً، كلنا متفقون على أن العقيدة يجب أن تصحح، كلنا متفقون على أن البدع يجب أن تزال، كلنا متفقون على أن السنن يجب أن تطبق، والله كنت أرفع اليدين قبل أن تلتك ألك وما تركت رفع اليدين إلا بين الأفغان، وما رأيت أفغانياً يحمل حرزاً إلا حاولت أن آخذه، لكن هم يعرفونني ويحترموني ويسكتون، أما أنت تحتاج فترة، فإذا عرفوك احترموك وأحبوك ثم بإمكانك أن تجمع الحروز كلها في يوم واحد، إن شاء الله يمكن كل هذا أن يتم بعد أن تجلس معهم في الجبهات، عش معهم في الجبهة، دعهم يحبونك من خلال أعمالك، لا من خلال أقوالك، من خلال صبرك معهم، من خلال مسحك على جراحاتهم؛ من خلال رفعك

لعزائمهم، من خلال مواساتك لهم، أناس جراحهم تتزف دماً، فقد أباه وفقد أمه، وفقد عمه وابنته مشوهة، وأخوه مقطوع اليد، وأخته مشلولة الرجل، يحتاج لكلمة طيبة، ثم بعدها تقدم المساعدة، عندها بعد يمكن أن يتقبل منك، وكما قلت لكم : نحن جننا إن شاء الله ما جننا إلا إرضاءً لله عز وجل كيف لا نطبق السنة ؟ هذه جريمة، كيف نقول لك لا تطبق السنة !؟ أحارب السنة ؟ أعوذ بالله، هذه جريمة لا يكفرها شيء، لكن أقول لك : هنالك أمور أعظم تنتظرك، فإذا انتظرت في تطبيق بعض الهيئات -هذه الهيئات- قد ينفع الله بك بأمر أعظم، أمور عقيدية، أمور الجهاد، ثم بعد ذلك إن شاء الله رب العالمين يعينك على تطبيق كل السنن ليس على نفسك بل على غيرك بل على الجبهة وقد يحيي الله بك جبهة تعدادها ألف مجاهد، قد يرد الله بك الروح، قد يقيم الله بك دولة الإسلام... خلاصة الأمر تحبون أن تأخذوا خلاصة التجربة أهلاً وسهلاً، لا تحب أنت حرّ كما تشاء... لا نستطيع أن نتعبك في ذلك ولا نكون معك في هذه الطريقة فافعل ما تشاء -والله أعلم-

وأقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

طبيعة العمل لهذا الدين (1)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

الحمد لله رب العالمين عزّ ونصر، عظيم يرينا آياته كل حين، جبار..

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾
(فاطر: 44).

حكيم...

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس: 3).

﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ﴾ (هود: 123).

(بيده ملكوت كل شيء) أبى إلا أن يعز دينه، وينصر عبده، ويهزم الأحزاب وحده، كم حاول الكفار أن يطفئوا نوره ففشلوا..

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ لِلَّهِ إِلَهًا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: 32).

سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، كلنا عاجز إلا من أقدره الله عز وجل، وكلنا فقير إلا من أغناه الله، وكلنا ذليل إلا من أعزه الله، وكلنا مهزوم إلا من نصره الله، سبحانه لا يخذل عبده، ولا يخلف ظن عبده به، وهو كما قال : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه، ولئن أتاني ماشيا أتيتته هرولة، وما تقرب إليّ عبدي شبرا إلا تقربت إليه ذراعا، ولئن أتاني ماشيا أتيتته هرولة) سبحانه كفى من يتوكل عليه، وهو حسيب من يكل الأمر إليه..

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود: 123).

رب العزة سبحانه رأى الأمة الإسلامية تسير من ضياع إلى ضياع، ومن هزيمة إلى هزيمة ومن انهيار إلى انهيار، تسلط على الأمة الإسلامية بذنوبها أناس كانوا نقمة من الله عليها..

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41).

سلط عليهم بذنوبهم أناساً لا يخشون الله ولا يرحمونهم...

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى: 30).

والراعي أحد الرعية، فكما ازداد فسقها أخرج الله من بينها فاسقا سلطه عليها، وكلما ازداد ظلمها لنفسها أخرج الله من بينهم ظالما يسلطه بظلمه وبطشه وجبروته وطغيانه عليها، والجزاء الرباني جزاء المثل بالمثل، هكذا علمتنا القوانين القرآنية، والسنن النبوية..

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: 152).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر: 19).

الجزاء من جنس العمل، وإذا صلحت الرعية ساق الله إليهم من بينهم رجلا صالحا يزيد من صلاحهم، ويرحمهم برحمة من الله عز وجل، وإذا زاد ظلمها أخرج الله لهم من بينهم جبارا طاغية لا يعرف الله ولا يعرف حقوقه.

الله عز وجل سبحانه وتعالى رحيم بعباده، يحب لهم الخير، يحب أن ينصرهم، لكنه يريد أناسا يسلمهم هذا الخير، ويسلمهم هذا النصر، أنت إذا جئت ووضعك بين يدي ابنك الذي تحبه كثيرا - ولكنه لا يعقل - وضعت بين يديه كمية من الذهب، بإمكان أي بائع للحلوى أن يأخذ كمية الذهب التي بين يديه بقطعة حلوى.. لماذا؟ لأن ابنك قد أخذها بسهولة فيفرط بها بسهولة ولا يعرف قيمتها، ولو وضع الله عز وجل النصر بين يدي أمة دون أن تجاهد فإنها من السهل أن تفرط فيه...

ومن أخذ البلاد بغير حرب

يهون عليه تسليم البلاد

ومن هنا سنة الله عز وجل في الخلق أن لا يعطيهم النصر إلا بعد البأساء والضراء والزلزلة، وبعد المصائب والمحن، وبعد النكبات والضربات وبعد عمليات الإبادة والسحق التي تعمل فيهم، وتبقى مجموعة مؤمنة تحافظ على هذا الطريق، فينزل الله عليهم النصر، ويمكن

لها في الأرض، ويجعلها ستاراً لقدره، بدون هذا لا يمكن أن تنتصر أمة، -سنة من سنن الله عز وجل في الحياة- :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
(البقرة: 214).

الطريقة الربانية لتربية النفس البشرية

ولا بد للناس الذين يريدون أن يعيدوا دين الله في الحياة من شيئين :

الشيء الأول : معرفة دين الله عز وجل.

الشيء الثاني : العمل بهذا الدين حتى يمكن لهم هذا الدين في الأرض.

ولذلك لا بد أن نعرف ديننا أولاً، ولا بد أن نعمل بهذا الدين، والعمل لله عز وجل بدون علم ضار، والعلم بدون عمل أشد ضرراً، ولذلك أخطر الناس على الإسلام نفسه العلماء ؛ الذين لا يعملون، لأنهم يعرفون الثغرات وأماكن الخروج من هذا الدين، والتقلت من النصوص القرآنية والأحكام الشرعية، فيفتنون الناس بالترخيص لأنهم هم يعيشون في حياة الرخص، يعيشون في حياة التساهل، لا يريدون أن يبذلوا لهذا الدين، فيؤولوا النصوص القرآنية كما يريدون، ومن هنا كان أكثر الناس الذين وقفوا حجر عثرة أما هذا الدين يوم أن جاء ؛ علماء أهل الكتاب، لأنهم لا يريدون أن يعتقوه، ويعلمون ظاهراً من الكتاب، وعندهم شيء من الكتاب...

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: 146)

ولذلك حاربوه عن معرفة، حاربوا هذا الدين عن معرفة، فكان الشعب من اليهود والنصارى إذا سمعوا شيئاً من رسول الله ﷺ يذهبون إلى الرهبان والأحبار، يقولون لهم ما رأيكم ؟ يقولون : لا، إن نبي آخر الزمان منا وليس منهم، فهم يصدقون رهبانهم وأحبارهم..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: 34).

العلماء، أو ليس العلماء، الذين يحفظون المتون والنصوص والشروح والحواشي دون عمل، هؤلاء خطيرون على الإسلام، وسبب كبير في انحراف الناس عن الطريق، هؤلاء الذين يعلمون ولا يعملون هم لا يعلمون، أعمى الله بصائرهم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: 46).

الله لا يحبهم ولذلك ما ألهمهم العمل بهذا الدين، فعلمة غضب الله وعدم التوفيق أن الإنسان الذي يعلم لا يعمل بما علم.

الناحية الأخرى الذين يريدون أن يعملوا لهذا الدين بدون علم كذلك قد يطعنونه وهم لا يعلمون، الذي يعبد الله على جهل هذا كذلك خطير، ولذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه : "قسم ظهري رجلان، عالم فاجر وعابد جاهل" عالم فاجر يعني عالم لا يعمل، وعابد جاهل يعني عابد لا يعلم هذا الدين، فيعبد الله على جهل ومن هنا كانت طريقة بناء رب العالمين للنفس البشرية تربيته تدريجياً، كالبناء طابق طابق، حجر فوق حجر ما إلى ذلك حتى تكتمل بناء النفس البشرية، والنفس البشرية ليست بين يوم وليلة تبنى، النفس البشرية لا تبنى بين يوم وليلة، تحتاج إلى فترة طويلة لبنائها، التدرج في البناء، تماماً كالجسد، الإنسان يولد طوله مثلاً نصف متر، يوم يصير عمره 7 سنين، يوم يصير 75، متر... متر وربع إلى آخره حتى يصل لما يصل العشرين يصل طوله 175-180 سم.

النفس البشرية كذلك بهذا الدين تتدرج فيه، ومن هنا رب العزة كان ينزل القرآن آية آيتين ثلاث، وطلب منهم العمل بها، كان أصحاب رسول الله ﷺ يأخذون الآية والآيتين والثلاث ولا يزيدون على العشر، ثم يذهبون ويعملون بها ثم يعودون ويتعلمون ويعملون، قال : فتعلمنا العلم والعمل بالقرآن معا - كما قال ابن مسعود - ومن هنا خطير جداً أن تعلم كثيراً من العلم وأنت مستواك العملي بسيط، الذي يستمع إليك ما شاء الله، الآية القرآنية كذا، والحديث كذا، الحديث الصحيح، الحديث الضعيف، العقيدة، التاريخ الإسلامي، الخلفاء، قال عمر، قال أبو بكر ﷺ وعندهم أجمعين، لكن في العمل طوله عشر سنتمترات، وفي العلم طوله ثلاثة أمتار لا يوجد توازن، هذا مرض، زيادة العلم بدون عمل مرض كزيادة العمل بدون علم، هناك مرض في الطب يسمونه (هيدروكيفلس) رأس الواحد ينتفخ كثيراً بحيث جسده لا يحمله، أنا رأيت رأسه هكذا، وجسده بسيط، رقبته لا تحمل الرأس / لا تستطيع، هذا شكل كثير من الناس، يعلمون علماء، يحفظون ليس علماء، يحفظون لكن رأسه مرمي هكذا، جسده أعضاؤه لا تحتمله ولا بد أن يكون الرأس متناسباً مع الجسد، وإلا يكون مرضاً، إن نمو أي جزء من أجزاء الجسم وحده، لو كان الغذاء كله يصب في ناحية واحدة، مثلاً يصب في الأنف، يصير أنفه هكذا أكبر من رأسه، فهذا تشويه، فدين الله عز وجل منهاج رباني لتربية النفس البشرية هكذا بالقطارة آية اثنتين، حديث اثنان، يذهبون يعملون وهكذا،

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: 92).

يقول : إن أحب أموالي إلي ببرحاء، هي لله عز وجل فيها ألف نخلة، وبدون هذا سيصبح دين الله لهواً ولعباً لمن علمه..

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: 70).

ومن هنا الذين يحفظون النصوص ولا يعملون، هؤلاء عبارة عن عكازة يتخذها الحكام لإضلال الشعوب، الفتاوى.. تعال يا شيخ إفت على التلفزيون أن تحديد النسل جائز، خلاص، يفتي، ويأتي بحديث ويأتي بآية، تعال يا شيخ إفت أن الجهاد الآن غير واجب، يأتي ويأتيك بأمثلة ؛ (ألك أبوان ففيهما فجاهد) وجاهد في بزورتك (أهلك) يا بني، وخلاص.. نعم .. من السهل جدا جدا، هؤلاء الذين يحفظون المتون أن يؤتى بهم في كل وقت من أجل إضلال الشعوب، ولذلك قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله :

رأيت الذنوب تميت القلوب

وقد يورث الذل إيمانها

وترك الذنوب حياة القلوب

وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها

لقد رتع القوم في جيفة

يبين لذي اللب إنتانها

نعم، ومن هنا حرص الطواغيت في كل حين أن يكون حولهم مجموعة من الذين يوقدون البخور، ويمسحون الجوخ والحريز، وظيفتهم إخراج الفتاوى التي تسكت الشعوب، بماذا ؟ لقاء زيادة سنوية، أو وسام، إيش وسام يعني ؟ وسام الشرف، وسام العلم إيش وسام العلم ؟ مدالية العلم، الجائزة السنوية مدالية العلم، يعني حديدة مكتوب عليها جائزة العلم للشيخ الفلاني، نعم يبيع دين الله، ودين الناس، ويضيع الأمة من أجل ماذا ؟ مدالية، هذا جونيغو كان يريد أن يحل القضية الأفغانية، ويرجع المهاجرين الأفغان ويطرد المجاهدين، ويغلق الحدود، كان يطمع في مدالية السلام العالمية، يأخذ قطعة ذهب مكتوب عليها جائزة السلام الدولية، قلت : لو جاء عندي أعطيه قطعتين ! ولازم يأخذها من الكفار ! أنا مسلم أعطيه قطعتين من الذهب ! كان يريد أن يضيع شعبا وأعظم قضية في الأرض من أجل ماذا ؟ من أجل قطعة ذهب مكتوب عليها مدالية السلام العالمية، ولذلك قال الله عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ (آل عمران: 77).

لا نصيب لهم في الآخرة..

﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 174)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: 159).

يكتُمون البيِّنات ويكتُمون الهدى يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون..

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 160).

يقول الرسول ﷺ عند هذه الآية ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (قال : أتدرون ما اللاعنون ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : دواب الأرض يصيبها الجذب بسبب علماء السوء، يقل المطر) أو كما قال ﷺ، الحديث حسن رواه ابن ماجة، ولذلك يروي القرطبي عند هذه الآية : أن سليمان عليه السلام خرج يستسقي بالناس، فوجد نملة نائمة على ظهرها رافعة أرجلها إلى السماء تقول : اللهم لا تأخذنا بذنوب بني آدم، فقال سيدنا سليمان : إرجعوا فقد أمطرتم بدعاء غيركم، قال مجاهد : إن دواب الأرض تلعن الذين لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ويكتب عن الأوزاعي أثراً - لا أدري من أين جاء به- قال : شكت النواويس إلى الله عز وجل من نتن جثث الكفار -النواويس المقابر- اشتكت من رائحة جثث الكفار، الأرض لا تطيقهم، فأوحى الله لها : هل أنبئك بأنتن من هذه الجثث ؟ قالت : بلى يارب، قال : بطون علماء السوء، نعم ومن هنا لا بد من العلم مع العمل، الطريقة الربانية لتربية النفس البشرية يأتون للرسول ﷺ الأعرابي : علمني يا محمد، يقول له : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، قال له : وغير ذلك، صلاة، صوم، زكاة، قال له غير ذلك، عدّ له الأركان الخمسة، قال : والله لا أزيد عليها ولا أنقص، خلاص... بس، قال : أفلح الأعرابي إن صدق، جلسة واحدة يعلمه الإسلام كله، يأخذ الأعرابي ويعطيه الإسلام، فالرسول ﷺ يعطي الإنسان عل قدر ما يفهم، يعلم الصحابة الذين حوله الآية والآيتين، الحديث والحديثين، ثم يتركهم لا يعطيهم، دروساً أياماً، كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة - يعني يتفقدا تفقدا بالموعظة مخافة السامة علينا، فلا بد من العلم ولا بد من العمل.

وعالم بعلمه لم يعملن

معذب قبل عباد الوثن

والذين يعبدون الله على جهل كذلك مصيبة، مثل بعض الصوفية تجده يقوم الليل حتى تذهب عليه صلاة الفجر، يصلي النافلة ويترك الفريضة، وهذا جهل، وذلك الرجل الذي من بني إسرائيل المتعبد، قام في الليل يتوضأ ليصلي فوطئ على فأر فوجد أنه قد مات، فندم ندماً شديداً أنه قتل نفساً، فوضعه في كيس وعلقه في عنقه طويلاً كفارة لنفسه التي قتلت هذه النفس، فيوم من الأيام عالم قال له : ما هذا الخيط الذي في رقبتك ؟ قال له القصة كذا وكذا، قال له : صلاتك منذ أن وضعت في عنقك باطلة لأنك تحمل ميتة، نجاسة، فلا بد من العلم مع العمل، ولا بد من العمل مع العلم.

ومن هنا طريق تربية الدعوات للشباب طريقة ناجحة جداً، وهي إعطاؤه كمية قليلة من العلم كل أسبوع، ثم يسألونه : هل عملت يسألون في هذا الأسبوع، في الثاني، وهكذا وهكذا تتمو نفسه تدريجياً، وكلما ارتفعت نفسه يكلفونه بتكاليف أكبر حتى إذا نضجت روحه ونفسه يقولون له : الآن جاء الجهاد، تحب أن تجاهد ؟ لا بد لك أن تجاهد، الطريق مفتوح تفضل إحمل حسامك، وامتشق سلاحك وامض.

هذه الطريقة هي الطريقة الربانية لتربية النفس البشرية.

فقه الدعوة

فالشباب يعيش في جاهلية ويرجع إلى الله عز وجل بسبب حادث من الحوادث، انقلبت به السيارة ونجاه الله، أمه ماتت فتاب، الله عز وجل أراه رؤياً في منامه، المهم رجع إلى الله عز وجل، يقرأ عن أبي بكر رضي الله عنه كان يفعل كذا، ينظر هذا يكذب أحياناً وهذا جرب عليه سرقة، وهذا يريد أن يبید الناس كلهم، المسلمين الذين حوله لماذا ؟ لأنهم ليسوا مثل أبي بكر لا يوجد إلا أبي بكر واحد من كل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنت تريد أ، كل الناس يكونوا مثل أبي بكر ؟ لن يكونوا مثل أبي بكر، أفضل الناس بعد الرسول هو أبو بكر رضي الله عنه، الصحابة أنفسهم قالوا : كنا لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم ندع سائر الصحابة لا نفاضل بينهم، أما أنت من أول يوم تريد من البشر كلهم أن يصبحوا مثل زهد عمر، لا يوجد مثل زهد عمر، واحد ممكن.. خمسة.. عشرة في الأمة، أما كلهم مثل زهد عمر ليس معقول، تريد كلهم مثل سخاء عثمان، لا... مجموعة قليلة جداً من الناس، كلهم مثل تقشف عليّ وشجاعته ؟ لا، كلهم مثل حزم أبي بكر؟ لا، لكن قليلاً قليلاً..

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ (النساء: 94).

أمس كنت تحفظ بالسيارة في الشوارع، وتلاحق البنات، أولاً ؟ هكذا كنت، فأنت كما رحمك الله عز وجل ورجعت، الله قد يرحم هذا ويتوب عن المعاصي، هذا الشاب الذي يريد

أن يضرب هذا، ويؤدب هذا، ويستغيب هذا، ويسبب هذا.. لماذا؟ من الحرقة التي في قلبه على الإسلام، راجع إلى الله عز وجل يغلي، لكن لو كان عنده علم ما فعل. هذا كله... ما فعل هذا، لانزوى في زاوية من بيته قال: اللهم اغفر لأخي فلان وتب عليه واهد كما هديتني، لو كان يعلم العلم الشرعي لا يأتي أمام الناس يستغيبه، يأتي إليه بينه وبينه يقول له: والله يا أخي أنا كنت عاصيا فاسقا فاجرا، والله عز وجل من علي، وأنا رأيت منك انحرافا، أو هفوة صغيرة أو كبيرة في القضية الفلانية، وأنا أحببت أن ألفت نظرك إليها لأني أحبك حتى لا تعذب عليها يوم القيامة، هذا أفضل من أن تأتي أمام الناس تقول: إن فلانا فاسق، وهذا كذا وهذا كذا، هذه طريقة الجهلة، ولو فعلها رسول الله ﷺ ما أسلم عمر ولا أسلم غيره، كان قال: اقتلوا عمر ونستريح -يوم أن كان يقاومه، لكن مع أ، هم كانوا يعادونه ويؤذونه ويعذبونه كلما اشتد عليه الإيذاء يرفع يديه: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

إذن لا بد أ، يعلم الداعية هذا الدين، وطريقة العمل بهذا الدين، كما هو يعمل يجب أن يعلم، وإذا كان لا يعلم يجب أن يسأل الذين يعلمون، لكن هو لا أحد يعجبه في الدنيا أبدا، خلاص، حفظ نصف القرآن، وحافظ للأربعين نووية وخمسمائة حديث، خلاص هو وصل القمة، تقول له اسأل فلانا الشيخ، الشيخ الفلاني هذا فاجر، الشيخ الفلاني فاسق، وهذا الشيخ الفلاني هذا من عبدة الطاغوت.. وهذا!! طيب من في الدنيا..؟! لا يوجد غيرك؟! أمس كنت تحفظ في الشوارع، قبل سنة كنت هكذا ضائعا فهذا لا يمكن أن يتعلم -قم أذن لهم يا أخي، أين المؤذن؟ لا نترك الأذان، هم قاموا إليه، قلت لهم: الأذان للصلاة، فلا بأس أن يؤذن، في بعض العلماء يقولون: الأذان للوقت، وبعض العلماء يقولون: الأذان للصلاة، فأذن للوقت؛ حتى يفطر الصائمون-.

النفوس العظيمة

والنفوس كلما كبرت كلما اتسعت للنفوس الصغيرة، وكلما تربت على هذا الدين كلما ازدادت رافتها ببقية المسلمين، وقد ضربت لكم مثلا؛ الرسول ﷺ تسأله السيدة عائشة: يا رسول الله هل مر عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: عرضت نفسي على أبناء عبد يا ليل فردوني أو صدوني، فطفقت هائما على وجهي حتى وصلت قرن الثعالب، قال: وإذا بجبريل يناديني: يا محمد، هذا ملك الجبال قد أنزله الله ليفعل ما تأمره، فناده ملك الجبال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أطبقت -الجبل الأحمر وجبل أبي قبيس- على أهل مكة، أطحنهم طحنا- فرفع يديه، قال: (إني لأمل أن يخرج الله من أصلابهم من يحمل هذا الدين)، النفوس كلما ارتفعت كلما اتسعت، أحمد بن حنبل كان المأمون والمعتصم يعذبونه بسبب عدم قوله بخلق القرآن، كان يدعو لأمير المؤمنين يدعو له، نقارن بين موقفين، عبد الناصر أعدم

محمد فرغلي وعبد القادر عودة، عبد القادر عودة أستاذ التشريع الجنائي في الإسلام، ومحمد فرغلي الذي كان يقود جهاد الحركة الإسلامية في فلسطين، وفي قناة السويس، محمد فرغلي هذا كان إذا دخل الإسماعيلية -البلدة التي فيها المعسكرات الإنجليزية- الإنجليز يعلنون الطوارئ، يقولون : دخل الفرغلي، معنى ذلك أن الليلة هناك عملية، عند الإعدام دعى محمد فرغلي بعد التعذيب الشديد، طبعاً وجريمته إنه قاتل في فلسطين ضد اليهود. وقاتل في قناة السويس ضد الإنجليز، عبد القادر عودة عندما أعدم، هما الإثنين في وقت واحد، واحد بعد الآخر، عبد القادر عودة قال : سيكون دمي لعنة على رجال الثورة، وأما محمد فرغلي فقال : اللهم اغفر لي ولجميع من أساء إليّ، يعني ارتفاع النفس البشرية إلى درجة أن تتجرد من ذاتها نفسها، يعني هذه قم عجيبة في التربية أن ترتفع النفس، ترتفع، طبعاً من كل من أساء إليه من المسلمين في نظره، اللهم اغفر لي ولجميع من أساءوا إليّ.

-الحقيقة- المدخل الذي استفضنا فيه كنت أريد أن يكون مقدمة بسيطة للجهاد في أفغانستان.

كيف تفجر الجهاد

عندما قام الجهاد أيام داود ضد داود، الذي فجر الجهاد شاب من أبناء الحركة الإسلامية عمره خمسة وعشرون عاماً اسمه حكمتيار، خمس وعشرون سنة ! وقرر أن يواجه داود بهيله وهيلمانه، وسلطانه وصولجانه، قرر مع مجموعة من الشباب في بيشاور لا يصلون الثلاثين، ومعروف محمد داود صاحب القبضة الحديدية في أفغانستان، أفغانستان ترتجف، فشاب من أبناء الحركة، الله عز وجل غرس التوكل في قلبه فأعلن الجهاد عليه، وصار يرسل هؤلاء الشباب مجموعات إلى داخل أفغانستان، ويهجمون على مراكز داود، ومعظمهم أمسك أو قتل، كانت محاولات بسيطة بدائية ساذجة، لكن الله بارك فيها فعندما دخلوا بنجشير، أحمد شاه مسعود هذا أرسله حكمتيار إلى بنجشير، وهو الوحيد من أبناء الحركة الإسلامية الذي كان يعرف على آر. بي. جي، وتسلسل أحمد شاه مسعود إلى رخا مركز بنجشير وضرب دبابة لداود، وأحرق الدبابة التي في مركز بنجشير، واستولى على بنجشير 24 ساعة، حكم بنجشير ثلاثة أربعة، ثم جاءت دبابات الدولة وجيشها واحتلتها، المهم شابان معه جرحاً، فزحفاً حتى جانب النهر وجلسا بجانب النهر، كان العلماء قد أفتوا في التلفزيون على أن هؤلاء بغاء، وخارجون على الحكم - ما قلنا بصحن رز عليه قطعة لحمة بيفتي بذبحهم!! - فجاء راع، فوجد اثنين جريحين، واحد أستاذ في كلية الهندسة، والثاني طالب في الجامعة أظن، دماؤهم تتزف، قال : ما شأنكما، قالوا : نحن الذين نقاوم هذا الحاكم الطاغية، الظالم المجرم، هذا داود، ماذا تريدون ؟ قالوا : نحن عطشون نريد أن نشرب، لا يستطيعون طبعاً أن يقتربوا من

النهر، فقال لهم الراعي انتظروا حتى أحضر لكما ماء، فأحضر لهم حجراً كبيراً ورمى على رأس الأول وقتله، وعلى الثاني وقتله لأنهم بغاة خارجون على الحكم، على حكم أمير المؤمنين ! وذهب لشيخ المسجد وبشره، قال له أنا قتلت اثنين من المفسدين، قال من هم هؤلاء المفسدون ؟ قال هؤلاء الذين ظهروا في بنجشير وأحرقوا الدبابة، وجرحوا بعض الناس، وقتلوا بعض الناس، فشيخ المسجد، قال له : هؤلاء أولياء الله، فأنت قتلت وليين من أولياء الله، إذهب وكفر عن سيئاتك، أغرب عن وجهي ! فجن الراعي وانتهى إلى هذه الحالة.

رأيتم ؟ هذا الراعي يريد أن يطيع الله فقتل اثنين وجاء يبشر إمام المسجد، كل ذلك اعتماداً على فتوى الشيخ على التلفزيون أو في الراديو أن هؤلاء بغاة خارجون على الحكم !! المشايخ حفظة النصوص والحواشي والمتون، ما بدأوا هذا الجهاد، الذي بدأه شباب في الحركة الإسلامية يعلمون عن الدين قليلاً ويعملون بما علموا، تربوا يوماً بعد يوم، وأسبوع بعد أسبوع وأخذوا أن الظلم يجب أن يقاوم، والذي يحكم بغير ما أنزل الله يجب أن يقاوم، فوقفوا وقاوموا، والذي فجر الجهاد شاب لا يحفظ المتون ولا النصوص ولا الشروح، ولكنه تربي سنتين.. ثلاث في داخل الدعوة الإسلامية نموا تدريجياً نما، ولولا الله ثم هذا الشاب حكمتيار من خلال ما أعتقد بينه وبين رب العالمين، أفغانستان الآن عبارة عن ولاية من ولايات الاتحاد السوفياتي مثل بخارى.

فلا بد من التربية على هذا الدين والنمو التدريجي والعمل مع هذا، كان يعرف مقاومة الظلم -حكمتيار- يدخل على ساحة الجامعة يرى الشيوعيين يختصم هو وإياهم، يتقاتلون، هذا يحمل حجر وهذا يحمل حجر، هذا يحمل عصاة وهذا يحمل عصاة، هكذا أبناء الحركة الإسلامية مع الشيوعيين في داخل الجامعة، تفصل أحمد شاه، تفصل سيافا هكذا، هكذا أحمد شاه رئيس الحكومة فصل في السنة الأخيرة من الجامعة، وصارت ضغوط كثيرة من المسلمين حتى رجع إلى الجامعة، سياف أصدروا قراراً من رئاسة الدولة حتى لا يعين في كلية الشريعة معيداً، لأنه الأول والأول في الكلية دائماً يكون معيداً، فأصدروا قرار يجب على كل خريج من الجامعة أن يجند تجنيداً إجبارياً حتى يبعده عن دخول الجامعة.

لا تحسب المجد تماً أنت أكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

والذين يتكلمون الآن على حكمتيار وعلى سياف وعلى خالص وعلى رباني يظنون أن هؤلاء شباباً جاءوا من الشارع، بليلة واحدة صاروا قادة، هؤلاء قادة العمل الإسلامي منذ سنة 1967 إلى اليوم. يعني قائد الحركة الإسلامية كان رباني، مساعده سياف، المسؤول العسكري

حكمتيار، يونس خالص من أبناء الحركة، فلا تظنوا أن هؤلاء جاءوا من الشارع وصاروا بقرار من أمريكا أو من أوروبا أو من غير، هذا قائد للاتحاد وهذا قائد للحزب الإسلامي، لقد بنى تنظيمه من ونور عينيه، ومن أعصابه، ونسج نسيج الحزب أو الجمعية بلحمه ودمه وأعصابه.

فإنه عز وجل بارك بالعمل، بدأت التربية، اصطدموا مع داود، ثم قام انقلاب شيوعي، أفتى العلماء أن هذا كافر يجب قتاله، الشعب أطاع فتوى العلماء، قامت هذه البلدة وراء شيخها، وهذه البلدة وراء عمدها، نظروا في الساحة فلم يجدوا سوى رباني وحكمتيار، فيما أن ينضموا وراء حكمتيار وإما أن ينضموا وراء رباني، ولذلك صار العمل بهذا الشكل، والله عز وجل كتب لهم النصر على أكبر دولة في الأرض، أكبر طاغوت في القرن العشرين هو طاغوت روسيا، والله عز وجل أثخنه بالجراح، وحطم كبريائه ومرغ كرامته بالأحوال على يد شباب، كلهم شباب ليسوا من حفظة المتون والحواشي والنصوص وغيرها، ولقد كانت نعمة من الله عز وجل هذا الجهاد على الشعب الأفغاني، لماذا نعمة؟ لأنه غير القيادات، جاء وأمسك المجتمع هذا كله وقلبه -الجهاد-، فأبرز هؤلاء الشباب المغمورين في الجامعة، لا دكاترة في الجامعة، ولا أساتذة معروفين أصبحوا قادة الأمة، والله عز وجل بقدره ساق هؤلاء بفكرهم الواضع وعقيدتهم الصحيحة النيرة والذين وراءهم بدأت تتغير نظرتهم للعقيدة وللتوكل على الله وما إلى ذلك، بينما كانت القيادة من قبل، لشيوخ الطرق الصوفية ولغيرهم، الآن هؤلاء لا يؤمنون بالخرافة، لا يؤمنون بالصوفية المحرفة والمبتدعة، فانقلبت الموازين، اتضحت العقيدة، ظهرت قيادات جديدة، هي دفعت ثمن حمل الراية، والله عز وجل كتب أن تبقى هذه القيادات حية حتى اليوم، حتى تحافظ على ثمار الجهاد، والله عز وجل وهو العليم الحكيم أبقاهم أحياء حتى يتمتع هذا الشعب بثمار النصر المبارك الإسلامي، وحتى -إن شاء الله- تقوم على أيديهم حكومة الإسلام.

الأصولية والرعب العالمي

إن الضغوط التي رأيتها ولمستها واطلعت عليها من كل الدنيا بأسرها عليهم، لو وضعت على الجبال قد تلين، ولكن ما لانت لهم قناة، وما ذل الآباء بهم وما يهم احتفى الفشل، صدقوا يا إخوان، في الأيام الأخيرة التي شكلت فيها الحكومة منذ أسبوعين كل العالم، يريد أن لا تتجح، كل الدنيا لا تريد أن يقرب الأصوليون من الحكم، الدنيا كلها لا تريد هذا، حكمتيار، الصحف الأمريكية والغربية منذ أشهر، هي ترسم وتكتب (إيكستريم فاند مند لست) يعني الأصولي المتشدد، أصولي يعني معناها متطرف، وسبحان الله، ألهمهم أن يسمونا أصوليين، يعني سلفيين؛ أصوليين؛ يعني راجعين للكتاب والسنة، من أهل السنة والجماعة يعني أهل

المسؤولون عن المؤتمر، وقرأوا علينا قائمة المحرمات، قائمة المحرمات : لا تتدخل في السياسة، أن لا تتكلم عن الحكام، أن لا تتكلم بالذات عن القذافي وحافظ الأسد، مفهوم ؟ لأنهم معروفون للناس، طيب، انتهى، خلاص! ونحن في المؤتمر نفسه القذافي عمل عملا ضد الدولة التي نحن فيها، ضد الدولة التي المؤتمر منعقد فيها، وإذا بمشاخ الدولة نفسها قد كتبوا لائحة طويلة : الأسباب في تكفير القذافي ؛ أنه محارب للسنة، ومن جدد السنة فقد كفر .. و... إلى آخره، وجاءوا إلى علماء المؤتمر، قالوا : وقعوا، قالوا : لا، نحن مكتوب عندنا : ممنوع التدخل في السياسة، وممنوع التكلم عن الحكام، خاصة القذافي، هكذا أنتم قلتم لنا.

نعم حسب أهواء المسؤولين، نعم، وفي طبقة (المطبلين والمزمرين) من حفظة الحواشي والمتون، ومن لعقة الطناجر والصحون، هؤلاء الذين لا يعيشون إلا على لعق صحون الطواغيت، جاهزون لكل فتوى، تخالف هوى المسؤول، يكفر الجماعة كلها، إذا كان المسؤول غير راض عنهم.

فإنه عز وجل جعل هؤلاء الشباب شوكة في حلق أمريكا والغرب، والكفر كله، شوكة، وخططوا لاغتياهم ما استطاعوا، ضياء الحق قبل أن يقتل -رحمه الله- قال لهم : الخطة الآن التصفية الجسدية لي ولكم، ولا أدري من السابق إلى الله، قال لقادة الجهاد، وحدثني مستشار ضياء الحق، قال لي : قبل أن يقتل ضياء الحق بشهرين أو ثلاثة، قال لي ضياء : إن الأمريكان قد وقعوا أوراق قتلي، ولكنني لا أستطيع أن أعيش ذليلا بقية عمري !!.

لما طرد جونيجو هذا الذي يبحث عن الحديدية المكتوب عليها السلام العالمي، جونيجو أو (جن إيجو) !! ميدالية..!! هذا طرده، وحل مجلس الشورى، وقال : أنا حللت مجلس الشورى، وطردت الوزارة لفضيتين؛ القضية الأولى : حتى أبقى مع المجاهدين الأفغان حتى أعيدهم إلى بلادهم أعزة كراما منتصرين، ثانيا : حتى أحكم بالإسلام، ولو كلفني روجي وأولادي وأهلي وعرشي، جاءه رجل عاقل من وزارته، وزير الداخلية، اسمه ختك، قال له : سيقتلك الغرب والأمريكان، قال : يا ختك إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض.

أقول : هؤلاء الشباب كم خططوا لقتلهم ؟ كم وضعوا متفجرات بجانب مكاتبهم، سيارة.. عرفوا من أين يمر حكمتيار، ملئوا سيارة بالمتفجرات، ولا يفجرونها إلا إذا مرت سيارته، على الريموت كنترول، على الأرقام، جلس هذا الشيوعي أو القومي الباكستاني، أو الأفغاني، هنا في بيشاور، وضعوا سيارة خرابنة ملئوها بالمتفجرات، لما مرت سيارة حكمتيار - هو عادة سيارة الحرس قبله، ثم هو بعدها، في ذلك اليوم، سيارته الأولى، وسيارة الحرس هي الثانية- لما مرت السيارة الأولى تركوها، مرت السيارة الثانية، ضغطوا على الزر، تفجرت

سيارة المتفجرات، في نفس الوقت الذي ضغطوا فيه على الزر جاء أتوبيس باكستاني دخل بين سيارة حرس حكمتيار وبين سيارة المتفجرات، فقتل سبعة عشر باكستانيا، ونجا حكمتيار.

فهم يحاولون قتلهم، حكمتيار ساكن بجانبنا، يوماً فقدته فقلت له : مالك ؟ قال : والله جاعني تحذير من المخابرات ؛ بيتك سينفجر، فغيرته، ذهب مسكين بحث، بحث، سكن في حيات آباد، الخطر أكثر، والطريق أكثر خطراً، نحن أخذنا بيته وعملناه مكاتب وما إلى ذلك، بعد شهر ونصف رجع وقال: أنا أريد البيت: ما بك ؟ قال : والله أنا ما وجدت بيتاً آمناً أكثر من هذا البيت، فقلنا له : خذ البيت بما فيه.

فالمهم.. حاولوا يذبحونهم حتى لا يحكم الإسلام، يا جماعة، الإسلام غول (ببيع) كل العالم يخافه.. يا سلام ! خاصة الأمريكان، يرتجفون، أرأيتم الولد الصغير، الولد الصغير الذي في السرير ؟ إذا لم ينم ؟ أمه تقول له : نم وإلا يأتيك الغول، يأتيك (الببيع) ينام، يخمد، الأمريكان كذلك، قل له : الشيوعية لا يخمد، هزه ينام، قل له : جاءك حكمتيار خلاص يغط في النوم، نعم، أو سياف.

وأخيراً شكلت الحكومة

جاء جلال الدين حقاني إلى القادة، بعد ما مزقوهم حتى يخرجوا بحل، كل حزب اختار عشرة، صاروا سبعين، اختاروا جلال الدين حقاني -القائد المعروف، تعرفون جلال الدين ؟- قالوا له : أنت أميرنا، إذهب تكلم مع هؤلاء القادة، قرع عليهم الباب، من بالباب ؟ أدخل (Fundamentalist) تفضل، الشيخ جلال الدين، قالوا له : ما بك ؟ القادة السبعة مجتمعين وحدهم، قال : أنا معي سبعين واحداً من مجلس الشورى المختار من الأربع مائة وخمس وخمسون، إما أن تحلوا الآن قضيتنا أو نحلها نحن، إن كنتم عاجزين قولوا لنا نحن نحلها ؟ وقف سياف قال : أنا عاجز عن حلها، وأنا أوقع لك، أنك أنت أي حل ترتضيه أنا باصم عليه، حكمتيار قال : أنا عاجز وأنا أوقع لك، السبعة قالوا : نوقع لك، قال : خلاص، خرج إليهم، قال: وكلونا بالحل، قال : اكتبوا، وقعوا، وقعوا، ذهب إلى مجلس الشورى، قال : وكلونا بالقضية، قال : لكن نحن سبعين، كل حزب ستون نفرًا يختار اثنين، اختاروا من كل حزب اثنين، فصاروا أربعة عشر نفرًا، أخذ الثلاثة عشر وهو الرابع عشر، وذهب، واخفى في بيت من البيوت، ومن التليفونات، منع أي واحد يتصل بهم، أو يعرف أين مكانهم، لم يذهب إلى فندق، لم يذهب إلى مكان معروف جاء واحد من الجنرالات الكبار دق عليهم الباب، من أصدقائهم، خرج إليه محمد ياسر -مساعد سياف- قال : ما بالك ؟ قال : والله إن سمحتم أن أشارككم بالرأي، قال : لا نسمح لأحد أن يدخل علينا، مع السلامة، إرجع، أرجعه، أغلقوا

عليهم الباب ثلاثة أيام، خرجوا بجل ؛ هذا الحل : أنه يجري انتخابات، الأول يأخذ رئاسة الدولة، يصبح رئيسا للدولة مع وزير للصحة، الثاني رئيس الوزراء مع وزارة البرق والبريد والاتصالات، الثالث وزارة الدفاع ووزارة المالية وكذا، الرابع وزارة الخارجية والحدود، وكذا إلى آخره، رؤساء الأحزاب السبعة قالوا -عندما اجتمعنا مع الأربعة عشر- : إلى أين وصلتم ؟ قالوا : لا نتكلم إلا أمام مجلس الشورى، دخلوا مجلس الشورى، دخلوا، أغلقوا الأبواب، الصندوق حاضر كبير، وضعوا الصندوق، قال : اتفقنا على كذا وكذا وكذا، تعال يا مجدي موافق ؟ قال له : نعم، قال له : صوت أماننا، صوت، ضع الورقة، واخرج، سيف، رباني، خالص، السبعة صوتوا وخرجوا، واحد واحد صوتوا وخرجوا، وفرزوا الأصوات.

من نعمة الله عز وجل، الله عز وجل اختار أن يكون مجدي هو أكثر الأصوات، والثاني هو سيف، رئيس الدولة مجدي، ورئيس الوزراء سيف، وإذا بمحطة من المحطات العربية، ساعة كاملة تعلق على النتائج بعد خروجها بقليل ؛ إن مجدي رجل معتدل، وأما سيف فهو أصولي متطرف متشدد، أما محطة لندن قالت : كان أحمد شاه أصوليا، فجاءهم أصولي أكثر تشددا من أحمد شاه، بعض الدول قالت لهم : -وأنا أعرف- أخرجوا برأي ونحن نعترف، أعلن مجدي -بنجاح مجدي وسيف، الله حل كثيرا من المشاكل، حل مشكلة أصولي ومعتدل، حل مشكلة مولوي وحركي، حل مشكلة وهابي وصوفي أو غير وهابي، لأن الشيخ سيف وهابي أصولي حركي متشدد إلخ.. مقابلها هذه الأسماء التي يسمون المسلمون بها، فحلت كثير من المشاكل، وحلت مشكلة الشمال والجنوب، مجدي من الشمال من الطاجك، سيف بشتوني من الجنوب، فحلت كثير من المشاكل بهذا، مجدي قد لا تمتعض منه الدول الغربية، ولا تحقد عليه، ولا تخاف إذا قالوا لها : نامي ومجدي عندك، وذلك تخاف من - الشيخ سيف- فحلت كثير من المشاكل، سيف صمام أمان في داخل أفغانستان ؛ لأنه رئيس وزراء يسير البلد، ورب العالمين أعطى وزارة الخارجية لحكمتيار، فالخارج بيد واحد صمام أمان، والداخل بيد سيف صمام أمان، ووزارة الداخلية بيد يونس خالص، فمن كل الجهات حبكت سبحان الله، وأكثر شيء كنا نطمع فيه : أن يكون رئيس الوزراء أحمد شاه، ورئيس الدولة محمد بني أو أحد هؤلاء الثلاثة، فخرج سيف الذي لحيته إلى نصف صدره، وهابي، ومتشدد، وحركي، وما إلى ذلك، وصار رئيس الوزراء بالتصويت، وبال ثقة، وبينه وبين مجدي صوت واحد، سبحان الله !، كان سيف يأخذ الأول، هو دائما في الانتخابات من السبعة يأخذ الأول، ما أحد سبقه بالانتخابات من السبعة سابقاً، إلا هذه المرة بصوت واحد، مجدي 174، سيف 173، لعل الدول العربية تنظر إلى لين مجدي، ويخفف من التركيز على سيف وشدته في نظرهم، يمكن أن يعترفوا بهم، ومع هذا كله حتى الآن لم يعترف بهم

أحد في الأرض، لماذا يا أمريكيان ؟ أنتم تقولون أن كابل ستسقط وستسقط إن شاء الله خلال شهرين بإذن الله، عيد الفطر في كابل نحن وإياكم، إن شاء الله، إن شاء الله فتح كابل بإذن الله بنهاية رمضان¹، لماذا لا يعترفون بهم ؟ مائة دولة تعترف بالدولة الفلسطينية، لماذا ؟ أين الدولة الفلسطينية ؟ في الهواء، أين هي ؟ في المحيط الهادي !!؟ أو في المحيط الأطلسي !!؟ كراسيهم وعروشهم ليس لها أرض تقف عليها، أنظروا المسرحية الأمريكية : أمريكا اعترفت من أول يوم بالدولة الفلسطينية، بعد ذلك كأن واحد من شياطين اليهود قال : أنتم مجانين أسرعتم بهذه السرعة، واعترفتم بالدولة الفلسطينية حتى تكشف اللعبة، قالوا : طيب، سنكفر عن سيئاتنا، هذا ياسر عرفات أراد أن يدخل أمريكا، أمريكا قالت : لا نعطيه فيزا، اعترفت به ولا يريدون أن يعطوه فيزا، وصارت لعبة، شد واخذ، وما إلى ذلك، وبالتالي ما أعطوه، اليهود يلعبون بعقول البشرية.. مثل كتاب سلمان رشدي، منذ أربعين سنة تقريبا ما يمر أسبوع إلا ويخرج كتاب من الغرب أو أمريكا يهاجم الإسلام، ويحارب القرآن والرسول ﷺ، ما قام أحد بضجة، لماذا الضجة ؟ الضجة حتى يغطوا على الضجة التي هزت البشرية وهي : انتصار الشعب الأفغاني، أنا جالس في إسلام آباد، مجلس الشورى مجتمع، بعد أكبر انتصار في التاريخ الحديث، يجب أن تخرج الشعوب العربية في العواصم العربية والإسلامية تعبر عن فرحتها بانتصار شعب مسلم فقير أمي، على أكبر قوة في الأرض التي خرجت ذليلة مهينة تجر ذبولها بين سيقانها، وإذا بمظاهرة في الشارع ماذا ؟ تأييد للجهاد الأفغاني ؟ تعبير عن فرحتكم ؟ يسألون ؟ قالوا : هناك كتاب خرج في لندن يتكلم عن القرآن، المؤلف سلمان رشدي، لا حول ولا قوة إلا بالله، أنا ظننتكم تحتفلون بأعظم انتصار في التاريخ، ظننتكم خرجتم تؤيدون هذا الجمع من المجاهدين، الخمسمائة الذين اجتمعوا في إسلام آباد، بعد هذا النصر الكبير المبارك، خارجون ويحرقون (دمية سلمان رشدي) والسيارات ويهتفون ضد سلمان رشدي الذي في لندن.

اتصلت بأحمد زكي، رئيس M.S.A اتحاد الطلبة المسلمين، قلت له : يا أحمد زكي، اعملوا في كل الجمعيات الإسلامية احتفالات بانتصار الجهاد الأفغاني على الروس، قال : الناس مشغولون، قلت: بماذا مشغولون قال : بالثورة ضد سلمان رشدي، فرثيت لحال المسلمين، وبكيت، يحولون أنظار الناس كلهم عن قضية كبرى إلى قضية صغيرة جدا، قضية كتاب.. ماذا ؟ واشتركت إيران في المسرحية، مجلس الشورى مجتمع في إسلام آباد، وإذا بإيران تعلن : ثلاثة ملايين لمن يأتي برأس سلمان رشدي حيا أو ميتا، وإذا بأمریکا،

وبريطانيا، ودول الكومنولث، وما إلى ذلك كلها تحتج، قاطعت كل هذه الدول إيران، لماذا ؟ كيف تهددون مواطننا بريطانيا؟ حتى الضجة تعلوا لا بد من دول تعلن، إيران تحتج، الغرب يقطع الصلة بإيران، ثلاثة ملايين تدفعها إيران لمن يتكلم عن سلمان رشدي !! ماذا كانت النتيجة ؟ أنهم صرفوا مشاعر الناس الملهبة بانتصار الجهاد الإسلامي في أفغانستان بالاستسلامات، في داخل كابل وخارجها، آلاف مؤلفة في الأسبوع الماضي استسلمت لأحمد شاه مسعود في رستاق ستة عشر ألف كلاشكوف غنيمه، 120 سيارة، 15 دبابة، 300 رشاش، 40 هاون، ذخائر لا تعد ولا تحصى، لم يحصل في تاريخ حرب العصابات غنائم أكثر من هذه الغنائم، والناس مشغولون بسلمان رشدي، ثم استسلام شهر بزرگ كذلك في بدخشان، وفي شكردره انضمت 35 دبابة للمجاهدين قبل ثلاثة أيام، وفي نجرهار 35 دبابة وآلية، أما هناك دبابات في شكردره، بجانب كابل تماما، هذه كلها طغت عليها قضية سلمان رشدي، وكانت نتيجة أننا عملنا دعاية لكتاب سلمان رشدي، فعملوا استفتاء في فرنسا فقرر 60 % من الشعب الفرنسي أن يقتني الكتاب، وفي أمريكا أكثر، وفي بريطانيا أكثر، وهكذا.

أقول يا أيها الإخوة :

خلاصة الكلام : لا بد من تربية الجيل على الإسلام، هذه واحدة، التربية الربانية تكون بالعلم والعمل معا.

ثانيا : الذين يتربون على العلم والعمل معا هم صمام الأمان في المجتمع، وهم الذين يحافظون على أعراض الناس وأموالهم ودمائهم، وانتصاراتهم، بدون الشباب الذين يربون على الإسلام يمكن أن يضيع أي نصر، ويهرق أي دم، ويضيع كل مال على جلسة واحدة، على طاولة خضراء، على مائدة مستديرة، بفنجان قهوة، وابتسامه أمريكية، السفير الأمريكي، أو الرئيس الأمريكي يطلب من الرئيس أن يتخلى عن القطعة الفلانية، أو يتهاون في القضية الفلانية، أو يدفع المبلغ الفلاني، أو يدعم الرئيس الفلاني، أو يخذل الشعب الفلاني، بفنجان قهوة يحل كل الأمور، بكأس وسكي، أو برقصة من غانية، أو بأغنية من ساقطة، يباع الوطن، وتضيع الأعراض، وتنداس القيم، وتسبى الأموال، وتضيع المقدسات، فلا بد من العلم مع العمل، التربية الربانية، والتربية تدريجية، والذين يعلمون ويعملون، ويتربون على الإسلام بهذه الطريقة، هم بعد الله عز وجل الذين يمكن أن يحموا أعراض المسلمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

ما رأيت معلمة في حياتي الإعدادية والثانوية تلبس اللباس الشرعي !! كنا نعيش غربة شديدة والله يا إخوان غربة شديدة جدا جدا، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، يعني هذه زوجتي التي تزوجتها، وجدت أنها طالبة تدرس ونحن نعرف والدها وكانت تغطي نصف شعرها ونصف شعرها ظاهر، وكانت تلبس الجوارب وثياب المدرسة إلى الركبة، أو تحت الركبة، ففرحت كثيرا بها أني وجدت فتاة في المدرسة تغطي نصف شعرها وتغطي سيقانها، تلبس جواربها، لا يمكن أن تجد فتاة واحدة في فلسطين تلبس اللباس الشرعي من المتعلمات، ما رأيت إلا واحدة أستاذي ورباني رحمه الله وقال لها : لا بد أن تلبسي اللباس الشرعي، وبدأت معركة بين الفتاة وبين مديرة المدرسة، كانت تخرجها يوميا من المدرسة لأنها تلبس الطويل، وتوقفها في الشمس من الصباح حتى ينتهي ---، لتكون عبرة لمن اعتبر، كنت تخرجت من كلية الشريعة من جامعة دمشق، وعملت في عمان وهذا في سنة 1968، بدأنا نتكلم أن هنالك لباساً فرضه الله عز وجل غير اللباس الذي تلبسه النساء المسلمات، وصرنا نحرض نساء الدعاة، قلنا : حفظا لماء وجه الدعوة إليسنه، فبدأت نساء بعض الدعاة يلبسنه، وبدأ الحجاب الشرعي ينتشر في عمان سنة 1968، كان في الجامعة الأردنية أربعة بنات يلبسن اللباس الشرعي، أربع بنات، وكن مضربا للمثل.

ثم ذهبت بعثة إلى الأزهر للدكتورة، كانت جامعة القاهرة التي فيها خمسين ألف فتاة، بنت واحد تلبس اللباس الشرعي خمسين ألف!! وهي بنت أخت الأستاذ سيد قطب رحمه الله، نحن ذهبنا إلى القاهرة، ونساؤنا يلبسن الطويل، ويغطين وجوههن، ذهبنا مجموعة مع بعضنا لنكمل الدكتورة في القاهرة، فبعض إخواني الذين معي قالوا لنسائهم : قصروا ثيابكن قليلا حتى لا تفتن النظر حتى لا يطردنا عبد الناصر من مصر، لأنه لا يوجد في القاهرة امرأة واحدة تلبس اللباس الطويل، هذا سنة 1971، فأنا قلت : نحن نتوكل على الله عز وجل، إن طردونا طردونا.

الفتاة هذه بنت أخت سيد قطب، استطاعت خلال حياتها الجامعية أن تقنع فتاة واحدة أخرى أن تلبس اللباس الطويل، فوق أهلها في حيرة، هذه البنت الجديدة، (حتودينا في داهية، حتودينا السجن، من فين جبتيلنا المصيبة هذه؟) يوم الامتحان الصباح يأخذون ثوبها الطويل ويضعونه في الماء ؛ حتى يجبروها أن تذهب إلى الجامعة بالثوب القصير، لأنه لا يمكنها أن تتخلف عن الامتحان، وهي ليس عندها إلا ثوب واحد طويل، فتتصل بالتلفون ببنت أخت سيد قطب، أحضري معك جلبابك الثاني حتى ألبسه وأذهب معك إلى الامتحان.

كانت غربة شديدة، مطاردة الإسلام في كل مكان، فعلا هذه اللحية يعني شبه محرمة على الشباب، لأن اللحية تجلب الشبهة... تؤدي إلى السجن، كذلك لم يكن في فلسطين من أبناء الدعوة الإسلامية - لا أتكلم عن الناس العاديين - لم يكن إلا شاب واحد يطلق لحيته، وكان مضرب المثل ؛ يقال : فلان، الأخ حمدي أطلق لحيته، كان الإسلام مصادرا مؤمما، ممنوع، تعرفون تأميم الشركات، الحكام أمموا الإسلام، صادروه، التأميم الاشتراكي، يأتون إلا الملاك الكبير الذي عنده عشرة آلاف ثم بقرار واحد يقولون : انتزعنا ملكيتك.. خلاص هذه لم تعد لك، هذه للدولة بقرار واحد هم انتزعوا ملكية الإسلام من قلوب الناس.

طواغيت وصور من جرائمهم

قالوا الإسلام لنا، ووضعوه في السجن، الإسلام مصادر، وطبعا بلغ بهم الأمر أن يتجبروا، طغوا، هل تصدقون أن عبد الحكيم عامر - كان قائد الجيوش المصرية، ووزير الحربية، القائد الأعلى للقوات المسلحة، وصهر عبد الناصر - بلغت به الجرأة أن يرسل إلى أئمة المساجد يمنع الكلام عن فرعون، ممنوع الكلام عن فرعون، نعم كما بلغت الجرأة الآن ببعض الناس أن يكتبوا إلى أئمة المساجد يمنع الكلام عن اليهود والنصارى في مصر، عادوا الآن إلى مناهج التعليم، ورفعوا منها كل آية تمس اليهود، ضربت الدعوة الإسلامية، وسلط عليهم أناس كانوا يأتون بهم من النوبة ؛ هذه الصحراء التي بين مصر والسودان، وهؤلاء لا يقرأون حرفا ولا يفهمون ديننا ولا شيء، لا يعرفون شيئا يقول له : السلام عليكم، يضربه بكرباح، وسلطوهم على خيار الناس، وأعلن عبد الناصر في يوم : أننا في مصر قد اعتقلنا سبعة عشر ألفا من أبناء الحركة الإسلامية في يوم واحد، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية.

أستاذ من الأساتذة كان يعلم في كلية أصول الدين، وربى عبد الناصر وأتور السادات، هؤلاء الثوار يسمونه الأب الروحي للثورة، اسمه (محمد الأودن)، أخذوه ووضعوه في الزنزانة، أعطى مشايخنا الدكتوراة، كان يعطي الدكتوراة لأساتذتنا، أستاذ في قسم الحديث والتفسير في كلية أصول الدين، وضعوه في زنزانة مع ستة وعشرين كلبا بوليسيا، ويغلقون عليه الباب، أين تكون الكلاب هذه ؟ كلب على رأسه، وكلب على ظهره، وكلب على وجهه، فتبول وتبرز، على وجه الشيخ، وعلى لحيته، وعلى.. تأتي لجنة التحقيق لتحقق معه، ويفتحون الزنزانة، وتبدأ الكلاب البوليسية تخرج، يقول (عبد الله رشوان) المستشار القانوني - الذي تولى عملية الدفاع عن شباب الجهاد وعن قتلة السادات - يقول : الذي يقابله بدأ يعد، عد ستة وعشرين كلبا بوليسيا تخرج من زنزانتها، ولم تستطع لجنة التحقيق أن تقترب منه من رائحة بول وبراز الكلاب الذي على وجهه وملابسه وثيابه - هذا في محاضرة في جامعة القاهرة، يتكلم الدكتور (عبد الله رشوان) يعني محاضرة علمية - قال : ولم يستطيعوا أن

يقتربوا منه، فجاجوا بخراطيم المياه، وسلطوها عليه من بعيد حتى يغسلوا عنه بول وبراز الكلاب، واقترب الشرطة منه، ونزعوا ثيابه، وألبسوه ثياباً أخرى حتى جلست معه لجنة التحقيق بعد الغسيل بخراطيم المياه.

الإيذاء هذا للإسلام والمسلمين، والمطاردة للمسلمين أثمر، مات عبد الناصر، جاء السادات ورفع فكي الكمامة عن الشعب قليلاً حتى يمسح آثار عبد الناصر، واستشار مجلس الوزراء، واستشار المخابرات، ماذا تفعل بهؤلاء، أبناء الحركة الإسلامية؟ الوزراء نصحوه أن يخرجهم حتى يقفوا أمام الشيوعيين، لأنه بدأ السادات يحول وجهته من روسيا إلى أمريكا، أما المخابرات فعيثهم على إيذاء المسلمين، كل الجهاز هذا تضخم وراثتهم على إيذاء هؤلاء، فإذا أخرجهم وعفى عنهم فإنه سيفصل عدداً كبيراً من المخابرات، فنصحوه أن يقيهم في السجن، حتى تبقى الرواتب، لأن رواتب المخابرات بقدر إيذائهم للناس، علاقة تمتص دماء الناس، بقدر ما يمتص بقدر ما يقبض، بقدر إيذائه وتتبعه لعيوب الناس، يتهم هذا أنه سب الدولة، ويلقونه في السجن عشرين عاماً من أجل أن يأخذ جنيه في السنة زيادة، وترث السادات حتى رأى أن الشيوعيين - علي صبري وجماعته وكان نائباً لرئيس الجمهورية، علي صبري زعيم الحزب الشيوعي المصري - يريدون أن يعملوا عليه انقلاباً، فجاء في يوم واحد وضربهم، وعمل حركة التصحيح، ومن أجل ضرب الشيوعية أخرج الدعاة من السجن، لأنه عرف أنه لا يقف أمام الفكر إلا الفكر، ولا يقف أمام الشيوعية إلا الإسلام، فأخرجهم، رحم الله الملك فيصل؛ توسط رحمه الله، وكان السادات يستحي منه، وأعفى بسبب الملك فيصل عن مجموعة من أبناء الحركة الإسلامية، يعني كانت أول مجموعة خرجت بوساطة فيصل رحمه الله، وبضغطه على السادات، وفيصل في أوائل أيامه كان ضائعاً كالأضائعين، ولكن في أواخر أيامه كان من خيار الناس الصالحين، هكذا بلغنا من بعض مستشاريه الأمناء، وهم يشهدون له في النهاية، يعني واحد قال لي: شهادة تقف بها بين يدي الله عز وجل؟ قال: شهادة أقف بها بين يدي الله عز وجل، والكلام بيني وبينه في بيتي، ليس من أجل أن ترضى عنه السعودية، أو غير ذلك... لا، يعني الرجل قالها من قلبه ومن أعماقه، في بداية حياته كان إنساناً مثل بقية الحكام، لكن يبدو أن الرجل في نهاية حياته تغير كثيراً كثيراً، ولذلك قتله الأمريكان، مثل ضياء الحق، ضياء الحق في الحقيقة في فترته كلها كان في نفسه ملتزماً بالصلاة والصيام وعدم السكر، فمه نظيف، وفرجه نظيف، لكن في نهاية حياته وقف موقفاً مشرفاً جداً، فقتله الأمريكان كذلك.

عندما خرج أبناء الدعوة من داخل السن، وبدأ الناس يسمعون عن الإسلام، في خلال سنتين أو ثلاث، تغيرت الأرض غير الأرض، تخرجت من الأزهر سنة 1973، وغادرتها،

ولم يكن في جامعة القاهرة إلا بنت واحدة تلبس اللباس الشرعي، ودعت سنة 1977 إلى المعسكر الصيفي في جامعة الإسكندرية وجامعة القاهرة، دعاني الطلاب، ووجدت أن الدنيا كلها قد تغيرت، عشرات الألاف من البنات يلبسن اللباس الشرعي، الشباب أطلقوا لحاهم، بدأوا يتعرفون على دينهم، هكذا بقدر من الله عز وجل، رجع هذا الجيل إلى الله، فعندما رأى أعداء الله عز وجل رجعة الشباب إلى الله عز وجل، بدأوا يخططون لضرب الشباب في كل مكان، ومن الذي يخطط؟ اليهود، اليهود يرقبون المنطقة، وهم يقولون: إن استراتيجيتنا في حربنا مع العرب أن نبقي الإسلام بعيدا عن معركتنا معهم، ولقد كان الإسلام بعيدا طيلة الثلاثين عاما الماضية - هذا سنة 1978-1979، ولا بد أن نبقيه بعيدا عن المعركة، لأن الإسلام إذا دخل المعركة، فإننا سنواجه عدوا حقيقيا ليس وهميا.

فاليهود يرقبون ثم يقدمون التقارير للأمريكان، والأمريكان يقدمون التقارير للعالم العربي والإسلامي، فقالوا لهم: انتبهوا بدأ الإسلام يرجع، وقالوا للسادات: أنت عفوت عن المسلمين سيأكلونك غدا، فلا بد أن تضربهم مرة أخرى، والكرسي عزيز... عزيز جدا، فبدأت المؤامرات، كانت أول مؤامرة على صالح سرية، وكارم الأناضولي وإخوانهم، وأعدمو صالح سرية وكارم الأناضولي باسم الفنية العسكرية، ثم كانت الضربة الثانية على جماعة المسلمين التي سموها التكفير والهجرة، شكري مصطفى، ثم ضربات متتالية، ضربة وراء ضربة، وكل شهرين ثلاثة يبدأ جميع الشباب إلى السجن ماذا؟ تنظيم الجهاد، تنظيم كذا، اكتشفنا تنظيم، وهكذا.

وبدأ التفكير خاصة في مصر، مصر يخافها اليهود كثيرا، ومن هنا كانت أكبر جريمة معاهدة كامب ديفيد، وفتح مصر لليهود، ومحاولة تمييع عقيدة البراء من الكفار واليهود، وتطبيع العلاقات، وقد اشتغل نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، وغيرهم كثيرا من أجل تمييع هذه العقيدة، وإقامة العلاقة بين اليهود وبين المصريين، ولذلك أعطى اليهود جائزة نوبل لنجيب محفوظ، وكانت جائزة نوبل لنجيب محفوظ هذا العام، أول أديب عربي يأخذها بسبب قصته (أولاد حارتنا) و (أولاد حارتنا) هذه مليئة بالطعن بالإسلام، وبالدين، وبالغمز واللمز بكتاب الله، وبسنة نبيه ﷺ، وبدأت الصحف العربية تهلل وتكبر بجائزة نوبل التي أخذها الأديب العربي نجيب محفوظ، ولا يدرون أنه أخذها لأنه أنزل عدة سهام في قلب الإسلام، العام الماضي، كان هناك مؤتمر للقمّة في عمان، مؤتمر قمّة إسلامي!! قال شامير أو رابين علق عليه قال: النقطة الوحيدة التي التقوا عليها محاربة التطرف الديني في المنطقة، محاربة التطرف الديني يعني: محاربة الشباب الملتزم، هم لا يقولون: إننا نريد أن نحارب الإسلام، يقولوا: نريد أن نحارب التطرف، نحن الإسلام المعتدل نحبه، راضون عنه، ماذا نحارب؟

نحارب حزبيات، نتحارب التعصب، نحارب التطرف، نحارب المغلقين، نريد متفتحين، نحارب المتقوقعين، نريد المرنين، ثم وجدوا أنهم كلما ضربوا الشباب كلما ازداد الإسلام بين الشباب، يعدمون واحدا يدخل عشرة في الدعوة، ماذا يفعلون؟ وجدوا الشباب الذي يضرب في مصر ويضغط عليه يخرج أين؟ يخرج إلى الأردن، إلى اليمن، إلى العراق، العراق نصفها من المصريين الذين من الشباب المسلم، قالوا: أحسن شيء من أجل تنظيم محاربة الشباب المسلم نعمل وحدة بين مصر والأردن والعراق واليمن، و نسميه التعاون العربي، لماذا؟ لمطاردة الشباب -خاصة المصريين- أمنيا في كل هذه البلاد.. لا تخف.. لا تخف والله، نحن نريد أن نعبد ربنا، نريد أن نوّدي فريضة اسمها فريضة الجهاد، منعونا في بلادنا، منعونا أن نوّدي عبادة القتال في بلادنا، قالوا: من حمل مسدسا سجنناه، ومن حمل رصاصة سجنناه، تعتبر الرصاصة والمسدس جريمة من الجرائم التي يقدم أصحابها إلى محكمة عسكرية!! إلى أمن الدولة!!

نعم، بلادنا ضاعت، أنا من فلسطين، والله سلموا أرضنا وهي مزروعة، والذي زرع واليهود حصدوا، نعم حتى ما انتظروا حتى نحصد، أخذوا كل الأرض وسلموها لليهود بفنجان قهوة في ليلة من الليالي، أنا قلت لكم في الأمس، في يوم من الأيام، في معاهدة رودس، جلسوا فكان أحمد صدقي الجندي، قائد الجيش الأردني هو ممثل الأردن في معاهدة رودس، بنات جميلات يهوديات، عيونهن زرق، وشعرهن أشقر، وما إلى ذلك، قدمن له قهوة طيبة، وكاس شاي.. سكر خفيف.. سكر ثقيل ما إلى ذلك، وقال له : نحن لا نريد شيئا !!..

طبيعة العمل لهذا الدين (3)

خيانة الدول العربية لفلسطين

...ذهب لقريةنا 38 ألف دونم -أرض هكذا مثل الكف -مرج بن عامر- بتصحيح الحدود بفنجان قهوة من بنت يهودية 38 ألف دونم، حدثني أبي... الله عز وجل يقول :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ (البقرة: 261).

يعني الحبة تنتج سبعمائة حبة، قال : والله إننا زرنا أرضنا فأنتجت أكثر من سبعمائة ضعف، زرعت صاعاً فأنتجت ألف صاع، المعروف مرج بن عامر في التاريخ حنطة سمراء الشام معروفة، القمح يضرب به المثل (يقال يوارى الخيال) يغطي الذي يركب الفرس -فنزل بعض الشباب، عز عليهم أن يحصد اليهود زرعهم فمسكوا الشباب اليهود وبقروا بطونهم وفتحوا بطونهم وملكوها شعيراً وقمحاً سنابل الشعير والقمح من الشعير المزروع وضعوه في بطونهم تم نصبوهم على أعمدة من الحديد حتى يكونوا عبرة لمن اعتبر، كان بيتنا قريباً من الحدود، والله يا إخوة : يأتي اليهود قرب البيت في الخمسينات والستينات يصلون في الليل -الدوريات الكاشفة- قر بالبيت جارنا استيقظ في الليل، بيتنا فيه حديقة وبيته فيه حديقة، جارنا استيقظ فوجد اليهود في الساحة يتكلمون بالعبرية، تعرفون دورية الاستكشاف لا تقتل، وظيفتها أن تأخذ معلومات وترجع ليكون الهجوم، فنزل في اليوم الثاني يشكو في المركز الحدودي الشرطة الأردنية قال : لهم بالأمس دخل اليهود في حديقتنا وتكلموا كذا وكذا.. امسك أنت عميل لليهود، وضعوه في السجن، كنس تحت الخيل في اسطبل الفرسان -خيل الشرطة- وقدموه محكمة عسكرية قدموه محكمة عسكرية لماذا ؟ لأنه أخبرهم قالوا له : أنت عميل !! أنت تتعامل مع اليهود، واحد من المحكمة العسكرية، ضابط رجل فيه خير قال له : تعال أنت قل لهم كنت أحلم في المنام، ما كنت مستيقظ ودخل عليهم قالوا له : ماذا قلت ؟ وماذا قالوا؟ قال أنا من عادتي في الليل أخرج وأمشي وأنا نائم أنكلم فيبيدوا أنه يوم ما جئكم كنت في هذه الحالة كنت خارج ونائم فكنت أسمع وأرى في المنام ناس يتكلمون بالعبرية فجئت فظننتها حقيقة قالوا مادام هكذا .. اذهب.

يا إخوان.. فلسطين 26 ألف كيلو متراً مربعاً، 1947 بدأت آخر معركة بين اليهود وبين الشعب الفلسطيني، الأمريكان والغربيون وجدوا على أنه لا يمكن لليهود في المعركة أن يحتلوا فلسطين، وأنه إذا تركت المعركة بين اليهود وبين أبناء فلسطين، أبناء فلسطين سينتصرون، قالوا للجيش العربية ادخلوا عدة أشهر وسلموا لليهود البلد واخرجوا، دخلت

الجيش العربية والدبابات العراقية، والجيش المصري والجيش الأردني، الجيوش السبعة قائدهم جلوب باشا الانجليزي وهو قائد الجيش الأردني، الجيوش السبعة العربية قائدهم - جلوب باشا- من هو جلوب باشا؟! انجليزي.

فكان اليهود يملكون حتى دخول الجيوش العربية ثلاث آلاف كيلومترا مربعا فقط ما خرجت الجيوش العربية إلا وهم يملكون عشرين ألف كيلومترا مربعا، وظلت خمسة آلاف كيلومتر مربعا بيد العرب التي سميت الضفة الغربية وضمت للملك عبد الله باسم المملكة الأردنية الهاشمية، فكر أبناء فلسطين بالمقاومة، سنة 1948 جاءت كتائب إسلامية شعبية من أبناء الحركة الإسلامية في مصر أرسلهم البنا -ومحمد محمود الصواف قاد كتيبة إسلامية من العراق وجاء إلى فلسطين والشيخ مصطفى السباعي عميد كليتنا في جامعة دمشق قاد كتيبة وعبد اللطيف أبو قوره مراقب الإخوان في الأردن قاد كتيبة واشتركوا كانت نتيجة للشباب الذين جاءوا من مصر أن وضعوا في دبابات الجيش المصري، اعتقلوا ونقلوا من أرض فلسطين بعد المعارك المشرفة ووضعوا في داخل السجون، وبعدها بثلاث سنوات أقاموا انقلاب عبد الناصر الأمريكيان وجاء بهؤلاء الشباب الذين اشتركوا في فلسطين وكانوا يسألونهم -كان جمال سالم وأنور السادات عضو أيسر وحسين الشافعي عضو أيمن يسألهم سؤالاً واحداً : هل اشتركتم في فلسطين؟! نعم إذا كان الجواب نعم، الحكم إما إعدام أو أشغال شاقة مؤبدة.

1958 مجموعة شباب يشتغلون في الكويت وفي السعودية وفي الخليج فكروا نريد إنقاذ فلسطين فاجتمع هذا ياسر عرفات مع مجموعة من هؤلاء الشباب وذهبوا على دمشق وبدأوا يتدربون وكان الواحد منهم يحمل اللغم من دمشق يضعه تحت ثيابه ويمشي من دمشق حتى يصل إلى حدود الأردن، يمشي في الليل وينام في النهار، ثم يخترق شرق الأردن كذلك ثم يخترق الضفة الغربية واللغم تحت ثيابه ينام في النهار ويمشي في الليل، ثم يدخل إسرائيل ويدخل المنطقة المحتلة 1948 ويضع اللغم لعله يفجر سيارة أو يقتل واحد من المارة ومع ذلك المخابرات العربية أذاقتهم في زنازينها من العذاب ما لا يعلمه إلا رب العالمين، أي واحد تمسكه منهم ذبح، يقيدونهم -خاصة المخابرات الأردنية- يقيدون يديه ورجليه هكذا عدة أشهر فبعد عدة أشهر يصبح ظهره على شكل قوس، يخرج هكذا ظهره لا يستطيع أن يرفعه -جاءت سنة 1967 وبقي حالهم هكذا، شباب بدافع وطني، دافع طيب يريدون أن يحرروا فلسطين، رأوا الناس نائمين فهم تحركوا، والحقيقة أنهم قاموا بأعمال، وصبروا صبراً عجبياً، هؤلاء الذين بدأوا فتح، هذا ياسر عرفات تعب كثيراً كثيراً في البداية، 1967 هزمت الدول العربية فقالوا : نحن مستعدون أن نقاوم معكم يا أيها الناس تعالوا قابلوا، فتحوا كوادهم، هذه فتح فيه

كانوا اسمهم في الأول (حتف).. حركة تحرير فلسطين وبعد ذلك سميت فتح، تفضلوا يا جماعة قاتلوا تفضلوا قاوموا اليهود لم يأت أحد.. المسلمون نائمون وكل واحد يشتغل بنفسه وأولاده وزوجته والعلماء نائمون، والدنيا نائمة ووظيفة العالم أن يفتي للسلطان أما أن يحرك الشباب والشعوب وما إلى ذلك.. فلا، جاء الذين لا يجدون عمل، أولاد الشوارع الذين يدلون على مكان السيارات في الكراجات وهؤلاء الذين يعملون بالحرف البسيطة فوجدوا أنها فرصة ليحملوا السلاح وليلبسوا المبرقع "ألبيسة الفدائيين" ويطلقوا النار ويظهروا، وجاءوا، الكوادر مفتوحة فاستلم كل واحد منهم استلموا القطاعات واستلموا الإدارات واستلموا القيادات والناس نائمون فكثرت الغنم، الهاربون من التجنيد الإجباري يهربون إلى أين؟ إلى المقاومة، الساقطون في الثالث إعدادي كان عندنا في الأردن امتحان الثالث إعدادي إجباري -الساقطون في الثالث إعدادي يهربون إلى أين؟ إلى المقاومة، فكثرت الغنم والذي كبر المصيبة جداً أن الدول العربية، كل دول قد تبنت منظمة من المنظمات لتنتاجر بها، فسوريا عملت منظمة الصاعقة البعثية السورية، والعراق عملت الصاعقة البعثية العراقية، وأبو نضال جاء من هنا، وأحمد جبريل جاء من هنا، وفلان أتى من هنا، جورج حبش نصراني قومي عربي على شيوعي على اشتراكي، نايف حواتمه نصراني من شق الأردن كذلك. لكل واحد دفعت له دولة من الدول مبلغ إعمل منظمة حتى تخرب على فتح، فصار كل واحد يرفع شعاراً، وصاروا يجمعون الشباب من المدارس ومن الهاربين المساكين ويعلمونهم عن (ماو)، عن (جيفارا)، عن (كاسترو) عن (هوشيمنه) وعن صفات جيفارا أنه كان يجوع ويسقي الجنود الذين معه الحليب وهو جائع، ويأتون بصورة (الثوار) وصورة (ماو) فمعظم الشباب الفلسطيني دخل الشيوعية دون أن يعلم، نعم.. سنة 1970 في 4 نيسان كان ذكرى ميلاد لينين المئوي مرور مائة سنة على ميلاد لينين الذي غرس دولة الإلحاد في الأرض، أقامت له كل المنظمات أسبوعاً كاملاً في أمانة العاصمة في عمان أسبوعاً كاملاً للاحتفال بعيد ميلاد لينين المئوي، يعني بذكرى صانع دولة الإلحاد في الأرض. ومن ذا الذي يستطيع، يجرؤ أن يتكلم عن لينين، ولا واحد، حاملين سلاح، يأتون بصورة لينين على الدكان، يدخلون الدكان، خذ هذه الصورة، هات دينار أردني، ولا يستطيع، يفتح الجرار، وإذا لم يفتح هم يفتحون ويأخذون ما يريدون ويمشون وقد يقتلونه، لا أحد يجرؤ أن يتكلم معهم.

أذكر يومها لما رأيت هذا وتوزيع المنشورات أنا كنت في فتح، كانت لنا قواعد لأبناء الحركة الإسلامية إسمها قواعد الشيوخ لكنها قليلة، لكنهم كانوا يهابونها كلهم، يرهبون المسلمين، الشيوخ الأخوان أذكر يومها حزنت كثيراً على باب كل دكان صورة لينين، على الشوارع ومفارق الطرق والمدارس... إلى آخره، فكانت خطبة الجمعة فخطبت الجمعة، كانت

قواعدنا في الغور الشمالي في منطقة اربد قالوا لي أخطب، فتكلمت عن لينين وعن جيفارا وعن جورج حبش وعن نايف حواتمه، الناس الذين يحبونني الطيبون الذين يصلون معي بدأوا يرتجفون في المسجد وأنا أخطب، والله خافوا أن يطلقوا علي النار وأنا على المنبر.. المهم كانت المبررات كثيرة والحكومة الأردنية قامت بذبح الفدائيين وقتلهم وما إلى ذلك ومنعت الرصاصه ومنع المسدس ومنع كل شيء اسمه عسكري، منع أي تنظيم على أساس أنك تفكر في إرجاع فلسطين، نعم كانت هنالك مبررات كثيرة لدى الحكومة الأردنية، كثيرة كثيرة كثيرة ونحن كنا نعيش مع الفدائيين في غربة شديدة جداً، والله أنا كنت أمر قاعدة سمينها بيت المقدس في منطقة من مناطق اربد، فصار اجتماع للوحدة التي نحن منها في فتح جاءوا لنا بثلاثمائة من فتح من الوحدة الشمالية التي أنا فيها، ثلاثمائة.. والله ولا واحد يصلي منهم.. ولا واحد من الثلاثمائة يصلي !! فماذا حدث؟ صارت المنظمة كلها عبارة عن كومة من الأشياء البالية وعلى رأسها قطع طيبة نقية أو قطع ذهبية مثل هؤلاء، بعض القادة الذين فيهم بقية خير مثل هذا ياسر عرفات أنا لا أظن أنه عميل وأظن أنه يحاول أن يضحك على أمريكا ويضحك على اليهود لكنهم أوقعوه في حبالهم واعترف باليهود وضاع وضع القضية وسقط، أما في بداية أمره كان طيباً ومرّة جاءنا إلى القاعدة التي نحن فيها وصلى معنا، صلى معنا لكن يجمع هو لكن جمع فوري.. يقول أنا أصلي خمسة أوقات دفعة واحدة. نعم.. هكذا -جمع ثوري. فسمع كلمة أمير - أمير القاعدة- قال ما شاء الله والله هذا اسم طيب لو استعملنا هذا اللفظ عندنا، نحن نسمى رؤساء القواعد أمراء، أمير القاعدة، كان في خير، وهو أقلهم سوء ما زال ياسر، أما أبو نضال وأبو اياد وأبو... لا تسأل من مصائبهم نعوذ بالله منهم، نعوذ بالله من شر الشياطين، شيوخين، بعثيين، تعبانين، نعوذ بالله هذه فتح فهو أقلهم سوءاً، أما (جورج حبش) و (نايف حواتمة) نعوذ بالله، نعوذ بالله من أحوالهم -من حال أهل النار كيف جمعوهم؟

ضربوا الفدائيين، التقى عبد الناصر مع الملك حسين على ضرب الفدائيين، والقصة طويلة ولكن أنا أختصر لكم، صدقوا الصواريخ التي تعد لضرب اليهود، استعملت كلها ضد عمان، وضد اربد، وضد المدن، ما بقي تقريباً مكان، فما نجت دار من ضربة صاروخ أو ضربة هون أو ما إلى ذلك. الناس في دورهم والقذائف نازلة، رأيت الهجوم الجوي، لما يصير هجوم جوي هنا وتضرب هنا وتضرب هنا، هنا صاروخ وهنا قنبلة وهنا قذيفة، هناك كذلك الدور كلها تدمرت، قتل الناس ما إلى ذلك تدخلت الدول العربية، ويا ليتها لم تتدخل، قلوا لرئيس الوزراء الأردني نصلح ما نصلح إلى آخره، ارفع يدك عن الفلسطينيين، قال أنا أرفع يدي عن الفلسطينيين بشرط واحد، وكلها خطط محاكاة، ما هو الشرط؟ قال أن يخرجوا من المدن إلى الجبال إلى الغابات -غابات جرش- وإلا ستبقى المعركة قائمة، طيب يا زعماء الفدائيين

اعملوا اتفاقية على أن تخرجوا من المتمدن حتى يعود الهدوء إلى البلد. أخرجوهم ؟ جمعوهم من المدن أخذوهم على الغابات، بعد أن تجمعوا في الغابات وجهوا إليهم الدبابات الأردنية والطائرات وما إلى ذلك وحصدوهم حصداً وقد كذبوا فلو صدقوا القول لصدقوا العمل.

ضياء الحق ومعركة أيلول

إنه ظلم لضياء الحق واتهام له، الدبابات أردنية والقادة أردنيون وما إلى ذلك، إنما ضياء الحق كان رئيس البعثة العسكرية الباكستانية في الأردن لتدريب الطيارين الأردنيين على الطائرات من أجل دعم جبهة الصمود في سوريا والأردن ومصر، قررت الدول العربية أن تدعمهم بالأموال، قالوا يا سعودية، يا كويت ادعموهم بالأموال ونبحث من مدربين عسكريين لجيوشهم ونبحث لهم عن بعض السلاح لعلهم يستطيعون أن يفتقروا أمام إسرائيل، هذه قصة ضياء الحق، وضياء الحق ذهب ليدرب، رئيس البعثة العسكرية الباكستانية لتدريب الجيش الأردني خاصة على أمور الطيران، لأنه معروف أن الطيارين الباكستانيين من أشهر الطيارين في العالم، هذا فقط، والرجل معروف بالتدين من قبل، يعني كان يقوم الليل، كانوا يسمونه ضياء الحق وهو في الجيش كانوا يسمونه (جنرال جينك) يعني الجنرال ابريق لأن ابريقه للوضوء دائماً معه، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم عاملوهم معاملة أهل الكتاب، الإعلام العربي كله هكذا يجب أن يعامل، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، لأنه قد يكون حقيقة ونكذب حقاً، لكن معظمه كذب.

الرب من هذا المجتمع

ونجرّ الذبول كالغانيات، كالنساء، قاعدون في البيت..

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ (التوبة: 87)..

لا يستطيع أحدنا أن يحمل مسدساً بينما كنت في أيام الجهاد أخطب الجمعة وأنا أتكئ على الكلاشنكوف، اطلع على المنبر وأنا حامل الكلاشنكوف وأتكئ عليه بدل أن اتكئ على المنبر اتكئ على الكلاشنكوف، سمعنا أن هنا جهاداً فقلنا لعل الله عز وجل يسقط عنا الفريضة، نذهب هناك ولعل الله يرزقنا الشهادة فجئنا هنا على بعد آلاف الأميال، تركنا لهم الأردن، وتركنا لهم الدول العربية وجئنا على بعد آلاف الأميال بعيداً عنهم حتى نؤدي هذه العبادة، ما تركونا، ما تركونا...المخابرات اليهودية الإسرائيلية قالت للأمركان والغربيين انتبهوا.. قاعدين الآن سيجمعوا لكم، هناك في أرض أفغانستان، سيرجعون إليكم ويخلغوا هذه الكراسي من تحتكم، وصار بعض الذين يأكلون دماء الناس، ويقتاتون بأعراضهم صاروا يفتون، يأتي هنا الواحد منهم يقعد يومين في صدى أو في جاجي أو في المأسدة، يومين ينظر هل هناك

أحد يتنفس، في ماذا يتكلمون ؟ ما هذا ؟ فيزيد على الحبة كبة. ويرجع إلى دولته، يقدم تقريراً... انتبهوا.. هؤلاء فيهم تكفير وهجرة، فيهم جهاد، فيهم كذا.. غداً سيرجعون إليكم يقتلونكم، يقوموا - انقلاب مسلح، يتسلطوا على الحكم بالقوة. يا أخي انتم ما سمحتم لنا حتى أن ندافع عن أراضنا في بلادنا، ما سمحتم لنا أن ندافع عن أراضينا، ما سمحتم لنا أن نحمل رصاصة واحدة، اعتبرتم الإعداد الذي فرضه رب العباد جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ثم تركناكم لحالككم وجئنا على بعد آلاف الأميال نعيش بجانب شعب يباد تحت عجالات الدبابات وتحت قذائف الطائرات حتى نقدم له رغيماً أو نقدم له حذاءً أو ندفع عن صدره شيئاً من الرصاص.. لحقتمونا ماذا تريدون ؟

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: 217).

لماذا ؟ يعني الكلب، ضع يدك على عنقه بعضك، القط.. احشره في غرفة مثل هذه الغرفة وأغلقها ثم اسحب عليه أقسام البندقية ينقلب إلى أسد يهجم على وجهك يأكلك، طيب نحن تركنا لكم دنياكم، تركنا لكم ظلمكم، تركنا لكم تعذيبكم للشعوب وجئنا هنا ما بالكم تطاردوننا ؟ ما بالكم تلاحقوننا ؟ طبعاً كله بتوجيه اليهود ولو حدثتكم ماذا فعل اليهود بالنسبة للقضية الأفغانية وكيف أنهم يوجهون السياسة العالمية من أجل إيقاف الجهاد بأي طريقة، ومن أجل حرمان المجاهدين من الوصول للحكم لاحتجت عدة محاضرات، الآن يبحثون عن كل شاب في بعض الدول العربية وخاصة مصر، أي شاب على جوازه فيزة باكستان يبدأوا التحقيق معه، عدة دول أنا مطلوب فيها، مطلوب فيها دول حاكمة عليّ بالإعدام غيابياً، ليبيا، سوريا، العراق، محكوم عليّ فيها بالإعدام، الثلاثة !!

مصر لو دخلتها ما خرجت منها، لماذا ؟ ما لكم ؟ ! تنظيم مسلح، هؤلاء يتدربون هؤلاء يؤدون فريضة اسمها فريضة الإعداد التي حرمانها على الشعوب، لن نخضع إلا لرب العالمين ولن نركع إلا لخالق الناس أجمعين، لا نريد دنياكم إن أبيتم إلا أن تلاحقونا حتى هنا فاعلموا أننا قد انسلخنا من دينكم ودنياكم والأولى أن تتركونا، تتركونا نعبد ربنا كما أمرنا. شباب خرجوا لله عز وجل ينصرون شعباً مسلماً ولعلمهم يتنفسون نسيم الحرية والعزة ويشعرون بأنهم بشر.

واحد سألني قال : هذه الصحيفة الفلانية أو النشرة الفلانية ؟ قلت له هذه يصدرها المجاهدون نعم بدون إذن قال : بدون إذن، قلت نعم بدون إذن، هذه حق طبيعي، الأصل هي حق طبيعي، لكننا نحن في العالم الإسلامي لكثرة ما أخذوا من حقوقنا نظن أنهم إن أرجعوا إلينا حقاً شيء كبير، هذه حق. أن تتكلم بالخير حيثما تكون، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حيث تكون تحتاج رخصة من الدول أن تتكلم، قارن بين هذا وبين أخ من الإخوة كان

يدرس في جامعة (هارفر) فقدم طلباً لرئاسة الجامعة أنني أريد أن أصدر صحيفة باسم اتحاد الطلبة المسلمين، فقالوا له ما هذا الطلب ؟ أنت لك الحق أن تصدر أصلاً. هذا يمكن أن نحاكمك عليه - الطالب - لأنك تتهمنا أننا لسنا ديمقراطيين، أنت لك أن تصور أي صحيفة تريد، ضحكوا، قالوا الصحيفة تحتاج ترخيص من الجامعة ؟ فهو في ذهنه. -جاء من الأردن، عربي الواحد إذا يريد أن يتكلم في الجامعة ويحتاج رخصة ؟! حقوق طبيعية.

فأنتم يا أيها الإخوة.. الله عز وجل منّ عليكم ووصلتم وهذا اختيار من رب العالمين فحافظوا عليه، حافظوا على هذه النعمة..

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَفَوْا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

هذه نعمة عظيمة كم من المشايخ حولك أعلم منك ولكن الله اختارك من بينهم وجئت لتؤدي هذه الفريضة، كم من الشباب تدينا ولكنهم قعدوا وجئت، هذا اختيار من الله وتقضيل واصطفاء (ويتخذ منكم شهداء) ليس بأمانيتكم ولا باجتهادكم إنما هو فضل من الله عز وجل عليك أن اختارك من بين مليون واحد وجاء بك، نحن هنا ألف والأمة الإسلامية ألف مليون يعني من كل مليون مسلم جاء واحد فأبيّ تكريم من رب العالمين أعظم لك من هذا التكريم، إنك الأول على مليون، لا بدّ من أن تحافظ، كيف الحفاظ على هذه النعمة :

إذا كنت في نعمة فارعاها

فإن المعاصي تزيل النعم

انتبهوا..

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (سبأ: 13).

إذا أردت أن تشكر الله يجب أن تعمل، فأنا رأيت الشهداء، ورأيت الذين ثبتوا في هذه الأرض، رأيت أن معظمهم من الأخفياء، والذين اغتروا بأنفسهم وبدأوا ينتقدون ويغتابون وينمون، الله حرمهم من هذه الأرض، حرمهم لأن أرض الجهاد، الله عز وجل لا يسهلها لكل واحد، وعبادة الجهاد لا يحببها الله عز وجل لكل واحد، كم من العلماء في بلادك، وكم من الدعاة في قطرك الذي جئت منه قد حوروا آيات الجهاد وأخرجوه أن الجهاد الآن ليس مطلوباً بل مكروه.. نعم.. هم يعتبرون أن الذي يجلس في قطره أفضل من الذي يأتي للجهاد !! معنى ذلك أن الجهاد حكمه خلاف الأولى. آيات قرآنية سلطوا عليها الرأي البشري والهوى الإنساني فإذا بها خرجت خلاف الأصل، محاضرات تلقى في المساجد وأشرطة تسجل وتوزع على أن الجهاد ليس فرض ليس فرض.. لا تذهبوا إلى أفغانستان.. نعم وأنا رأيت بعض

الأجهزة الآن في الفترة الأخيرة نشطت كثيراً لمحاربتنا ولمحاربتي أنا بالذات، والله لا أقولها فخراً، وإنما ألمس من خلال المضايقات والضغطات وغيرها التي نواجهها وكلما ضغطوا علينا كلما وسع رب العالمين علينا، وكلما أغلقوا باباً، فتح الله لنا سبعين باباً، وكلما حاولوا أن يمنعوا الشباب أن يأتوا ازداد عدد الشباب، هم الآن يبحثون عن أي عيب فينا والإنسان كله عيوب، ليس هناك إنسان خال من العيوب، لا يوجد إنسان خال من الهفوات، خال من النقائص، خال من الذنوب، لكن يجعلون الحبة قبة، ويكبرونها ويفخمونها في أذهان الشباب حتى لا يأتون، لأن الإتيان هنا هو المصيبة العظمى بالنسبة لهم، لماذا؟ أيهم أولى لكم يا مساكين؟ والله مساكين هؤلاء المسئولون. أيهم أولى لكم. أن يكون أبناء شعبكم رجالاً يموتون في ميادين القتال ويحمون أمتهم في ساعة الشدة والكرب والنزال أم تأتون بهم جثثاً هامة بين الحشيش والمخدرات والأفيون والنساء، أيهم أفضل؟ كل أجهزتك، كل أجهزة دولكم فشلت أن تحول بين الشباب وبين المخدرات.

طيب اتركوهم يذهبوا إلى ميدان الرجولة، ميدان بناء الشخصية، ميدان صلاح الصلة مع رب العالمين، ميدان النظافة، انتبهوا يا إخوة، أولاً انتبهوا للقليل والقال، لأن المرجفين يكثرون كلما اشتدت المعركة، والله عز وجل قال :

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ (التوبة: 47).

هناك ناس طيبون بينكم هؤلاء الذين تخاف عليهم، أما هم.. خلاص هؤلاء الناس فسدت قلوبهم فأرادوا أن يفسدوا قلوب الناس، على من يفسدوهم؟ يفسدون قلوب الناس على رب العالمين، يفسدون قلوب الناس على دين الله، يفسدون قلوب الناس حتى لا تطبق شرع الله. وإلا من المستفيد من عودة الشباب من أرض المعركة، من أرض الشرف، أرض البناء، أرض الرجولة أرض الطهر إلى حيث المصائب والمفاسد من كل مكان، والله لو كانت الدول تفهم لأرسلت ضباطها هنا دورات يعيشون في الجبهات حتى ينكسر حاجز الخوف، ويعرفوا كيف تبنى الشعوب؟ وكيف تقام الأمم؟ وكيف أنه لا يوجد هناك قوة عظيمة إلا قوة رب العالمين... لو فهم هؤلاء المسئولون لأرسلوا جنودهم هنا يخوضون المعارك، ماذا عليهم لو أرسلوا كل دولة- لو أرسلت خمسمائة ضابط يقتل مائة ضابط منهم يبقى أربعمائة يعودون، يحيون الأمة من جديد. ماذا عليهم لو أرسلوا بقدر عدد طلاب جامعة، فيخلقوا جامعة من الجامعات فيها عشرة آلاف.. إغلاق.. خلاص، هيا إلى أفغانستان، عشرة آلاف يقتل منهم ألف يرجع تسعة آلاف هؤلاء يكونون سور الأمة وحصنها، يعيدون بناء الأمة من جديد والله عزكم في الدنيا وذخر لكم في الآخرة، الآن الشاب الفلسطيني الذي يقتل منهم الفلسطينيين

يفتخرون به، والشباب السعودي الذي يقتل منهم السعوديون يفتخرون به فهو عز لكم، عز لكم في الدنيا وإن صدقت نياتكم فذخر لكم في الآخرة، يخافون من الرجولة؟ لماذا يخافون من الطهر؟ لماذا يقولون :

﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: 56).

أخرجوهم لأنهم طاهرون.. هؤلاء الشباب في الأمم الأخرى، الأمريكان الفرنسيون ما إلى ذلك الذين عندهم رائحة الحرية والديمقراطية الغربية، في النظام الغربي الكافر لكن يضمن حرية الإنسان هم قادة دولهم قادة المعارك هم قادة الدول، كندي كان قائداً في الحرب العالمية الثانية، ايزنهاور كان قائداً في الحرب العالمية الثانية، ديغول تشرشل، فلان.. هؤلاء كانوا قادة بلادهم في الحرب العالمية فعادت الأمم تكريماً لهم اختارتهم زعماء لها. نحن بدل أن يكرموا الشباب الراجع من هنا يضعونه قائداً للجيش، أو قائداً لكتيبة من الكتائب يضعونه في السجن، أو يبدأون التحقيق معه وتدور الشبهات حوله لماذا؟ كان في ميدان الرجولة والشرف فبدأوا معه التحقيق. على كل حال أنتم حافظوا على هذا ودعوهم وحالهم..

وأخلصوا النيات :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: 38).

أخلصوا النية، واصبروا واتقوا، الله يتولى الدفاع عنكم بشرط الصبر والتقوى..

﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران:

120).

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: 43).

كل الذي أخافه على نفسي، والله لا أخشى الدنيا كلها، إنما دائماً أراجع نفسي حتى لا تتحرف والله يتركني لهؤلاء الذئاب، فأنت إذا وجدت الدنيا تتكالب عليك فقط اعتمص بحبل رب العالمين وهو أقوى منهم هم أقوى أم رب العالمين؟ رب العالمين أقوى.. هل يمكن أن يضرك شيء إذا لم يكتبه الله عليك؟ (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن الأمة لو اجتمعا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، واعلم أن الأمة لو اجتمعا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) فقط أخاف عليكم وعلى نفسي من أنفسنا. تأدب مع الله وتأدب مع إخوانك، والإسلام جعل الناس مراتب حسب تقديمهم قال :

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (التوبة: 100).

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ (التوبة: 100).

﴿وَأَخْرُورَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: 106).

فهناك أهل بدر وهناك أهل أحد، وهناك السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين بايعوا تحت الشجرة، الذين آمنوا قبل بيعة الحديبية، والذين جاؤوا بعد الهجرة، فالناس منازل حسب تقواهم وحسب تقديمهم وحسب سابقتهم وحسب بلائهم، فالإنسان عندنا، الإنسان وقدمه في هذا الجهاد، الإنسان وبلاؤه، الإنسان وعطاؤه لهذا الجهاد، هذه مقاييسنا بالنسبة لهذا الجهاد وبالنسبة للإخوان الذين يعملون معنا، أما أنت جئت أمس فلا تظن أنه لم يعمل أحد مثلك، دخلت في قندهار في عملية، أو دخلت في خوست في عملية ومضى عليك ثلاثة أشهر وتبدأ تتكلم عن فلان هذا القاعد في بيشاور؟! وعن فلان الذي يأكل الفلوس؟! وعن فلان وعن فلان؟ هذا فلان الذي لم يمض عليك أربعة أشهر حتى الآن وقد مضى عليه -هذا فلان- ست سنوات وهو في هذا الطريق، كان هنا ولم يكن واحد غيره، ولولا ثبات أولئك ما جنتم أنتم، طبعاً بعد فضل الله ونعمته، لكن أولئك ثبتوا وهاجروا بأولادهم وجننا بهم وتركوا وظائفهم والسابقون لهم أجرهم وأجر من عمل بعملهم إلى يوم القيامة (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) كم من الناس في بيشاور نحن فرضنا عليهم أن يجلسوا في بيشاور وهم يريدون أن يكونوا في المعارك؟ نعم.. هؤلاء مهندسون وخريجون جامعات جاءوا كانوا موظفين في بلادهم وكانت رواتبهم كبيرة جننا بهم، استتفرنا الناس ما جاء أحد، استتفرنا الناس ما جاء أحد، فقلنا للذين نعرفهم تعالوا اتركوا وظائفكم، تعالوا فقوا بجانب هذا الجهاد أدوا فريضة رب العباد، وكنا نعطيهم أربعة آلاف روبية في الشهر له ولعائلته. فيا أخي أولاً لا يجوز الغرور بالنسبة لكم؟ وأنا رأيت بعض المغترين قد حرمة الله عز وجل من ميدان الثواب والأجر والشهادة والمنة، ورأيت بعض النقاد والمتفلسفين قد حرمة الله عز وجل، والله الشباب صغار -ما حضروا ولا معركة- حضروا معركة واحدة، ثم تفرغ بعضهم للنقد والانتقاد وما إلى ذلك سواء بالنسبة للأفغان أو بالنسبة لنا أو بالنسبة لي، فإله عز وجل حتى لم يرجعهم إلى البلاد العربية أخذهم إلى البلاد الكافرة بين الفتن التي تجعل قلب المؤمن مظلاماً، حرمة انتقلوا من قمة سنام الإسلام إلى مستنقع الشهوات وحضيض النزوات ومستنقع الجنس. نعم.. حرمة لأن الله عز وجل ينظر إلى الناس هل يستحقون أن يبقوا في هذه الأرض.

فإذا كانوا يستحقون أن يبقوا في أرض اليوم فيها بألف يوم، واليوم فيها خير من الدنيا وما عليها إذا بقيهم، أما إذا كانوا لا يستحقون فإله عز وجل يبغض الجهاد إلى قلوبهم، يطلق أسنتهم، حتى يهلكوا حسنتهم قبل أن يغادروا الساحة لأن الجهاد الأفغاني كالكير ينفي خبثه

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..

... ..
... ..

... ..
... ..

كما ينفي الكير خبث الحديد، نعم الجهاد كالكير.. كير.. رأيتم الكير كيف؟ كير النار.. اليد هذه التي تدور فتوقد النار. الجهاد كذلك، توقد ناراً فيذهب الخبث..

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: 17).

حفظ السابقة لأهلها

يا أيها الإخوة: انتبهوا لهذا أصلحوا ما بينكم وبين الله.. هذا هو الطريق.. وطبعاً الأمور لا يمكن أن تمشي لأنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بأمير ولا أمير إلا بطاعة. لو ركب كل واحد منا رأسه ومشى كما يريد فإنه لا يمكن أن تلتقي جماعة ولا يمكن أن يكون جهاد، الجهاد يحتاج إلى مجموعة من الناس لهم قائد وله جنود ولهم مبدأ يمشون عليه، نحن مبدأنا الإسلام (الكتاب والسنة)، فلا بد من أن نكون جماعة متألّفة واحدة.. ثم يا أخي الكريم بعد ذلك، انتبه لنفسك، انتبه لنفسك، ما وجدت إلا أن تغتاب المجاهدين، من كل مليون جاء واحد، ما وجدت إلا أن تغتاب هؤلاء، تكلم عن البعثيين، تكلم عن الشيوعيين، تكلم عن القوميين، تكلم عن الماسونيين، تكلم عن العلمانيين، تكلم عن أعداء هذا الدين ثم بالله عليك لماذا لم تكن هكذا في بلدك؟ ما تفتقت طاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بين هذه الجماعة التي خرجت بعد ألف عقبة وعقبة ومشيت على الشوك حتى تنفرهم من أرض الجهاد؟! أصلح نفسك، واحفظ لسانك، وأصلح ما بينك وبين ربك، وليس الحق هو الذي تراه أنت بنفسك، هنالك علم لا بد أن تسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وفي المعركة تكثر كما قلنا - الأراجيف..

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ﴾ (النساء: 83).

لماذا فلان يعمل كذا؟ ولماذا فلان يصرف كذا؟

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: 83).

علمنا الله عز وجل كيف نقاوم الأراجيف في الحرب، أن نرجع للمسؤولين نسألهم ما هي القصة الفلانية؟ فأصلحوا ما بينكم وبين الله حتى تحافظوا على ثوابكم.

عظم الأجر في الجهاد

لا يوجد أعظم من ثواب الجهاد أبداً. (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة) و (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) و (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها) وقيل (رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه) و (من مات مرابطاً لا يختم على عمله ويأمن الفتان) لا يسأل في القبر،

ويبقى عمله ينمو إلى يوم القيامة، كل يوم الملك يضيف إلى صحيفة أعماله صحيفة جديدة أخرى، أحسن عمل يأخذ منها نسخة ويبدأ كل يوم الصبح ينسخ على (PHOTO STATE) نسخة ويضع على صحيفة أعماله هكذا إلى يوم القيامة، أي عمل أعظم من هذا العمل ؟

يعني إذا بقي للقيامة مثلاً مليون سنة كأنك عشت مليون سنة وفي أرض الرباط أيّ نعمة أكبر من هذا؟ فلا تضيعها بإطلاق لسانك.. أربطه.. أربطه، أربط اللسان هذا.. ولقد رأيت الشهداء هم الصامتون.. معظم الصامتين الله اجتباهم.. ومعظم المخبتين الله اختارهم يصطفيهم ويتخذهم شهداء، فأصلح ما بينك وبين الله حتى يفتح لك باباً من أبواب الجنة، لأنك أنت مقبل على الله، لا بد وتتنظف وتتعطر، أنت إذا أردت أن تقابل زعيماً من زعماء الدنيا تغتسل وتلبس أحس ثيابك وتتعطر وتصحح ملابسك. كيف الملابس؟ كيف الغطرة، وكيف العقال؟ كيف هذا! كيف وأنت تريد أن تقابل ربك؟! فأصلح من نفسك، قوّ العبادة، قوّ صلّتك بالقرآن، قوّ صلّتك بالذكر، احفظ لسانك، احفظ أعضائك من الآفات، انتبه.. انتبهوا حتى لا تحبط أعمالكم بالغرور فإن من عصى الله بغرور يخشى ألا يتوب عليه، ومن عصى الله بمعصية يمكن أن يتوب الله عليه، لأن آدم عصى الله بشهوة فتاب الله عليه، وإبليس عصى الله بغرور فلم يتب الله عليه.

فيا أخي الكريم : كم من الناس حولك لا تأبه لهم ولا تقيم لهم وزناً، بهم يحفظنا الله عز وجل، وهل ترزقون وتتصرون إلا بضعفائكم وفقرائكم فلا تغتر.. أهم شيء انتبه لنفسك، الغرور لا يدخلك.

ثانياً تحفظ لسانك، ثالثاً : تحفظ أعضائك من الآثام. وأهم عضوين : اللسان والفرج. (من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) طهر فمك من الداخل بالمأكولات، ومن الخارج بالكلام، وطهر فرجك، الرسول ﷺ يكفل لك الجنة، فانتبهوا إلى أنفسكم، ونرجو الله عز وجل أن لا يجرمكم، نرجو الله أن لا يحرمننا من هذه النعمة، نحن ذقنا مرارة حرماننا من هذه النعمة، بعد أن ضرب الجهاد أو العمل الفدائي في الأردن، وفتح الله علينا ونرجو الله عز وجل أن لا يحرمننا.

الأفغان والتوحيد

أيها الإخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا بد للمسلمين من أرض يقيمون عليها دين الله عز وجل، لا بد للمسلمين من دمار يأوون إليها، وإلا سيبقون مقطعين ضائعين كالأيتام على مأدبة اللثام.

لا بد للمسلمين من أرض صلبة، يقيمون عليها القاعدة الأولى لهذا الدين، ثم تصبح منطلقاً إلى ربوع العالمين، لا بد للمسلمين من مجتمع إسلامي، يفيأون فيه وتحتة تحت ظلال هذه الشريعة، وتتطلق جيوشهم لتفتح الفتوح وتخلص المستضعفين، وتتقذ المسلمين وتنتشر دعوة العالمين.

توحيد الألوهية هو المحك العملي

هذه الدولة، وهذا المجتمع لن يقوم إلا بأن تقوم دعوة إسلامية تدعو إلى الله عز وجل، إلى التوحيد، إلى لا إله إلا الله، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، ويتحول التوحيد في نفسه إلى سلوك وخلق وقيم ومنهج حياة، لا بد لهذه الجماعة - التي تعلن عن نفسها، تدعو إلى الله في الأرض - لا بد لها.. أن تتجاوز توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية.

إن توحيد الربوبية أمر سهل، لأنه توحيد معرفة، توحيد ثقافة، توحيد دراسة، تجلس عدة ساعات أمام أستاذ يعلمك توحيد الربوبية أن تقر وتتعترف أن الله خالق، رازق، محيي، مميت، بيده الأمر، إليه يرجع الأمر كله، هذا كل المسلمين تقريباً يعرفونه، ما من مسلم على وجه الأرض يقول إن أحداً يخلق غير الله، أو يرزق غير الله، أو يتصرف في هذا الكون غير الله، هكذا عامة المسلمين في الأرض الآن، لكن تحويل توحيد الربوبية إلى توحيد عملي، توحيد ربوبية، قلنا التوحيد النظري، أو توحيد المعرفة والإثبات تحويله إلى توحيد الألوهية، توحيد سلوك وخلق، وتعامل ومغامرة بالنفوس والروح، هذا أمر دونه خرط القتاد، ومن أجله جاءت الرسل لإقرار التوحيد في الأرض، صلوات الله وسلامه عليهم.

الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ما جاءوا لإقرار توحيد الربوبية لأن المشركين كانوا يعرفون توحيد الربوبية (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاسْحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت):

(61).

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: 31).

من الذين يقولون الله؟! الكفار.. المشركون.. فهم يعتقدون أن الله خالق رازق، لكن الذي يعتقد أن الله خالق رازق وطيلة حياته منحني الظهر أمام الطاغوت، مطأطيء الهامة أمامه، ما رفع رأسه في يوم من الأيام وقال لظالم: قف مكانك يا ظالم.. أين التوحيد في قلبه؟! لماذا؟! لأنه يخاف على رزقه أو يخاف على أجله إذاً ليست القضية قضية توحيد الربوبية، القضية قضية توحيد الألوهية، إن الذي يقر بتوحيد الربوبية ويقر بتوحيد الأسماء والصفات، يثبت الله عز وجل ما أثبت لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة من الأسماء والصفات، من الأسماء الحسنی والصفات العليا دون تشبيهه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تأويل، هذه القاعدة التي نؤمن بها، وهي القاعدة التي اتفق عليها السلف، نثبت لله يداً ليست كأيدينا..

لنا نشبه وصفه بصفاتنا

إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه

إن المعطل عابد البهتان

ونؤمن أن (الرحمن على العرش استوى) بالكيفية لا نعلم، والاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا نقول إن الاستواء هو الاستيلاء والهيمنة، ولا نقول إن يد الله قدرته، الله يد ليست كأيدينا وعين ليست كأعيننا، ونعلم ونعتقد أن الله مستو على عرشه بائن عن خلقه فوق السماء السابعة، سبحانه وتعالى.. لكن توحيد الألوهية، التوحيد العملي في الحياة، لأن توحيد الألوهية هذا الذي يكلف الثمن، أما توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية لا تكلف ثمناً، ليس فيها مخاطرة بالدماء ولا بالأرواح، وليس فيها مخاطرة على مستقبل الأولاد والعائلة، الخطر بتوحيد الألوهية، توحيد الألوهية، توحيد الله بأفعال خلقه، أو التوحيد العملي، أن نعبد الله وحده، نتوكل على الله وحده، نخشى من الله وحده ننذر الله وحده، نصوم لله وحده، نتحاكم إلى الله وحده، هذا توحيد الألوهية، فإذا تحاكمنا إلى شريعة الطاغوت، أين التوحيد في حياتنا؟

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:

121).

فالتوكل على الله بالرزق في الأجل، هذا الذي يظهر عقيدة المسلم وتوحيده، إن الذي يوحد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ولكنه يخشى أن يرسل ابنه إلى المعركة، وإذا جاء ابنه إلى أفغانستان يلحقه إلى أفغانستان، أين توحيد الألوهية في حياته؟ أين ..

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (آل عمران: 145).

لماذا تلحقه؟ أنت تقول أنا موحد، هذا التوحيد توحيد عملي، يكلفك تعباً في حياتك وأعضابك وقلبك، إذا لم تكن مطمئناً إلى التوحيد الذي يسري مع دماغك ويستقر في أعماقك.

إذا كنت موحداً، توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومع ذلك الشرك ينتشر، ليس شرك التمايم، هذا شرك التمايم سنتعرض إليه.

شرك القصور

الشرك الأكبر في الحياة الآن هو شرك التشريع بغير ما أنزل الله، من الذي وقف أمام التشريع بغير ما أنزل الله، وقال لا، من؟! فهناك شركان: الشرك بسبب أهل القبور، والشرك بسبب أهل القصور، نحن إذا تكلمنا على الشركين نكون موحدين، لكن إن تكلمنا عن شرك الأموات، وتركنا شرك الأحياء فلعل في عقيدتنا وفي توحيدنا شيء، لا بد أن نتكلم عن الشركين، شرك القبور وشرك القصور، شرك الأموات وشرك الأحياء، ليس هنالك خطر الآن على الطبقات المثقفة في العالم كله من القبور، فلما تجد إنساناً مثقفاً يلجأ إلى القبر ويتوسل به ويتوسل بصاحبه، إنما الشرك الآن هو التحليل والتحرير بغير ما أنزل الله، وقد اتفق الفقهاء على أن من أحل الحرام فقد كفر، ومن حرم الحلال فقد كفر، الذي يعطون رخصاً للخمارات، ولنوادي الرقص ولبرك السباحة المختلطة، ويحرمون الجهاد، لماذا لا نقول لهم هذا شرك؟، إن كنا موحدين يجب أن نقف لهذا الشرك الذي دوخ الأمة الإسلامية جميعاً الآن، أنا كنت قلت مرة (سيد البدوي) (عبد القادر الجيلاني) الاستغاثة فيها يا عبد القادر يا سيد بدوي شرك أكبر، والناس الذين يستغيثون بهم إن كانوا جاهلين نعلمهم، لا يجوز تكفيرهم، لكن يا ترى أليس تشريع واحد مثل حافظ الأسد والقذافي ومثل غيره كذلك شرك أكبر يخرج من الملة، القذافي لما يتقدم يصلي العصر ثلاث ركعات وبعد أن برك في الركعة الثالثة قالوا سبحان الله سبحان الله فما رد عليهم سلم من الثالثة، قالوا يا عقيد أنت صليت فينا ثلاث ركعات قال: أعطوني آية من القرآن إن صلاة العصر أربع ركعات!! إن الذي يحكم على عابد الوثن بالشرك ولا يحكم على الذين يتحاكمون إلى الطاغوت بالشرك، ويخرج من هذه ولا يتخرج من تلك هؤلاء لا يفهمون القرآن، فليقرؤا كما أنزل، ولا يأخذوا قول الله بجد وليسمعوا "ولئن أطعتموهم إنكم لمشركون".

من تكاليف الدعوة

لا بد للدعوة الإسلامية التي تقوم وتحمل أعباء دين الله في الأرض أن تدرك أنها ستواجه الدنيا بأسرها، وسيقف في وجهها كل من قام يدعو إلى التوحيد الخالص، لا بد أن يواجهه أول من يواجهه الطواغيت في الأرض، وكل دعوة لا يواجهها الطواغيت ليست دعوة إسلامية، كل دعوة لا تؤذى ولا تسجن ولا تطارد هذه ليست على حق، لأنه لو نجا أحد من الابتلاء والإيذاء والمطاردة لنجا منها أحب خلق إلى الله محمد ﷺ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبُاسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
(البقرة: 214).

بعد البأساء والضراء، والزلزلة، بعد الاضطهاد والتعذيب والمرض والفقير والسجن والمطاردة والفصل من الوظيفة وغير ذلك بعد هذا كله (متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب).

سئل الشافعي رحمه الله، أيهم أفضل للعبد يمكن له أم يبئلى؟ قال لن يمكن له حتى يبئلى :

﴿أَلَمْ * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: 1-3).

حدثني أحد الإخوة قال : زار البنا قرية من القرى فاستقبلته الجماهير بالهتاف والتكبير وخطب وبعد أن انتهى، قال : دخلنا دارا فبحثنا عنه، فلم نجده، ثم وإذا به قد انزوى في غرفة من الغرف يبكي، قلت له : هذا يوم أغر من الزمان يوم عظيم، هذه الجماهير المسلمة تستقبلنا بهذه الطريقة قال : لم يكن الأنبياء يستقبلون بهذه الطريقة، أخشى أن لا نكون على الطريق.. ولذلك من الثلاثينات قبل أن يسجن واحد من الدعوة كتب قال : يا أيها الإخوان إن دعوتكم لا زالت خافية على الكثيرين، ويوم يعرفها الناس ستطاردون وتعقلون وتؤذون، وسيقف ضدكم العلماء الرسميون وسيقف أمامكم الحكام، وعندها تكونون قد بدأت طريقة أصحاب الدعوات - قبل أن يسجن واحد من الدعوة بعشر سنوات أو أكثر-.

فالدعوة إذا كانت تدعو إلى التوحيد -التوحيد الخالص كما حدثتني أخت سيد قطب رحمه الله (أخته حميدة)- قالت لما وقع عبد الناصر على قرار إعدام سيد قطب أرسل القرار إلى حمزة البسيوني لينفذ الحكم، حمزة البسيوني مدير السجن الحربي، فناداني حمزة البسيوني وأطلعني على القرار، وقال لها (يبدو أن عبد الناصر قال لحمزة البسيوني إذا اعتذر سيد قطب نحن نخرجه من السجن) فقال لها أمامنا فرصة وحيدة لإنقاذ الأستاذ لأنه خسارة للعالم كله،

يعتذر ونخفف عنه حكم الإعدام ثم بعد ذلك نخرجه من السجن، قالت ذهبت إليه.. قلت له إنهم يقولون إن اعتذرت سيخففون عنك حكم الإعدام، قال عن أي شيء أعتذر يا حميدة؟ عن العمل مع الله، والله لن أعتذر عن العمل مع الله، والله لو اشتغلت مع جهة غير الله لاعتذرت، لكني لن أعتذر عن العمل مع رب العالمين، اطمئني -هنا توحيد الألوهية، حبل المشنقة أمام ناظرية الليلة سينفذ حكم الإعدام- اطمئني يا حميدة -هو يقول لها المحكوم عليه بالإعدام يطمئن الأحياء- اطمئني يا حميدة ؛ إن كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئاً في زيادة الأجل أو تأخيرها.

هذا توحيد الألوهية.. توحيد الألوهية نقرأ كلمتين ونرددهن، وحدثني أحد الإخوة نقلاً عن الشيخ الذي كان يحضر مراسم حكم الإعدام قال : وهم يسوقونه إلى حبل المشنقة، من مراسم حكم الإعدام أن يأتيوا بشيخ أزهرى يقول له : قل أشهد أن لا إله إلا الله، تقدم الشيخ الأزهرى بعذبتة ولفته يا سيد : قال : نعم، قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله، قال حتى أنت جئت تتم المسرحية نحن نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله وأنتم تأكلون الخبز بلا إله إلا الله، إذاً يوجد توحيد عليه الإعدام وتوحيد عليه خبز، يوجد توحيد عليه رواتب ويوجد توحيد عليه سجن ومطاردة، يوجد توحيد عليه ذبح ويوجد توحيد يقدم له الذبائح، لا بد من التوحيد الخالص، الذي يكرمه الملوك.

الأعرابي قال لرسول الله ﷺ إلى أي شيء تدعو، قال إلى لا إله إلا الله فقال : هذه الكلمة يكرها الملوك، توحيد !! لا بد أن نبدأ بالتوحيد، ولا بد أ، نحول توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية إلى سلوك وأخلاق، كلمات.. أحداث، وقائع في واقع الحياة إلى صمود وعزة، كما كان سيد يقول : عرضوا عليه الوزارة وهو في أعماق السجن، قال إن أصعب السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة -هذه الأصعب التي تقول : أشهد أن لا إله إلا الله- لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية، هذا هو التوحيد، نحن نريد توحيد صحيح، ولا يمكن أن تستقيم دعوة بدون توحيد، حكم عليه بالإعدام، قالوا له : استرحم قال : لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوماً بحق فأنا أرتضي حكم حق، وإن كنت محكوماً بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل، هذا توحيد.

حدثتني أخته أو صهره قالت لما حكم عليه بالإعدام ذهبنا ورأيناه قال : فطوقنا بذراعه، أخواته، أو الذين زاروه، قالوا : ادعوا الله لنا، قال : أرجو أن يجعل كل هذه العائلة عائلة شهداء.

إذاً يوجد توحيد وتوحيد !!

لا بد من أن نعيد رسالة الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، رسالة الأنبياء : الدعوة إلى توحيد الألوهية، توحيد الربوبية ما أخذ منهم جهوداً كبيرة.

أحكام عشوائية

الآن نأتي إلى أفغانستان، جاءني اليوم حوالي ثلاثة يقولون : إن حوالي عشرين شاباً من الذين جاءوا إلى هذا المعسكر رجعوا إلى بيشاور بحجة أن الأفغان مشركون، وسيرجعون إلى بيوتهم، بلادهم، وقال لي : نحن جننا مجموعة خط جده، بنجلاديش، بيشاور - والله يعلم كم أنفق المسلمون لإيصالهم لأرض الجهاد - شهران في جده، يأكلون على حساب المسلمين، ثم 120.000 ريال تذاكر لهم، حتى أخذوهم إلى بنجلاديش، ومن بنجلاديش جاءوا إلى بيشاور، جاءوا يومين إلى صدى، اكتشفوا شرك الأفغان، رجعوا يبشرون قومهم بقوله الحق (فاصدع بما تؤمر)، لا بد أن يبين الحق، قلت : والله دعونا نتحاكم إلى الكتاب والسنة، أي شرك عند الأفغان رأوا؟! لا أدري أي شرك رأوه عند الأفغان ولم يدخلوا جبهة قط، جاءني أحد الإخوة أمس قال لي أنا محتار، قلت ما الذي يحيرك؟ قال لي : قالوا لي : عندنا فلم فيديو لسياف وهو حول القبر هو ومجموعته يتوسلون بصاحب القبر قلت : "تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً" كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً" قلت له : والله سياف مسكين لا هو مع العرب بخير ولا مع الأفغان بخير، الأفغان تعلمهم محطة "B.B.C" تقول إن سياف جاء وبنى الجامعة هذه لينشر الوهابية بأموال السعودية، بقض الجهلة، يقول سياف بدعي، جماعته كلها شركيات.. قلت له : يا أخي والله سياف أنا أكاد أقسم طبعاً أنا لا أعلم الغيب - أما أكاد أقسم من الآن أن هذا كذب محض ولا يمكن هذا، يستحيل، وأنا أعرف عقيدة سياف، ما هي الشركيات؟! الشركيات : التمام، ثانياً: التوسل. ثالثاً: الاستغاثة بالأموال غير ذلك، يوجد شركيات منتشرة قولوا لي، الذي يعرف شركيات.

أولاً : أريد أن أعرف شعباً من الشعوب العربية ليس فيه هذه الشركيات؟ أروني الجزيرة العربية نفسها التي أمضت ثلاثمائة سنة وهي تقاتل للتوحيد، وقامت دولة باسم التوحيد، هل استطاعوا أن ينهوا الصوفية المخرفة المنحرفة من مكة والمدينة، لم يستطيعوا، يوجد في المدينة ومكة شركيات توجد بعض الشركيات..!! الآن لو هجم اليهود على المدينة المنورة، لا يجوز الدفاع عن المدينة المنورة، لأن فيها الشركيات؟! هل يجوز الدفاع عن المدينة المنورة؟ يوجد أحد يقول لا يجوز؟! طيب نذهب إلى مصر ونرى حول سيدنا الحسين على بعد أقل من مائة متر من باب الأزهر والناس يسعون حول القبر، يطوفون بالقبر، لو هجم اليهود على مصر، هل يقول عاقل في الأمة كلها أنه لا يجوز الدفاع عن مصر لأن فيها الشركيات؟! هل

يقول عاقل من الأمة كلها إلا إذا كان العلماء كلهم مجانين؟! والأخ هذا الذي خرج من فقس البيضة، أعلم من العلماء جميعا!!.

إن يوجد في كل الأمة هذه الشركيات، أليس كذلك؟ لكن هل الذين يزاولون هذه الشركيات مشركون؟ هؤلاء لا يجوز أن تكفر واحدا منهم، إلا بعد أن نقيم عليه الحجة وهذه نصوص ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب موجودة واضحة، ابن تيمية يقول للمعتلة الجهمية "لو قلت بقولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم لأنكم جهال" هذا من هو؟! من هو ابن تيمية؟ شيخ الإسلام ابن تيمية، ويقول ابن القيم وهو يناقش الذين يستغيثون بأصحاب القبور وبالأولياء قال: ولا نستطيع تكفيرهم لجهلهم، محمد بن عبد الوهاب في مجموعة الرسائل النجدية في أولها يقول: "والجهل عذر في الأصول والفروع" الأصول! ماذا؟ تعني العقيدة، والفروع يعني الفقه، وسئل عن الذين يعبدون قبة الكوازي في نجد. هل تكفروهم؟ قال لا، لا تكفروهم لقله من يعلمهم، إذا هؤلاء لا نستطيع تكفيرهم.

ثانيا: إن تكفير المسلم يحتاج إلى مجموعة من العلماء تحكم بكفره، ليس كل من درس كلمة في كتاب من الكتب يعطي لنفسه الحق بالفتوى على الناس أجمعين بتكفيرهم مثل شكري مصطفى -رحمه الله- الذي قرأ قصيدته بالأمس -شكري مصطفى- هذا جماعة التكفير والهجرة، كانوا يعتبرون أن أي إنسان خارج عن جماعتهم خارج من الإسلام حلال الدم يجوز قتله ولذلك استباحوا قتل الذهبي لماذا؟ لأنه كافر، لأنه خارج عن جماعتهم، أي واحد خارج عن مجموعتهم كافر، والجهل يعمل كثيرا، مرة كان شاب صار من جماعة شكري، كان يأتيني إلى القاهرة، وأنا كنت في أيام هذه الفتنة، أحضر الدكتوراة في القاهرة والتقينا بكثير منهم، فكان شاب أردني يتردد علي يحبني يصوم الإثنين والخميس، وأنا أصوم، ويأتي ويفطر معي في البيت، كنت أنا وأخوه نحضر الدكتوراة، أخوه الدكتور محمد نعيم ياسين فكان يحبني ويحب أن يبقى عندي أكثر من أخيه، ذهب التقى بشكري ورجع، فوجدت بعد صلاتين أو ثلاثة أنه يتحرج من الصلاة ورائي، فإذا قدمته تقدم، فإذا تقدمت يقول: أنا جمعت، بالتالي قلت له: أنا أشعر أنك تستقل الصلاة ورائي، قال نعم، قلت لماذا؟ قال: بصراحة، قلت له: نعم، يعتبرها ماذا؟ (فاصدع بما تؤمر) قال: الحقيقة يعني أنا أعتقد -أعوذ بالله- بكفرك، راح التقى جلسة واحدة مع شكري، قلت له لماذا؟ قال لأنك من الإخوان المسلمين، قلت كل الإخوان المسلمين كفار، قال: نعم، قلت له لماذا؟ قال: لأنهم لا يكفرون الهضيبي، قلت له لماذا؟ قال: لأن الهضيبي لم يكفر عبد الناصر، من لم يكفر الكافر فقد كفر، فأنت لا تكفر الهضيبي، والهضيبي لم يكفر عبد الناصر، فالكل كفار، وهكذا، والذي لا يكفرني فهو كافر طبعاً وهكذا، عنده قاعدة خرج مع الجهل، من لم يكفر الكافر فقد كفر.

حتى لو كانوا مشركين

إذاً : لا نستطيع أن نحكم بالكفر على أناس يزاولون أعمال الشرك، ولو كان شركا أكبر إلا أن نقيم عليهم الحجة، والحجة ليست منك هي من أناس علماء يعتقدون بعلمهم وفهمهم، هذا ليس قولي، أنا ما قلت قال : ابن تيمية وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، ثم لنفرض أن الأفغان مشركون، أعوذ بالله، أعوذ بالله، ألا يجب علينا إنقاذ أعراضهم.

أجمع العلماء على أنه إذا كان لك جارة نصرانية أو مجوسية، واخل رجل لينتهك عرضها واستغاثت بك، أنه يجب عليك إنقاذها وإن لم تنقذها فأنت آثم أمام رب العالمين، إذاً يجب إنقاذ أعراضهم.

في الحديث الصحيح، (بينما كان كلب يطوف بركية قد اشتد به العطش حتى صار يمتص الثرى -ركية يعني بئر- فرأته بغي من بغايا بني إسرائيل، (بغي مفهوم البغي، المرأة العاهرة) فخلعت موقها -الموق: مثل الخف- ونزلت وحملت الماء وسقته، فشكر الله لها، فغفر لها) كلب، كلب غفر بسقيه لبغي، فكيف الذين يسقون ويطعمون أناسي يحمون دين الله في الأرض، كيف !!!

لنفرض أنهم -كما تظنون نرجو الله عز وجل أن يفتح عليكم، نرجو الله أن يريكم الحق حقاً ويرينا جميعاً الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً، ويرزقنا اجتنابه- مشركون، ألا يدافعون عن البلاد العربية وعن باكستان، الآن لو انهار الجهاد الأفغاني، وسقط الجهاد الأفغاني -لا قدر الله- يوم واحد، الدبابات الروسية تكون في الخليج يوم واحد فقط !! طائرات "CI30" من مطار شندند إلى الخليج -15 دقيقة- كيف يفكر هؤلاء القوم !! أنا لا أدري، لا يدرون أن الله عز وجل ساق هذا الشعب الصلب حتى يحمي البلاد الإسلامية كلها من طوفان الشيوعية، مجانين لا يفكرون -سبحان الله- لا يقدرّون النتائج التي تنتظر العالم الإسلامي فيما لو -لا سمح الله- انهار هذا السد الأفغاني لا يقدرّون، لا يعرفون المؤامرة العالمية على الإسلام والمسلمين حفظوا كلمتين ينقلها من أذن إلى أذن هذا الشاب، لعله سنوات وهو يفكر حتى استطاع أن يصل إلى أرض الجهاد، في يومين أرجعوه، كم سيتحملون أمام رب العالمين !! ثم يا إخوان لنفرض أنهم مشركون، مشركون، ما هو دواء الشرك ؟ التعليم، كيف نعلمهم ؟ إما أن ندخل عندهم نعلمهم، أو نستلم السلاح، ونرسلهم إلى معاهدنا يتعلمون، هل يوجد غير هاتين الطريقتين ؟ تفضلوا إما أن تحملوا السلاح عنهم وترسلوهم للمعاهد يتعلمون، أو تنزلوا بينهم وهم يقولون : كل جبهاتنا مفتوحة لمن أراد أن يأتي إلينا، ماذا عند الأفغان ؟

نأتي الآن لحقيقة الأفغان أنا مشيت في جاجي، في خوست، في لوجر، وصلنا على بعد 40" كيلومتراً من كابل، والله ما رأيت قبر واحداً مبنياً، ما رأيت ضريحاً واحداً، وزاد أحد من إخواني قال : بل والله ذهبت إلى شمال كابل، ودخلت بروان، ورجعت، ما رأيت قبراً واحداً. أين هي الأضرحة؟! ما رأينا أحداً حول القبر يدعو ويستغيث بصاحب القبر ! سبحان الله يوم ذهبنا إلى خوست على الحدود تماماً يوجد قبر ضريح، قلت لهم : هذه أراضي أفغانستان أنظروا بعدها بخطوتين أراضي أفغانستان أراضي باكستان فيها الضريح، بعدها أراضي أفغانستان، عربي واحد كان يدخل الجبهة ماذا هم يقولون؟! يقولون يحملون التمام، أولاً أقسم لي عبد الله أنس وأكد لي على أن جبهات أحمد شاه مسعود، ما رأيت واحداً حاملاً حرزا واحداً أو تميمة، قلت لأبي دجانة وكان رحمه الله في وادي سرانة طوله سبعين كيلومتراً، قلت يا أبا دجانة سمعت أنك نظفت الوادي من الأحراز ومن الدخان والنسوار، قال من الدخان والنسوار صحيح، أما الحق ما وجدت في هذا الوادي بين المجاهدين إلا اثنين يحملون الأحراز، اثنين فقط!! سبعين كيلومتراً، بلد، بلدان كثيرة، جبهات كثيرة، قرى كثيرة.

إذاً ماذا تريدون؟ نأتي إلى الأحراز نفسها، التيممة هي الخرزات، هم لا يحملون الخرزات، إنما هي الأحراز (الرقى المكتوبة) الرقى : إما أن تكون بالمأثور أو تكون بغير المأثور، المكتوبة المعلقة على الأكتاف، إن كانت بالكتاب أو السنة أو بأدعية مأثورة فهذه تختلف العلماء فيها، افتح "فتح المجيد" يا أخي، الله يفتح عليك افتح فتح المجيد، وما رأيت قولاً أشد من قول صاحب فتح المجيد في القضية، لأنه كتاب توحيد، عند حديث عبد الله بن عمرو بن العاص "أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" قال : فكان الراوي عبد الله بن عمرو بن العاص، كان عبد الله بن عمرو بن العاص يعلمها من عقل من بنيه ويكتبها في صك لمن لم يعقل من بنيه ويعلقها عليه قال : واحد يعلق عليه، يعني ؛ يكتبها على لوح، ويعلقها بربقته، يا سلام ما هذا الكلام؟! هذا ليس صاحب فتح المجيد، هذا المعلق الجديد قلت ما هذا الفهم، قلبت المعاني.. والله لا تحتملها العربية أبداً، يعني البعيد عن فهم النصوص فقط حتى نصل إلى ما نريد، يقول صاحب فتح المجيد، وقد اختلف الصحابة والتابعون في تعليق الرقية المكتوبة بالمأثور، فمنهم من أباحها مثل عبد الله بن عمرو بن العاص، ومنهم من منعها مثل عبد الله بن مسعود، وآخرون وعبد الله بن عمرو بن العاص أباحها، وعدد أناساً من هناك وأناساً من هنا، ما دام العلماء الذين يكتبون في التوحيد قالوا: هذه المسألة مختلف فيها، مسألة خلافية، تأتي تقول هذا مشرك الذي يعلق الحرز، لا يجوز، الحرز مكتوب فيه شركيات، ومكتوب فيه يا علي يا حسين، أنا فتحت

بعضها وجدت بعضها بالقرآن والسنة، وبعضها مكتوب فيه يا علي يا حسين، إفرض مكتوب فيه يا علي يا حسين، هذا الشرك، الشرك الأكبر، الرجل الذي حملها هل يدري ما بها ؟ الذي أعطاه إياها، قال له : لا تفتحها لأن بركتها تذهب، الذين يتاجرون بهذه القضايا، يقولون لهم لا تفتحها لماذا ؟ لأن السر يذهب، والبركة تذهب، فهو ذهب إلى شيخ من المشايخ لحيته طويلة، ووطن أن هذا سيكتب شيئاً من القرآن وشيئاً من السنة ويعلقها عليه، ناس أميون، أكثر من 90 % من الشعب الأفغاني أميون.. فعلقها لا يدري، ولذلك فتحنا كثير من التمام من الأحرار هذه، وقلنا لهم انظروا ماذا فيها، فكانوا يضحكون على أنفسهم، ومرة كنا نعمل مخيمات اسمها (مخيمات التربية الإسلامية) فقلت لا أتعرض لهذه المسائل إلا في آخر المخيم، بعد أن يعرفونا ويتقوا بنا ويحبونا سأتبهم أقول لهم ما رأي الإمام أبي حنيفة بالتوسل بجاه النبي ﷺ، وفي بناء القبور، ما رأيه في كذا، خلاص إذا قال أبو حنيفة يتقبلون طبعاً والكل هكذا كذلك الشافعي إذا قلت له : قال الشافعي، يقبل، والحنبلي إذا قال ابن تيمية يقبل، الآن إذا قلنا ابن تيمية خلاص.. رفع الخلاف، فكل فتاة بأبيها معجبة، فالمهم قلنا لهم : يا جماعة لا يجوز تعليق الأحرار، أنا والله الحمد لله أحارب هذا بين المجاهدين الأفغان.. وما رأيت حرزاً إلا حاولت أن أخرجه، وكلهم والحمد لله استجابوا، ما أذكر واحداً ما ستجاب إلا واحداً، لماذا ؟ هذا الحرز دفع ثمنه ثمانية آلاف روبية أفغاني، ثمانية آلاف أفغاني يمكث سنة وهو يشتغل حتى يوفرها، أنت تأتي تريد أن تصلح الدنيا كلها بيوم واحد، تركض تريد أن تقطعها، أنت كأنك تقطع رقبتك، لأنه اشتغل سنة حتى اشترى هذا الحرز، ادفع له ثمانية آلاف وخذ الحرز وافتحه ومزقه وما عندهم مانع، هو لا يفهم، حدثني الدكتور عبد الرحمن قال جاء شاب من الشباب العرب، ما أعرفه من قبل في عنقه حرز أراد أن يقطعه عن كتفه.. مسك يده قال له لماذا ؟، قال هذا شرك قال له أنت مشرك.. هذا قرآن .. أنا أحمل القرآن، وأنت تريد أن تقطع القرآن، من المشرك..؟! هذا الذي يفهمه الأفغاني قال له: أنا أحمل القرآن وأنت تريد أن تقطع القرآن من المشرك؟! هم يفهمون أن هذا قرآن وكثير من الجبهات ليس فيها حرز واحد، ومع أننا نكره أن يعلقوا سواءً من القرآن -ومن غير القرآن- نكره أن يعلقوه حرزاً كما قالوا دفعا للفساد وسداً للذرائع، أنا أحاربه.

شاب عربي مرة كان في الجبهة قالوا وجد في الجبهة حرزين (جبهة كنز) فيها أسد الله، قائد من قادة سياف، قال: وجدنا حرزين جاء شاب عربي، معلوماته بسيطة.. لكن متحمس، هم كل هؤلاء الشباب متحمسون جزاهم الله خيراً، جاء يريد أن يقطعها فرفض، الله أعلم كم دفع ثمنها فسحب الأقسام، فهجم الأخ العربي المسؤول.. لأن كل مجموعة نرسلها نضع عليهم أميرا.. والدخول على أفغانستان ليس على رأسك.. نحن نوزعكم مجموعات.. ونرسل معكم

كتب حتى يحترمونك ويحبونك ويقدروكم.. أما إذا ذهبت على رأسك ما أحد يحترمك، فالأمير تقدم مسكه وأخذ الكلاشنكوف، فسأل لماذا سحبت الأقسام؟ قال هذا مشرك، قال دمه هدر؟ قال دمه هدر، خلاص يعني مثل دم الشيوعي.

قلت لهم : يا أيها الإخوة ليس هكذا والله دين الله، وما قال أحد من العلماء، أن هذا شرك أكبر.. مهما كان، ما رأي عالماً من العلماء في الأرض حتى الآن قال إن تعليق الحرز شرك أكبر حتى الآن، ما رأيته!! فإن كان واحد يعرف عالماً من العلماء عنده مسكة من علم.. أو بقية من لب.. قال هذا شرك أكبر.. فليقل لي من هو، ما قال أحد من العلماء، الشيخ عبد العزيز بن باز -أكرمه الله.. وبارك في عمره أرسل لي رسالة قال سمعنا أن بعض الشرك الأصغر قد انتشر مثل تعليق الأحرار والتمايم، كما قلت أنا أكره هذا كله.. لكن العلماء اختلفوا منهم من يجيز ومنهم من لا يجيز، والصحابة اختلفوا، والحديث حسن، حسنه الأرنؤوط، حسنه عبد القادر الأرنؤوط في تخريج الأذكار وفي تخريج الكلم الطيب..

ننتقل إلى التوسل : التوسل ما هو التوسل ؟ التوسل اللهم اغفر لي بجاه النبي ﷺ، هل يقول أحد من العلماء إن هذا شرك.. الإمام أحمد أجاز هذا الكلام.. أجاز قول : اللهم اغفر لي بجاه النبي ﷺ، وكرهه أبو حنيفة، لأن عقيدة أبا حنيفة في هذه المسائل متشدة كثيراً.. وقرأوا كتاب التوسل والوسيلة للألباني، ناصر الدين الألباني، أليس كلكم تعرفون أنه من أصحاب العقيدة الصحيحة ؟ إقرأوا كتاب التوسل، لمحمد ناصر الدين الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، فإذا كان الفقهاء مختلفون بهذه القضية، نحن نحكم بالشرك عليه!! إنه يخرج من الإسلام إذا قال اللهم اغفر لي بجاه النبي ﷺ، هذا ما قال بها أحد من العلماء في الأمة أبداً أبداً..

مرة كنا ذاهبين إلى الشيخ عبد العزيز، فكنت أنا ماشي مع واحد قلت : ما هو الرأي في التوسل هذا، اللهم اغفر لي بجاه النبي ﷺ ؟ هل يعتبرها الشيخ شركاً قالوا يعتبرها شركاً.. قلت لهم لا يمكن.. لا يمكن، كيف؟! أنا ما أكاد أصدق أن هذا من الدين، وصلنا للشيخ قلت له : يا شيخ أنت تعتبر التوسل بجاه النبي ﷺ شركاً ؟ قال: لا.. لا اعتبره شركاً -الشيخ عبد العزيز بن باز- إذا أطلقت الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية، رجل نقر له بالعلم وبالفضل وعلى الرأس والعينين.

إذا كان التوسل ليس شركاً ننتقل إلى الاستغاثة بالأموات، لأن بعض الناس يعتبرون التوسل هو الاستغاثة بالأموات، يا فلان انصرتني أو ارحمني أو ارزقني أو إلخ أو يا فلان اشفع لي عند ربك هذا شرك أكبر، الاستغاثة بالأموات شرك أكبر.

صور من حياة الأبطال

... ولا زالت حتى الآن لم تخط الخطوة الأولى في هذا الطريق اللاحب المليء بالدماء..
المفروش بالأشلاء، الذي يحفه من بينه على سماطية الشهداء، ويتوجّه، يسبح في سماءه أرواح
الأبرياء.

يا أيها الإخوة لا تنظروا أنكم قدمتم شيئا، ومهما قدمنا، ومهما سرنا، فنحن مقصرون إزاء
هذا الدين، ونحن عاجزون بجانب المجاهدين الذين حملوا اللواء طويلا، ولا زالت أيديهم
رافعة لهذه الراية التي نسجت بحبات القلوب..

جاءوا بحبات القلوب فوشعوا لك

من سواد القلب شعاعا فضل لثام

يا أيها الإخوة :

المسيرة طويلة، وهذا الدين عزيز، ومهره عزيز، لأنه تنزل من عند العزيز، مهره الدماء،
مهره الأشلاء، فإن كنت يا هذا مشوقا للقاء الحور فواصل الطريق حتى تصل إلى تلك الدور،
فإن كنت راغبا زاعما أنك تريد وصل تلك الخيرات الحسان في الجنان فلن تصلها بأيام قليلة
نقضها هنا ثم تعود أدراجك، تلفك الدنيا، تفتح لك أبوابها، وكلما أغلقت بابا فتحت لك مائة
باب، والدنيا حاضرة يتزوجها العشاق، وما تزوجها أحد إلا وقتلته في ليلة زفافه، فإياك إياك..
إياك أن تبتلعك الدنيا، وأن يستحوذ عليك الشيطان، وأن تغتلب من هذا الطريق بعد أن عرفك
الله إياه، وبعد أن وقفت على أول معالمه.. يا راغب الجنان، ويا طالب الحور الحسان، لا بد
من دفع المهر الغالي..

فحي على جنات عدن فإنها

منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى

نعود إلى أوطاننا ونسلم

فيا بائعا هذا ببخس معجل

كأنك لا تدري ولا أنت تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فتح حصن كبير

... نبشركم أولاً : أنه جاءنا في هذا اليوم خبر يسرّ -والحمد لله- فتحٌ عظيم بين تخار وبدخشان في منطقة اسمها (كلفغان) أنت قلت كالأفغان، يعني مثل الأفغان هي اسمها (كلفغان) هذه منطقة حصن كبير جداً للشيوعيين والروس، والقائد أحمد شاه يخطط لهذه العملية منذ فترة، وفتح الله عليه هذا المكان، وهو مكان حصين، وكبير وقوي بين كابل وبدخشان، في الطريق العام، وأحمد شاه مسعود -الحمد لله رب العالمين فتح عليه- منذ ثلاث سنوات لا يضرب إلا الضربات الكبيرة -الحمد لله- لا يدخل في عمليات صغيرة.

كيف كانت عملية بشغور ؟

ففي رمضان ليس هذا، قبل الماضي، أي قبل سنتين تماماً، فتح مركز بشغور، هذا المركز عندما فتحه أولاً كان فيه جنرال كبير إنحدر عندما دخل عليه، أسر منه خمسمائة أسير منهم سبعة وثمانون ضابطاً، والذين اشتركوا في العملية مائة من المجاهدين، وبقي أحمد شاه مسعود ينقل الغنائم ثلاث أيام، ومن الذي ينقلها ؟ الأسرى.. على أكتاف الأسرى، فأخذ السبعة وثمانين ضابطاً ووضعهم في سجن، في مغارة في الجبل تحت الأرض، أي في سفح جبل، ووضع عليهم حرساً منهم اثنان من إخواننا العرب، أبو عاصم وأبو بكر السوري، أما أبو عاصم فقد استشهد، وعندما أسر سبعة وثمانين ضابطاً وفتح بشغور، ثلاثة أيام وهو ينقل الغنائم، ذهل الضباط الأمريكيان، فجنرال أمريكي جاء خصيصاً من أمريكا ليدرس الخطة التي اتخذها أحمد شاه مسعود في فتح بشغور، قال له : أريد الدخول إلى بنجشير، والدخول إلى بنجشير صعب جداً، تصوروا، بعد فتح بشغور بأسبوع، وإذا بهذا الأمريكي يصعد الجبال متسلقاً، وهذه الجبال (جبال نورستان) كثيراً ما يغمى على الإنسان فيها، أثناء دخوله بنجشير، ووصله، قال: أريد أن أفهم الخط التي استعملتها لدخول بشغور حتى يستفيد منها الجنرلات الأمريكيان، تصوروا.. تصوروا عندما يكون هذا الشاب أحمد شاه مسعود، الآن عمره خمس وثلاثون سنة، هذا الرجل منذ عام 1978 حتى الآن -تسع سنوات- لم يخرج أبداً من داخل المعركة، الحقيقة أنا أضعه أعظم وأرفع قائد في أفغانستان، وأضع صفّي الله الذي استشهد قبل أسبوع في المرتبة الثانية، حقيقة كان استشهاده الأخ صفّي الله خسارة كبيرة، نرجو الله أن يعوضنا عنه خيراً إن شاء الله، ونرجو الله أن يحفظ أحمد شاه مسعود، إن شاء الله.

فماذا فعل بالضباط هؤلاء ؟ وضعهم في سفح جبل في مغارة، فخرجت نساء الضابط في كابل مظاهرة ضد بابر كاركمل، وضد رجال الحكم، أنتم هنا تتنعمون بالحكم في كابل و أزواجنا مأسورون، خلصوا أزواجنا إن كنتم رجالاً، فأرسل بابر كاركمل إلى أحمد شاه

فقال أبو عاصم : أنا أريد أن أنسف باب القلعة، قال مسعود : لا بأس، فسجلوا الأسماء، كانت الأسماء حوالي مائة وسبعة عشر أو مائة وعشرين، شخصا - كان فيهم أبو عاصم - كل واحد وضعوا بجانبه اسم بلده، أبو عاصم بدل أن يكتبوا بلده، كُتِبَ شهيد بجانبه، فعبد الله أنس اطلع على ورقة الأسماء قال لهم: نحن اثنان عربيان تستكثرنا عليكم، تريد أ، تأخذ عربي، هذا الذي يسجل اسم صفي الله - غير صفي الله أفضلني شهيدنا الذي استشهد في هرات كذلك صفي الله استشهد وهو من قادة أحمد شاه مسعود - قال له صفي الله، والله إنه شهيد، قال : تقسم على الله ؟ قال له : والله لن يرجع اليوم، والله سيستشهد اليوم، والله، والله، أربعة أيمان يا أبا عاصم ستستشهد اليوم، أنت لا ترى، لا ترى نور الشهادة في وجهه، أنظر يا أخي.. أعمى أنت ؟ يقسم له أربعة أيمان : أنه لن يرجع أبو عاصم اليوم. وأفطر الجميع بأمر أحمد شاه، ورفض أبو عاصم وأخ ثاني (شاه قلندر) أن يفطرا، وعندما وصلوا قرب باب القلعة، تقدم الأخ أبو عاصم ووضع الألغام تحت باب القلعة، والرشاشات مفتوحة عليه - رشاشات الكفار - ثم رجع إلى خندقه، ثم تفجر باب القلعة وهوى، وسقط جزء من جدار القلعة، وسقطت معنويات العدو، فلشدة الحماس أبو عاصم لم يمسك نفسه، وهجم مرة أخرى، فكان من مخطط العملية أن تضرب الرشاشات الثقيلة بعد نسف باب القلعة بالزبكيك والدوشكا وما إلى ذلك، لا بد أن تضرب هذه المدافع والهاون حتى تضعضعهم نهائيا، ثم يتقدم المجاهدون، أبو عاصم لشدة الحماس ما أمسك نفسه، وهجم بعد انهيار باب القلعة، أمر أحمد شاه بإيقاف الرشاشات عندما رأى أبو عاصم تقدم، أمر بإيقاف الرشاشات الثقيلة، وكانت فعلا المنية تنتظره.. أصابته رصاصة ووقع، ولم يستشهد في تلك العملية إلا الصائمان : (شاه قلندر وأبو عاصم)، إلا الصائمان فقط، نعم، وحملوا أبا عاصم ونقلوه، طبعا المجاهدون ينتظرون النتيجة، النتيجة النصر، لكن يريدون أن يعرفوا من الشهداء - نقلوه، واستشهد على الطريق - فالمجاهد يأتي ويكشف فيرى أبا عاصم قاري محمد - هم يسمونه قاري محمد هو اسمه محمد - فيضع يده على قلبه ويرجع لا يحتمل رؤية القاري المعلم الذي علمهم شهيدا، أحمد شاه علم بالخبر بقي فترة حائرا كيف يخبر المجاهدين باستشهاد أبي عاصم، ونُقل أبو عاصم، وحمله أحمد شاه، سيكون ويقومون، إن جلس على الطعام : هذا صحن قاري سيب، سيكون ويقومون، إن ناموا : هذا سرير قاري سيب - سيب يعني : قاري المحترم، قاري محمد، لكنهم يسمونه : قاري سيب محمد - فكاد أن يصيبهم هلوسة، واضطر أحمد شاه أن ينقل القطاع بكامله من مكانهم حتى ينسيهم آثار أبي عاصم.. نقل القطاع على بعد ثلاثين كيلومتراً.

قلت للقاضي معصوم أحد أركان أحمد شاه : حدثنا عن أبي عاصم ؟ قال : لم أر رجلا مهيبا أكثر منه، كنا جميعا - هؤلاء القادة الكبار الذين زلزلوا روسيا - لا يتجرأ أحد أن يبسم

ولا يسأل، ولا يمد رجله، ولا يتكئ، ولا يضحك، كانت مكانته في النفوس لا يمكن أن تدانى، احتراماً، وتقديراً، وإجلالاً.

كم عمره ؟ عمره ثلاث وعشرون سنة أو اثنتان وعشرون سنة، وكلهم أكبر منه، وكلهم قدموا للجهاد أكثر منه بكثير، لكنهم إجلالاً للقرآن الذي يحمله، وتقديراً للمعلومات التي قدمها لهم، تعليمهم كتاب الله عز وجل، مع تعليمهم صيام الاثنين والخميس، وقيام الليل، حفرت هذه الأعمال آثارها عميقة في النفس.

العملية الثالثة

العملية الثالثة التي قام بها أحمد شاه : عملية فرخار، كذلك ثلاث قلاع بجانب بعضها البعض في قرية للشيوخ، وخطط لها، وعادته أن يخطط للعملية شهرين أو ثلاثة، نعم ولا يتعجل، وينتقي لها شباباً، ويرسم العملية على مخطط رملي بعد أن يأتيه برصد جيد، والحمد لله هو على صلة بضباط الجيش الأفغاني، يحترمون.. يحبونه، له عيون في داخل المخابرات الروسية، في داخل المخابرات الأفغانية، في داخل الجيش، أبناء الجامعات كلهم يدينون له، الذي يتخرج يذهب إلى أحمد شاه مسعود، يحبونه، الطبيب، المهندس ما إلى ذلك، أول ما يفكر به عندما يتخرج من جامعة كابل أن يتجه إلى أحمد شاه مسعود، ينضوي تحت لوائه جندياً مخلصاً، وخطط للعملية، وكان فيها كذلك مجموعة من الإخوة العرب، واحتلها، وفتحها، وغنم غنائم كثيرة جداً، حدثنا إخواننا العرب آنذاك - هذا في عيد الأضحى الماضي، يعني قبل أقل من سنة-.

ثم علمية نهرين : التي اشترك فيها أحد عشر عربياً، واستشهد فيها أبو دجانة، وعبد الجبار من مصر، وسبحان الله! غالباً الذي يستشهد ترى آثار الشهادة عليه، ويراه بعض إخوانه في المنام أنه شهيد، أو يراه مع حورية أو غير ذلك، كان معهم زوج ابنتي، فرآه في المنام، رأى أبو دجانة في المنام مع حورية أ، كذا، فقال له : أنت شهيد يا أبا دجانة - وأبو دجانة سبحان الله !! شاب نرجو الله أن يرزقنا الصدق والإخلاص، نرجو الله أن يجمعنا مع هؤلاء في الجنة إن شاء الله.

فعلاً عجيب هذا أبو دجانة، لا يوجد -تقريباً- شاب في الاسكندرية، ولا رجل من المخابرات، ولا رجل من الشرطة، إلا ويعرف أبا دجانة ! أعداء الله يهابونه، وأولياء الله يحبونه، فإذا قيل أبو دجانة هو علم في رأسه نار.. نعم، معروف في كل الاسكندرية، وجاءنا هنا -والحمد لله- وكان في الجبهة عند الشيخ جلال الدين حقاني، ومكث فترة حوالي سبعة أشهر تقريباً عند الشيخ جلال الدين، وكان هنالك واد اسمه وادي سرانة طوله سبعون

كيلومتراً، لا يجرؤ أحد من الأفغان، أ، يدخن هيبية وخوفاً من أبي دجانة، لا يستطيع أبداً، لم يبق في الوادي حرز واحد أبداً، شاب متمسك، سلفي العقيدة، ولكن سبحان الله! استطاع أن يصل إلى قلوب الأفغان، بالدعابة، وبالمزاح، وغير ذلك، إذا أراد أن يأخذ تميمية طبعاً بعد أن عرفوه- يأتي يقول: يا الله، دعاء.. دعاء.. دعاء، ويجمع الأفغان، دعاء ويرفع التميمية، أو واحد حالق لحيته، دعاء.. دعاء على أساس عهد أ، يطلق لحيته، معنى دعاء إذا رفع الأفغاني يديه بالدعاء، يعني عهد أن يمشي كما دعا له، نجح والحمد لله نجاحاً كبيراً، وأخيراً اشترك في عملية نهريْن هذه، وكانت مقاطعة كبيرة، فالله عز وجل كتب له الشهادة.

كان في الطريق، رفض أن يمشي بلا سلاح -قال له عبد الله أنس: أنت يا أخي في أمان، قال: لا يمكن أن أمشي بدون سلاح، فجاءوا له ببيكا، وبقي يحملها فترة طويلة، وهناك الإنسان لو استطاع أن يتخلص من قميصه، يتخلص لشدة الضنك والتعب والمشقة في المشي، وأبو دجانة حامل الذخيرة، وحامل البيكا على ظهره، ويمشي، واشترك والبيكا معه، ثم جاءتة الشظية، فخرّ ساجداً على البيكا التي حملها طويلاً وأحبها.

نعم، وعبد الجبار المصري هذا، شاب... سبحان الخالق! سبحان الله! كان صائماً في يوم المعركة، ورفض أن يفطر، وعندما أصيب -كان قبل الغروب- بشظية واحدة، قذيفة هاون، أظن أصابت الإثنين معاً، أصابت أبا دجانة وأصابت عبد الجبار، وانحنى أبو خالد على جبين عبد الجبار ليلثمه قبل أن تقضي روحه إلى ربه، وطلب عبد الجبار شربة ماء قبل أن يصل إلى العزيز الغفار، ورفض أن يناوله لأن الجريح لا يعطى ماء، ولقي الله صائماً، وكانت هذه العملية الكبيرة التي من الله بها على المسلمين وعلينا خلال هذا الأسبوع، وهي عملية (كلفغان)، وفيها غنائم كثيرة جداً، وكان نصراً من الله مؤزراً عظيماً، كانت الغنائم ثلاثمائة كلاشنكوف، وثلاثمائة كلاشنكوف هذه لا تظنوها مسألة سهلة، وطبعاً هم لا يحملون إلا الروسي، ولذلك (أحمد شاه) كل جنوده يحملون الكلاشنكوف والكلاكوف الروسي من الغنائم، وإذا رأى أحد مجاهديه لا زال يحمل كلاشنكوفاً صينياً، ينظر إليه ويقول له: ما عندك نخوة؟! ما عندك رجولة؟ هذه الأسلحة الروسية أمامك في البوسطات ولا زلت تحمل كلاشنكوف صيني؟ أليس عيباً عليك؟!.. نعم.

ولذلك مرة أتوه، وقالوا له: نريد أحذية -هو عادته عندما يأتي أحدهم ويطلب منه الحذاء ينظر إلى أسفل الحذاء، ينظر إليه إذا ليس ماسحاً تماماً، يقول له: أنظر إلى حذائي أنا، حذائي أقدم من حذائك، إذهب -فمرة جاءتة مجموعة، قالوا له: نريد أحذية، قال: أنا ليس عندي أحذية، أنا فقير، هذه الأحذية هنالك في البوسطة أمامكم، إذهبوا وخذوها، هل يمنعكم

أحد؟ الطريق مفتوحة إليها، وفعلا هجموا على البوسطة، واحتلوها، وأخذوا الأحذية التي فيها، فالحمد لله رب العالمين، ونرجو الله عز وجل أن يحفظه.

الآن الحمد لله وحّد بين قيادات الجمعية تقريبا في ثماني ولايات، وكثير من قادة الأحزاب الأخرى ينساقون معه، ويشتركون معه والحمد لله في المعارك الكبرى، هذه المعارك الآن يريد أن يجنن الدولة، نعم، جُن جنون الدولة بخروج أحمد شاه مسعود من بنجشير إلى الشمال، كان الشمال متفككا، فخرج أحمد شاه مسعود من بنجشير إلى الشمال، هو داهية سبحان الله! إن الجزرالات أمثال إيزنهاور، وديغول، وتشرتشل، وغيرهم من قادة الحروب العالمية، لم يخوضوا من المعارك عَشْرَ ما خاضه أحمد شاه مسعود، ولذلك هو جنرال كبير فعلا، بل عنده أناس يسميهم الروس جنرالات، وأنا كنت حدثتكم عن واحد اسمه محمد بانا، ومحمد بانا هذا عجيب يسميه المجنون، هذا أحمد شاه يسمي محمد بانا المجنون، (ديوانه) ديوانه يعني: مجنون، لشجاعته، هذا محمد بانا على باب ممر سالنج، وممر سالنج هذا أخطر وأكبر ممر تمر به القوافل الروسية، طوله عدة كيلومترات في الجبل، في منطقة بروان، وهو على الطريق العام (الخط السريع) الواصل بين روسيا وبين كابل، والذي يمر من ممر سالنج، فهو جالس على باب الممر، وكلما مرت قافلة غالبا لا تتجو منه، إما أن يحرقها جميعا، مرة خُرقت جميع القافلة في داخل الممر، وأطلقوا عليها النار، فجاءت القذيفة في شاحنة البترول التي في القافلة، فاحترقت، فظن الروس من الجانبين أن المجاهدين يملأون داخل الممر، هم ضربوها وهربوا، والله عز وجل دمر بيوتهم بأيديهم، فبدأوا يضربون داخل الممر، ويحرقون الدبابات -دباباتهم- حتى أظن في ذلك اليوم احترقت جميعا، فهو هذا عنده مجموعة قليلة محمد بانا، لكن أحرق أكثر من خمسمائة دبابة وناقلة مع مجموعته خلال هذه السنوات الطويلة، هذا محمد بانا لكثرة ما رأى من الموت لم يعد يعبأ بالموت أبدا، يعني هو حافظ نصف حديث بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء، يمسح كل يوم ثلاث مرات بدنه: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء)، ويذهب ويعتقد دائما كما في الحديث: أنه لا يضره شيء، إلا إذا كتب الموت عليه، هو يعتقد فعلا أنه لا يجرح ولا يصاب ولا يضره شيء، هو لا يحفظ كل الحديث، (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء).

المهم... يركب السيارات العامة على الخط العام، والطريق عليه نقاط تفتيش من الروس، فمرة من المرات -هم الروس يطلقون عليه الجنرال بانا- جندي روسي على نقطة تفتيش أطل في الأتوبيس الذي يركب فيه بانا، ورجع هكذا، الروس الذي حول الأتوبيس نزل السلاح من أيديهم خوفا، نعم بعضهم نزل، والله حدثنا عبد الله أنس، قال: نزل السلاح من أيديهم رعبا وخوفا، فهو علم أنهم عرفوه، دفع الجندي الروسي بيده، طبعا ليس معه سلاح، ولا شيء، دفع

الجندي الروسي بيده، ثم قفز من الأتوبيس وهرب، فتحت رشاشات ثمانية عليه، واحترقت ثيابه، ولكنه لم يجرح: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء)، نصف الحديث، فكيف لو أكمله...!!

فمرة أراد أن يتزوج، فأخذ بيتا بجانب الأوتستراد هذا على بعد خمسة عشر مترا، يا بنا! قال: لازم أتزوج هنا بجانب الخط العام، الروس؟! قال: لا يمكن، (ديوانة: مجنون) يحدثوني عنه، والله حدثوني إخواني العرب أنه في معركة نهرين لما بدأت المدافع تضرب، والقذائف صار يرقص، يرقص عندما يسمع أصوات القذائف، لكثرة فرحه يقفز إلى أعلى وأسفل:

فج يكاد سهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحا بالغزو أو طربا

المهم، تزوج في بيت على بعد خمسة عشر مترا عن الخط العام، علم الروس أن بانا تزوج هنا، سيروا قوة كبيرة، وأحاطت بالبيت في الليل، الصبح عنده مجاهدون ستة معه، أطل واحد منهم من النافذة، وجد أن البيت كله محاط من جميع الجهات بالروس، دق على الباب، بانا، قال: نعم، قال: الروس يحيطون بالبيت، قال: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء) - هو لا يحفظ إلا نصفه - فمسح بدنه ثلاث مرات، قال: أخرج أنت وأنت وافتحوا لنا الطريق على الباب، لم يبق إلا هو: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء)، خرج حمل الكلاكوف، معه كلاكوف، قال: بسم الله وبدأ يرش، وفتح ثغرة بين الروس، ونجاه الله، وأحرقت ثيابه، ولكن الله عز وجل نجاه.

قال لي أحد الإخوة العرب (أبو روضة)، قال لي: أرسل إليه الشيوعيون رجلا ساحرا يسحره وهو نائم، فكان نائما، وجاء هذا الساحر، وجلس بجانبه، صار يتمتم وينفث في العقد وغيرها، رأى بانا في المنام هاتفًا يقول له: رجل يريد أن يسحرك، فقل (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) ثلاث مرات، كمل له الحديث، علمه الحديث في المنام، فهبّ من نومه: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) ثلاث مرات، فجن الساحر، نعم جن الساحر.. نعم.

الحقيقة أن المعارك في هرات شديدة جدا جدا، وتصوروا أن قواعده في داخل المدينة يا جماعة... في داخل المدينة!! المدينة محاطة ب(كمر باند) يسمونه (كمر باند)، بوسطات، مراكز، والمركز بعيد عن الثاني خمسون مترا، المدينة في داخلها اثنان من هذه الأحزمة الأمنية، يسمونه حزاما أمنيا، حزامان أمنيان في داخل هرات، ومع ذلك يقوم بمعارك من بين هذه البوسطات خمسين مترا، هذه أقل من الخيام هذه!! مع ذلك يقوم بمعارك، منذ سبع سنوات ما خرج من مدينة هرات تقريبا، قواعده في داخل هرات، جن الروس، الشيوعيين،

الميليشيا، كبار رجال الميليشيا، هؤلاء رجال الميليشيا أخطر على المسلمين من الروس ؛ لأن رجل الميليشيا يكون يتبع من قومه ألف، عدد كبير، هؤلاء كلهم مع الدولة، لأن زعيمهم مع الدولة، واحد كان اسمه شير آغا، كبير من كبار الميليشيا، فذهبوا إليه، وفي داخل المستشفى علموا أنه ذاهب يتعالج في المستشفى، مستشفى حكومي، وبباب المستشفى قتلوه ومضوا.

معركة قرم جشمة

حقيقة معاركهم شديدة جدا، حدثتكم عن معركة (قرم جشمة)، كانت المعركة شديدة، روسيا هجمت على الحدود، كان صفي الله جريحا، وسمع أن روسيا هجمت على (كاكري) و(قرم جشمة) و(دوآب) وغيرها، فسار وجراحه تنزرو دما، عندما وصل قريبا من أرض المعركة، قالوا له: قتل قائدك قاسم ابن عمك، و(قرم جشمة) دخلها الشيوعيون، وهو جريح!! فأقسم بالله لن يصلي العصر إلا في (قرم جشمة)، وطبعا يعني أنتم لا تتصوروا المشقة في إمكان تنفيذ هذا القسم، مسألة ضخمة، أنت تريد أن تواجه روسيا، ومجاهدون معهم كلاشنات ورشاشات خفيفة، أنت تريد أن تواجه دبابات وطائرات، وما إلى ذلك، هو عدة مرات تعرض للموت والله عز وجل يعد له أجلا معيناً، وفعلا بقي يقاتل حتى دخل (قرم جشمة) وبر بقسمه، وصلى العصر فيها، هذا أمر ضخم جدا جدا، والمسألة ليست سهلة أن تقسم لن أصلي العصر إلا في شاوني، إلا في القلعة هذه التي أمامي، وفيها الدبابات، وفوقها الطائرات، وأثناء المعركة، سبحان الله! شيء يشبه الخيال، نعم فعلا يشبه الخيال، هذا صفي الله يعتبر شخصا ابن دعوة وعمره أربعة عشر عاما، هكذا من نعومة أظفاره، أو بل من عشر سنوات وهو مترب في الدعوة الإسلامية، وأخوه هو الذي أسس الحركة الإسلامية في هرات، وقاد مجموعة من هرات وذهب إلى بنجشير في أيام داود، واستشهد أخوه حفيظ الله أفضل في بنجشير، ثم كان هذا عمره حوالي تسعة عشر عاما، الراية تركها لأحد القادة، قادة الجيش الذين انضموا للمجاهدين ولكن الناس يدينون بالوفاء دائما للأبطال، للعلماء، فدائما إن استشهد قائد كبير، الناس يلتفون حول أخيه، أو حول أبيه، أو حول ابنه إن كان كبيرا، فالتف المخلصون حول صفي الله أفضل وعمره تسعة عشر عاما، ولكن القائد العام بقي واحد اسمه محمد اسماعيل قائد من الجيش انضم للمجاهدين وسلموه الراية، وجزاه الله خيرا لا زال يقاتل، لكن القلب النابض للجهاد في منطقة الغرب في منطقة هرات، هرات تعتبر المعارك فيها أشد المعارك في داخل أفغانستان على الإطلاق هي وقندهار لأنها مناطق سهلية، لا جبل، لا تل، لا أشجار تؤويه، سهول، والمعارك هكذا مكشوفة وجها لوجه، والمجاهدون ليس عندهم طائرات، ليس عندهم دبابات، أكثر ما يحلمون به أن يكون عند الواحد منهم متوساكيل (دراجة نارية) حتى إذا نفذ العملية، يركب عليه، فمعظم المجاهدين المخلصين، معظم القادة الصادقين التقوا حول

هذا الشاب الصغير، وكان يقول : أنا لا أريد مساعدة من أحد إلا من الله، ماذا؟ أريد السلاح ؟ كل سلاح غنائم والحمد لله، لا أريد شيئاً، فمن أراد أن يتقدم لمساعدة المجاهدين له ذلك، لكن لا أندم إن لم يُقدم لي مساعدة، لأنّ سلاحني من يد عدوي، وذخيرتي من يد عدوي، وفعلاً هو أكثر القادة، أو أكثر قائد في داخل أفغانستان حُرّم من المساعدات التي تقدم للمجاهدين، نعم، ونحن في السنة الأخيرة تعرّفنا عليه وقدمنا له بعض المساعدات التي أعانته قليلاً على سد أفواه الأيتام والأرامل الذين خلفهم جنوده الذين سقطوا معه على الطريق، فعلاً، الحقيقة كنا نؤمل بالله أولاً وأخيراً ثم على صفي الله كذلك شيئاً كبيراً، ولكن الله عز وجل يختار، ونحن نريد، ورب العالمين يريد، والله يفعل ما يريد، ونرجو الله عز وجل أن يأجرنا في مصيبتنا، ويبدلنا خيراً منها، ونرجو الله عز وجل أن يحفظ هؤلاء القادة الذين لا زالوا على قيد الحياة، وأن يبارك في أعمارهم، وأن يحقق النصر على أيديهم، إنه سميع قريب مجيب.

المستقبل لهذا الدين

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَيْهَا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
(التوبة: 32-33).

تنزلت هاتان الآيتان الكريمتان على قلب رسول الله ﷺ، ولم يكن يحكم من الأرض سوى مدينة واحدة هي المدينة المنورة، تبشره؛ أن هذا الدين سيحكم البشرية كلها، وأنه سيمتد، سيمتد رواقه حتى يظل كل الغبراء (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ولقد فهمها الصحابة رضوان الله عليهم...

وسقط الأباطرة، وهزم القياصرة، ووقف هرقل يودع سوريا ملوحاً بيديه : وداعاً لك يا سوريا وداعاً لا لقاء بعده، كانوا يفهمون أن تفسير الآية لم يتم بعد، رغم هذه الفتوحات وإزاء هذه الانتصارات، ولقد مضى هذا الدين برعاية رب العالمين، يحكم بشرعة سيد المرسلين أجزاء متفرقة قد تصل إلى نصف الأرض أحياناً أو ثلثها، وكان يمر عليها فترات لا تغيب الشمس عن هذه الدولة الإسلامية التي تحكم بنور القرآن، والتي تظل بشرعية الرحمن، وبحكم سيدي المصطفى ﷺ، كانوا يعلمون أن هذا الدين سيأتي عليه يوم لا يقف أمام دين (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

وعند هذه الآية يقول رسول الله ﷺ مفسراً معناها بأحاديث كثيرة، وإن لم تكن عند هذه الآية بالذات، فأحاديث كثيرة تفسر عموم نصوص القرآن التي تبشر المؤمنين أنهم سيحكمون الأرض في يوم من الأيام، يقول رسول الله ﷺ : في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (إن الله زوى لي الأرض شرقها وغربها وإن ملك أمتي سيصل إلى ما زوى لي منها)، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد الحاكم وصححه الذهبي والدارمي وغيرهم (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين - من مدر أي : من طين أو حجر، ومن وبر أي : من شعر وخيام وغير ذلك - ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به دين الإسلام، وذلا يذل به الكفر).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص "سئل أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أم رومية؟ فدعا عبد الله ابن عمرو بصندوق عنده ثم فتحه وقال: بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ إذ سئل أي المدينتين تفتح أولاً؟ أفسطنطينية أم رومية؟ قال: بل مدينة هرقل تفتح أولاً" أي القسطنطينية التي كان يحكمها هرقل ستفتح أولاً، وفتحت القسطنطينية سنة 857 للهجرة بعد ثمانية قرون من بشرى رسول الله ﷺ، وستفتح روما بإذن الله.

والحديث الرابع الصحيح كذلك: (أول هذا الأمر نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكا عاضا- أي يعرض عليه بالنواجذ- يكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكا جبريا يكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)، فأخر مراحل هذه البشرية أنها تفيء إلى الخلافة الراشدة التي تقتفي أثر نبيها ﷺ، وتتظلل بظلال شريعة سيد المرسلين صلى الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

ظلمة ووحشة

ولقد مر علينا أربعة عشر قرنا، وهذا الدين بين مد وانحسار، بين مد وجزر، بين انتصارات أحيانا وهزائم أخرى، ولكن شمسها ما غابت لحظة من اللحظات إلا بعد أن أسقط آخر صرح يمثل هذه المنارة السامقة، على يد الذئب الأغبير أتاتورك، في الثالث من مارس سنة 1924، وما أطبق الظلام داج على هذه الغبراء، وما أعتمت الدنيا بظلمتها كهذا القرن الذي عشنا فيه، هذا القرن العشرين الذي مضى علينا في سبعون عاما لم نر فيه بريق أمل ولا بصيص نور، بقينا منذ أن سقطت الخلافة، والحق أن بإمكاننا أن نسجل حدثين عظيمين: زوال الإسلام الفعلي من الوجود، وسقوط فلسطين بيد اليهود، فبإمكانك أن تقول إن هذا القرن كله يمثل هزائم متواصلة، وانحسار الإسلام عن كل الكرة الأرضية، واستئبد الطغاة، وأنشأ الكفر بمخالبه في أعماق هذا الدين يمزق أمعاءه، ويقطع أشلاءه، ويتابع أبناءه حيثما وجدهم، ولقد اقتضت الخطة أن يحكم بلاد الإسلام أناس ممن يسمون بأسماء المسلمين، ويعرفون ببشرتهم، ويتميزون بسماتهم، وهم الحارس الأمين الذي يطبق تعاليم السادة الذين يقبعون في داخل المحافل الماسونية في بروكلين، وفي نيويورك، أو في جنيف، يخططون لهذه البشرية ثم يلقون هذه المخططات للروبيضات كما سماهم رسول الله ﷺ، يغمدون الخناجر المسمومة في أعماق هذا الدين، هم باسمه يهللون، وتحت رايته يكبرون.

قال ﷺ : (إن بين يدي الدجال سنين خداعة، يخون فيها الأمين، ويؤمن فيها الخائن، ويصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويتكلم الروبيضة، قالوا: وما الروبيضة يا رسول الله؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة) يمك زمام التنازع أو جهاز البث ساعتين أو ثلاثة وهو يخطب، والجماهير تنظر مبهورة، وأحيانا تصفق وكم صفقت هذه الجماهير لجزاريها وكم هتفت لذابحيها، الذي يسوقونها سوق القطعان لتذبح على مذابح شهواتهم التي تنفذ مآرب ساداتهم، الذي يقعون في الغرب في قصر أبيض أو أحمر أو غير ذلك.

وأقيمت الروبيضات في المنطقة الإسلامية من أجل أن تتم المسرحية دون أن يتبصرها أولئك الذين يدينون بالولاء الغامض لهذا الدين، بشعور عاطفي غامض لهذا الدين، لا يعرفون كنهه ولا يدركون حقيقته، ولا يعرفون كيف يجتث الإسلام من الجذور، وكيف تقتطع نبتته من الوجود في الوقت الذي يعمل القاطع - قاطع الشجرة - بحسبه الناس بستانيا قد عنى بهذه الشجرة ربا وتسميدا وعناية وتقليما.

ولقد كتبت كتب في بداية هذا القرن، 1932 كتب (جب) كتابا سماه (Weather Islam)، (جهة الإسلام) أين يتجه الإسلام، وقال: لقد ألقينا القبض على زمام التعليم وزمام الإعلام، فالصحف اليومية والإعلام بأيدينا نحن الغربيين، والتعليم نوجهه بمناهجنا كما نشاء، وإذا بقي الشرق سائرا على هذا الطريق فعما قريب سيصبح الشرق علمانيا لا دينيا، ولكن الذي يخيفنا كما يقول جب: الذي يخيفنا شيان: المعاهد الدينية، والحركات الإسلامية، والحركات الإسلامية تستعصي على المراقبة، لأنها تتفجر انفجارا، ثم يقول: إن الشرق لا ينقصه إلا صلاح دين جديد، كتب جب في هامش كتابه سنة 1932: ظهرت حركة جديدة اسمها حركة الإخوان المسلمين، مؤسسها حسن البناء، لا ندري هل يستطيع أن يواجه التيار ويقف أمام الأحداث، أم تكون الأحداث أكبر منه، ثم تجرفه وتجرف حركته كما جرفت غيره؟.

كيف قامت باكستان

وفي نهاية الأربعينات وجد أن هنالك جماهير ضخمة من المسلمين في القارة الهندية تطالب بإنشاء دولة تحكم بالإسلام، وفكروا طويلا، كيف يمكننا أن نواجه مائة وعشرين مليون مسلما يتجمعوا في منطقة واحدة؟ وأخيرا وجدوا المخرج بالبحث عن رجل يعيش في أوروبا، لا يعرف لغة هذه البلاد، ثم بدأ الإعلام الإنجليزي يضحمه ويلمعه ويقدمه، وعندما أذنت بريطانيا بفصل باكستان عن الهند، كان هذا الرجل حاضرا ليستلم البلد ويملاها بأناس على عقليته التي تربي عليها في الغرب، عقلية علمانية، وملئت البلد بالقاديانية والعلمانية والشيعة

والإسماعيلية وغير ذلك، وسلم لهم الاقتصاد والإعلام والخارجية وغير ذلك، وكان الاقتصاد في هذا البلد بيد شيعة هذا الرجل الإسماعيلية، وأنشئ (حبيب بانك) بيد رجل إسماعيلي.

أقرأ لكانتولسي سميث كتابه (Islam in modern history) لكن أنا قرأت بعض مقتطفات منه يقول : لا يمكننا بالنسبة لباكستان إلا أن ننشئ شخصية مثل شخصية أتاتورك، نصنع منها بطلا يعتبر المساس بها مساس بكيان الوطن نفسه، ثم قال أخيرا : وهل بإمكاننا أن نصنع في هذا البلد أتاتوركا جديدا؟ نحن لا بد لنا أن نقنع الشعب نفسه أنه ليس هنالك في الإسلام حكم، وإذا فقبل أن يعلنوا قيام دولة باكستان كانت عشرات الألوف من نسخ كتاب علي عبد الرزاق (الإسلام وأصول الحكم)، جاهزة بالأردية توزع على هذا الشعب أنه ليس هنالك في الإسلام حكم إنما هي نبوة وليس حكما، وأنشئت باستان على قطعتين من الأرض البعد بينهما 1700 كيلومتر، بين البنغال وبين باكستان الغربية، ليبقى أمنها مترعزا، وأختير لها أفقر المناطق خصوبة وإنتاجا في القارة الهندية وسلمة للمسلمين، ومع هذا كله كانوا يخشون من هذه البلدة القائمة، نعم سميت باكستان (الأرض الطاهرة)، وإن كانت العلمانية هي ظلالها وسداها ولحمتها منذ اليوم الأول الذي قامت فيه، حتى تكاد تقول إلى أواخر السبعينات يوم أن بدأ ضياء الحق رحمه الله -يحاول وربه أعلم به - أن يعلن أن الشريعة هي منهاج هذا البلد، وهي حكمه الإسلام، معزولة عن دين الله ليس لله فيها إلا المساجد، والمساجد فقط، ولقد فهم الكثير من أبناء هذا الشعب أن دين الله إنما هو متمثل بالصلاة بالطاقيّة، وأن لا تدخل إلى ساحة المسجد بالحذاء، فإذا رآك تصلي دون طاقيّة، نهض وأسرع إلى مجموعة الطواقي الموضوعّة في مقدّمة المسجد واختار لك طاقيّة وألبسك إياها، في الوقت الذي تكون زوجته بشعرها عارية في الشوارع، يظن أن صلاة الرجل حاسر الرأس أشدّ إثما عند رب العالمين من خروج المرأة حاسرة الرأس بدون خمار وبدون إشار.

دور الأزهر

كانوا يخشون كثيرا من مصر، بسبب الثقل السكاني، وبسبب القيادة العلمية بقدر الله الذي جعل الأزهر فيها لمدة ألف عام تخرج القيادات الإسلامية للعالم كله، للعالم الإسلامي كله، وهي محل احترام الجميع، جميع المسلمين في الأرض الذين أطبقوا على تسميته بالأزهر الشريف، ولذا كان خريج الأزهر إنما هو محط أنظار الناس، ومحل احترامهم، وتوقيرهم، ولا زلت أذكر يوم أن جاء شيخ البلدة وهو لم يحمل الشهادة الأزهرية بعد، درس سنوات ولم يأخذ الشهادة، جاء يخطب شقيقتي من والدي ورده والدي، فقالت له أمي: أترد شيخ الأزهر، أترد العالم الأزهرى ! كان كجبل وقع على صدر أمي -رحمها الله- بسبب أن والدي لم يقبل وساطة إمام المسجد الذي درس في الأزهر الشريف.

ولذلك كنت وأنا أحمل شهادة الليسانس أرى أحيانا تخالف في بعض قضايا السنن أو الهيئات في الصلاة فأقول لها : يا والدتي الصلاة بهذه الطريقة، فنقول : لكن الشيخ أفتى بغير ذلك، تظن شيخ المسجد الذي درس سنتين في الأزهر أعلم مني، ولذلك لا تقبل إلا من شيخ المسجد الذي درس سنتين أو ثلاث في الأزهر الشريف.

ولذلك عملوا كثيرا على حد النسل بالنسبة لمصر، وكان يذهلهم الزيادة السكانية للمسلمين في مصر، فاستوردت آلاف الأطنان من حبوب منع الحمل، ووزعت على الشعب المصري مجانا، وأقيمت البرامج المتسلسلة في التلفاز، لتثبت لهم أن منع النسل إنما هو دين الله، ولا تخالف شرعته ولا منهاجه، ولا بد من الفتاوى التي تقر هذا النظام الذي يقطع نسل المسلمين الذين يشكل مجموعهم وثقلهم وكثرتهم خطرا يورق على الغرب أجفانه، ويقض عليه مضاجعه، ومثلها عمل في باكستان، آلاف الأطنان من حبوب منع الحمل وزعت مجانا على الشعب الباكستاني، حتى يمنعوا نسله ويقللوا أجياله، ومثلها الآن يصنع في داخل أفغانستان وما صنع ال(آي، آر، سي) وغيرها.. قد احتنت أرحام كثير من النساء تحت أثر التخدير حتى لا تتجب من هذه الأجيال المجاهدة، وعندما أرسلنا طبيبا إلى (مزار شريف) الدكتور صالح الليبي، مما أذهله وأوقف شعر رأسه أنه وجد أن الحبوب التي بقيت في المستشفى الفرنسي بعد أن غادر الفرنسيون بفتوى من القاضي عبد الله قاضي جبهات مزار شريف أن معظم الحبوب الباقية وراءهم هي حبوب منع الحمل، تأتي المرأة رأسها يؤلمها فتعرض نفسها على الفرنسيين، فيعطونها ورقة حبوب منع الحمل، ويقولون لها تتاولي كل يوم في الصباح حبة فإنك بعد شهر يتعالج مرضك وتنتهي الأمك.

أطبق الظلام، لم يعد هنالك بصيص نور، حتى بداية السبعينات، وعندما رأوا بصيص نور في مصر بسبب الحركة الإسلامية، كانت هنالك المؤامرات العالمية، والانقلابات العسكرية، الملك الجبري، حتى يسبقوا إلى الحكم، حتى لا يصل إلى سدة الحكم أناس مسلمون، ويعيدون دور الخلافة الراشدة إلى الأرض مرة أخرى.

كان أول انقلاب أمريكي في المنطقة سنة 1949 على يد السفير الأمريكي (ستيفن مت) في سوريا ليأثروا بحسني الزعيم زعيما، ويعرض بعد شهرين قضية الصلح مع إسرائيل، وقبل الإتيان بحسني الزعيم بشهر واحد كان قتلُ حسن البنا، قتل في الثاني عشر من فبراير سنة 1949، وبعد قتله بيومين عقدت مصر معاهدة رودس مع إسرائيل، وجاء انقلاب (ستيفن مت) ولم يجدوا حسني الزعيم هذا الحصان الرابح الذي يمكن أن يراهنوا عليه في الميدان، فتطلعت أنظارهم إلى القاهرة حيث النقل العلمي والسكاني، فانقل (ستيفن مت) نفسه (مايلز كوبلاند) مع

(جيفرسون كافري) ليتموا المؤامرة، وليأتوا بضباط الثورة الذين أوكل إليهم ضرب الحركة الإسلامية وسحق الأزهر، وحفظ سلامة إسرائيل.

وتوالى الضربات على الإسلام والمسلمين، كلما نبئت نابتة انقضت عليهم تلك اللكمات الوحشية التي لا زلنا نطالع آثارها على شاشة التلفاز بين الحين والآخر، القبض على مجموعات من جماعات الجهاد ومحاكمتهم، قتلهم، وجريماتهم : هي الجهاد في سبيل الله! قتل حسن البناء، ثم قتل عبد القادر عودة ورفاقه سنة 1953، ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير، ثم قتل سيد قطب سنة 1966 مع محمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل، ثم قتل صالح سرية وكارم الأناضولي، ثم قتل شكري مصطفى ومن معه، ثم مواصلة القمع والإبادة لكل مجموعة من الشبيبة تنادي بالإسلام، أو تحاول إعادته إلى واقع الحياة.

سحابة صيف

قامت الثورة الإيرانية ووطنناها المخرج، وفرحنا بها أيما فرح، وأقمنا لها الاحتفالات شكريا لله عز وجل، وقلنا إن موقفنا مع هؤلاء الشيعة لا يجوز أن يكون أقل من موقف الصحابة تجاه الروم، الذين قال الله فيهم:

﴿ألم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ (الروم: 1-5).

وكنا نظن أن هذا الجيل الجديد الذي قامت على أيديه هذه الثورة قد تجاوز العقدة التي عمرها أربعة عشر قرنا من الحقد الشديد على السنة النبوية وعلى أعلام هذا الدين الذين نقلوه لنا من لدن سيد المرسلين ﷺ، ثم تناقلته الأجيال من بعدهم، وورثه العلماء جيلا بعد جيل، أمنا ثقافت، يسلمون الراية من يد إلى يد، حتى وصلت إلى أيدينا هذه، وإذا بها (سحابة صيف عن قليل تَقشَعُ)، ووجدنا أننا أمام الأجيال نفسها التي حملت في طياتها هذا الحقد الأسود على أعلامنا، وعلى سادتنا، وعلى صحابة نبينا ﷺ .

تجربة

وقام الجهاد في سوريا على يد الإخوان، ووطننا أنه المخرج، ولقد أدى هؤلاء الشباب من البذل والتضحية، لم ير القرن مثلهم صفاء ولا إقداما ولا تضحية ولا برا ولا إحسانا، شباب - رغم صغر سنهم - كان الإنسان يعتر بزكر أسمائهم، وقف شباب صغير من حماة أمام التلفاز يحاكمه، قال: أنتم ماذا تريدون؟ قال: نريد أن نقل الطواغيت، ونبيد هذا الحزب الكافر الذي

يحكم هذا البلد، قال: من تريد؟ قال: من رئيس الجمهورية إلى أدنى واحد، نحن هدفنا أن نقضي عليهم، هذا في المحكمة والتفاز ينقل إلى الناس، قمة من القمم شمخت بهذا الدين، وبكتاب ربه، وبسنة نبيه، يقف الإنسان أمامها قزما لا يستطيع أن يدرك قمته التي رفعت بهذه العزة التي جعلها الله خاصة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولكن وللأسف أن الشعب لم ياتف حولها، وترك هذه الفئة الصافية الراشدة -الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى- تركهم يواجهون الطغمة الحاكمة وحدهم وبمفردهم، وسرعان ما استطاع الطاغية أن يقضي عليهم بعد إبادة مدينة حماة بكاملها، وقتل حوالي ثلاثين ألفا من أبنائها ونسائها.

بصيص من نور

وتطلعنا إلى الأرض، فوقعنا أنظارنا بعيد من المشرق، هناك في أرض خراسان، قلنا: لعل الانفراج يكون من جيوش خراسان، وقد ورد حديثان حسنان في خراسان وراياتها، وأقبلنا على هذا النور نسير فيه، ليس لنا بصيص أمل ولا نور على هذا الطريق إلا ذاك النور البعيد على نوره نسير في هذا الليل الداجي الساجي ووصلنا خراسان، ووصلنا أفغانستان، فوجدنا القضية أضخم من الخيال، وأبعد من الأساطير، ولأول مرة عندما رأيت الجهاد في أفغانستان ما صدقت أنني أعيش في واقع الحياة، وإنما هي أحلام اليقظة تراعت لي، فتية كنت أراهم في عين الخيال قادمين، فوجدتهم في عالم الحياة قائمين، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، ومن يواجهون؟ إنهم يواجهون روسيا والاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، إنهم يواجهون نصف الكرة الأرضية، إنها حرب عالمية، في جهة يقف شعب فقير أمي أعزل لا يملك إلا ثقته بربه، وتوكله على خالقه، وفي الجهة الأخرى ذاك الطاغوت الأكبر الشرس، المدجج بالأساطيل البرية والجوية، لا يراعي في مؤمن ولا إنسان إلا ولا ذمة، ولا يترك وسيلة من وسائل الفتك والإبادة إلا ويستعملها، فعدت إلى قومي منذرا ومبشرا، قد رأيت الذي كنتم به تحلمون، ووجدت الذي كنتم إليه تتطلعون، جهاد واضح الراية بين إسلام وكفر، بين إيمان وإلحاد، يقوده مجموعة من الشباب معروفون منذ نعومة أظفارهم بطهارة الذيل وبنظافة السلوك، وبحسن السمات، وبربانية المسير، ما تطرق إليهم عين شك ولا ريب في مسيرتهم منذ أن رأوا هذه الحياة، ومنذ أن بلغوا الحلم.

طففت في العالم أبشر، ما أكاد أصدق ما رأيت، وقلت لهم: إن الرائد لا يكذب أهله..

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُقُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

(سبأ: 46).

قلت لهم: والله ما بي من جنون ولا خبل، ولا أعيش في حلم ولا خيال، إنما هي حقائق أكبر من الخيال، ووقائع أكبر من الأساطير في عالم المثال، والناس في العالم بين مصدق ومكذب، والمعركة جارية، ورحى الطاحون يطحن، يطحن البشر وأعصابهم وأنفسهم، ويقدم هذا الشعب يوماً بعد يوم المزيد من التضحيات، شلالات الدماء، تلال الأثلاء، جثث الشهداء، يبني مجده فوق ذلك كله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ما صدق العالم العربي، وما صدق حتى الشباب المسلم في العالم كله المتجه إلى الله، ما صدق، وبدأوا يفسرون ويخمنون ويخمسون ويسدسون، ما هي حقيقة المعركة وما سرها؟ وهل تعجز روسيا أن تلقي قنبلة ذرية على أفغانستان فتفيد خضراءها وتهلك حرثها ونسلها؟، لعلها لعبة ال(C.I.A) ما ال(K.J.B)، لعلها اللعبة العالمية، لعلها حرب النجوم.

وأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل

فتلك ربوعهم بالدافق الموار يغتسل

وتلك جماجم الأطفال تسحق وهي تبتهل

وأعراض النساء به يعيث الملحد النمل

ومضت المعركة، وبدأ الناس يصدقون، وبدأ الإعلام العربي يستفيق -ليس مني- إنما يستفيق على أصدقاء التاييم والتاييمز، وعلى أنباء الكرستي ميرور وشيكاغو إكسبرس إيطاليان! وعلى إكسبرس، إنما هم يصدقون تلك المصادر لأنه (يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق).

ووقع في نفسي أنه لا بأس إن الناس تعجبهم المظاهر، وأبو سفيان ما صدق أن رسول الله ﷺ ذو شأن، وأنه سيكون لأمره -في يوم من الأيام- وجود وواقع إلا بعد أن قابل هرقل، وسأله هرقل، ثم قال له بعد ذلك: لئن صدقتني يا هذا لياخذن الأرض التي تحت قدمي هاتين، ولو استطعت أن أصل إليه لغسلت على قدميه، خرج أبو سفيان مذهولاً من كلمة القيصر، وهو يقول: أمر أمر ابن أبي كبشة، لم يقل محمد بن عبد الله، استعظمها عليه، قال: ابن أبي كبشة، يعني ابن زوج حليلة السعدية، أمر أمره، أي عظم أمره، يخشاه ملك بني الأصفر.

عزة ورفعة

والآن وقبل أيام يعلن غورباتشوف أننا سنسحب من أوروبا الشرقية مليونين من الجنود ونبقي نصف مليون، وبعد انفتاحه على الغرب، واجتمع كارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي بوزراء الدفاع الناتو، فقال وزراء دفاع حلف الأطلسي لكارلوتشي: يبدو أن غورباتشوف بدأ

يغير سياسته تجاه الغرب، قال: أو تظنون هذا؟ قالوا: بلى، قال: لا ... إن الأفغان قد أجبروه على تغيير سياسته تجاه العالم كله، وزير الدفاع الأمريكي -أكبر وزير دفاع في الأرض، تحته البيض، الأساطيل والصواريخ العابرة القارات، الأقمار الصناعية، المراكب الفضائية، السفن النفاثة، ما إلى ذلك، يقول -وقد أشار إلى الأفغان- هؤلاء هم الذين أجبروه على تغيير سياسته، والله حدثني بها أحد المسلمين الثقات في أمريكا، قال: سمعته وهو يقول لهم هذا.

ومرة أخرى كان رباني جالسا وأقبل إليه مساعد كارلوتشي، (أرموكوست وكيل وزارة الدفاع الأمريكي) فقام رباني ليصافحه، فقال له أرموكوست: يا سيدي -بهذا اللفظ- يا سيدي لا تقم، أنت يقام لك ولا تقوم... أي رفعة رفع الله بها هذا الشعب بهذا الجهاد، أي عزة عادت للإسلام والمسلمين في الأرض، في المقابل الممثلون لدولة إسلامية أخرى -فلسطين- يعترفون باليهود، قالوا: لا بد أن تعترفوا باليهود، فاعترفوا باليهود، قالوا: لا، أنت لم تتطرق بالكلمات، التي نريدها، وكتبت الكلمات وألقيت الكلمة التي كتبوها، ومع ذلك قال: ماذا تريدون مني بعد ذلك؟ وبعد هذا كله يرفض اليهود الجلوس معه، في نفس الوقت فورونتسوف يبحث في كل مكان عن الأفغان، يريد أن يجلس معهم، يوسط الأمم المتحدة، يحاول أن يتصل أولا بالقادة في داخل أفغانستان، وأرسل إلى أحمد شاه مسعود، وألح واستمات أن يقابل أحمد شاه، فأرسل أحمد شاه إلى الشيخ رباني هنا: إن الروس يلحون على مقابلتهم، قال: إن شاءوا أن يقابلوا فليقابلونا نحن، فاعتذر إليهم أحمد شاه، وقال لهم: نحن عسكريون في ميدان المعركة، إن شئتم أن تقابلوا فذاك أمرؤنا وساستنا في بيشاور فقابلوهم، وحاول كولر، واشترطوا عليه أن لا يعرض قضية الحكم المقبل للنقاش، وأن لا يعرض قضية الحزب الشيوعي للنقاش، وقال: أوافق، قال: أريد أن أقابلكم في فينا، قالوا: لا... تقابلنا فوق أرض إسلامية؛ إما في السعودية، وإما في باكستان، وتركهم رباني وذهب إلى السعودية، واتصلوا به في السعودية: نعم وافقنا أن نقابلك، وجاءوا إليه هناك في السعودية، ورفض الوفد الأفغاني أن يدخل أولا، لا بد أن يدخل الروس أولا حتى يقوموا للأفغان إذا دخلوا صالة النقاش.

عزة، وأي عزة أرفع منها؟ إنه السيف...

والمجد في سهوات الخيل مركبة

والعز ينتجه الإسراء والسهر

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إن الغبار الذي يطير في أرض الجهاد هو ضرورة من ضرورات المعركة، وإن بعض الهفوات أو المشاكل التي تحدث فوق أرضها هي طبيعة الجهاد نفسه ومن مستلزمات الطريق، والذين يخشون على مصير أفغانستان بسبب بعض الخلافات بين بعض القادة، أنا أطمئنهم بإذن الله المستقبل للإسلام...

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
(التوبة:33)

منذ ثماني سنوات كتبت رسالة سميتها : (الإسلام ومستقبل البشرية) وكنت أتوقع أن يكون التغيير إما يبدأ من سوريا في واقع الأرض، وإما من أفغانستان، وكنت أظن أن خطين متوازيين سيبدأان بتغيير الأرض كلها؛ أحدهما يظهر من الأراضي الشامية حيث البشريات النبوية، والثاني يبدأ من خراسان حيث البشريات النبوية كذلك، وأنا لا زلت مطمئناً؛ أن أفغانستان ستكون بإذن الله بداية التغيير للتاريخ كله.

إن بعض الناس يظنون أن قضية أفغانستان ستنتهي عند حدود نهر جيحون، هؤلاء واهمون، هذا الشعب المسلم عنده من الطاقة المدخرة، وعنده من الأصالة و الصفات ما يمكنه أن يعيد مرة أخرى حكم الإسلام لثالث الكرة الأرضية كما فعل الأتراك في يوم من الأيام، وهذه الأرض -أرض توران- هي التي خرج منها الفاتحون عبر التاريخ، ومعظم الحملات التي حكمت في الكرة الأرضية، وحكمت أجزاء كثيرة لا تغيب عنه الشمس في هذه الأرض خرجت من أرض توران، توران هي تركستان الشرقية والغربية فيدخل فيها منطقة خراسان.

والآن الإسلام هو المؤهل الذي يحمله هذا الشعب ليتقدم به إلى البشرية، ما كنت أظن وما رأيت أفغانستان يوم أن كتبت ذلك الكتاب، وأعدت طباعته، ولم أزد كلمة واحدة في هذه الأيام، وكنت أقرأ فيه في هذا اليوم فوجدت كأني أعيش سنة 1979 عندما كتبت، ورحم الله (سيدا) عندما كتب "المستقبل لهذا الدين"، كنت أظن في الستينات، والليل مطبق أزل داج لا ترى فيه بصيص نور، كنت أظن أن الأستاذ سيد يعيش في الأحلام، ورحمه الله كان ينظر بنور الله، كان أبعد نظراً مني، وجاءت الأيام مصداقاً لما كتبه في هذا الكتيب الصغير "المستقبل لهذا الدين"، وأنا أقول لكم: المستقبل لهذا الدين، والجهاد هو الذي سيغير واقع

الأرض، وأنا أظن أننا راجعاً - والله أعلم - أن أفغانستان هي البقعة التي ستبدأ منها نقطة التحول التاريخي في هذا العصر الحديث...
﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: 88).

تعريف بالجهاد الأفغاني

أيها الإخوة: يقول الله عز وجل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 75-76).

ضرورة الجهاد

ماذا نحدثكم عن أفغانستان، ملحمة البطولة والإيمان، شعب صنع من الحقائق ما يفوق الأساطير، وحققوا في دنيا الناس أهدافاً ضخماً يظنها الناس أنها قمم لا ترتقي إليها أفعال البشر، ولكن تتركها الأشواق وتقتصر دونها الأفعال، مع أنها وقائع صنعت التاريخ من جديد وخطت دين الله بالنجيع القاني في داخل أفغانستان؟ جبال من الجماجم بني فوقها مجد الإسلام، تلال من الأشلاء والشهداء بني عليها صرح العزة لهذا الدين، بحور من الدماء تجري عليها سفن النجاة، وفي داخلها القوم يرددون مع أنهم يتجرعوا غصص الطريق ومرارة المعاناة ومكابدة الأهوال، رغم أنت التكاليف وآهات اليتامى وزفرات الحيارى المكلومين، هم يسمعونها ومع ذلك يرددون نشيدهم الجميل وحذاءهم العذب :

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 146).

وعلى طول الطريق لا يملون أن يرددوا :

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 147).

أمنيتهم العزيزة التي يستعدون بها وهم يحتملون العذابات ويستطونها وهم يتذوقون المرات (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) يستطون الحياة مع مرارتها، ويستعدون العذاب مع شدته، لأن قائدهم المصطفى علمهم (من خير معاش الناس رجل أخذ بعنان فرسه، يطير على منته كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)، يعني خير الناس حالاً، وأفضل حياة، وأرغد عيشاً، أولئك الذين يمتطون صهوات الجياد...

والعز في صهوات الخيل مركبة

والمجد ينتجه الاسراء ولاسهر

ومتى كان لنا وجود، ومتى كان للتوحيد قيام، ومتى كان للإسلام أي نبتة بدون السيف (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له) بدون السيف لا يمكن أن يكون توحيد، لا يمكن أن يكون دين، ولا يمكن أن يهناً إنسان، ولا يشعر بهناءة الضمير ولا استقرار القلب ولا راحة الأعصاب إلا في ظلال هذا الدين، الذي يتظلل كله تحت ظلال السيوف، وما الجنة إلا تحت ظلال السيوف.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: 251).

بدون الجهاد تفسد الأرض..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتُ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: 40)

بدون الجهاد لا يمكن أن يبقى مساجد، ولا شعائر ولا منابر ولا منابر، كلها تنتهي، وإن كنتم في شك مما أقول، فاسألوا بخارى والأندلس وطشقند أين دين الله ؟ بعد أن سقط السيف من أيدي المسلمين، سبعة عشر ألف مسجد في بخارى تحولت إلى مكاتب للحزب الشيوعي، واصطبلات للخيل، ومخازن للحبوب، عندما دخل أبناء بخارى قادمين مع الجيش الأحمر ليقاتلوا في أفغانستان سنة (1979م-1980م) كانوا يسألون، المصحف كم مجلد؟! لم يروا المصاحف في حياتهم، كان أحدهم -وتشده إلى دينه العاطفة الغامضة التي ورثها عن آباءه- كان يسمع من آباءه أن لهم دين اسمه الإسلام، كان بدافع هذه العاطفة الغامضة لهذا الدين يدفع سلاحه لأفغاني ويأخذ مصحفاً مقابله... دين الله، الأمة، النفس الإنسانية، لا وجود لها بدون الجهاد، ولذلك شرع الجهاد حتى تزال الفتنة في الأرض.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: 193)

والفتنة هي الشرك، بدون الجهاد تذهب تلك الهالة، الهيبة التي تنصر بها (نصرت بالرعب مسيرة شهر) (تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها) قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: (لا، إنكم كثير ولكنكم غثاء -زبد- كغشاء السيل، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم) قالوا: وما

الوهن يا رسول الله؟ قال: (حب الدنيا وكرهية الموت) وفي رواية للإمام أحمد (حب الدنيا وكرهية القتال).

لن يهابنا أعداؤنا، ولن تتكسر لهم شوكة بدون السيوف والرماح، بدون العدة والسلاح، ولذلك رب العزة قال لرسوله ﷺ :

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِنَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكُّيًّا﴾ (النساء:84).

قاتل، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا، فعلينا فرضان، فرض القتال وفرض التحريض للقتال، فالتحريض فرض، والقتال فرض، والكلام في الجهاد طويل وفي فضائله وفضائل الرباط وفضائل الشهادة والهجرة طويل طويل، ويحلو للنفس وتستعذب به أن تتحدث عنه، ولكن الوقت قصير لأننا مضطرون أن تذهب إلى (بريدة) ولكن أنا سأحدثكم باختصار، كيف اعتر هذا الشعب بربه؟ وكيف اعتصم بخالقه وداس الدنيا بقدمه؟ فأكبت الدنيا كلها تقبل قدمه.

الآن الأمريكان، الغرب، الروس، كلهم، قضية أفغانستان، لماذا؟ فرض احترامه بسيفه الذي رفعه، عندما احترم مبدأه الذي أعزه الله به دينه، احترمه الناس جميعا، والناس لا يحترمون إلا القوي، وأما الضعيف فلا وجود له تحت الشمس، بل الضعف جريمة يستحق صاحبها جهنم!!

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:97)

الضعف ليس عذرا عند الله، الضعف جريمة يستحق صاحبها جهنم، وأعذر رب العزة ثلاثة أصناف (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعني لا يثبتون على الدابة - (ولا يهتدون سبيلا) - لا يعرفون الطريق إلى الهجرة وإلى الجهاد (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا).

التوحيد والأفغان

شعب داهمه الاتحاد السوفيتي، أولا هو رفض أن يعطي الدنية في دينه، بعض الناس يقولون: الأفغان عندهم صغائر وعندهم كبائر وعندهم شركيات، فقلت: صحيح، لكن أي شعب من الشعوب لا يخلو من هذا، هذا جهاد شعب، أحسن بلد في التوحيد هي الجزيرة،

في مكة والمدينة موجود صوفية، وموجود سلبية، وموجود خرافية أم لا؟! في عاصمة التوحيد في الأرض موجود. موجود، لكن الفرق بيننا وبينهم أنهم شعب رفضوا أن يعطوا الدنيا في دينهم، ونحن قبلنا ذل العبيد على رقابنا؟ اليهود استحلوا ثلاثة أجزاء من ثلاث دول في مدة ثلاث ساعات، وهؤلاء وقفوا، وقفوا معتزين بخالفهم، تسأل الأفغان كيف وقفتم؟ بدأوا قتاله للحكم الشيوعي الأفغاني بالعصي والحجارة، تسألهم كيف وقفتم أمام الدبابات؟ قالوا: يقول الله عز وجل:

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: 60)

الذي استطعناه هو العصي والحجارة، هذا الذي استطعناه، هكذا يفهمون الإسلام، تسأل أي أفغاني هذا الذي عقيدته ليست واضحة!! كيف الجهاد؟ يقول سننتصر على روسيا، لماذا؟ كيف تنتصرون على روسيا، لماذا؟ يقول بمعادلة بسيطة، أيهم أقوى الله أم روسيا؟ فنقول له: الله، يقول: نحن مع الله، إذن الله سيهزم روسيا، هذا توحيد أم شرك؟ هذا التوكل، نقل توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية في عالم الأرض، نقل الآيات من العقل والقلب، من التوحيد النظري إلى التوحيد العملي في واقع الناس، توكل، يدفع ثمن هذا التوكل جماجم وأشلاء ودماء وشهداء، هذا التوحيد، هذا توحيد الألوهية، نقل الكلمات من القول إلى سلوك وأخلاق وحركات وواقع ينبض، وهذا التوحيد الذي جاءت به الأنبياء، توحيد الألوهية، توحيد الربوبية ما كان محل خلاف بين الرسول ﷺ وبين المشركين، الكل معترف بتوحيد الربوبية..

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزخرف: 87).

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزمر: 38)

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ (يونس: 31).

من هم الذين يقولون الله؟ المشركون: إذا توحيد الربوبية ما كان محل الخلاف، الرسائل كلها جاءت لتحويل الربوبية إلى توحيد الألوهية في عالم الأرض، واقع حياتي، سلوك، توكل على الله عز وجل، ما فائدة توحيد الربوبية في قلبي أن أعلم أن الله رازق خالق ولم أفهم موقفاً لله في حياتي يوماً ما أخطر فيه على وظيفتي أو على حياتي، أين توحيد الربوبية هذا؟ أين توحيد الألوهية؟؛ توحيد الألوهية سلوك، توكل، عمل، توحيد الله بأفعال خلقه، أن أتوكل على الله وحده، ونخشى الله وحده، وننذر الله وحده، ونحلف بالله وحده، ونتحاكم إلى الله وحده، هذا توحيد الألوهية في واقعنا؟ توحيد الربوبية موجود،

توحيد الربوبية نظري في العقل والقلب، ثقافة ممكن نتعلم في جلسة أو جلستين توحيد الربوبية، لكن تحويل الآيات التي في القلب إلى واقع حياتي بينهما مسافة شاسعة دونه خطر القتاد، دماء، عرق، جماجم، أشلاء، أعراض تنتهك، أسر تفتت، مجتمعات تدمر، من أجل تحويل توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، وأنا رأيت أن توحيد الألوهية لا يتمثل حياً واقعاً إلا في مثل ساحات الجهاد، التحرر من الخوف، التحرر من الخوف على الرزق والأجل؟ العقد، عقدة الخوف من العباد، الخوف من العباد الذين يقطعون أرزاقنا أو يحبسونا أو يميئوننا، هذه كلها تتحل، هذه العقدة، فتتحل بعدها كل العقد، على أي شيء يخاف المجاهد، يخاف على حياته، وقد وضع روحه على كفه يعرضها على ربه صباح مساء ليتقبلها منه حتى يدخل جنته، على أي شيء يخاف، على رزقه، لم يبق له شيء في الأرض يخاف عليه، كما قلت لواحد من الإخوة، قلت له: أحب لباس إليّ هذا اللباس، هذا اللباس اشتريته بـ14 ريال، أكل فيه وأشرب فيه وأتدرب فيه وأقاتل فيه، الأخ الذي جاء معي، الأخ سالم، قال: أنت جئت في هذا؟ قلت له نعم، قال: ما عندك غيره، قلت: ما في عندي غيره، الحمد لله لا يتسخ أبداً، لا يتسخ، ولما رحت، قال: ما عندك ثوب للنوم؟ قلت له: هذا ثوب النوم، ثوب المقابلات!! قلت: هذا ثوب المقابلات، على أي شيء أخاف في هذه الأرض؟ على أي شيء!! إذا سجنوني هل يلبسونني واحداً أحسن من هذا؟ إذا قتلوني أدفن في هذا، على أي شيء أخاف؟ تحررنا، تحررنا، توحيد الألوهية الذي مثله الجهاد واقعاً حياً في ساحة الجهاد، والتحرر من الخوف هو بداية السير إلى الله هو محور توحيد الألوهية، الشعب الأفغاني كذلك على أي شيء يخاف؟! على رزقه؟ قد ضحى بكل شيء، على بيته؟ دمر بيته، على أمه؟ غابت تحت الركام، على أبيه؟ قتل منذ زمن، على مدرسته؟ دفنت بقذائف الطائرات، على مسجده؟ دمر منذ زمن، أي شيء يخاف عليه؟ لم يبق شيء يخاف عليه، فانطلقوا إلى الله...

ركضاً إلى الله بغير زاد

إلا التقى وحب المعاد

تنازل الروس وهزيمتهم

نعم منطلقين إلى الله، ولذلك الروس هكذا يرتجفون هلعاً، ترتعد فرائصهم منهم، والله، قابلت أسيراً روسيا أسره المجاهدون، قلت له: من أي شيء أكثر تخافون؟ قال من مير محمد، الروس في داخل المطار، المطار محاط بشبكة صواريخ ومحاط بشبكة دبابات ومحاط

بشبكة ألغام ومحاط بطائرات كثيرة، ومع ذلك يخافون من (مير محمد) -عنده أربعين أو خمسين مجاهد- أن يدخل عبر كل هذه الحواجز الأمنية ويذبحهم في الليل.

قال: لا نضع رؤوسنا كل ليلة على الوسادة ونظمن أن الصباح سيطلع علينا، أكثر شيء يخافون منه الذبح، يدخل عليهم المجاهدين ويذبحوهم ذبحاً كالنعاج، وفعلاً الروس متضايقون جداً جداً، الروس، روسيا العظمى، يا إخوان: فعلاً أنا مرة سألت الطلاب في الجامعة، كنت أسألهم من أقوى، الله أم أمريكا؟ فيقولون طبعاً الله، من يشك في هذا؟ أقول لهم: أنتم مطمئنون أن الله أقوى من اليهود ما أصابنا الذي أصابنا، لكن غير مطمئنين تماماً في واقع الحياة ومن خلال السلوك أن الله يستطيع أن يهزم اليهود، هؤلاء الناس مطمئنون إلى قدرة الله، مطمئنون أن الله أقوى من روسيا، روسيا الآن كل يوم يسقط لها طائرتان، ويدمر لها خمس إلى عشر آليات (دبابة ومصفحة) ويقتل ويأسر ويستسلم إلى المجاهدين كل يوم خمسين -بين الشيوعيين والروس- كل طالع شمس، طائرتان، عشر آليات، خمسين جندي، 36 مليون دولار، فكيف تطيق روسيا أن تستمر على هذا الحال، روسيا في أول الصيف جورباتشوف أرسل واحداً من التجار الكبار محسوب على الروس والأمريكان اسمه (همر) قالوا له: اذهب وفاوض المجاهدين، الله أكبر، جورباتشوف يقبل أن يتنازل من عليائه، (السوبر بور) -روسيا العظمى، حلف وارسو- تجلس مع المجاهدين الحفاة العراة، قبل سنتين فقط كان جورباتشوف يرفض أن يجلس مع باكستان، يقول كيف روسيا العظمى تجلس مع دولة من العالم الثالث مثل باكستان، لكن ضربات المجاهدين أيقظته وقالت له: إنك أمام قوة الإيمان، فقبل أن يتنازل في العام الماضي، وجلس مع باكستان، هذا العام تنازل درجة ثالثة، قال: أنا مستعد أجلس مع المجاهدين، لماذا؟ ضربات أهل الإيمان، ضربات توحيد الألوهية، لا إله إلا الله، شاب مثل أحمد شاه مسعود، عمره 33 سنة، دوخ روسيا تدويخا، معسكر ضخم جداً فيه أربعمئة من الشيوعيين، هجم عليه بمائة مجاهد وفتحها، وأسر الأربعمئة، أسر الأربعمئة وبينهم سبعة وثمانون ضابطاً، وفيهم جنرال، انتحر الجنرال، قامت مظاهرة في كابل ضد النظام من نسائهم، أزواجنا عند أحمد شاه مسعود وأنتم هنا جالسون على الكراسي، خلصوهم، فأرسلوا لأحمد شاه مستعدون لأي شروط تقرضها مقابل تسليمنا الضباط، أملي شروطك، عين المكان، عين الزمن، قال: هذه شروطي، قالوا نحن قبلنا، حدد وادي (مكني) في بنجشير لمبادلة الأسرى، روسيا رأت على نفسها كبيرة أن تخضع لأحمد شاه مسعود، أعدت قوات كوماندوز -تدخل سريع- من قواتها التي تعدها منذ زمن -وضعوهم في طائرات هليكوبتر، في الوقت المحدد لتبادل الأسرى نزلت الطائرات فوق رؤوس الجبال وفتحت الرشاشات، اثنان من الإخوة العرب أبو بكر وأبو عاصم كانا مسئولين عن حراسة هؤلاء الضباط، أقلى لهم أول

أمر اقتلوا السبعة وثمانين، قال : قتلناهم، سبعة وثمانين ضابطاً، ودارت معركة بين المجاهدين الذين هم في أسفل الجبل وبين الكوماندوز الذين أخذوا المجاهدين على حين غرة، وانتهت المعركة وأسفرت عن مقتل كثير من الروس، يحدثني الشيخ رباني أمير الجمعية الإسلامية قال: بقي وادي مكني عدة أسابيع منتناً من رائحة جثث الروس، ولم يقتل مجاهد واحد، ناس يعدون، يأخذون بالأسباب، قدموا التضحيات فتأتي رحمة الله وكراماته في الوقت حيث تأخذ الكروب بالخناق..

﴿وَتُؤْتُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (التوبة: 118).

فأرسل أحد التجار الكبار اسمه (همر) ليجلس مع المجاهدين، الغرب راض عن همر، والشرق راض عن همر -تجار القمح والبتروال الكبار- جلس معهم، قال لهم: جورباتشوف جاد في الخروج لأسباب داخلية وأسباب خارجية لا مجال للتفصيل فيها، لكنه يريد أن يحفظ ماء وجهه أمام شعبه وأمام جيشه، يريد بعض التنازلات، كأن يشرف على الخروج طرف ثالث ليس من المجاهدين وليس من الحكومة الشيوعية، ويريد جدولاً زمنياً ينسحب فيه أقله سبعة أشهر، المجاهدون قالوا: لو التقت السماء على الأرض لن يشرف على خروج الروس إلا المجاهدون، جورباتشوف قال لهم -للجنرالات جنرالات الروس- ما رأيكم؟ قال جنرالات الجيش الذين في أفغانستان، إن أخرجتنا بهذه الطريقة المهينة الذليلة من داخل أفغانستان لن تعود في يدك كالعصى السحرية التي تهزها في وجه حلف الأطلسي وفي وجه العالم، أعطنا فرصة لننهي لك مشكلة أفغانستان؟ طبعاً كل واحد يأتي من قادة الاتحاد السوفيتي -رؤساء الاتحاد السوفيتي- أول ما يأتي يقول : سأنهي مهزلة أفغانستان، وصاروا الآن ثلاثة ميثون بالجلطة الأفغانية، أول واحد (برجنيف) فطس بالجلطة الأفغانية، والثاني (أندروبوف)، والثالث : (تشرنينكوا)، وآخر واحد هذا على الطريق -إن شاء الله- ف جاء سنة 1985، قال : سأنهي مهزلة أفغانستان، وحاول للسنة الثالثة أن يسد المنافذ، منافذ دخول المجاهدين، ولم يستطع أن يسد منفذاً واحداً على الحدود، فقالوا -الجنرالات- اترك لنا الأمر، أعطنا فرصة للخريف، يعني لشهر عشرة؟ من شهر خمسة إلى شهر عشرة ميلادي هذا، من شهر مايو إلى شهر أكتوبر نحن نغلق الحدود ونخفق الجهاد في أفغانستان، قال: خذوا ولكم ما شئتم من السلطات والقوات، وبعض الناس يظنون أن روسيا تتسلى في داخل أفغانستان، روسيا تدوق الأمرين والموت كل يوم في داخل أفغانستان، مرغت روسيا في داخل أفغانستان، ولذلك عندما نقول أمام الأفغاني روسيا العظمى يضحك لك، أين روسيا العظمى؟ هؤلاء الروس؟ عندما يجدونهم يركضون أمامهم، الجنرالات صبوا جام غضبهم على الحدود، هجوم مكثف على بكتيا، قندهار، بنجرهار..

كنت أنا أحد شهود معركة بكتيا، استمرت المعركة من 26 رمضان إلى 17 شوال، ما تركت السماء شيئاً من حممها إلا صبته، ولا الأرض شيئاً من براكينها إلا فجرته، أنت تصور معي عندما تغير الطائرات تلقي القذائف، القذيفة وزنها طن كامل، رأيت الماء يخرج من أثر دخولها في الأرض، بعيني هاتين، والله يا إخوة، إن الجبال تهتز تحت أقدامنا، جبال سليمان تهتز من القذائف، تصور أن روسيا معها في المعركة هذه، ست وعشرون راجمة صواريخ يسمونها (BM41) يعني تضغط هكذا ينطلق 41 صاروخاً دفعة واحدة على مكان واحد، تصور..

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 10-11).

تحرق الأخضر واليابس، راجمات صواريخ نازلة، قصف الطائرات، مدافع ميدان، دبابات، من كل ما يمر بذهنك، رشاشات كل شيء يمر في ذهنك مستعمل في المعركة، والله تقول للأخ الذي بجانبك كيف حالك؟ لا يستطيع أن يرد مباشرة لأن القذيفة تقطع الرد، إن أحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته، فعلاً كان أشد عليّ وقت قضاء الحاجة، لأن الإنسان يخشى إذا خرج ثانية من خندقه أن يلقي منيته، فكان صعباً عليّ أن تلقى الله ونحن نقضي حاجتنا، أحد الأخوة أبو عبدة المصري وهو يقضي حاجته أنزلت الطائرة عليه قذيفتين، فدعى الله، اللهم لا تمتني على هذا الحال، وقعت القذيفتان، كل منهما طن كامل، ما انفجرت واحدة منهما، ولو انفجرت واحدة لقتله هواءها، ليس شظاياها، هواءها يكفي لقتله، استمرت المعركة، كان في مكان للعرب سميناه مأسدة الأنصار، ونحن ننشد كلام حسان ؓ...

من سره ضرباً يجمع بعضه

بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

فليأت مأسدة تسل سيوفها

بين المزاد وبين جذع الخندق

فسميناه مأسدة، يعني محل الأسود ونحن أنصار لهذا الشعب فهي مأسدة الأنصار، عندما اشتد القصف يوم 30 رمضان، الأخ أسامة بن لادن جزاه الله خيراً، الذي طلق الدنيا كلها وترك الأموال ونسي نفسه، ويعيش بين الثلوج في الجبال هناك، قال: نخشى على إخواننا العرب هؤلاء أن يبادروا بقذائف الطائرات، فقال: نتراجع قليلاً، فرفضوا الأمر، رفض قسم منهم الأمر، نحن نريد أن نستشهد، قال: هذا أمر من أميركم فيجب الطاعة، فجاءوا الخط

الثاني قريب ليلة العيد، ما أظن إلا القليل قد ناموا، منهم الباكي والواضع يده على ذقنه حائراً، كيف ننسحب أمام هؤلاء؟ وجاءوا ليكون يراجعونني، وبعد الفجر يوم عيد الفطر تحرك 24 واحداً منهم ورجعوا إلى المأسدة، روسيا تقدمت بثلاث فرق، فرقة كابل وفرقة غزني، وفرقة جارديز، والفرقة ثلاثة ألوية، اللواء ثلاث كتائب وأمامهم 24 شاب عربي، وخمس كتائب روسية خاصة، هؤلاء شيوعيون أفغان، أما من روسيا خمس كتائب خاص ومنهم فرقة صاعقة خاصة إسمها (سبتاز)، هؤلاء (السبتاز) الواحد منهم يحمل حقيبة على كتفه اسمها حقيبة الإقامة الدائمة، ستين كيلو جراماً يتسلق الجبال كأنه يحمل قلماً، جسم البغال وأحلام العصافير، داخلين المأسدة مستهترين، هؤلاء (سبتاز) مثل فرقة الساز البريطانية وفرقة المارينز الأمريكية، مستهترين، واضعين أسلحتهم على أكتافهم، فيتصدى لهم سبعة من الشباب العرب ويردونهم، رجع هؤلاء العرب السبعة، كانوا موزعين، لكن سبعة واجهوهم، عملوا صاعقة على الصاعقة، الصاعقة الروسية، شاب ما تدرب الواحد منهم إلا خمسة عشر يوماً أو عشرين يوماً، شاب من هذا البلد من المنطقة الشرقية اسمه مختار، بصلية واحدة، هكذا ضغط على الرشاش قتل ستة دفعة واحدة، عمره 22 سنة، هربوا غنم الشباب العرب أسلحتهم، رجعوا مرة ثالثة ورابعة ومرة خامسة ويهزمون في كل مرة، ولأول مرة يجدون مثل هذه المقاومة، ووقف جند الإيمان أربعة وعشرون شاباً عربياً معهم، لكن الضغط كان على مكان العرب يريدون أن يحتلوا المأسدة، جاءوا على أساس يحتلوها، واستمرت المعركة 22 يوماً لا تهدأ، واهتزاز الجبال لا يتوقف، والصدى، صدى القذائف في المنطقة وحيثما تحركت، المنطقة كلها، الأرض تقذف حمم براكينها، والسماء تلقي بقذائف نيرانها، وبعد اثنين وعشرين يوماً هزمت روسيا، روسيا هزمت، ثلاثة فرق، سبعة وعشرون كتيبة، وخمس كتائب روسية، وتأتي النتائج بالأعداد والأرقام، ليس منا ولا من المجاهدين، من الأمريكان الذين يصورون بالأقمار الصناعية الأمريكية فوق المعركة، وينقلون بالصور وإعدادها إلى السفير الأمريكي في إسلام آباد، ويجتمع بالصحفيين ليعطيهم النتائج، يقول الأمريكان : -طبعاً الروس لا يستطيعون أن ينكروا ويجحدوا صور وحقائق وأرقام، هذه الطائرة، هذا الدبابة، نوع الطائرة، نوع الدبابة، ومتى سقطت؟ في أي مكان؟ -مائة واثنان وعشرون دبابة دمرت وآلية، 122 دبابة، 9 طائرات سقطت، ألف وخمسمائة قتيل، الجرحى لا يعدون، في يوم واحد من هذه المعركة وصل لمستشفى واحد في كابل اسمه (علي آباد) مائة وسبعون جريحاً، مقابل ماذا كل هذا؟ كنا نقابل هذه الأساطيل البرية والجوية بأربع سيارات (بيك آب) تيوتا، ما نجد والله عندما نريد أن نبعث سيارة للخبز، لا نجد سيارة حتى تنقل الجرحى، مقابل ذلك ستين شهيداً، ستين شهيداً، والسيارات الأربعة، نظر الله إلى المجاهدين فوجدهم فقراء لا يملكون شيئاً فأبقاها لهم، ما دمرت ولا سيارة، 122 دبابة دمرت ناداهم هذا الجنرال، الجنرال قتل الذي

يقود المعركة، في داخل المعركة ناداهم، لماذا تصيب قذائفهم ولا تصيب قذائفنا؟ قالوا له :
معهم عرب مصريين وغير مصريين مدربين، يعني خريجي كليات عسكرية وأكاديميات،
يتقنون هذا، وكلهم خريجين المدارس، مثل هذه المدرسة، في قندهار -طبعاً نحن التعليل
معروف عندنا-

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: 17).

الشهداء العرب وكراماتهم

الشباب، استشهد ثلاثة عشر شاباً عربياً، سبعة منهم دماؤهم اللون لون الدم والريح ريح
المسك، سبعة دماؤهم ما جفت، علي الليبي، حسين الليبي، نور الحق المغربي، سبع الليل
اليمني، أبو خالد الجزائري، سبعة دماؤهم كالمسك أبو حفص الأردني، يحدثني شاعر
الزنداني، نحن كنا بعيدين في الخط الثاني والشباب هؤلاء في الخط الأول، يحدثني لما أصيب
أبو حفص الأردني سقط على وجهه، قال فظهر التراب الأبيض على وجهه فاقتربنا لنمسح
التراب الأبيض ونحمله، وإذا بالتراب الأبيض نور، قد استثار وجهه كالبرد، حملناه في
(الباتو) الباتو الشال الأفغاني (القطيفة) هذا الذي يضعوه على أكتافهم، انهال عليهم الرصاص
من كل مكان، رمينا أبا حفص فجاء ساجداً، تركناه، رجعنا إليه في اليوم الثاني وجدناه ساجداً
كما هو، والإنسان عندما يموت يتخشب، يتصلب، ينتثي كالنائم مدوا رجليه، مدوا يده، دفنوه،
النور يخرج من مكان دمه، قصة النور هذه في المأسدة، في المأسدة الآن، عندنا خمسة يخرج
النور من قبورهم، ولاحظنا أن النور يخرج في أيام الإثنين والخميس، هشام ابن الدكتور عبد
الوهاب الديلمي، أبوه أستاذ في جامعة صنعاء، استشهد قبل شهر، قبل أربعة عشر يوماً تقريباً
أربعة من الحراس العرب يرون النور يخرج من قبره -هو زكريا الفلسطيني بجانيه- إلى
السماء ثم يعود على شكل قوس إلى قبره، لو حدثتكم عن كرامات العرب التي رأيناها.. أما
قصة الأفغان وكراماتهم فهي متواترة تفوق حد التواتر وعبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود
من نجد، النور يخرج من قبورهم كذلك، عبد الله الغامدي التكبير يخرج من قبره، عمره
حوالي 18 سنة، العرب لأن معظمهم قادمون بنية صادقة وإخلاص مندفع إلى الله، يحب
الشهادة متربي غالباً، عنده شيء من التربية الإسلامية، والله عز وجل نظر إلى غربتهم وإلى
هجرتهم وإلى رباطهم وإلى العقبات التي تخطوها حتى وصلوا هناك، فأكرمهم الله، هذا يحيى
سنيور من جدة، سنة أولى في جامعة الملك عبد العزيز، ترك الجامعة وجاء إلى هناك،
استشهد وقضى الله أن تنقل جنته إلى بيشاور، استشهد على الحدود، لم يبق أفغاني ولا عربي
إلا وشم رائحته، بقي المستشفى أسبوعاً كاملاً رغم العقاقير الطبية (الديتول) أنتم تعرفون
رائحة المستشفيات، كلما فتحت الغرفة التي كان فيها يحيى سنيور، يفيح الطيب في كل

المستشفى، زوج ابنتي معنا يعمل في الجهاد، قال أنا راكب في السيارة ويحيى في سيارة الإسعاف على بعد نصف كيلو إلى كيلو ورائحة المسك في أنفي تعبق من سيارة يحيى، دفنوا يحيى، وتكمل القصة ابنتي، قالت لي : رجع زوجي فخرجنا نزور جيراناً لنا في بيشاور، وكانت معنا زوجة أحد الجيران، مجرد ما جلسنا في السيارة بدأت رائحة العطر تملأ السيارة، فأخذ قلبي يغلي على جاريتنا هذه التي لا ترعوي ولا تتزجر من دين ولا من حديث ومسكت نفسي حتى نزلنا وبدأت أقرعها وأؤنبها، ألم تعلمي (أيما امرأة تعطرت وخرجت ليجد الناس ريحها فهي زانية) قالت: رويدك لا تؤنبي ولا تقرعي، والله ما مسست عطراً، قالت: وأنا ما مسست عطراً، أنت يا محمد -لزوجها- مسست عطراً؟ قال: والله ما رأيت العطر ولا مسسته، قالت : إذن من أين هذا العطر الذي يفوح في هذه السيارة؟ قال : لقد عدنا من تشبيع جنازة يحيى،

العرب لهم دور كبير في داخل أفغانستان، وهم حديث الساعة الآن في داخل أفغانستان لحب الأفغان لهم، وللدور الذي ينتظرهم، أما حب الأفغان لهم، بمجرد أن يروك ويعرفون أنك عربي يطوقك أحد بذراعه، يا حفيد رسول الله جئت تدافع عن بلادي، العربي له احترام في قلوبهم، حتى في قلوب الشيوعيين منهم، المليشيا التي تعمل مع الدولة، أكثر من مرة، أحد إخواننا في هرات قال كنت مع المجاهدين، فصارت معركة بين المجاهدين وبين المليشيا الأفغانية -أي الذين يتبعون للدولة- اتصل المجاهدون بهم، قالوا : عندنا ضيف نخشى أن يقتل وهذا عيب عليكم، قالوا: إذا عندكم ضيف نحن نرسل له سيارة نبعده عن محل الخطر، أرسل الشيوعيون سيارة وأبعدون عن محل الخطر وعادت المعركة بينهم.

أصالة، أحد إخواننا بعد المعركة -اسمه أحمد المبارك- تاه (أخطأ) في الطريق، دخل بستاناً، جاء صاحب البستان، قال : أنت عربي؟ قال : نعم أنا عربي، قال له: هنا شيوعيون والقرية كلها شيوعية وهنا المطار وهنا القاعدة الروسية وهنا القاعدة الشيوعية ما الذي جاء بك؟ قال : أنا تهت ودخلت، قال: أنت في أمان، شيوعي أفغاني، لكن لما رآه عربي قال : حق الضيف يوجب علينا أن نرعه، أكرموه، شاي وزبيب، ثم جاءه بسيارة ومسلحين ثلاثة، قال : أين تريد أن تذهب، قال : أريد أن أرجع إلى قاعدتي، حملوه في السيارة وعلى الطريق أخرجوا له كمية من المال، قالوا : خذها تستعين بها على قضاء حاجتك لأنك غريب، قال لا أريد المال، أوصلوه إلى قاعدته ثم عادوا إلى القرية الشيوعية، محل احترام عجيب للعربي.

فقط العربي الذي يعرف كيف يدعو إلى الله، ونحن نوصي إخواننا على أنهم في بداية الأمر هؤلاء القوم أميون لا يعرفون الصلاة إلا على المذهب الحنفي، فإذا خالفت طريقتهم في المذهب الحنفي في الصلاة يظنون أنت جئت بدين جديد، وعندهم تشويش من الإذاعات

العالمية ومن المخرفين ومن الصوفيين على أن العرب جاءوا يهدمون مذهبكم فانتبهوا، فنوصي العرب، لا تضع يدك هنا على الصدر، نزلها قليل، وإذا في عليك إثم ضعه في رقبتى ورقبة ابن تيمية، لأن ابن تيمية أفتى بهذا، ولا تحرك أصبعك هكذا، خلاص يا أخي أترك هذا الكلام، أتركها قليلاً، وما ترفع يديك عند الركوع وعند الرفع فيه، وتعالوا هذه فتوى ابن تيمية في اختلاف الأمة في العبادة: أنه من المستحسن والمفضل إذا أدت المستحبات والمندوبات إلى نفور القلوب أن نتركها، ثم استشهد ابن تيمية بحديث الكعبة (لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على أسس إسماعيل)، إلى آخر الحديث، ثم قال : ولذلك قال الإمام أحمد : يستحب الجهر بالبسملة في المدينة لأنهم كانوا يجهرون بالبسملة، لماذا ؟ وحدة القلوب وحب الناس فرض، وهذه هيئات الصلاة مستحبات، أحسن أحوالها أنها مندوبات مؤكدة، والفرض مقدم على السنة باتفاق العلماء، فقط صلّوا مثلهم شهر شهرين، فعندما يحبونكم يعطونكم قلوبهم ونفوسهم وكل شيء، مرهم بما تشاء، وجههم بما تشاء تصبح إمامهم ومرشدهم رغم صغر سنك وقلة تجربتك، لا يفعلون فعلاً إلا ويرجعون إليك أنت ابن العشرين، يرجع القادة الكبار الذين هزّوا الأرض تحت روسيا في كل صغيرة وكبيرة، قال لي أحد الشباب المتحمسين الراجعين إلى الله جديداً، المخلصين، كيف نترك السنة ؟ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قلت له : تعال أنا وإياك وابن تيمية، تقبل ابن تيمية، قال : أقبّل، قلت له : خذ هذه الفتوى، ثم قلت له : أقربها إليك، أنت عندك فرض وعندك سنة، الجهاد فرض وهذه سنن، إذا تعارض الفرض مع السنة، أيهما تقدم؟ أنت استيقظت قبل طلوع الشمس بدقيقتين، ليس عندك خيار إما أن تصلي السنة أو الفرض، أتصلي الفرض أم تصلي السنة، قال: أصلي الفرض، قلت له صل الفرض في أفغانستان واترك السنة قليلاً، اعمل في الجهاد، أصلح هذه الأمة، أزل كثيراً من البدع.

الجهاد الأفغاني إلى أين ؟

يا أيها الاخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لو سألنا أنفسنا لماذا خلقنا ؟ الله عز وجل يجيب على هذا السؤال ..

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنْ لِلَّهِ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذريات:56-58).

مهمتنا في الحياة

إذن، مهمتنا في الحياة تحقيق العبودية لله عز وجل ؛ لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ثم أداء الشعائر من العبادات وتطبيق ما أمر الله عز وجل به من المعاملات، إذا استطعنا أن نطبق دين الله عز وجل في أية بقعة، فعلينا أن لا ننسى في أية لحظة أ، المهمة الأولى لحياتنا هي عبادة الله عز وجل، فإذا ولدنا في بقعة من البقاع، ثم تسلط عليها الأقرام والروبيصات ولم نستطع أن نغير، ولم نستطع أن نعبد الله كما أمر فعلينا أن نبحث عن قطعة أخرى نعبد فيها الله عز وجل كما أمرنا :

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (العنكبوت:56-59).

إذن المهم ؛ تحقيق العبودية في الأرض، إذا لم نستطع في هذه الأرض فأرض الله واسعة وإيائي فاعبدون، وإذا كنتم تخافون على حياتكم وعلى أرزاقكم فإن الله تكفل بذلك ..

﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت:60).

هذه الآية تابعة رأساً للآيات (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) .

إذن المهم ؛ أن نحقق عبودية الله، عبوديتنا لله في الأرض في أية بقعة من البقاع، فإذا تعذر علينا أن نقيم العبادات وأن نطبق ما أمر به رب الأرض والسموات في هذه الأرض قربنا سبحانه يفرض علينا أن ننقل إلى بقعة أخرى، وإذا بقينا في هذه البقعة التي لا نستطيع فيها أن نقيم عبودية الله في أنفسنا وأن نزالو الشعائر كما أمرنا، فإننا نموت مستضعفين وقد تكون نهايتنا جهنم -والعياذ بالله-...

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا

الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (النساء: 97-99).

أورد البخاري؛ أن هذه الآية نزلت في المؤمنين في مكة، الذين بقوا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر حياء بجانب أبي جهل، فعندما قتل بعضهم في بدر قال الصحابة رضوان الله عليهم: لقد قتلنا إخواننا المؤمنين الذين خرجوا خوفا وحياء فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً - أي لا يثبتون على الدابة ولا يستطيعون أن يركبوا في السيارة أو الطائرة - وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا - أي لا يعرفون الطريق إلى المجاهدين وأرض الهجرة - فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

الخوف على الرزق

وإن كنتم تخافون على أرزاقكم في الهجرة وترك أوطانكم فإن الله عز وجل تكفل لكم بالرزق بالهجرة (ومن يهاجر في سبيل الله) بعدها بآية رأساً..

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاحًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: 100).

هذه الآيات كلها تجيب على السؤال الذي يقفز إلى أذهانكم ويتبادر إلى خاطر كل واحد منكم؛ لماذا عبد الله عزام يقاتل في أفغانستان ولا يقاتل في فلسطين؟ أنا مسلم، أمرني ربي أن أقيم الشعائر وأمرني أن أؤدي من الشعائر شعيرة الجهاد، وعبادة القتال، وعبادة الجهاد الفرض السادس في الإسلام، بل إذا اعتدى الكفار على شبر من أراضي المسلمين يتقدم فرض القتال وتتأخر الأركان الخمسة إلا الشهادتان فإنها تتقدم على عبادة الجهاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه، يعني أولاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبعد ذلك تأتي فريضة الجهاد، وفريضة الجهاد لم يتركها الفقهاء ولا رسول الله ﷺ إلى تأويل المتأولين أو تفسير من أراد أن يفسرها على هواه أو على حسب حالته ووظيفته..

معنى الجهاد

قال ابن رشد: وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وهذا التعريف هو المصطلح الأصولي الشرعي لكلمة الجهاد إذا أطلقت، وكذلك كلمة في سبيل الله إذا أطلقت في الشرع كما يقول ابن حجر في فتح الباري: وكلمة في سبيل الله إذا أطلقت فالمتبادر منها الجهاد، والجهاد هو القتال هكذا عرف الحنفية الجهاد، والشافعية والمالكية والحنبلية؛ أنه قتال الكفار بالسلاح، والذين يريدون أن يميعوا المصطلح الشرعي لكلمة الجهاد، فالفقهاء لا يقبلون هذا، لأنه يخرج عن المصطلح الذي اتفق عليه الفقهاء. إذن فريضة القتال واجبة على كل مسلم يستطيع أن يحمل السلاح، والقضية لا يجوز أن تناقش من وجهة سياسية أو وجهة مجتمعات تعيش تحت الضغوط، لتعد على الناس الأنفاس ونبضات القلوب، لا.. الإسلام له مصطلحاته الشرعية، فإذا لم نستطع أن نعبد الله في هذه الأرض فلنهاجر إلى أرض أخرى نستطيع أن نعبد الله، وإلا فإننا نموت مستضعفين في الأرض ونقول لنا الملائكة (فيم كنتم؟) فنقول لها: (كنا مستضعفين في الأرض) فأرجو أن لا يكون الجواب (فأولئك مأواهم جهنم وساعت مصيرا)، يجب أن ننظر إلى القضية نظرة شرعية كمسلمين، لا أن ننظر لها من خلال تحليلات سياسية ولا من خلال نظرات قومية ضيقة، أنا مسلم وظيفتي عبادة الله في الأرض، يجب أن أقيم دينه حيث استطعت، فكما أنني أبحث عن عمل في الكويت، فإذا فقدته أبحث عن عمل في السعودية، ثم أبحث عن عمل في الأردن فإذا وجدت عملا في أقصى الأرض أشتغل به، فوظيفتي كمسلم أن أقاتل في أرض الأردن، في أرض فلسطين، فإذا فقدت وظيفتي، يجب أن أبحث عن وظيفة أخرى في باكستان، في أفغانستان، في الفلبين.. المهم أن أجد وظيفة أعمل بها عند رب العالمين، فأنا كنت موظفا في مؤسسة ربانية في فلسطين في الجهاد، ثم سحق العمل الفدائي في الأردن وأغلقت الحدود، ووضعت في الأيدي القيود، وقتلت الأنفاس، ومنع التفكير الجهادي بين الناس، عندها فكرت، أين يوجد جهاد في الأرض؟ فوجدت بقعة اسمها أفغانستان فحاولت أن أصل إليها، وأرجو أن أكون صادقا، فيسر الله السبيل لي للوصول إليها. إذن..

لما خانت الدول

أنا ما خنت عهد الله

إذ جل الورى خذلوا

وفي ساحاتها جاهدت

فعندما غل كف البذل، وانقطعت بنا الحيل، بحثت في الأرض أين أستطيع أن أقيم هذه العبادة؟ فما وجدت طريقاً، بقعة أستطيع أن أقيم بها هذه العبادة إلا أفغانستان، والله عز وجل

من عليّ بتذوق حلاوة الجهاد في فلسطين سنة 1969م - 1970م، ثم حيل بيننا وبين الجهاد، وأصبحت الرصاصة جريمة يؤخذ بصاحبها بالنواصي والأعناق، عندها لا يجوز أن يبقى الإنسان مستضعفا في الأرض فليبحث عن مكان يستطيع أن يحقق به عبوديته لربه، ولو كان فريدا..

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ (النساء: 84).

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم، وقبلهم رسول الله ﷺ هذه الآية على ظاهرها، في الحديث الصحيح "عجب ربنا لرجل انخذلت فئته فعلم ما عليه فرجع فقاتل حتى قتل".

وعندما سئل أبو إسحاق البراء : الرجل يهاجم على القوم وحده أيكون تهلكة ؟ قال : لا، إنما هذه في النفقة ..

﴿لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: 195).

هذه في ترك النفقة في سبيل الله، فالتهلكة هي ترك الجهاد في سبيل الله وترك النفقة في سبيل الله، لقد أنزل الله على نبيه ﷺ فقال : (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)، يسر الله لي السبيل، وأنا أشعر بمنة ربانية عظمى ونعمة إلهية كبرى عليّ إذ أوصلني إلى أرض الجهاد، وما أشعر بنعمة إلهية بعد التوحيد أكبر على قلبي من نعمة تيسير الجهاد الأفغاني لي، لأنني وجدت نفسي، اكتشفت نفسي كمسلم، وأدركت أنني أعز إنسان على الأرض إذا حملت السلاح وسرت فوق البقاع، عندها...

هاتف والصعاب تحدق فيه وهو في ساح الزمان وحيد

مسلم يا صعاب لن تقهريني صارمي قاطع وعزمي حديد

لا يوجد أقوى من المسلم فوق الأرض جميعا، لا يوجد أعز من المسلم بشرط واحد ؛ أن يجاهد، عندها تهون الحياة وما أصغر الحياة، وفعلا أدركنا معنى قوله ﷺ "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها".

ولذلك ؛ أعيش من أفغانستان، فأشعر أنني سمكة دخلت مائها، ونفسي ضائقة وجدت روحها وريحانها، فإذا خرجت من أفغانستان لزيارة أهلي في بيشاور على الحدود الأفغانية ضاقت نفسي، فإذا زادت الشقة زادت المشقة على نفسي، فإذا وصلت الحرم انكتمت أنفاسي وأنا أطوف بالحرم، أشعر بالضيق الشديد لأنني بعيد عن أرض الجنة أرض الجهاد والجلاد، رغم أنني والله أطوف بالبيت العتيق، لكنني أعلم أن الرباط كما قال رسول الله ﷺ " لأن أرباط

ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود" فرباط ليلة في ربيع الأول أو شعبان في أفغانستان خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود، أما المعارك فتلك منزلتها لا تداني "قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة" كلها أحاديث صحيحة صححها الألباني في صحيح الجامع.

إذن بعد ذلك ليلمني من يلوم، وليعتب من يعتب، وليرمني بعينه شزراً من أراد، وليحلل الناس كما حللوا لهم أن يحلوا، ليعتبروني مخطئاً، متهوراً، متحمساً، ما إلى ذلك، عاطفياً، قولوا ما تشاءون، أنا ربي قال لي:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ (النساء: 95).

﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: 95-96).

ما هي الدرجات؟ فسرنا حديث البخاري "إن في الجنة لمائة درجة، فرق ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله".

إذن رتبوا في قوائمكم كما تشاءون، وقولوا هذا فلسطيني عاق لقضيته خارج من أرضه وهو متيم في هوى الغرياء، فقولوا ما شئتم، أما أنا فبالنسبة للجهاد أردد:

وقف الهوى بي حيث أنت

فليس لي متأخر عنك ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيدة

حبا بذكرك فليلمني اللوم

أنا متيم بحب الجهاد الأفغاني، لأنني وددت الإسلام حقاً هناك، لا أريد أن أكذب على نفسي، ولا أريد أن أربت على شهواتكم، ولا أن أدهمكم، ولا أن أربت على أكتافكم، ولا أن أداري عواطفكم، دين الله لن يقوم إلا بالجهاد، والجهاد هو القتال، لله قانون في نصرته عباده، يبدأ بالمصلحين في الأرض، فتنجمع حولهم فئة، تقوم معركة بينها وبين الجاهلية، تبدأ بالكلام، ثم تتولى الحركة الإسلامية أو الجماعة هذه أن تكون الصاعق الذي يقود المعركة، ويفجر طاقات الأمة، يلتف الشعب حولها، تسير مسيرتها يسقط على الطريق من يسقط، ويتراخي من

يتراخي، ويتراجع من يتراجع، ويثبت من يثبت، والثابتون في نهاية الطريق يجعلهم الله ستارا
لقدره، ويمكن لهم في الأرض..

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: 55).

قولوا عن الجهاد الأفغاني ما تريدون، أما أنا فأدرك ما هو الجهاد الأفغاني وما أثره في
حياة الأمة المسلمة شرق الأرض وغربها، أدرك أنه لم يهزّ الأمة الإسلامية من منامها، ولم
يقفلها من سباتها، بل هزّ المعمورة بأسرها، وللأسف إن أعداءنا يدركون أبعاده وخطورته
أكثر منا، يدركون ما هو الجهاد الأفغاني، أما الذين يريدون أن يأخذوا دينهم وعقائدهم من
أقوال الصحفيين الحاقدين على ديننا وعلى الجهاد الأفغاني بالذات، فليأخذوا عقائدهم من حيث
شاءوا، أما عقيدتنا وديننا فنأخذها من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ .

خسائر بالأرقام

يقول بلُوف: إن خسائرنا في داغستان أمام الشيخ شامل قد أفقدنا من المعدات والأرواح ما
يكفينا لأخذ الأقطار ما بين مصر واليابان، فإذا كانت خسائر الروس في داغستان تكفيه لغزو
المنطقة ما بين اليابان ومصر، فليت شعري ماذا كلفتهم الخسائر في أفغانستان؟! إن خسائرهم
في أفغانستان تكفيهم لأن يقبضوا بيد حديدية كل الأقطار في العالم الإسلامي، لقد فقدت روسيا
في داخل أفغانستان حسب إحصائية الأقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية ثلاثة
أضعاف ما يملكه حلف وارسو من الدبابات؛ سبعة عشر ألف دبابة دمرت في أودية
أفغانستان، واستهلك وسقط وخرّب للروس في أفغانستان حتى بداية سنة 1989م ما يساوي
أربعة آلاف ومائة وستين طائرة، وخرّب لها ودمر واحد وعشرين ألف سيارة، وقتل لها -
باعترافهم- خمسين ألفا بين قتيل وجريح، زيادة عن خمسة وأربعين مليوناً من الدولارات
كانت تدفعها كل طالع شمس في أفغانستان، أما الحزب الشيوعي والجيش الشيوعي في
أفغانستان فقتل منهم مائة ألف، وأسر مائة ألف، فماذا أمام روسيا إلا الهزيمة النكراء التي
ستحدث بعدها للأجيال، أن النزال مع أهل العقيدة والإيمان مغبة لا تحمد عواقبها.

ولذلك؛ جورباتشوف قال بنفسه ؛ إن أفغانستان جرحنا النازف، وهو يعترف الآن هو
وزير خارجيته (شيفر نادزه) إن الدخول في أفغانستان كان انتهاكا للحرمة الإنسانية، الآن
بعد ماذا ؟ بعد أن دوخت أفغانستان جورباتشوف، لقد ماتت ثلاثة من رؤساء الاتحاد السوفياتي
في أربعة سنوات، وجاء الرابع وكل واحد منهم يقول : سأنهي مهزلة أفغانستان ويقتله الله عز
وجل، ثم يمض إلى ربه ملعونا وإلى جهنم وبئس المصير مصابا بالجلطة الأفغانية، ثلاثة

يموتون في أربع سنوات، أنتم فكروا، استالين حكم ثلاثين عاما، خرتشوف عشر سنوات، بريجنيف خمسة عشر عاما، أندروبوف تشرنكو في أربع سنوات يموتون، كيف يموتون؟
التقى الدعاء مع القدر.

بغى وللبغي سهام تنتظر
أنته في أيدي المنايا والقدر
سهام أيدي القانتات في السحر
يرمين عن قوس لها الليل وتر

محاولة أخيرة من غورباتشوف

جاء جورباتشوف وقال كما قال السابقون : سأنهي مهزلة أفغانستان، كيف تتهيأ؟ تفضل
صل وجل، لم يكن لك عبرة في مصارع الغابرين، ولعلكم لم تتعلموا من سالف دهركم أن
نزال الأفغان قضية تنتهي بمقبرة الغزاة.

ضياء الحق - رحمه الله - من عدة سنوات، من سنة 1983م كنا في ندوة جاء افتتاحها قال
: التقيت مع السفير الروسي، فقلت له : أنتم غزوتم الفضاء، وجاوزتم الجوزاء، ولكن يبدو
أنكم لم تدرسوا التاريخ؟! قال : كيف؟ قال : لو درستم التاريخ ما دخلتم أفغانستان، ألا تدرون
أن أفغانستان صخرة تحطمت عليها كل قوى الغزاة؟! من سنة 1983م قالها ضياء الحق،
وكان يدرك أن روسيا ستتهزم كما انهزمت من قبلها بريطانيا التي كانت عظمى، وكان بداية
تحطيمها في أفغانستان.

بداية أقول بريطانيا في أفغانستان 1842م فقدت بريطانيا جيشا كاملا عداده سبعة عشر
ألفا، لم ينج منه إلا دكتور برايدين، 1880م فقدت جيشا بكامله في خورد كابل، و1919م
هزمت في داخل أفغانستان، ولحقها الأفغان إلى الهند، وخشي تشرشل أن تحتل أفغانستان
الهند فأعلن استقلال أفغانستان من لندن، كل مرة يريد أعداء الله أن يفرضوا على أفغانستان
حاكما لا يرضونه يدفعون الثمن غاليا، والضرائب فادحة والخسائر عالية من الأرواح
والأموال، حاولت بريطانيا أن تفرض عليهم حكاما لا يرضونهم فتحطمت، حاولت روسيا الآن
أن تفرض عليهم حكاما لا يرضونهم فتحطمت، ولأول مرة يهزم الجيش الأحمر في معركة
من المعارك، وما هي المعركة؟ حرب عالمية ثالثة، حرب عالمية ثالثة، من طرف شعب
فقير أعزل أمي، لا تكتيك لا تصميم لا بترول لا أموال، ولا شيء، الله انتقاها لتكون عبرة
واضحة للأمة المسلمة، هذا شعب وأمامه أقوى قوى الأرض البرية جميعا، وأشرس وحش في

هذا القرن، أشرس وحش دخل المعركة في هذا القرن؛ الاتحاد السوفياتي، مقابل شعب أعزل، هزمت روسيا، والذين يقولون: أن روسيا قد انسحبت بلعبة دولية، ومقايضات عالمية، بمعاهدة جنيف، هؤلاء حاقدون على الإسلام، لا يريدون أن يعترفوا بالحق، فليسألوا سيدهم الذي في الكرملن جورباتشوف كيف انهزم في أفغانستان؟ لقد استمات جورباتشوف أن يحصل على ورقة يوقع عليها المجاهدون حتى يحفظ بقية ماء وجهه أنه انسحب بمعاهدة مع المجاهدين ولم يستطع، ويظلم الناس الجهاد الأفغاني عندما يضعون بجانبه قتال فيتنام، أي قتال هذا بجانب هذا الجهاد المبارك العظيم؟ أمريكا كانت تنقل معداتها من وراء البحار على بعد آلاف الأميال، وروسيا كانت تصنع الدبابات والطائرات فقط لا يلزمها إلا أن تقطع الجسر، ثم تجربها في داخل أفغانستان، والذي أخرج أمريكا من فيتنام شعب حي يضغط على رئيسه، ويخضع لقراراته من خلال الكونغرس وغيره، أما الشعب الروسي فهو كما قلوا عندنا في المثل العامي الفلسطيني (قلة وذلة وكحل أسود) لماذا؟ شعب لا يستطيع أن يتنفس، جورباتشوف قال للجنرالات: بعد سنتين من تجربته في أفغانستان، في سنة 1987م- لقد قررت الانسحاب من أفغانستان، قال له الجنرالات: إن سحبنا بهذه الطريقة المهينة الذليلة لن نعود بيدك تلك العصى السحرية التي تهزها في وجه حلف الأطلسي، ماذا تريدون؟ دعنا هذا الصيف، سنضرب الحدود ونحتل القواعد الحدودية ثم نغلق الحدود ونخنق الجهاد في داخل أفغانستان، قال لكم ذلك، وشن الجنرالات هجومات شرسة وقاموا بمعارك ضاربة كان لي شرف شهود معركة واحدة، والله يا إخوان: إن الجبال كانت تميد تحت أقدامنا، الجبال العالية تهتز تحت أرجلنا، تصوروا.. كان هنالك ألف مجاهد في منطقة اسمها جاجي في بكتيا، ألف واحد، وكان معهم مجموعة من العرب حوالي ثلاثين واحداً، شنوا عليهم حملة مكونة من ثلاث فرق؛ فرقة غزني وجرديز وكابل، بالإضافة إلى خمسة كتائب روسية، بالإضافة إلى كتيبة أو اثنتين من إسبك ناز، هذه كتائب التدخل السريع، كل واحد مفروض به أن يحمل فوق ظهره حقيبة وزنها ستين كيلو جراماً وهو يسلق الجبال، يربونهم لقطاع من الصغر على حب رؤية الدماء، على الغلظة والشدة وما إلى ذلك.. يدرّبونهم من الصغر.. ودارت المعركة، معهم الطائرات (سيخوي 25 ومج 27)، الطائرات لا تسمعها إلا بعد أن تمر، لأنها أسبق من الصوت، معهم ستة وعشرون راجمة صواريخ، كل راجمة تقذف واحداً وأربعين صاروخاً دفعة واحدة، واستمرت المعركة بهذا الشكل، مدفعية الميدان، راجمات الصواريخ، الطائرات القاذفة، الهاون، الدبابات الآليات، المدرعات، ومقابل ذلك ألف من المجاهدين، كنت أنا والشيخ سياف، كان الشيخ سياف وحكمتيار في المعركة، والأستاذ رباني جاء كذلك، كنت أنا والشيخ سياف في نفق من الأنفاق، وكان يدير المعركة، قال لي: أنظر يا شيخ عبد الله هذه الأساطيل

كلها الجوية والبرية، وانظر إلى أسطولنا المكون من أربع سيارات تيوتا (بك أب) إذا أرسلنا واحدة للخبز لا نجد ثانية لنقل الجرحى، أو ثلاثة لنقل الشهداء.

استمرت المعركة اثنين وعشرين يوما بهذا الشكل، لا يأمن أحدنا والله أن يقضي حاجته، كنا إذا خرجنا لقضاء الحاجة نجدها من أشد الأوقات علينا، ليس خوفا من الموت بل خوفا من أن تأتينا الشهادة ونحن على هذا الحال، أحد إخواننا خرج لقضاء حاجته، القذائف التي تلقىها الطائرات طن كامل، تنزل في الأرض تخرج النبع، رأيت النبع يعني هاتين إثر قذيفة من القذائف خارجة من الأرض، فالروس صاروا يستعملونها بالمظلات، وبينما كان يقضي حاجته نزلت قذيفتان في مظلتين، قال: اللهم لا تمتني على هذا الحال، نزلت القذيفتان حوله ولم تتفجر أي منهما، ولو انفجرت واحدة لطار في الهواء، ولقتل بهواتها، لا بشظاياها.

وانسحب الروس وهزموا وكانت النتيجة كما جاءتنا بأجهزة التنصت والأقمار الصناعية، ولذلك أدق المعلومات كنت تجدها عند هؤلاء، أصحاب أجهزة التنصت الذين ليسوا من المجاهدين، من الأمريكان الذين تنقل أقمارهم الصناعية وترسل مع الصور أرقام الطائرات والدبابات؛ هزمت روسيا، تدمير 122 دبابة وآلية، إسقاط 9 طائرات، قتل ألف وخمسمائة، الجرحى لا يعدون، مقابل ذلك سبعة وخمسون شهيدا، بعد أن انتهى الصيف جاء الجنرالات رافعي أيديهم إلى جورباتشوف، خلاص، وعندها أدرك جورباتشوف والجنرالات أنه لا يمكن الاستمرار في المعركة أبدا، وكانت القضية قضية وقت، وقال للأمريكان ابحثوا عن البديل لنا في أفغانستان، وكان الأمريكان خائفين أن يسقط الدب الروسي تحت أقدام الشعب الفقير الأعزل، حافي القدمين، وتصبح ظاهرة فريدة.

مواقف الرجال

الأمريكان والدول التي تسمى نفيها خبيرة، بحثوا عن مخرج، بمؤامرة جنيف ضغطوا على ضياء الحق رحمه الله، رفض أن يخضع، سلطوا عليه رئيس وزرائه جونيجو، رفض أن ينفذ المعاهدة، قال: سأقدم بك تقريرا للأمم المتحدة وللأمريكان وروسيا، فأطاح به ثم بعد ذلك قال له: بعد أن أطاح به- : أعلم أنني سأطبق الإسلام وإن كلفني ذلك عرشي ونفسي وأهلي، وسأقف مع المجاهدين الأفغان حتى أودع آخر واحد منهم على بوابة خيبر معززا منتصرا مكرما. أمسك به وزير داخلية أسلم ختك قال: يا ضياء الحق سيقنتك الأمريكان، قال له: إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، والرصاص التي كتب عليها أن تقتل ضياء الحق لن تخطئه أبدا، وكان يدرك أن الأمريكان سيقنتوه، جمع قادة الجهاد وقال لهم: الآن دور تصفيتي وتصفيتم جسدنا، ولا أدري من السابق إلى الله منا، ثم قتل ضياء،

ولكن القتل كان متأخراً جداً، لأن القدر ليس بيد البشر، إنما هو بيد رب البشر، كان الجهاد الأفغاني قد تجاوز المخاض، قد تجاوز المرحلة الصعبة عندما قتل ضياء الحق، وخرج الجهاد من عنق الزجاجة، ولذا أدرك الغرب الآن أن قضية أفغانستان فلتت من أيديهم، حاولوا كثيراً مع القادة فوجدوهم كما يسمونهم منذ زمن بعيد -الانجليز يسمون الأفغان (التيس الجبلي)- فوجدوهم تيوسا جبلياً في عالم السياسة، لا تلين ولا تستلين، خشبة! لا يمكن أبداً أن تعترض أو تكسر أبداً، جلسوا معهم، حاولوا أن يجلسوا معهم، من رؤسائهم إلى سفرائهم وهم أحياناً يرفضون، أحياناً يؤجلون، أحياناً يماطلون، وأحياناً يجلسون ويسمعونهم ما ييغضون ويكرهون.

حكمتيار أحد عشر ساعة في نيويورك والسفير الباكستاني يريد أن يقنعه أن يلتقي بريغان، قال : لن ألتقي بريغان، ريغان يريد أن يجلسني بجانبه ليتصور معي ليقول لخورباتشوف في اجتماعه المقبل بعد شهر أن الأفغان تحت إيطي، لن أجلس مع ريغان، السفير الباكستاني ما صدق أن بشراً يرفض أن يجلس مع ريغان -كانت دورة الأمم المتحدة- ستون ملكاً ورئيساً على قائمة ريغان يرفض مقابلتهم وهو يطلب مقابلتك وترفض؟! قال : نعم، وإذا أصررتم سأغادر أمريكا الآن، ثم ريغان أرسل له رسالة بيد ابنته بعد ذلك بنته اسمها (مورين ريغان) ناولته الرسالة، قرأها قالت له : والدي ينتظرك هذه الليلة في البيت الأبيض.. بيت أبيض، وانهارك أبيض، ورفض تدخل في بيت أبيض؟! لتقابل الجنس الأبيض!! قال : أنا متأسف عندي موعداً في أنديانا مع المهاجرين الأفغان، رأيت دعوة الكونجرس له، لقد ضربتم المثل الحي للشعوب التي تريد أن تتحرر من العبودية، فيشرفنا أن ندعوكم لحفلة شاي مع رجالات الكونجرس لتشرحوا قضيتكم لنا" قال : ريغان والكونجرس وجهان لعملة واحدة، لن أجلس معهم.

الشيخ رباني ذهب بعده إلى الأمم المتحدة، طلب ريغان مقابلته، قابل ريغان، بعد أن خرج من عند ريغان كتبت الصحف الأمريكية، لأول مرة في تاريخ ريغان وقد يقول في وجهه لا، قال له ريغان : أرسلنا لكم الأسلحة هل وصلت ؟ فأجابه الأستاذ رباني إجابة ساخرة لاذعة، قال له : نحن ننقل ذخائرنا وسلاحنا على الحمير والبغال تبقى شهراً من جنوب أفغانستان حتى تصل إلى شمال أفغانستان، الحمير الأمريكية التي تحمل أسلحتكم يبدو أنها لم تصل بعد.

يونس خالص قابل ريجان قال له الشباب : لماذا تقابل ريغان؟ قال : خشيت إن سألني ربي كيف تفلت فرصة تعرض بها الإسلام على رجل كافر فلا أستطيع أن أجيبه ؟ قال لهم : أكتبوا لي بالانجليزي لماذا يجب أن يعتنق الإسلام؟ قبل أن أدخل عليه -الشيخ يونس عمره فوق السبعين، لحيته محنية- فدخل على ريغان، قال له : أنا أنصحك أن تعتنق الإسلام، ريغان بدل

ما كان في موقف الهجوم صار يدافع، قال : أنا مثلي مثلك أنا مؤمن بالله، صار يدافع عن نفسه، والله مبعوث الأمم المتحدة يجري وراء يونس خالص من مكان إلى مكان -كان رئيسا للاتحاد في ذلك الوقت- أريد أن أقابلك، قال : لا أريد أن أقابلك، ذهب إلى ضياء الحق، قال له : هذا الشيخ يونس رافض أن يقابلني، فاتصل ضياء الحق بالشيخ يونس في بيشاور، قال له: إن لم تأتني آتيتك أنا ومندوب الأمم المتحدة، قال : سأتيه من أجلك، ذهب إلى مندوب الأمم المتحدة، قال له : أنا آتيت من أجل ضياء الحق لأنهم يحبون ضياء الحق حبا شديدا، لأنه وقف وقفه الرجال والإباء، فقبولت من الأفغان بالحياء والوفاء.

مؤامرات وتشويه

ولذلك عندما قتل ضياء الحق فكأنما ذبح أمام كل قائد وحيد في حجره، نعم، وأنا والله أحد الذين طعنوا بقتل ضياء الحق، أحببت لو اختاروا أعز أبنائي وذبحوه أمامي وما سقطت طائرة ضياء الحق، والناس هنا خاصة الذي يحلون ويفسرون، يفهموا السياسة، الحمد لله أنا ما أفهم السياسة الحمد لله !! سياستهم هذه ما نفهمها، هنا يقول لك : هذا عميل ل(سي آي إي) للمخابرات الأمريكية للأمريكان وما إلى ذلك، هم يلقون ربهم كما يشاعون بالشهادة التي يريدون، قال له : أنا جئت من أجل ضياء لأقابلك وأنا أنصحك أن تعتنق الإسلام، الشيخ سياف كان يرفض أن يقابل أبدا، أخيرا قالوا له : تقابل وكيل الخارجية الأمريكية (أرماكوست)؟ قال لهم : بشرط أن تترجموا ما أقول له، قالوا له : نترجم، جلس الجنرال الباكستاني يترجم وجلس (أرماكوست) أمام حكمتيار وسياف ورباني وخالص بدأ الشيخ سياف قال له عندما رأى تكالب الأمريكان على سرقة دماء الأفغان، وأنهم يصرون أن لا يقوم الإسلام وأن لا تقوم دولة الإسلام، كانت هكذا نفوسهم تغلي عليهم، قال له: أنتم أخطت أمة في الأرض، هذا الجنرال الباكستاني إصفر واربد واحمر، دهنها بزيت دهنها بشحمة، تبتلع فلم تنزل، كيف يترجم أنتم أخطت أمة في الأرض، أنتم مصاصو دماء، أنتم قتلة، أنتم تكرهون الإسلام، هذا الجنرال صار يلف ويدور، يلف ويدور، يلفها بمائة لفة (ما بتمشيش)، قال له : لا تترجم أنا سأتكلم معه بالإنجليزية، هذا (أرماكوست) صار يتطلع على لحية الشيخ سياف إلى نصف صدره، بني آدم هذا أم وش الذي أمامه، صحيح لا يدري أنني أدير الكرة الأرضية بأصبعي، يقول لي هكذا!! هذا تغير، إحمر وجهه قال: إسمع أنا أحب الإسلام وأحي قيام دولة إسلامية!! سكت سياف ثم بدأ حكمتيار صواريخ أرض أرض، ثم بعده الثالث صواريخ جو أرض، وهكذا أدركوا أن الناس هؤلاء لا يمكن التعامل معهم أبدا -خالص- معنى ذلك ؛ مصالح أمريكا في الشرق كلها مهددة إن وصلوا إلى الحكم، إذن لا بد أن يصفوا جسديا، قصة أنك تغسل أدمغتهم لا تغسل، عناصر غير قابلة للذوبان، وضعناهم في كل الحوامض

الأمريكية ما ذابوا، لا يتفاعلون، سخنا حامض الكبريتيك ما ذابوا فيه، زدنا التركيز ما ذابوا، إذن لا بد من تغيير هذه الرؤوس، يجب إزالتها، الآن دور قتلهم جسديا، تصفيتهم، كل واحد، المؤامرات يوميا، بعض المخلصين من البوليس الباكستاني يخبرونهم، هذا الأسبوع في فرقة لاغتيالكم، انتبهوا، لا تنتقل من بيتك، لا تركب سيارتك، أدخل في الداخل، إعمل كذا، غير عمامتك، غير لباسك، مؤامرات مستمرة، يجب أن تزال هذه العناصر الأصولية لأنها خطر عليهم، (واشنطن بوست، هيرتربيون، شيكاغواكسبرس، نيويورك تايمز) إنتبهوا يجب أن نحطم هؤلاء، ابحثوا عن كل السيئات في الأرض، ما ذا نفعل بهم؟ شو هوهم، هؤلاء أصبحوا رموز الآن، أبناء فلسطين يهزجون في الأعراس؛ أخي سياف الروس منك تخاف، أخي حكمتيار على العدى مثل النار، أخي يا فلان، أصبح يسير بذكرهم الركبان، أصبحوا سمر السامرين وفاكهة الناس الصادقين وأنس مجالس الصالحين، كيف نفعل؟ قولوا مختلفين، ركزوا على الاختلاف، ركزوا على الحرب الأهلية، لا يوجد قتال في أفغانستان، هنالك قتال بين المسلمين والمسلمين، بين الأفغان والأفغان، أنت يا كويتي لماذا تدفع أموالك للأفغان؟ هؤلاء يقتلوا بعضهم بعضا، أنت آثم إن دفعت لهم أموالك، لماذا؟ لأن حكمتيار يشتري بها سلاح يذبح بها جماعة رباني، ورباني يشتري بها سلاح يرسلهم لمسعود حتى يذبح جماعة حكمتيار!! أنت لست مصدقا أنظر ماذا فعل حكمتيار في جماعة رباني في تخار!! أنظر ماذا فعل مسعود بجماعة حكمتيار في تخار، قتل سيد جمال القائد لحكمتيار وثلاثين قائدا لمسعود التابع لرباني، أي جريمة هذه؟! وعندها انقم مسعود، لم يقتل ثمانية وثلاثين قتل ثلاث مائة من جماعة حكمتيار!! وفر سيد جمال الجاني، ومسكته الدولة الشيوعية وسلمته لمسعود لأنه عميل للدولة الشيوعية!! إختاروا ثلاثة رموز من رموز الجهاد وأحرقوهم في حادثة واحدة، إذا أحرق حكمتيار ورباني، ولهم ذلك النقل الجهادي، يكونون العمود الفقري للجهاد في أفغانستان، وهما اللذان بدءا بالجهاد، لهم 55% أو زيادة من الجهاد الأفغاني، ومسعود أقوى قائد في داخل أفغانستان، الظاهرة الفريدة المتميزة المرتبة المنظمة، يحرقون كلهم في حادثة واحدة، ماذا بقي في الجهاد الأفغاني؟ ولم يقتل من قادة مسعود سوى خمسة، أنا حققت بها، وكنت في داخل أفغانستان، عندما حصلت الحادثة كنت ماضيا مع حكمتيار على أبواب بنجشير، كنت في (جلبهار - كوهستان) وعندما سمع النبا والله يا إخوان رأيته غير الرجل الذي عهدته؛ إسود وجهه وانقبض صدره، وكتب استنكارا مباشرا وأرسل باللاسلكي إلى مكتبه في بيشاور لوزع على الصحفيين في العالم استنكار حادثة قائده هذا، ومسعود والله ما قتل ثلاث مائة ولا عشر الثلاثمائة ولا نصف العشر لكن ثلاثة أشهر متواصلة والصحف الغربية وال(بي بي سي) وصوت أمريكا وهم يعزفون على نغم تخار وفرخار، هذه الخلافات ما كانت في أيام الروس، لماذا لم يظهرها الأمريكان؟ الأمريكان كانوا يفرحون، يفرحون

أيديهم فرحا بدخول الدب الروسي حتى يمرغ بأوحال الهلمند وكابل تحت أقدام المجاهدين وحتى ينخن بالجراح، كان الأمريكان خائفين على آبار البترول لأن الدب الروسي عطش للبترول بعد أن أصبح بتروله لا يكفي الاتحاد السوفياتي، وكان هذا مخططه أن يصل الخليج سنة 1981م، يحمل مخططاً أن يقضي على الجهاد الأفغاني سنة 1980م، وأن يصل الخليج سنة 1981م، لكن جماجم الشهداء وأجساد الأبرياء في أرض العزة والفخر، والحديد والنار، أقامت سدا أمام الطوفان الأحمر دون أن يغرق الخليج والبلاد العربية، فرد الله كيدهم في نحورهم ومضت السنون وهم يتجرعون مرارة الخيبة ويبلعون خذلان الهزيمة، الناس كما يحلو لهم يقول لك : هذه أمريكا التي تقاتل، أنا ما رأيت أمريكا واحدا يقاتل في داخل أفغانستان في الثماني سنوات، قالوا : الأسلحة الأمريكية هي التي تقاتل، وما رأيت سلاحا أمريكيا واحدا في أرض أفغانستان سوى ستجر، وأمريكا كانت تأخذ سبعين ألف دولار ثمن كل صاروخ من السعودية، ماذا قدم الأمريكان؟ الأمريكان يريدون أن يظهروا أمام الشعب الأمريكي أمام الناس أن هذا الجهاد ملطخ بأموالنا وبمساعدتنا ونحن نقف وراءه وهو في قبضتنا، ولذلك في نيويورك حكمتيار قالوا له: -في مؤتمر صحفي- كم أعطتكم أمريكا؟ قال : لم تعطنا دولارا واحدا، ونحن نرفض أن نأخذ أي شيء من أمريكا، أنا قائم وأعيش القضية، وجاءت أمريكا بمائة مليون دولار للصحة و60 مليوناً للتعليم، وجاءوا وعرضوا على المجاهدين أن نعمل لكم مستشفيات ومدارس في داخل أفغانستان، ولو أخذها المجاهدون وعملوا مستشفيات ولو سمحوا للأمريكان أن يقيموا مستشفيات لأعذرهم رب الأرض والسموات، لأن إخواننا في داخل أفغانستان ومن فارياب وغيرها يصورون الجريح الذي ضرب برجله، يأتون بمنشار الخشب وينشرون رجله بدون بنج، لو سمحوا للأمريكان لكانوا معذورين، ولكنهم رفضوا، فذهبوا للهلال الأحمر السعودي قالوا له : نفذ مشروعنا من خلالكم، مدير الهلال الأحمر السعودي شاب طيب قال: لا يمكن أن أتعاون معكم، ذهبوا للسفارات العربية في إسلام آباد حتى يقنعوا القادة أن يقبلوا ؛ أن الأمريكان لهم مستشفيات، رفضوا، بعد عشرة أشهر كان المسؤول الأمريكي هذا يصيح من يعذرنني بهؤلاء المجانين الأفغان، مائة مليون دولار أخرجناها من فم الأسد من الخزينة الأمريكية بشق الأنفس و60 مليوناً للتعليم ستعود بعد شهرين للخزينة الأمريكية لأننا لم نستطع أن ننفقها، بعض الشباب المحمسين، لله عز وجل فاتح عليهم، درسوا كتب العقيدة والحديث والتفسير، جاءوا إليّ، قالوا : هل يجوز لنا أن نقاتل مع هذه الدولة، دولة المجاهدين؟ قلت لهم: لماذا؟ قالوا: عقيدتهم غير واضحة، قلت لهم: كيف عقيدتهم غير واضحة؟ قالوا: عقيدة الولاء والبراء غير واضحة، كنت مع حكمتيار في ميدان قرب كابل قلت: يا حكمتيار تعال رد عليهم عقيدتكم غير واضحة، لماذا عقيدته غير واضحة؟ قالوا : كيف يروح يطلب من الدول العربية بعض الدول الثورية

أن يطلبوا الاعتراف بدولة المجاهدين؟ قلت له : رد عليه يا شيخ حكمتيار، قال لهم : نحن ما هي مصيبتنا إلا أن عقيدة البراء والولاء واضحة عندنا وإلا حرب الأمريكان والغرب علينا، كله بسبب أننا بريئون منهم، ولو قبلنا أن نلين لهم قليلا لانتهت القضية، إذا كانت الدولة الفلسطينية ليس لها شبر أرض تقيم عليها، واعترفت بها مائة دولة، ونحن عندنا ستمائة ألف كيلو متر مربع محررة بأيدينا، فيها المحاكم الشرعية، وفيها الإفتاء، وفيها نصف مليون مجاهد مسلحين، ونحن منتصرون ومن قمة النصر نتكلم، لم تعترف بنا إلا أربع دول بعد شق الأنف، نحن ما مصيبتنا إلا أن -مصيبتنا في نظر هؤلاء- عقيدة البراء والولاء؛ أننا نرفض أن نلين لهم أو نستلن أو نستكين، الآن ما هو الدور المطلوب؟ تشويه الجهاد الأفغاني، حرق قادته، تحطيم أذاذه، تصفية البارزين فيه جسديا إن استطاعوا، فرض حكومة محايدة، ما هي محايدة؟ يعني : دينها لين هين مقبول مطاط يمت حسب الأهواء الأمريكية، مثل ما قالوا : يكون الحاكم لين، ليس منغلقا متوقفاً أصوليا جامدا، يجب أن يكون مرنا، وعنده (فتوى مشين) فتوى مشين يعني آلة الفتوى، يضغط عليها تطلع الفتوى عن تحديد النسل، وفتوى عن الربا وهكذا، مثل ما يضغطوا تطلع بيبسي وميراندا وما إلى ذلك، تضغط تطلع فتاوى جاهزة، عزل القضية الأفغانية، إعادتها قضية قومية محلية، قطع الصلة بين قلوب المسلمين وبين القضية، منع مساعدات المحسنين، إحكام الطوق حول أفغانستان، خنق الجهاد، منع الدول المحيطة أن تسمح لهم بأي شيء الآن الدول المحيطة بأفغانستان كلها تمشي في المخطط الغربي، حتى جابوا لهم حاكم تركيا ليقنعهم ليلينوا ويستلنوا فجلسوا معه، قال لهم: كيف حالكم -هذا الحاكم التركي- قال له يونس خالص : الحمد لله نحن بخير، نحن عندنا الكتاب والسنة وليس عندنا كتاب أخضر نحكم فيه، هذه واحدة، والمرأة لا يجوز لها أن تحكم عندنا، هذه اثنتين ضرب دولتين، الثالث نحن لا نحرم دخول البنات الجامعات ولا المدارس لابسات، لا نحرم الفتيات أن يدخلن لابسات كما تفعل بعض الدول، لذلك فهو يعنيه، هذا الرجل جاء يريد أن يعطيهم صار يدافع عن نفسه، قال له : لا نسمح لأحد أن يتدخل فينا، قالوا: صحيح ونحن لا نسمح لأحد أن يتدخل فينا، فهم نموذج جديد في عالم السياسة، غرباء، وأنا والله متعجب أن بعض الصحف في العالم العربي هكذا تشوه..

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران:

(118).

لا ينقلون عن الجهاد إلا كل سيئة، مآثر الجهاد لا ينقلونها، خلافات، الحرب الأهلية، دماء، حكمتيار وسيف ورباني إلى آخره، والله يا إخوان : لا أدري هؤلاء بماذا يكرهون الأفغان؟ أنا أعلم أنهم يكرهون الإسلام، ولا يستطيعون أن يصرحوا بكرهيتهم للإسلام، وبكرهيتهم

لانتصار الإسلام، فيريدون أن يحاربوا الإسلام من خلال الرموز القوية البارزة، وكرهية انتصار الأفغان المجاهدين على الشيوعيين الأفغان كفر يخرج من الملة، الذي يجب أن ينتصر نجيب على المجاهدين ليس مسلماً أبداً وليس لأنه يكره أن ينتصر الإسلام ويجب أن ينتصر الكفر، ويجب أن يسود الشرك وهذا ليس مسلماً وليس داخلاً في دين الله، والناس الذين يكتبون عن سلبيات وسيئات الجهاد الأفغاني ويركزون عليها، هؤلاء واحد من اثنين: إما أن يكونوا حاقدين وهم عالمون...

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: 14).

هؤلاء ينتظرون نعمة رب العالمين منهم بأنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، لينتظروا...

بغى وللبغى سهام تنتظر

أنته في أيدي المنايا والقدر

سهام أيدي القانتات في السحر

يرمين عن قوس لها الليل وتر

لينتظر هؤلاء دعوات الثكالي الأفغانيات اللواتي فقدن أبنائهن في داخل المعركة، أكثر من ثلاثمائة ألف أرملة خلف الجهاد، أكثر من مليون ونصف من الشهداء، أكثر من مليون يتيم، أكثر من مائتي ألف معوق ومشوه، ليأتي هؤلاء الصحفيون الذين يتسلون بأبناات الثكالي وآهات الأيامي وكلوم المكومين، ليأتوا إلى بيشاور، وليدخلوا الخيام ليروا أن كل خيمة هي عبارة عن ميتة ومأتم في وقت واحد، أدخلوا الخيام لتجدوا مجموعة من الأراامل واليتامي والمعوقين والمشوهين، الآن كل واحد، كل أفغاني يدخل بيته مدمر، إنتهى، هاجر، وضع أهله في خيمة، الخيمة هذه فيها عشرون طفلاً، هؤلاء أولاد أخيه، هؤلاء إخوانه الصغار، وهؤلاء أولاد أخته، وهذه أخته التي طارت عينها، وهذه أمه المشلولة، وهذه بنته التي احترقت بالنابالم، وبعد ذلك الياساريون يتسلون بعذاب هؤلاء، ليتهم وقفوا كما كانوا واقفين مع فيتنام الشيوعية، كانت صحفنا يوماً تدافع عن فيتنام وتهاجم الأمريكان، هل الفيتناميون الشيوعيون أقرب إلى قلوبكم يا من تسمون بأسماء أحمد ومحمد وعمر وعثمان؟ الشيوعيون الفيتناميون أقرب إلى قلوبكم من عمر وبكر وعلي الذين من أفغانستان؟ أي دين أنتم الذي تتعبدون الله فيه؟ في أي دين أنتم؟ أفصحوا عن دينكم، هل أنتم في دين لينين أم في دين محمد بن عبد الله ﷺ؟ يتسلون، الأمريكان، والخطة الأمريكية، والسياسة الأمريكية، وهكذا تريد ال(سي آي إي) وما إلى ذلك.

شجاعة وصبر

تعالوا وانظروا، تعيني هاتين دخلت وادي بنجشير، واد من الأودية بعد أن مشطه الروس مرتين، مشطه الروس مرتين من الآليات المدمرة والسيارات المحطمة المدرعات التي طارت أجزاءها، لقد رأيت بعيني هاتين خمسمائة إلى ألف آلية مدمرة على جانبي الطريق بعد أن نظف الوادي مرتين، حرب عالمية، وشباب والله تستحي أن تنظر في وجوههم، رجولة وعزة وإباء ولكن لسان كل واحد منهم يقول :

وحيد من الخلان في كل بلدة

إذا عظم المقصود قلّ المساعد

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيرها

ويصغر في عين العظيم العظام

شباب، والله مسعود هذا قالوا لي : ما رأيك في مسعود وفي حكمتياري ؟ قلت لهم : ما لهم ؟ قالوا: حكمتياري سفاك دماء وما إلى ذلك، ومسعود مرتبط بالفرنسيين وبالغرب، قلت لهم : والله عبد الله عزام أقل من أن يحكم على حكمتياري ومسعود !! أنتم تريدون ما أحسه في أعماقي، أنا أشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي مسعود أو حكمتياري أن أجلس بجانبهم، لأنهم صنعوا التاريخ، وأنا كتبت ما صنعوه من التاريخ، تعالوا انظروا ماذا فعلوا في داخل أفغانستان (وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه).

عندما ترى المعازل التي كانوا يعيشون فيها في قمم الجبال تعجب، هل يستطيع بشر أن يعيش فيها؟! ستة أشهر متتالية والطائرات تخرج يوميا من (ترمز) أي : الاتحاد السوفياتي من (بجرام) من (خواجه رواش) يعني مطار كابل، من بغلان (كلاجي) تقصف بنجشير، ستة أشهر، عندما كانت الطائرات تمر فوق (بروان) و(كابيسا) أهل بروان وكابيسا سيكون على أهل بنجشير، ستة أشهر وهم يحملون لا يستطيعون أن يقرأوا في أي مكان، يحملون كيس اللوبيا على ظهورهم ويضعونه في طنجرة -وعاء- لا يجدون إلا ما يسلقوا به اللوبيا ويأكلونها مسلوقة فقط، وهم ماذا يفعلون؟ معارك الكوماندوز مستمرة، يطلعون فوق الجبل ينزل عليهم الكوماندوز، تدور المعركة، ينزلون أسفل الوادي تنزل عليهم فرق الكوماندوز، ثم يتحركون إلى الجبل الآخر، الكوماندوز تلاحقهم، هكذا، في قمم الجبال الثلوج تكسو المنطقة،

لا يجدون ولا طير ولا إنسان ولا حيوان إلا الكوماندوز والمجاهدون، ومع ذلك كل واحد منهم يردد :

أطرح المجد عن كتفي وأطلبه

وأترك الغيث في غمدي وأنتجع

والمشرفية لا زالت مشرفة

دواء كل كريم أو هي الوجع

والله لما رأيت قلت أين عايشين هؤلاء، سنتين ثلاث بين الثلوج في غرف -الله أعلم-
الإنس لا يأتيها، طبعا لا يمكن أن يأتيها، الجن ممكن يمر من تلك المنطقة، والله قطاع الطرق
يخافون من تلك المناطق، هكذا قابعون وروسيا تبحث عنهم، أين هم؟ أين هم؟ وتحصل
الإنزالات عليهم، ومرة مسعود في غرفة والله تعجبت كيف هذا يعيش فيها سنتين، ليس معقول
إنسان عادي يستطيع أن يعيش في هذا العيش سنتين، والروس يبحثون أين ذهب مسعود،
وحوله سريتان صغيرتان مكونتان من 45 شخصاً على بعد ثلاثة كيلو مترات حوله وهو في
غرفة في سفح جبل وتحتة منحدر وتحتة نهر لا يسكنها ساكن، بحث الروس طويلا طويلا
طويلا، وأخيرا حددوا المعركة، ستة عشر يوما والطائرات تضرب، قال للسريتين : لا
تضربوا طلقة واحدة، بعد ستة عشر يوما أيقنوا أن المنطقة ما فيها مقاومات جوية، اليوم
السادس عشر أو السابع عشر جاءت طائرتان، الصباح خمس أو عشر دقائق، حمنا هكذا
طائرتا الهيلكوبتر، قال مسعود لشاب بجانبه جزائري يلزمه اسمه عبد الله أنس : اليوم
الهجوم ونزول الكوماندوز، والهجوم سيكون بعد نصف ساعة إلى ساعة، بعد أربعين دقيقة
جاءت خمس وأربعون طائرة، هم خمسة وأربعون شخصاً، كل طائرة مقابل إنسان، اتصلوا به
في قمة الجبل، وصلت الطائرات، نرمي؟ قال : لا، نزلت الطائرات، نرمي؟ لا، فتحت
الطائرات أبوابها بدأ الجنود ينزلون نرمي؟ قال : بسم الله، ارموا، بسم الله والله أكبر وبال(آر
بي جي) يفاجئون، أول دقيقتين نزلت طائرتان، اتصل به شاب من المجاهدين هناك -
المجاهدون يشرحون الصدر، يقولون : التربية لا تتم هناك، إنما تتم من خلال قراءة الكتب،
هناك التربية، هناك تعري الفطرة إلى الله عز وجل، أقرب ما يكون العبد هناك إلى ربه،
والدنيا كلها تهون عليه -اتصل به شاب قال: أمامي واحد مقطوع الرجل منهم بجانبه حقيبة.
قال : إزحف إليه وخذ الحقيبة، فتحوا الحقيبة وإذا به قائد المعركة، وإذا بالحقيبة خطة
المعركة، ففسروا نصف المعركة لأن الخطة كشفت وقائدها قتل، عادت الخمس وأربعون
طائرة، قالوا : ماذا نصنع؟ قال: الزموا أماكنكم، لم تنتهي المعركة بعد -شاب ما شاء الله

نرجو الله عز وجل أن يحفظه ذخرا لأفغانستان وللأمة الإسلامية نرجو الله- الزموا أماكنكم سيرجعون، رجعت ستون طائرة، حامت حامت ثم ذهبت، ما ضربت، ماذا فعل؟ إلزموا أماكنكم لن تنته المعركة، رجعت خمس وأربعون طائرة وبدأت المعركة مواجهة، الطائرة مقابلها شاب، هو حامل الرشاش وهي رشاشتها ومدافعها وقاذفاتها، استمرت المعركة، أسقطوا ثماني طائرات، قتلوا مائة وستين إلى مائتي روسي، كلهم روس، لا يوجد فيهم أفغان، أسقطوا ثلاث طائرات جيت، يعني : إحدى عشر طائرة، والله ما سقطت شعرة من وجه مجاهد، أي كرامة هذه؟! أي معجزة، والمعجزة الكبرى هي انتصار الأفغان على الروس، أكبر معجزة في القرون الثلاثة رغم أنوف الحاقدين، هي قضية أفغانستان، وأكثر ما يحزنني أن هذه البطولات لم تجد أقلاما صادقة تسطرها، ولم تجد أفواها صادقة تنقلها، حتى تكون غذاء للأجيال عبر القرون القادمة تربي عليها، لماذا نصر فقط أن نضرب أمثلة البطولة من سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم ؟ هل عقت الأمة الإسلامية من أن تبرز نماذج جديدة تسير على إثر أولئك السلف ؟ هل أجذبت الأرض الإسلامية من أن تخرج أفضالها يصبغون نماذج على الطريق؟ والنماذج كلما كانت حية كلما كان تأثيرها في النفوس أعمق، ودفعها للأجيال أشد وأفيد، الآن ما هو وضع أفغانستان ؟ الصحافة العربية التي تنقل عن الصحافة الغربية طبعا ليست الصحافة كلها إلا من رحم الله وقليل ما هم- تريد أن تركز أن المجاهدين أضعف من حكومة نجيب، والدليل على ذلك وهم يسلطون الأضواء على أبواب جلال آباد أو غيرها من المدن.

الصدق والتقوى

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 119-122).

المجتمع المتماسك

الآيات تحرض المؤمنين على القتال ولكن بطريق فيه تأنيب، بشيء من التقرير والتوبيخ الخفي، الآيات تبدأ بالكلام عن التقوى والصدق وهذا مناسب ومتناسق مع الآيات التي تكلمت قبلها عن التوبة عن التوابين الثلاثة : مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، وقصة كعب التي كنا تحدثنا عنها قصة رائعة في الصدق والصبر قصة الثلاثة الذين قاطعهم المجتمع المسلم خمسين ليلة وصبروا قال كعب : فكنت أقترب من الرسول ﷺ وأنوي في الصلاة فأسارقه النظر فإذا نظر إليّ ووقعت عيني في عينه صرف نظره وكنت أمر فأرد عليه السلام فأنظر هل تحركت شفتا رسول الله ﷺ، يعيش على أمل كلمة من الرسول ﷺ، يعيش على أمل الابتسامة يعيش على أمل التوبة يعيش على أمل أن يرجعه هذا المجتمع الذي نبذه، وفي هذه الأثناء يأتيه رسالة من ملك غسان ينصحه أن يلحق به : قد سمعنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله في دار هوان فالحق بنا نواسك.

صور من مجتمعنا غير متماسكة

عرض من ريغان ليكون لاجئاً سياسياً عنده بسيارة بحرس وبسائق وبفيلا، قال، فتميمت بها نحو التور وأحرقتها قلت : والله هذه هي البلية، تصوروا عندما يفشل ملك غسان أن يأخذ شخصاً منبوذاً في المجتمع كل المجتمع يقاطعه، بينما الجيوش الجرارة من مجتمعاتنا تعمل "سي آي إي" المخابرات المركزية الأمريكية، ومع الظالمين ومع أعداء هذا الدين ومع المجرمين ومع الإنجليز ومع الروس وهم آمنون مطمئنون ليسوا منبوذين في المجتمع بل ذوي مكانة مرموقة بل ذوي مكانة، لهم شأن كبير في المجتمع، ومع ذلك هم يتبرعون، هم

يتبرعون أن يضعوا النير في أعناقهم، مقابل ماذا؟! على أمل أن يصبحوا في المستقبل مدراء دوائر أو وكلاء وزراء أو وزير هكذا يبيع دينه بثمن العنز، يبيع دينه على أمل، واحد ديبلوماسي في إحدى الدول العربية يحدثني قال: كنت مسؤولاً في دائرة، فجائني مندوب من السفارة الأمريكية يراجع في قضية، قضية استئجار بيوت في البلد، ولا بد أن يحدد الأجرة هكذا، أو فرض ضرائب، المهم قال: هذه العمارة لنا نحن استأجرناها، -إن لم تخني الذاكرة- القصة حول هذا، المهم جاء يراجع بشأن السفارة الأمريكية، مسألة اقتصادية حتى يخفف عنه، قال له: لا، أنت يجري عليك ما يجري على غيرك، قال: لكن أنا مندوب السفارة الأمريكية قال: وإن كنت مندوب أمريكا نفسها ليس السفارة الأمريكية، القضية تحل بهذه الطريقة التي قلتها لكم قبل أن نراكم هذه العمارة أجرتها كذا، وهذه القضية: الحل العادل لها كما يأمرنا الإسلام هكذا فقال له: السفير يغضب قال: ليغضب السفير خير من أن يغضب رب السفير، فرجع فنقل الصورة فقال السفير الأمريكي أنا أريد أن أقابله، أرسل بطاقة له قال: أنت مدعو عن طريق رئيسه طبعاً -فقال له- ناداه، فراح هذا رئيسه قال له: السفير الأمريكي أعجب بشخصيتك وبقوتها ويريد أن يراك في حفل عندهم يوم الخميس ليلة الجمعة -ليلة الجمعة هناك- قيام ليل في السفارة الأمريكية فأنت مدعو عليه قال: أنا لا أذهب فهذا المسؤول عنه جن جنونه قال له: أنت مجنون؟! الناس يتمنون أن يتعرفوا على كاتب في السفارة، السفير يريد أن يتعرف عليك قال: ماذا في حفلة السفارة، النساء، الخمر، الرقص؟ ماذا؟ أنا رجل مسلم صاحب لحية لا يروق لي أن أراهم ولا يروق لهم أن يروني قال له: أنت لا بد أن تذهب قال له: لن أذهب قال: يغضب السفير، قال: ليغضب السفير، أنا مسلم مالي وللسفير الأمريكي قال له أخيراً: أنت ليس لك مستقبل في هذا البلد، قال أنت لا تفكر في مستقبلك، كلمة واحدة للمسؤول الأول في هذا البلد للحاكم الأول في هذا البلد من السفير الأمريكي تصبح وزيراً، فليتعرف عليك قال له: أنا -هو يقول له هو رئيس دائرة في البلد- قال: أنا خلال ثماني أشهر سأصبح وزيراً للداخلية وفلان يصبح وزيراً وفلان.. ناس مغمورين لكن يبدو هنالك توصيات من السفير الأمريكي قال: إهناؤا بمراكزكم وأنا لا أطمع أن أكون وزيراً في هذا البلد، إذهب وقابله، تصوروا هكذا يعيشون، على أمل ابتسامة من السفير الأمريكي حتى يوصي بهم حتى يصبحوا وزراء في وزارات قادمة أو في مستقبل الأيام ولا يدري أنه يبيع دينه من أجل هذه الابتسامة على أمل أن يرقى في المستقبل بعد سنة أو سنتين يصير تغيير وزارتي هو قد يكون أحد المرشحين في الوزارة الجديدة ولا يدري هل المنية تنتظره إلى تلك الوزارة القادمة أو لا تنتظر لا يدري هل تختطفه يد المنون هذه الليلة أو الليلة التي بعدها لا يدري أنه يفسد دينه بإصلاح دنيا غيره، وأنه يبيع حاضراً وهو دينه

وأمانته وخلفه وشرفه بدين، ما هو الدين ؟ أمل أن يكون في المستقبل وزيراً أو رئيساً للدائرة التي هو فيها..

﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء:120).

تصوروا هذا عندما يتحكم السفير الأمريكي في وزراء في داخل بلادنا بل يتحكم في أساتذة الجامعة بل يتحكم في مناصب أقل، أعزل فلان من وزارة التربية والتعليم وأرفع فلان من قسم المناهج وفلان أبعده من قسم البعثات لماذا؟ لأنه مسلم متعصب، السفير الأمريكي في إحدى الدول العربية يلتقي مع وزير التربية والتعليم، في مكتبه هو يأتي يزوره، يجيء يزور وزير التربية في المكتب بينما هم السفير الأمريكي يعتبر نفسه أعلى من رئيس البلد نفسها لكن هنالك قضايا مهمة لا بد أن تتم يأتي ويأتي بعده السفير الروسي في نفس اليوم يزور وزير التربية والتعليم في نفس البلد، نفس الوزير وبعدها حملة تطهير الإسلاميين من وزارة التربية والتعليم أي مسلم أي متمسك خلال أيام عزلوا عن مناصبهم في الوزارة واقصوا وجمدوا وأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم موظف في وزارة التربية هذا ممنوع أن يبقى، تجد مجموعة من أساتذة الجامعة يقصون من الجامعة بقرار واحد فيسأل ما السبب ؟ الأساتذة هؤلاء ناجحون، محبوبون من الطلاب، أثرهم كبير في داخل الجامعة من بنات الجامعة ما السبب ؟ هكذا الأوامر، رئيس الجامعة يقول : هكذا الأوامر ليس عنده أي علة، ونقلها للعبارة وليس للفخر ولا للمنة، قرار عزلي من الجامعة الأردنية جاء بأمر رئيس الوزراء والحاكم العسكري في البلد اعتمادا على المادة الثالثة عشرة التي تخولني السلطات ولقناعاتي الخاصة أمر بعزل عبد الله عزام من الجامعة لقناعاتي الخاصة هكذا هؤلاء الناس، بلاد يبكي عليها عندما لا يستطيع الواحد منهم، بل والله أحيانا يؤمرون أن يتزوجوا فلانة، هذه تزوجها تأتي الأوامر من الخارج، تزوج فلانة، وفلانة ماذا تكون ؟ يهودية نصرانية مجوسية ما إلى ذلك، وتكون نجمة أو نجمتين في المخابرات الأمريكية نعم تزوج فلانة لماذا ؟ لأنه لها دور في إفساد البلد في المستقبل وتصبح البلد تدار من خلال هذه الفتاة، واليهود غالباً من وراء ذلك كله، أمريكا مسكينة !! مثل جسم البغال وأحلام العصافير، مفهوم، بغل كبير بدون عقل، وتجد هؤلاء اليهود هم الذين يحركون هذا البغل الكبير نعم، الأمريكان أنفسهم الآن يعرفون أنهم ساقطون في قبضة اليهود ولا يستطيعون أن يتخلصوا منهم مجموعة من أرباب الأموال، أصحاب بيوتات المال وأصحاب أجهزة الإعلام يسكنون العالم الغربي ويوجهونه حيث يريدون باسم أمريكا وبريطانيا، وفرنسا لكن وراء ذلك، المقود القطار الكبير قطار كبير يسع ألف شخص ولكن يقوده واحد، الذي يقود المجتمع الغربي واحد يهودي ولكن الذين في داخله اسمهم انكليز وفرنسيون، وألمان الخ، أمريكيان هم لا يستطيعون أن يتخلصوا من قبضتهم ومن الذي يجرو

أن يعارض اليهود في المجتمعات الغربية ؟ رأساً يصفى، نكسون غضبوا منه، بدأت الجرائد تفضح به قالوا فضيحة وتركيت، ما هي وتركيت هذه ؟ كان في الانتخابات، أيام الانتخابات حزبه يتجسس على الحزب الآخر، وانتهى نكسون واختفى وراء المسرح السياسي، كندي عندما رأوا أنه يريد أن يقترب مع خرتشوف ويوقف سباق التسلح النووي والحد من الأسلحة النووية ومصانع السلاح اليهودي رأساً، أرسلوا واحداً وقتلوه وبالتالي قالوا عنه: مجنون وتابعوه في السجن ولا بأس أن يقتل إنسان عادي قتل كندي ويقتل أو يسجن فالمهم لو جئت للرئيس الأمريكي في بلده لا يستطيع أن يعزل أستاذاً من الجامعة لا يستطيع الأمريكي ليس له صلاحية عزل أستاذ مدرسة في ولاية من الولايات لأن له أن يتدخل في 10 % من التربية والتعليم، أما في بلادنا يقول : إ عزلوا فلان وفلان والقائمة وإذا نسوا واحداً يضعوا اثنين -لأخذ بالحيلة- نعم احتياطاً يضعوا اثنين لأنه بدون تشبيه الذي يختلط عليه الأمر صلى ثلاث ركعات أو أربعة ركعة حتى يطمئن، وهؤلاء إذا اختلط عليهم الأمر أن الأمريكيان طلبوا عشرين هذا وارد منهم أو غير وارد يضعوا أيضاً واحداً لأجل ماذا؟ يجعلوهم واحداً وعشرين، ما استطاع ملك غسان أن يأخذ رجلاً واحداً منبوذاً في داخل المجتمع المسلم أي مجتمع هذا ؟ مجتمع متماسك له قيادة موثوق بها وله جنود مستعدون أن يضحوا بأرواحهم ودمهم من أجل هذا القائد، ولذلك تاب الله عليهم بعد خمسين يوماً بسبب صدقهم فقال : يا رسول الله لقد نجاني الله بصدقي عندما نزلت توبة كعب ابن مالك -الله عليّ أن انخلع من مالي مقابل توبتي قابل: لا، قال : (إبق عليك بعض مالك)، قال: فو الله ما كذبت كذبة بعد التوبة علي، ولقد رأيت أثر الصدق في حياتي أو كما قال ﷺ ولذلك يناسب بعدها هذه الآيات : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» لماذا ؟ البراء والولاء الحقيقة يحتاج إلى صفتين، التقوى والصدق، البراء من الكافرين، يا أخي عروض، عروض كبيرة إغراءات ضخمة من هؤلاء الكافرين نحن نمكنك نحن نرفعك نحن نسلمك الحكم... الخ.

صورة من مصر

قالوا لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر : نحن نسلمكم الحكم في مصر، قبل الثورة، هذا كلام السفير الأمريكي باعتراف أنور السادات، وباعتراف محمد نجيب، هذا في بداية العام الذي أقيم فيه الانقلاب، قال : كانوا يلتقون بالسفير الأمريكي والسفير الأمريكي كان أول شخص يحضر اجتماع مجلس الثورة، السفير الأمريكي يحضر اجتماع مجلس الثورة، كما يقول أنور السادات في كتابه "يا ولدي هذا عمك جمال" قال: كنا في فندق انتركاوننتال، في الطابق الرابع، أو الطابق الثاني -نسيت- والسفير البريطاني في الطابق الرابع، نحن في الثاني وهو في الرابع، أو نحن في الرابع وهو في الثاني، مستعد أن يدفع آلاف الجنيهات ليعرف من

وراء الانقلاب، كان السفير الأمريكي يحتسي معنا الشاي "من أجل البركة"!! لأنه عندما يولد المولود يأتون بالشيخ يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم بالأذن اليسرى فهو جاء يؤذن بأذن المولود في الأذن اليمنى ويقيم بالأذن اليسرى!!.

أول اجتماع لمجلس الثورة، ولا يعرف أحد من وراء الثورة، لم يعلن أحد من وراء الثورة، يحضره السفير الأمريكي، كيف هذا؟! هو قال لهم من البداية : نحن نساعدكم في استلام الحكم بشروط ثلاث : تضربون الحركة الإسلامية في مصر، قالوا : نعم -يعني الإخوان المسلمون- تحفظون سلامة إسرائيل قالوا : نعم، تهدمون الأزهر، قالوا : نعم، ثلاثة شروط مقابل تسليمهم حكم مصر، إنها، الأزهر ومسوخ شخصيته، ولذلك عبد الناصر كان يريد أن يهدم الأزهر ب(البلدوزر) فقال له واحد أعقل منه -لأن عقلية عبد الناصر ربع على نصف- نعم أنو المفتي كان طبيبه الخاص، وكان يسجل ملاحظاته الخاصة عن صحة الرئيس، كان قد كتب في ملاحظاته أن عقليته متوسطة أو دون المتوسط، فالمخابرات كانوا يفتشون في "الجوارير" وجدوا هذه الجملة، نقلوا الأمر لعبد الناصر فقال : أقتلوه، فقتلوه وبعد أن قتلوه عملوا له جنازة ضخمة وعملوا مستشفى باسمه (مستشفى أنور المفتي)، هو أصلاً لا يصلح للحكم إلا المجانين أو الساقطين في المدارس أو الهبل عندنا، من حافظ الأسد، للقتافي لعبد الناصر وأنور السادات، كان أنور السادات يقول : (دنا اشتغلت شيال، يعني عتال)، وعبد الفتاح إسماعيل الذي كان رئيساً لليمن الجنوبي كان يشتغل شيال في مطار عدن في البداية وبعد ذلك في الميناء، ثم صار أستاذاً للمدرسة ثم صار فيلسوفاً شيعياً ثم رئيساً لليمن الجنوبي ثم قتل، وعندما قتل كتبت جرائد اليمن الجنوبي لن نؤبن عبد الفتاح لأن الآلهة لا تؤبن فهو إله لا يؤبن!! ولذلك أحيانا كنت أقول لهم في الجامعة من أراد منكم أن يصبح رئيساً للجمهورية فليشتغل بالعتالة، من اليوم يتدرب!! فقالوا لهم ثلاثة، إضربوا الحركة الإسلامية، أنهوا الأزهر، فعبد الناصر يفكر أن يهدم الأزهر بالبلدوزر، فواحد بجنبه شيطان أكثر منه قال : لماذا أنت تهدم الأزهر فتثير عليك الناس؟! أنت إمسخ الأزهر من الداخل ينتهي الأمر فأنهاه، نحن في كلية الشريعة والقانون، كان هناك قسم البعوث وقسم المصريين، المصريون كانوا يدرسونهم أربع مواد شرعية في كلية الشريعة وتسع مواد قانونية، من قانون نابليون، الطلاب عملوا مظاهرة قالوا: لا نريد أن نسميها كلية الشريعة والقانون فسكتوا!! صدقوا قالوا : نؤخر القانون قالوا خلاص، شريعة وقانون ليس قانون وشريعة قالوا : خلاص شريعة وقانون، فالصمود أمام الإغراءات الدنيوية يحتاج إلى تقوى ويحتاج إلى صدق.

الصدق والجهاد

الصمود في أرض الجهاد يحتاج إلى تقوى وإلى صبر لأن التقوى تدفعه أن يأتي إلى الجهاد ويمتنع عن ترك هذا الفرض الذي تركه حرام، فهو لا يمكن وهو يتقي الله عز وجل أن يفضل الدنيا على الآخرة وأن يفضل وظيفته كضابط في الجيش أو تاجر أو مدير لشركة على ساعة من ساعات جاجي أو صدى، والتقوى تجعله يتصور النار أمامه، يخاف من النار، هو جرب في المعارك عندما تفتح عليه الرشاشات وتنزل القذائف إذا كانت هذه نار الدنيا فكيف نار الآخرة؟ إذا كان لا يستطيع أن يحتمل رصاصاً، يعني جمرة من نار من صنع الإنسان فكيف يحتمل ناراً؟

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ (المرسلات: 32-33).

ولذلك لا يمكن لواحد موظف مفتوحة أمامه الدنيا، أو طالب جامعة نبيه ذكي أو صاحب شركة أو صاحب مال، أو موظف كبير أو غير ذلك أن يقدم هذه الأيام على أيام وظيفته لا يمكن، لا يمكن أن يضحي بوظيفته، إذا كانت الدنيا مفتوحة أمامه فكيف يضحي بوزارة، أو بوكالة وزارة، أو بمؤسسة، أو بإدارة شركة أو بوظيفة كاتب بألفي درهم في الشهر مقابل أن يعيش هنا على الخبز الجاف وعلى المرق وعلى الشاي والخبز ويتحمل اللأواء والتعب والمشقة والعطش والجوع، لا يمكن، دنيا مغرية، والدنيا مثل عروس متجملة لخطابها ما تركت مسحوقاً من مساحيق (مكس فكثر) إلا وضعت على وجهها، ولا ثوباً جميلاً إلا لبسته، ولا عطرأ ذا أريج طيب إلا رشته على نفسها، وهي تتزين لخطابها حتى تقتنص الواحد ومن أول ليلة تقتله، تقتل كل من يخطبها ولكن الناس لا يتعظون وبمن سلفهم لا يعتبرون، فالدنيا تحتاج مقاومتها وإغراءاتها تحتاج تقوى تذكر بالآخرة، وصدق يدفع إلى الجهاد لأن الجهاد أول علامات الصدق، المجاهد صادق، الجهاد يعلن المجاهد كأنه مكتوب على وجهه أو على صدره: هذا رجل صادق مع دينه، هذا رجل وفي لمبادئه، هذا رجل مخلص لدينه ولعقيدته، خلاص رأس ماله، أعز ما عنده هي الروح، هو يغامر بها ويخاطر بها، إذن هذا دليل الصدق، ترك تجارته وجاء، لماذا؟ ضحى بوظيفته وجاء، لماذا؟ هذا علامة الصدق، أما الناس في المجتمع العادي كيف تعرف الصادق من الكاذب، تجد الخطيب يخطب عن الربا...

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 278).

ومع ذلك تجده في حياته اليومية أخذ قروضاً من أجل أن يبني عمارة لابنه، تجد الشيخ - وزير الأوقاف- يزور موسكو ويضع إكليلاً من الزهور على قبر لينين الذي غرس دولة الإلحاد في الأرض تحية له بعد موته، تجدون واحداً كان ضالاً، الآن نرجو الله أن يكون قد

تاب، مثال خالد محمد خالد، عندما مات ستالين قال له نفس الكلمة التي قالها أبو بكر لرسول الله ﷺ : طبت حياً وميتاً يا رفيق، خالد محمد خالد خريج الأزهر، لكن التقوى والصدق، التقوى تحجزه عن محارم الله، والتقوى تحتاج إلى تربية طويلة، "كيف أصبحت يا حارث؟" قال : أصبحت مؤمناً حقاً قال: "إن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟" قال : أظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وأصبحت وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أرى أهل النار يتضاغون فيها، وأهل الجنة يتزاورون فيها قال: "قد عرفت فالزم".

واحد يرى النار أمامه ويرى الجنة أمامه فهل يمكن أن يبيع الجنة ويشترى النار مقابل متاع رخيص ووعده من السفير الأمريكي، القضية تحتاج إلى تقوى، تقوى، والتقوى تحجزه عن محارم الله "اتق المحارم تكن أعبد الناس" اللهم ارزقنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك" الخوف من الله، تقوى، خشية، خوف، رقابة لله رب العالمين، ولذلك هذه التقوى تحجزه أن يرتشي من أعداء الله عز وجل مقابل إفساد هذا الدين أو مقابل محاربة المسلمين أو مقابل التلاعب بأمن البلد.

صورة من سوريا

رجل اسمه كامل أمين ثابت (إيلي كوهين) يهودي، جاء من الأرجنتين، أرسلته إسرائيل إلى الأرجنتين ليصاحب أمين الحافظ الملحق العسكري في السفارة السورية هناك - أمين الحافظ بعثي ثوري متقدم، ثوري يعني نسبة إلى ثور قرونه طوال - فأرسلته هناك ليصاحبه فصاحبه، ثم دخل إيلي كوهين إلى سوريا وعمل انقلاباً في البلد وسلم البلاد لأمين الحافظ، يقول هو عن نفسه في مذكرات إيلي كوهين وفي كتاب اسمه "إيلي كوهين من جديد" يقول عن نفسه : إن الأجهزة التي أدخلتها إلى سوريا أدخلتها بمائة ليرة سورية أعطيتها لعمال الجمارك فلم يفتش سيارتنا، هذه الأجهزة التي كنت أتصل بها بإسرائيل يومياً دخلت بمائة ورقة سورية، (مائة ليرة سوري) يعني كم ريالاً؟ عشرين، لا بارك الله له فيها، كم أفسد البلد هذا الرجل؟ وكم أضرت بها؟ كم أضرت بها مقابل ماذا؟ رشوة بمائة ورقة سورية، يقول عن نفسه : كنت أذهب من سورية إلى أوروبا أقول لهم أنا ذاهب لقضاء إجازة في أوروبا، وأذهب لإسرائيل لزيارة زوجتي التي تنتظرنني، قال: كنت آخذ لعباً لبنتي، فكانوا في مطار اللد يأخذون جمارك على هذه اللعب، يفتحون حقائب الخاصة ويأخذون على اللعبة الصغيرة جمارك فكنت أقول في نفسي ألا يعلم هؤلاء أنني أخدم إسرائيل بقدرهم جميعاً، ثم أقارن بين الأجهزة التي دخلت من لبنان إلى سورية بمائة ورقة سوري وبين هذه اللعب التي يؤخذ عليها جمارك.

التقوى أمام الإغراءات

الآن موظفون، موظفون عندك رواتبهم بسيطة، راتب وزير المالية، وزير كم يكون راتبه ؟ خمسمائة دينار، عشرة آلاف ريال، عشرون ألف ريال، عشرون ألف درهم في الشهر، ولكن هو يبني قصرأ يكلف عشريين مليون، من أين العشرين مليون هذه ؟! كلها رشاوى من الشركات الكبرى، شركة اللحوم عندما أرشته لأنه وزيراً للاقتصاد على أن تدخل شركة اللحوم البلغارية وأن لا يقبل في الأردن إلا لحم بلغاري مثلاً، فيأتي الأتراك باللحوم المذبوحة ذبحاً شرعياً وأنظف وأفضل بكثير من اللحوم البلغارية فيرفض مقابلتهم، لماذا؟ بينما اللحم المذبوح على الطريقة الشيعية مخنوق على طريقة لينين ومكتوب عليه من الخارج مذبوح على الطريقة الإسلامية تحت إشراف وزارة الأوقاف، تأكل البلد كلها لحم ميتة، من أجل الرشوة التي أخذها من شركة اللحوم، وهكذا البلد تضيق.

بابراك كارمل باع روسيا (واخان) هذا الأصعب الذي يخرج من خارطة أفغانستان، خارطة أفغانستان بهذا الشكل هذا الأصعب الذي يتصل بالصين باعه لروسيا بيعاً.

حفظ الأسد باع الجولان بثلاث وتسعين مليون ليرة باعها بيعاً، لماذا ؟ لا يوجد تقوى، بينما تجد شاباً صغيراً مربى تربية إسلامية، هناك وزير من الوزراء عندنا في الأردن كان قد تربى في الدعوة الإسلامية، جاء المستشار الثقافي الأمريكي وغيره -المستشار لأن عقولهم ما شاء الله منفتحة أنكياء لامعيين، لا يدانيهم أحد في التفكير والفن لماذا ؟ لأن عقله قد ذهب مع الخمر !! هم يقبلون مستشارين أمريكيين وانكليز، وعقلية ليس عنده عقل، نصفه ذهب مع الخمر أو ثلاثة أرباعه، ولا يعطي الاستشارات إلا وهو سكران لماذا ؟ حتى تطلع الاستشارات -ما شاء الله- وكل كلمة يأخذ عليها من ميزانية البلد، من دماء الناس، لأن كله جمارك في سورية وفي الأردن وفي مصر، كل الدولة جمارك، كله ضرائب - فجاء ليشرح له عن الآثار الإيجابية على خط البنات بالأولاد في المدارس، شرح له يوفر معلمين، نفر أبنية، أنتم في ضائقة ما إلى ذلك ويشرح، ويشرح، وعنده رسوم وعنده كشوف وعنده استمارات وعنده إحصائيات، وبعدما انتهى، هذا الوزير ينظر إليه قال له : أنهيت قال: نعم قال :كل الأموال عندنا في البلاد -هو في الأردن- كل الأموال في الأردن لا تساوي عندي عرض بنت واحدة، لف أوراقه وأصبح رأسه يلف، قال : مش معقول هذا وزير، إيش العرض؟ ما هو ثمنه في السوق؟ كم دولاراً يساوي -العرض- ؟ قال: هذه عقلية وزير ؟ عقلية إنسان يخطط لمستقبل وزارة؟ ولذلك ما مضى عليه قليل حتى غيروا الوزارة من أجل إقصائه من الوزارة، فهذا الوزير نفسه كان وزيراً للأوقاف، وأموال الأيتام مسؤولة عنها وزارة الأوقاف، وأموال الأيتام تعطى بقروض ربا، والمشرف على القروض القضاة،

القاضي، يأكل يأتي الضابط الذي يريد قرضاً من أموال الأيتام ليبنى فيلا عمارة -فيأتي للشيخ يقول يا سيدي الشيخ نريد قرضاً من أموال الأيتام، فيقول إسمع يا بني :

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: 275).

ويبدأ وجود :

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ (البقرة: 275).

المهم حرام الربا، حرام، لكن البيع حلال، يقول له طيب : يا سيدي أنا أريد قرض، وهل الضابط يعرف بيع، يعرف ربا ؟ يريد أن يبنى بيت ليتزوج، وضابط عقله بعضلاته إلا من رحم ربك وقليل ما هم، لأنهم لا يتركون المسلمين في الجيوش، اليوم هكذا وصاهم عمهم سام فيقول له : هذه ساعة بعثك هذه الساعة بمائة وعشرة دنانير دينا، فيقول قبلت يا سيدي الشيخ، فيأخذ الساعة ويخرج ثم يرجع إلى القاضي فيقول يا سيدي الشيخ هل تشتري مني الساعة - لأن "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا"، لازم يتفرقا وينتهي المجلس فيخرج بالساعة من غرفة القاضي ثم يرجع -هل تشتري مني الساعة بمائة دينار نقداً فيقول : إشتريتها منك بمائة دينار نقداً فيأخذ ساعته ويعطيه مائة دينار ويكون عليه كم ؟ مائة وعشرة دنانير هذا بيع العينة، هكذا كان عندنا الأمر بأموال الأيتام يحقوها بالربا، فجاء هذا الوزير شاب مترب في الدعوة الإسلامية، يخدم الله يعرف أنه لا يجوز التحايل على الله، خريج الجامعة الأمريكية تخصصه كيميا معه ماجستير كيمياء، ومعه دكتوراة تربية، حالق لحيته لكن يعرف ما معنى التقوى، ويعرف إيش الورع ويعرف أن قرشاً واحداً حرام يدخل عليه هذا كنار جهنم تدخل بطنه، نعم خريج أمريكا لكن تربي تربية إسلامية، واللحية هو حليق اللحية لأن الوزير لا يليق به أن يكون ملتحياً عندنا في العالم العربي !! لمهم ألغى هذا الأمر، فذهب القضاة واشتكوا عليه، لماذا ؟ لأن القاضي يأخذ على كل مرة يدين فيها بالربا خمسة دنانير، وصارت مناظرة بينهما، بين قاضي القضاة وبين خريج الجامعة الأمريكية فقال له يا سيدي الشيخ، قال : أنا مستح ماذا أقول للشيخ -أكبر من والدي وعالم وقاضي قضاة قلت له : يا سيدي الشيخ أنا أريد أن أسألك سؤالاً واحداً : الربا حلال أم حرام ؟ فقال : هو يا إسحاق الفرحان ما أحد فاهم الإسلام غيرك ؟! هذا الجواب!! قال أخيراً - مرّ في ذهني أن الشيخ يريد أن تكون هذه الأموال تابعة له، قلت له : ما رأيك أن تكون تابعة لك بشرط أن تلغي الربا منها ونعمل لكم مشاريع استثمارية قال : إذا كان كذلك أنا أقبل، قال: طيب، وفعلاً عملوا مشاريع استثمارية واشتروا عمارات، والآن العمارة في هذه الخمسة عشر عاماً في عمان تضاعف ثمنها أكثر من مائة مرة تقريباً أو خمسين ضعفاً، ومؤجرة وتأتي بقدر الربا على مئات المرات، هذه بركة البيع، بركة الحلال، فالقضايا تحتاج ورعاً عندما يكون موظف بسيط راتبه مائة دينار

وتأتي -وهو مستلم وظيفة من الوظائف- تأتي جهة من الجهات تعرض عليه عشرة آلاف دينار دفعة واحدة -والله- شاب من الشباب قال لي : أنا كنت مسؤولاً عن تقدير أجره العمارات في عمان، فقدرنا أجره عمارة قلت: هذه أجرتها خمسة عشر ألف دينار -هي مؤجرة للدولة اثنتين وثلاثين ألف دينار- قال : أنا ذهلت عندما علمت أن الدولة تدفع منذ سنوات منذ سنتين إثنين وثلاثين ألف ديناراً في السنة قال : هذه جريمة، فجاءه الرجل قال : أنا مؤجر للدولة هذا العقد السابق فقط أنت تمضي تجديد العقد، قال : لا، ما هو هذا الإمضاء؟ المهم، وسط له وزيراً فقال: لا يمكن أبداً، هذه العمارة لا تساوي أكثر من هذا، حرام يا جماعة أنتم الفلاح الذي يدفع الضريبة ديناراً تضعونه في السجن، تجمعونها من دماء الفلاحين ومن دماء العمال وتعطونها لهؤلاء أصحاب الأموال، قال : يعني أنت تعرف هذا الرجل له مكانته في البلد وعند الحاكم الكبير، قال : والله له مكانة أو ليس له مكانة، الله عز وجل يسألني عن هذا التوقيع، خمسة عشر ألفاً، ومن أجل مجيئك يا أيها الوزير هذه ألف زيادة هذه ستة عشر ألفاً، ما تراجعوني، وسط وزيراً ثانياً، من هنا إلى هنا إلى هنا قال له أخرى من أجلك لأنك وزير هذه ألف ثانية هذه سبعة عشر ألفاً وأرجو الله عز وجل أن يعافيني من زيادة الألفين هذه، الرجل عندما وجدوا أنه لم ينفع معه سأل هذا الرجل، ماذا قال ؟ والله مستقيم، لا تؤثر عليه البنات قال : لا، هذا إذا رأى امرأة يغمض عينيه، طيب إذن كيف نصل إليه؟ حمل عشرة آلاف دينار -راتب الموظف مائة دينار- حمل عشرة آلاف دينار وجاء وضعها على الطاولة، قال : إسمع، الرسول يقبل الهدية، هذه هدية لك وليست رشوة، هذا الشاب يعني كيف يعبر عن غضبه، قال كلمة كبيرة جداً له، قال له : ضعه في مكان كذا، حملها وخرج، ذهبوا واشتكوا للمقربين للملك، إيش هؤلاء الموظفين الذين وضعتهم عندك؟ ما هذه العقليات ؟ أقول له : هذه هدية يرد علي بكلمة أكبر من الجبال وضعها في مكان كذا، بعد فترة راجعه أحد أصحاب العمارات، كذلك حول أجره من هنا إلى هنا ليس هناك فائدة، وسط له البلد كلها بدون فائدة، هذا حمل خمسة وعشرين ألف دينار هذه المرة وقف على الباب، هذا الرجل قال له : قبل ما أدخل خمسة وعشرين ألف دينار أنا رجل كبير وصاحب شرف إياك أن تغلط، قال إنتظر حتى أرد عليك قال له ماذا ؟ فرد عليه كلاماً مثل سابقه.

يا أيها الإخوة : عندما يكون موظفاً بسيطاً لكن مربى على الإسلام، شاب عاش في جو جاهلي ولكن الله عز وجل أنقذه، أنقذه ويعرض عليه خمسة وعشرين ألف دينار وراتبه كم؟ مائة دينار هذه تحتاج إلى تقوى حتى تردها، تحتاج إلى صدق وورع، تحتاج إلى مراقبة رب العالمين، وبدون التقوى وبدون الصدق لا تمضي الأمور، يخرب المجتمع كله، والآن أنظر إلى مجتمعاتنا مدمرة، والله هذا الشاب صار متصرفاً بالأغوار، ما كان أحد يجرو على الغش،

كان من أقصى الغور إلى أقصاه إذا دخلت امرأة إلى دكان تشتري سكرًا وترى أنه زاد نصف قرش في الكيلو هذا التاجر تقول له : أذهب للمتصرف يقول : هل تذهبين إليه ؟ خذي خذي فيرجع لها نصف القرش خوفاً من المتصرف.

نصائح جهادية

اختيار واصطفاء

أيها الإخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنتم جنتم نافرين في سبيل الله، إجابة لأمر الله عز وجل:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

وصلتم إلى هذه المنطقة، ليس بجهودكم ولا باجتهدكم، ولا بعلومكم ولا بمهاراتكم إنما هو من الله، كثير من الناس أشجع منك ولم يأتوا، وكثير من قومك أعلم منك وقعدوا، وكثير منهم دعاة بارزون في مجتمعهم ولم يأتوا، وأنت أتيت، فهذا تيسير من الله عز وجل، فيجب أن تشكر الله عز وجل على هذه النعمة، أن يسر لك السبيل ومهد لك الطريق وشرح صدرك لهذا المكان الذي أنت فيه، وهذا كما قلت: ليس باجتهدكم إنما هو من الله وإلى الله.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: 7).

فإن يحبب إلى قلبك الإيمان، ومن الإيمان الصلاة، ومن الإيمان الجهاد فهذه شعب من شعب الإيمان، حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ليس التحبيب فقط بل أصبح محببا إلى النفوس، أصبح زينة في القلوب، أصبح هواية، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، فهو الذي حَبَّبَ وهو الذي زين وهو الذي كَرَّهَ.

فأنت يجب أن تشكر الله عز وجل على هذه النعمة مرة أخرى، أنه حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِيَدِكَ إِنَّمَا هُوَ بِيَدِ الَّذِي خَلَقَهُ، ولذلك الرسول ﷺ كان يخاف على قلبه أن يتغير أو يتبدل فكان يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، ومن دعواته (ثبت نفسي على طاعتك)، فأنت قد تكون في طاعة ثم يبغضها قلبك، وهذه مصيبة من الله عز وجل يعاقبك عليها، والخطيئة تجر الخطيئة، والحسنة تجر الحسنة، وقد تقع في مصيبة أو موبقة من الموبقات: سرقة، زنا، ربا إلى آخره هذه تجر عليك مصيبة أخرى أنك تكره صلاة الجماعة مثلا، أو يتقل عليك قيام الليل فتحرم منه، هذا ليس منك إنما هو من الله وإلى الله، ولذلك يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: 24).

والحياة هنا الإسلام أو الجهاد كما جاء في بعض الروايات عن المفسرين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ يعني قد يفرق بينك وبين قلبك فلا يحب الجهاد والحياة التي فيه، وقد تحرم من أن تأمر على قلبك ولا تستطيع، لأن القلب بيد الذي خلق القلوب هو الذي يقلبها، وإنما سمي القلب لتقلبه لأنه يتقلب، ولذلك ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ فإذا جنتم إلى الحياة وإلى الجهاد ليس هذا باجتهادكم، لأن الذي جاء بالقلب يستطيع أن يحول بين القلب وبين الخير الذي جاء إليه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ ﴾.

ولذلك ابن تيمية رحمه الله كان يقول عندما يقولون له : إهتدى على يدك الكثير ونفعت الإسلام كثيراً فيقول: والله ليس مني شيء وليس في شيء وليس لي شيء، من الله " وعندما تعلم هذا الله عز وجل يفيض عليك من رحمته ويكتب في قلبك الإيمان، يكتب في قلبك الإيمان ويؤيدك بروح منه، ولذلك النماذج التي صنع الله بها التاريخ ونصر بها دينه قال عنها :

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: 22).

لأن الذي عملوه ليس من جهود البشر، أكبر من جهود البشر، وما ذلك إلا للتأييد الرباني الذي واكبهم في مسيرتهم وحالفهم في غزواتهم للفتح الإلهي على قلوبهم التي استسهلت كل صعب واستعذبت كل مر، واستحلت كل غصة في سبيل نصرته دينه، فأنت إن وصلت هنا..

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ (النساء: 123).

وليس باجتهادك إنما هو توفيق من الله أولاً وآخراً، وأنت عندما تنظر من حولك في مجتمعك، في قرينك، في جامعك، في مدرستك، في حارتك التي تعيش فيها، تجد الكثيرين في الحياة الاجتماعية سبقوك، وخير منك علماء، وخير منك عباداً فاختارك الله عز وجل من بينهم لهذه العبادة التي غابت عن الناس وغاب عنها الناس..

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

هداية من الله

كثير من المشايخ أو المتدينين أو الدعاة في منطقتك لا زالوا يناقشون أن مجيئك هنا خير أم شر؟ بعضهم يظن أن مجيئك هنا ليس من الخير، أو ليس من الحكمة على الأقل، وأن قعودهم

هو الحكمة وهذه مصيبة من المصائب، وهذا دليل التباس الأمر على القلوب وعلى النفوس، صارت النفوس لا تستطيع أن تفرق بين الحق والباطل وبين الخير والشر، (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً) وما ذلك إلا لموات القلوب، وما ذلك إلا لتعتيمها وظلمتها، صارت حقائق الأشياء وأحكامها لا تتطبع على القلب أو لا تتضح على القلب، لأن القلب زجاجة صافية، فإذا أذنب الإنسان تظلم هذه الزجاجاة، فتصير صور الأشياء لا تبين، لا تظهر عليه، أما الرجل المتقي الصادق الذي قلبه صاف، زجاجة صافية، رأساً صور الأشياء تبين عليه، هل يستطيع أحدكم أن يرى صورته في مرآة عليها الطين؟ لا يستطيع، فلا بد أن يجلو المرآة أولاً ويصقلها ثانياً ثم ينظر إلى صورته لتبدو واضحة، كذلك القلب حقائق الأشياء لا تظهر عليه إلا إذا كان صافياً كالمرآة، فإذا أظلم القلب لكثرة الذنب لا تبين عليه صورة الأشياء أحياناً، يلبس عليه، الصورة غير ظاهرة، الطين غطى مرآة القلب، طين الذنوب ووحل الآثام قد غطى القلب فصار الإنسان لا يرى صورة الأشياء عليه، النفير إلى الجهاد ينظر إليه فلا تبدو صورته، صورة مقلوبة مسودة لا ترتد فيه حقائق الأشياء ولذلك ينظر.. النفير إلى الجهاد غير ظاهر، غير واضح عنده، ولذلك يبدأ يقيس بعقله لأن قلبه مظلم وعقله لا يستطيع أن يحكم على الأشياء، لأن الدين بصائر، فلا بد لها من بصيرة تراه، آيات لا بد من أن تزول الغشاوة عن العين حتى تبصرها..

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾
(الأنعام: 104)

فتحتاج إلى نظر، أما الأعمى هل يرى صورته؟ لا يرى (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه) ولذلك ألم يكن الرسول ﷺ بين قوم شجعان أبطال كرماء، وقسم كبير من قومه ومن أهله الذين كانوا يسمونه بالصادق الأمين وكان أحدهم يتفاعل عندما يرى الرسول ﷺ، كانوا في الجاهلية قبل أن يبعث الرسول ﷺ إذا استصبح أحدهم بالرسول ﷺ بمحمد قبل أن يكون رسولا يتفاعل طيلة اليوم، يتفاعل أنه رأى الأمين، هذا اليوم كان اسمه محمد الصادق الأمين، فعندما بعث صار الكذاب الخائن عندهم، صاروا يقولون :

﴿أَجَلْ نَالِهَةٌ إِلَهِهَا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا لِبِأَخْتِلَاقٍ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ نَكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (ص: 5-9).

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: 4).

الذي كان الأمين صار كذابا وساحرا وأبتر مقطوع ومجنون، الذي حكموه قبل خمس سنوات في أخطر قضية مرت في تاريخ مكة وهي وضع الحجر الأسود، ارتضته قبيلة قريش كلها بطونها وأفخاذها ارتضته أن يكون حكما في أخطر قضية، وأن يضع الحجر بيده الكريمة، بعدها بخمس سنوات عندما جاءهم بالحق إذا بهم يقولون: هو ساحر كذاب مجنون، ما في بصائر، البطارية غير شغالة، ما في نور، لا يبصر، قلبه موجود ولكنه مظلم، فكنت أتحسر كثيراً وقلبي ينزف دماً لأولئك الذين عاشوا مع الرسول ﷺ نعمة الله إلى البشرية، ورحمته المهداة ويعرقلون دعوته، أي مصيبة أكبر من هذه؟ لا يوجد مصيبة أكبر من هذه.

الآن مصيبة الذين يسمعون بهذا الجهاد منذ عشر سنوات وبعضهم يأتي إلى هذا الجهاد ولا يتذوق حلاوته، هذه مصيبة من المصائب، مصيبة كبرى أن يعيش في أرض أو قريبا من أرض المعركة سنوات ولا يطلق طلقة في سبيل الله بحجة أنه غير إسلامي أو غير واضح أو فيه بدع أو ما إلى ذلك، هذه كلما أذكر هؤلاء الناس الذين لم يتذوقوا حلاوة الجهاد، أذكر أولئك الذين لم يستطيعوا أن يحبوا رسول الله ﷺ ويهتدوا بنوره ويسيروا على طريقه، هذه مصيبة كبرى في ذلك العصر، فأنت ما جئت هنا باجتهدك أو لأنك ذكي أو لأنك شجاع، أو لأنك عالم، أو لأنك داعية، بل الله اختارك ليشرفك بحمل راية الجهاد، تشريف من الله، الله كيف أتى بك سبحانه وتعالى، بحر متلاطم من الفتن والجاهلية وغير ذلك في العالم العربي والناس غارقون في أهوائهم وشهواتهم، وأمثالك الآن يفحطون في السيارات في شوارع جدة والرياض وعمان والقاهرة، وأنت يختارك الله ليكون كل يوم من أيامك بألف يوم، أي نعمة أكبر من هذه؟ أي نعمة أكبر من هذه؟

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

الأجر العظيم

فدائما أشكر الله على هذه النعمة، ما جاء من مدرستك إلا أنت أو من جامعتك، أو من شركتك، أو من محلك، أو من بلدك إلا واحد أو اثنين فقط، وبقية الناس مشغولون بتجارتهم، مشغولون بدنياهم، مشغولون بوظائفهم، هذا وظيفته كبيرة عند الدولة، وهذا في الدرجة الثالثة عشرة؛ وهذا يعمل مدير شركة، وهذا صاحب تارة، أنت تاجرت مع الرحمن، هذا يشتغل بتجارة فلان، يشتغل عند فلان، يشتغل في مصنع فلان، في دولة فلان، وأنت تشتغل مباشرة مع رب فلان وفلان، أي نعمة أكبر من هذا؟ رأسا أنت في الشركة الربانية، اشتغلت في الشركة الربانية، الأجرة التي تأخذها كل يوم خير من مال الشركة التي تركتها كلها، هل

تصدقون ؟ لا ... خير من البلد التي أنت فيها كل يوم تأخذ ميزانية أكثر من ميزانية أغنى دولة في العالم لك يوم أجرك من الله، ليس مائة درهم في اليوم أو خمسمائة أو ألف درهم.

تقبض أجرتك من الله عز وجل على اشتغالك بالشركة الربانية (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها).. خير من الدنيا وما عليها، أي نعمة أكبر من هذه ؟ أي فضل من الله عليك أعظم من هذا؟ أي منة من الله أرفع من هذه المنة ؟ فلان أين ؟ والله دعسته سيارة، وفلان مات بالجلطة، وفلان مات فجأة، وفلان غرق في البحر، وفلان مات في بانكوك، مات مع الساقطات، وأنت، أين فلان ؟ قتل في سبيل الله، أين قتل ؟ في أفغانستان، آمن، خلاص تأمين دائم.. الجنة خلاص آمنها، آمن 70 واحد من أهاليه في الجنة، أقل واحد منهم له في الجنة بقدر ضعف الأرض، أقل واحد له ملك في الجنة - في الحديث الصحيح في رواية مسلم - آخر واحد يخرج من النار له بقدر الأرض مرتين فكيف الشهيد !؟

أين فلان ؟ لمن هذا البيت ؟ لفلان أنظر إلى هذا القصر العظيم، الدرج الموزايكو، الكرميد إلى آخره أنظر درجة، أبوابه، حرسه إلى آخره (فيلة) جميلة أنظر إليها، تصور الباب يفتح بمجرد أن تقف أمامه هكذا.

وأنت كل قصر من قصورك إذا قتلت شهيداً صابراً محتسباً القصر فيه من لؤلؤة مجوفة طوله في الجنة سبعون ميلاً، القصر الواحد !! سبعون ميلاً !! فهل يوجد قصر في الدنيا سبعون ميلاً؟ ومن لؤلؤة ؟! بابه من زمرد أخضر، وفيه الحور العين يرى الماء من حلقها أثناء الشرب، ومخ عظامها يبدو لصفائها، وهؤلاء الحور العين كلهن خدمن لزوجتك إن دخلت معك الجنة، ماذا تريد ؟ تريد وظيفة أربعة آلاف ريال، كم كنت تأخذ ثلاث آلاف وخمسمائة 3500 ؟ ماذا تشتري فيها، تفاح؟، كبسات؟ تأكل توفر منها ؟ تتزوج واحدة سمراء، عمشاء رمضاء إلى آخره ؟ إثنين وسبعين من الحور العين، أنت مجنون ؟! تترك هذا النعيم وتذهب إلى ذلك الطين ؟ والله ما فيك عقل إن تركت هذا وذهبت إلى ذلك !!

فيا بائعا هذا ببخس معجل

كأنك لا تدري ولا أنت تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ولذلك أشكر ربك أنه أتى بك إلى هذا المكان، واشكر ربك أنك تشغل في شركة الرحمن، واشكر ربك أنك حملت الراية في آخر الزمان، القابض على دينه كالقابض على الجمر، والعامل لدينه له أجر خمسين من الصحابة رضوان الله عليهم.

قالوا : منا يا رسول الله أو منهم ؟ قال : منكم، أجر الواحد في هذا الزمان بقدر أجر خمسين صحابياً، لا يعني هذا أنك أحسن منهم، لأن الصحابة رضوان الله عليهم يلحقهم مثل أجورنا، لأنهم هم السبب في دخولنا الإسلام.

فمنذ أن آمنوا على يدي رسول الله ﷺ وإلى يوم القيامة كل ثواب الأجيال تلحقهم في قبورهم، دون أن ينقص من ثواب الأجيال شيئاً، فأنت لك أجر خمسين من الصحابة، لكن الصحابة أجرهم لا يتوقف إلى يوم القيامة، اشكر الله، أنتم كم واحد ؟ ثلاثمائة من ألف مليون ؟ كل ثلاثة ملايين جاء منهم واحد، أنت الواحد اختارك الله من ثلاثة ملايين، أي نعمة أكبر من هذه ؟، اختيار حامل رسالة الملك، الملك عندما يريد أن يرسل رسالة إلى ملك آخر يختار رجلاً أميناً ثقة عنده فالله اختارك لحمل رسالته، ليس إلى ملك بل إلى العالمين، أي نعمة أكبر من هذه ؟ فلا تتدم، ماذا تركت يا أخي ؟ والله ما تركت شيئاً، تظن أنك فقدت شيئاً عندما تركت جامعتك أو خرجت من الثالث ثانوي أو خرجت من دار الحديث أ من كراتشي، ماذا نقص عليك ؟ ما نقصت شيئاً.

(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها) -حديث صحيح- يوم بألف يوم !! واليوم خير من ميزانيات الأرض جميعاً، خير من الدنيا وما عليها كل يوم يسجل لك، اليوم بألف يوم، واليوم أعظم عند الله من ملك الدنيا بأموالها، فلا تتدم، ومن وجد الله فقد وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد فقد كل شيء، ولو كانت الدنيا بحذافيرها حيزت له.

قد يأتي إليك الشيطان في بداية الطريق خاصة في هذه الفترة يهجم الشيطان هجوماً شديداً عليك، لأن الشيطان كما جاء في الحديث الصحيح يجلس على طريق الإسلام، على طريق الهجرة على طريق الجهاد إن الشيطان قد قعد لابن آدم على طريق الإسلام، فقال له: أين؟ تترك دين آبائك وتدخل ديناً جديداً، إذا هاجر أين ؟ تترك الأولاد حديث صحيح.

فالشيطان يشتد كلبه عليك في هذه الفترة، تستوحش، لا تأنس بسرعة لأنك تركت أصدقائك، تركت جيرانك، تركت وظيفتك، تركت أمك وأباك، تركت الطعام اللذيذ والفرش الوثير، والأخ الأثير لك -يعني الحبيب إلى قلبك- تركت أباك وأمك، تركت جيرانك وخلانك وجئت إلى جو جديد كل من فيه غريب عنك، كل ما فيه من طعام أو شراب مخالف للحياة التي عشتها فتستوحش، ماذا فعلت أنا ؟ كيف استقلت من وظيفتي ؟ كيف تركت جامعتي ؟ والذي لم يستقل يقول : الحمد لله أنني ما استقلت قبل أن آتي، ولذلك الذي يريد الله به خيراً يكون قد استقال وقطع عنه الدنيا، سد عليه أبواب الدنيا، سد عليه أبواب الرجوع، فأنت الآن ماذا تركت ؟ ماذا تركت ؟ أفضلكم من ترك وظيفة بأربعة آلاف درهم، خمسة آلاف درهم أكثر

من هذا ؟ هذا أفضلكم حالا، خمسة آلاف درهم في الشهر، ستة آلاف، نفرض أنك تأخذ في اليوم مائتي درهم !! مائتي درهم !! يا مسكين تحزن على ترك مائتي درهم وتقرط بمكان اليوم فيه خير من الدنيا وما فيها!! مائتي درهم !! كيف ضحك الشيطان عليك؟! كيف يجرك الشيطان؟! كيف يوسوس لك!؟

الحق لا يتغير بتغير العلماء

بل أكثر من ذلك، يقول لك الشيطان ويدخل الآن من مداخل، من قال إن الجهاد فرض عين واحد أو اثنين أو ثلاثة، هنالك كثير من العلماء، إذا ما دام فرض عين لماذا لم يأت الشيخ الفلاني؟! يبدأ الشيطان يقول لك : يعني نحن أفضل من الشيخ الفلاني؟ يعني نحن أفضل من الداعية الفلاني؟ أفضل من الخطيب الفلاني؟ لو كان فرض عين لأتى الشيخ الفلاني، الحق لا يقاس بالرجال، الرجال يقاسون بالحق، بقدر قرب الإنسان من الحق، بقدر ما يكون عظيما عند الله، وبقدر ما يكون حبيبا إلى قلوبنا، نحن لا نريد أن نعكس الآية نأتي نطبق الحق على الرجال، مسطرة الحق لا تختل فنضعه، كم طوله وقف بجانب المسطرة، قف بجانب المسطرة كم طولك عشرة سانتى، عشرين، خمسين، مائة، هذه المسطرة لا تختل، أما أطوال الناس هي التي تختلف، فإذا قُزمت البشرية، وانمسخت وصار طول الواحد منهم عشرة سانتى، الحق مسطرته واضحة لا تختل ولا تتغير، فلا نريد أن نمسخ الحق حتى ينطبق على البشرية التي انمسخت، لا.. نقول للبشرية أنت انمسخت، يجب أن ترتفعي إلى العلو الذي يريده الله والعلو الذي يريده الحق.

يعني الإسلام دون تشبيهه مثل ثوب مفصل على إنسان كامل طوله 175 سانتى، وزنه 75 كيلو غرام.

فالبشرية صارت ترجع، تنزل، تتمسخ، تقصر، صارت من 175 إلى مائة، قصرنا من تحت ثوب الإسلام باسم المصالح المرسله، وباسم الضرورات تبيح المحظورات، وباسم صحة الأبدان، إن لبدنك عليك حقا وباسم عدم التشدد، طيب نقصت البشرية رجعت إلى طول خمسين سانتى متر، قصصنا الثوب من هنا، ومن هنا حتى صار طوله خمسين سانتى، طيب صارت البشرية والأجيال طولها عشرة سانتى كيف تريد تلبس هذا الثوب المفصل على واحد 175 سم على هذا الفأر الصغير؟ هذا كيف؟ لا يمكن إلا إذا غيرت الإسلام نفسه، فالإسلام نفسه، فالإسلام تقصص في الأذهان، كيف هذا؟ ليس هذا هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، فأنت لا تقل هكذا، قل العكس، الله يقول كذا وفلان لم يستجب لنداء الله الذي يقول : (انفروا) فلان مقصر في هذه القضية وهو تارك لواجب وإن كان داعية كبيرا وعالما

تحريراً، وإن كان فريدة دهره وفريد عصره، ضعه بجانب المسطرة كم طوله ؟ عشرة سانتى، تريد أن تقصص الإسلام حتى يصير على طوله !؟ لا... هو لازم يرتفع حتى يصبح طوله 175 سم، ولذلك إعرف الحق، تعرف أهله، مفهوم ؟ لا يقاس الحق بالرجال ولكن يقاس الرجال بالحق، المسطرة موجودة ضع أي واحد بجانبها أي أمر رباني أطاع، الذي يطيع خير من الذي لا يطيع قطعاً، أليس كذلك ؟ بلى، واحد يحفظ البخاري ومسلم عن غيب ويأكل الربا نقول يبدو أن الربا مباح، لأن فلان يأكل الربا، هل يصبح الربا حلالاً لأن فلان يأكله، وإذا كانت ابنة فلان تخرج كاشفة الوجه أو عارية الرأس، وإن كان من العلماء الكبار، هل هذا يعني أن كشف الرأس جائز لأن العالم الفلاني أباح لابنته أو سكت عن ابنته وهي تكشف رأسها ؟! يبقى غطاء الرأس واجب ويبقى كشف الرأس حرام وإن فعله العالم الفلاني وطبقه العالم الفلاني، عامل في شركة زوجته تغطي وجهها ورأسها وفلان الكبير في قومه زوجته تكشف وجهها، فلا يصبح كشف الرأس حلالاً لأن فلان يفعله، ولا يمكن أن يصبح الربا حلالاً لأن العالم الفلاني يأكله، وكذلك الجهاد لا يمكن أن يصبح مكروهاً لأن العالم الفلاني لا يفعله، الجهاد فرض من الله عز وجل في كل الأزمان إما فرض عين كما هو الحال الآن منذ أن سقطت الأندلس 1492 م إلى يومنا هذا، والجهاد فرض عين على كل الأمة المسلمة، وكل الأمة المسلمة آثمة لأنها لم ترجع الأندلس، ولم ترجع بخارى، ولم ترجع فلسطين، ولم ترجع أفغانستان، ويبقى الجهاد فرض عين حتى ترجع كل بقعة كانت إسلامية إلى يد المسلمين، ليس بتحرير أفغانستان ولا بتحرير فلسطين فقط بل بتحرير كل جزء في يوم من الأيام خضع تحت راية الإسلام، فالجهاد ليس اليوم فرض عين، وليس فرض عين في أفغانستان، بل منذ أن سقطت أول بقعة من الأراضي الإسلامية في يد الكفار، هذه قاعدة مسلمة بين العلماء جميعاً، وقد يأتي إليك الشيطان مرة أخرى يقول لك: أنت ما استأذنت الوالدين، واستأذنان الوالدين واجب (ففيهما فجاهد) وأنت ما أطعت العالم الفلاني، الشيخ الفلاني الكبير أفتى على أن استأذنان الوالدين واجب، وأنت جئت بدون استأذنان الوالدين لازم ترجع وتستأذنهم، الآن فطن الأخ الكريم يستأذنهم !! لماذا ؟ ! نفسه تعبت، كان الشوق يحده، الروح قوية تدفعه، الطاقة ضخمة تمده هنا، إنشغل عن قراءة القرآن، إنشغل عن الذكر، هجم عليه الشيطان، قال له : أنت لا بد أن تستأذن أمك. مرة في جاجي بجانب (جاوني) بدأت الطائرات تقصف، وإذا بواحد يبكي، مالك يا فلان ؟ لماذا تبكي؟ لما بدأت الطائرات تقصف صار يبكي قال : والله أنا خائف أموت وجئت ما استأذنت أمي خائف أموت عاصياً، ما فطن إلا لما نزلت القذيفة، قال: أنا خائف أموت عاصي لماذا ؟ لأنه ما استأذن أمه، هو الخور الداخلي والجبن في الداخل، ذكره الشيطان، دخل قال له : أمك !! هي أمه غير واردة في الموضوع أبداً إنما القضية إيه ؟ القضية جبن وقلة إيمان.

لا يفتي في الجهاد إلا العالم المجاهد.

فالمهم في هذه الفترة قعد الشيطان على الطريق، يا أخي إذهب أستأذن والديك، يا أخي أنت كنت مسئولاً عن عشرة تلاميذ صغار، تعلمهم القرآن الكريم الآن ماذا يستفيد منك الأفغان؟ أنت واحد بين الأفغان، والأفغان كثيرون، وكما يقول المثل (عندي من الخروب سلة ملآنة)، أنت جئت تبيع الماء في حارة السقائين، لا!!

كثير من المجاهدين القاعدين في فرنسا أو في غيرها، قبل أيام وصلني شريط من فرنسا يسألون شيخاً وداعية كبيراً وفي مؤتمر كبير يسألونه ما رأيك بكتاب الشيخ عبد الله عزام: (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) وقد وقع عليه ابن عثيمين وفلان وفلان وفلان ومحمد نجيب المطيعي وسعيد حوى فماذا كان الجواب؟ إن خطأ الشيخ عبد الله عزام وهؤلاء العلماء أنهم ما عرفوا أن فرض العين يحتاج إلى إمام، إمام يستنفر الناس، هذا جوابه!! لا زال يجيب الأستاذ من فرنسا عن الجهاد الأفغاني، مثل ما تسأل أمي عن اللغة الصينية أو جدتي!! تطلب منها أن تتكلم معك باللغة الصينية، أو تطلب من الجالسين أن يتكلموا معك بالباشتو، فيجيب الأخ الكريم عن دين الله، عن أخطر قضية في الأرض يقول: طيب الآن الشيخ عبد الله عزام يريد أن يجمع الدعاة في أفغانستان، هذا جواب الداعية الكبير والعالم النحرير في المؤتمر وفي فرنسا، فرنسا!! فيقول: الآن أمريكا تمد الجهاد بالسلح والمال، فنرسل الدعاة غداً، لو أن أمريكا غيرت نظرتها للجهاد الأفغاني وامتنعت عن مده بالسلح والمال، فماذا يصيب هؤلاء الدعاة وماذا يصير للمسلمين وماذا يصير للجهاد، هذا في مؤتمر كبير من داعية كبير ترون صورته على مجلة المجتمع وغيرها.

فالمهم، يا ابن الحلال ما كلفت خاطر ك تسأل هل أمريكا تمد الجهاد أو لا تمد؟ اتق الله أولاً تتهم الجهاد الأفغاني أنه يمد من قبل أمريكا بالمال والسلح، أمريكا جاءت بستين مليون دولار للتعليم وطلبت من كل قادة الأحزاب الأربعة البارزين أن تدخل في أفغانستان تعمل بعض الوحدات الصحية فرفضوا الأربعة، ذهبوا إلى وزير الخارجية السعودي والسفارات في إسلام آباد هنا والعلماء البارزين ورابطة العالم الإسلامي، يرجونهم أن يتدخلوا لدى قادة المنظمات يفتنعوهم أن يسمحوا لهم بعمل وحدات صحية فرفض الجميع ذلك، وجاءوا بمائة مليون للصحة، ستون مليون للتعليم ومائة مليون للصحة، وطلبوا من المنظمات الأربع الكبرى أن يدخلوا في أفغانستان يعملوا مدارس، لا يوجد مدارس، المدارس هدمت ملا يوجد كتب، نحن مستعدون أن ندفع رواتب المدرسين، أن نعمل لكم مدارس في الجبال، أن ندفع للطلاب، فرفض الجميع، جاءوا إلى مدير الهلال قالوا له: ما رأيك أن تأخذوا هذه الأموال نحن نشغل

بالتعاون معكم لأن الناس يقبلونكم لأنكم مسلمون وأما نحن لا يقبلوننا لأننا لسنا على دينهم
فرفضها.

فكيف تقول : يا أيها العالم الكبير، والعلامة النحرير، يا عالم عصره وخطيب دهره وفريد
عصره، كيف تقول أن أمريكا تمد الجهاد بالسلاح والمال رجما بالغيب واتباعا للظن..
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: 28).

يكفيك إثما أمام الله أنك غيرت نظرة كل من كان في المؤتمر عن الجهاد الأفغاني، أي إثم
أكبر من هذا؟ ثم يا أيها العالم الكبير ما كلفت خاطرك أن ترجع إلى كتاب فقهي فيقول لك إن
الجهاد لا يتوقف إذا لم يكن في الأمة أمير، وغياب الأمير لا يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت
بتأخيره، كما يقول ابن قدامة، بل الدنيا، كل العلماء، كل عاقل يقول : كيف تؤخر الجهاد حتى
يأتي الخليفة؟! انتظروا حتى ينزل الخليفة على طبق من ذهب، ربنا أنزل علينا مائدة من
السماء عليها خليفة مثل عمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب، مجانيين أنتم؟! كيف؟ من
أين يأتي الخليفة؟! الخليفة ينزل من السماء أم ينبت من الأرض، الخليفة لا يأتي إلا بعد بحور
الدماء وتلال الأشلاء، فيأتي من بين المجاهدين خليفة من الخلفاء، أما تريد وأنت قاعد في
فرنسا وأمريكا على ال(كنايية) هذه التي تلف، ربنا يغفر له -هو صاحبنا والله- وللأسف
للأسف -ربنا يغفر له- تفتي بهذه الفتوى، أي كلام هذا الذي تقول؟

وعالم آخر يسألونه ما رأيك بالجهاد في أفغانستان؟ فيقول : فرض عين لكن كيف تذهبون
إلى أفغانستان؟ أين تتدربون بعيدا عن عيون الحكومات، والله هكذا في الشريط، أين يقام
المعسكر؟ وهل تستطيعون أن تدخلوا أفغانستان، أم تعملون مثل الفلسطينيين يطلقون عن
الحدود ويرجعون؟ هل يستطيع المجاهدون العرب والأفغان أن يدخلوا في صلب أفغانستان،
أم يبقوا على الحواشي؟ هو يفكر قاعدين في باكستان ومن (ترمنكل) يرمون بعض القنابل
ويرجعون، ثم سؤال ثالث هو يقول: فرض عين لكن كيف يقابل المجاهدون الدبابات؟
بالسكاكين والمدى؟ هكذا؟! ثم يقول : يكون هؤلاء الشباب العرب ثقلاً على الجيش الأفغاني،
يفكر أن الجيش الأفغاني هو الذي يقا تل روسيا، وهو عالم كبير مشهور في العالم، كذلك
وحوله جمهور كبير من الشباب والضجة قائمة، فقط يريدون أن يلتقطوا كلمة من فتوى الشيخ
الكبير، والعالم النحرير، والله من أشهر العلماء والدعاة في العالم الإسلامي، وتجد هذا الشريط
في تسجيلات فلان وفلان الإسلامية، وهكذا يطبعون عنه ويوزعون في العالم الإسلامي،
والمسكين الشاب الجالس في الأردن أو القاهرة، شريط للشيخ فلان عن الجهاد الأفغاني، ماذا
يقول؟ يقول: الجهاد فرض عين لكن كيف تذهبون؟ وهو كذا كذا وكذا.

وأخيراً بعد أن أورد هذه المبررات قال له أحد الجالسين: أنا طبيب أريد أن أذهب إلى أفغانستان، هل أذهب؟ قال الذي سمع كلامي وتابعه يعرف الجواب قال: أنا فهمت أنني لا أذهب، أريد أن أفهمها منك صراحة قال: لا تذهب، صدقوا!!! شريط مسجل وأنا سمعته بأذني، في إثنتين شوال سنة 1405 هجري، أليس هذا مصيبة يا إخوان؟ كيف يفتي العلماء في قضية لا يعرفونها.

ابن تيمية قال: في الجهاد لا يُسأل إلا الناس الذين في الجهاد، في الفتاوى الكبرى الجزء الرابع، قال: وإن كان الرجل متبحراً في العلوم الدينية لا يسأل عن أمر الجهاد، لا يسأل لأنه لا يعرفه لا يستطيع أن يقدر، لا يستطيع أن يعرف حجم المشكلة.

فيا أخي الكريم إعلم -رحمك الله- أن الله قد اختارك اختياراً وهذه نعمة ما من الله بها عليك بعد الإسلام أكبر منها نعم، فلا تندم ولا تتحسر ولا تتلثم ولا تتعرقل بخطواتك، إمش ثابت الخطو، إمش ثابت الجنان.. على الطريق الذي ذلك عليه ولا تتراجع ولا تتقهقر ولا ترتد على عقبك خاسراً فقد عرفت الطريق فالزم (يا حارث عرفت فالزم).

فالله عز وجل اختارك، واختارك للخير، فلا تتحسر على دنيا تركتها، والله إن الدنيا هنا أفضل من الدنيا هناك، وبعد قليل عندما يفتح الله عليك، عندما تتذوق حلاوة الجهاد، تتذوق حلاوة هذه العبادة، تدرك صغر الدنيا التي كنت متاجراً فيها.

نعم يا إخوة : معظم الدول الحارة خاصة البترولية في مثل هذه الأيام يبحثون عن مكان يصطافون فيه، أي مكان للاصطياف أفضل من هذا؟ حتى للدنيا، أي مكان يفيد جسدك وروحك وفكرك أكثر من هذا ؟ أي مكان تستغل فيه وقتك من الخامسة صباحاً حتى العاشرة ليلاً ؟ أي مكان لا ترى فيه منكرات ونساء؟ أي مكان تصلي فيه صلوات الجماعة خمس مرات يومياً لا تفوتك مدة شهر أو شهرين صلاة جماعة واحدة؟ أي مكان يجمع صفوة من العالم الإسلامي كلها جاءت في سبيل الله وتركت دنياها، فلا تتحسر ولا تتندم ولا تتفكر ولا تقف لتراجع حساباتك، أنت على الطريق امض قدماً، فإله عز وجل اختار لك الخير، أنت يجب أن تعلم أن الجهاد عبادة وهي أعظم العبادات في الإسلام أجراً.

ولذلك قال رسول الله ﷺ : (وذروة سنامه الجهاد) ولا تكون بهذه المنزلة إلا لأنك تتحمل مشاقاً في طريقها، إنما أجرك على قدر نصبك، على قدر التعب.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلحق الصبراً

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم
ويعظم في عين الصغير صغيرها
ويصغر في عين العظيم العظائم
وأنت تحيي عبادة قد نسيها الناس.

فتح الفتوح

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (ابراهيم:12).

وجوب التوكل على الله عز وجل

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد استفاض فيهما الكلام عن التوكل على الله عز وجل، والتوكل نصف الإيمان لأن التوكل هو الجليل العملي الواقعي، وهو الصورة العملية في واقع الحياة ومستقر هذه العقيدة في أعماق النفوس، فالعقيدة إنما تتعكس فوق الأرض أحداثاً وكلمات وسلوكاً وحركات، فيبدوا من خلالها التوكل ظاهراً جلياً، وإلا فالإيمان والعقيدة أمر مستكن في أعماق النفوس، مستقر في مسارب القلوب، ولا بد له من دليل واقعي في عالم الحياة، وسلوك وأخلاق يدل على أنه مستكن في أعماق الأفئدة.

والعلماء يقولون في التوكل إنه كله الأمر إلى الخالق وأن تكون بما في يد الله عز وجل أوثق مما في يدك فالأسباب هي من خلق الله عز وجل، ولكن النتائج كذلك من خلق الله، والأسباب لا تؤدي إلى النتائج حتماً، فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج، ومن هنا فالأخذ بالأسباب إنما هو فرض علينا لأن الله أمرنا به، ولكن الأسباب لا تعطي النتائج قطعاً.

فإنه عز وجل قد دلنا أن طريق الإنجاب وإكثار النسل هو الزواج، فقد يتزوج المرء ويتخذ الأسباب للإنجاب، ولكن رب الأرباب يأبى أن يعطيه الأولاد، وقد يعد الإنسان للدرس وللامتحان كثيراً ويجد ويكد ولكن الأسئلة تأتي من خلاف الصفحات التي ركز عليها وأكد أثناء دراسته باهتمامه بها، فستكون نتيجته غير النتيجة التي يتوقع، وغيره قد لا يتخذ الأسباب وقد أعد بعض الصفحات فتأتي الأسئلة منها وتأتي نتيجته خير من الذي أعد... لكن الأول الذي إتخذ للأمر أهبطه وأعد له عدته لا يحاسب أمام الله وإن فشل في الامتحان لأنه قد أدى ما طلبه الله منه، والثاني وإن نجح في الامتحان فإن الله يحاسبه على ترك الأسباب والأخذ بها، والله عز وجل أمرنا بالإعداد والاستعداد.

لكن المستقر في يقين المؤمن أن الذي خلق هذه الأسباب هو الذي خلق النتائج وقد تؤدي الأسباب إلى النتائج وقد لا تعطي الأسباب نتائجها ولا تثمر ثمرها، إنما الذي يعطي الثمار هو العلي الغفار.

ونحن إذ نعيش قضية أفغانستان، قضية المسلمين الأولى في هذا العصر وفي هذه الأيام، ليس في الأرض قضية تستحوذ على اهتمام العالم كله قدر اهتمامه بهذه القضية، الشرق والغرب، الكافر والمسلم، القلوب كلها مشدودة نحو هذه القضية تنتظر نتائجها وتستعجل ثمارها، أمريكا، روسيا، الغرب، كل يلتقط أنفاسه لاهناً يضع يده على قلبه يخشى أن تكون النتائج منفلته من يده، خارجة عن حدود طاقته، المسلمون يريدونها دولة إسلامية تطبق دين الله في الأرض وتقيمه كما أنزل، عقيدة وشريعة ونظام حياة، والكفر يأبى ذلك، ويواصل كيد الليل بالنهار، حتى يحول بين الفرسان وبين الوصول إلى آخر الميدان.

أمريكا تخشى أن تنقض هذه العقبان على فريستها في كابل قبل أن يُعدّوا البديل عن نجيب. والروس كذلك، يريدون أن يقتسموا هذه الثمار وأن يحرّموا فرسانها الأبرار من أن يحصدوها ويقطفوها، والله عودنا منذ أول خطوة من خطوات الجهاد أن التوكل عليه هو رمز المعركة وعنوان نتائجها، وقد عايش هؤلاء المجاهدون أوائل الجهاد وواكبوا مسيرته حتى وصلوا إلى هذه الأيام وكلما ضاق عليهم الخناق واشتدت عليهم الكروب وأخذتهم ببرائتها الخطوب يتذكرون تلك الأيام الأولى، أيام أن بدأوا الجهاد بالعصي والحجارة وأدت إلى هزيمة الدب الأكبر (روسيا) ذليلاً حسيراً بل قصمت ظهر الشيوعية في الأرض كلها.

ولذا قال لي جلال الدين ذات يوم، أهمني أمر المجاهدين في الجبهة وقد نفذ طعامهم، ولا يستطيع أحد أن يصل إلينا في أيام تراقي، بل لا يستطيع أحد أن يتظاهر أنه يقترب منا، لأن أهله سيدبحون وأولاده سيقتلون ونسائه وداره سيصيبيها من الدمار ما أصاب، قال فأهمني الأمر، وصليت الصبح، ودعوت الله عز وجل، وأخذتني سنة من النوم، وأنا جالس على هيئة الصلاة، وإذا بشيء يهزني من كتفي، المرة الأولى، يا جلال الدين كان الله يرزقك وأنت لا تجاهد أفينساك وأنت تجاهد في سبيله، وعاد الثانية وهزني وناداني ذاك الهاتف، وعاد الثالثة وهتف في أذني بهذه الكلمات ثم قال قم فالذباح معلقة على تلك الشجرة، وفعلاً وفي ذلك اليوم كانت ذبيحتان قد ذبحتا وعلقتا على الشجرة التي رآها في منامه، أثناء سنة النوم.

قلت لحكمتيار قد تضيق عليكم مصادر الإمداد فيجب أن تتخذوا للأمر عدته، فرد حكمتيار أنا لا يهمني هذا الأمر إن الله تكفل، أو بكلمات قريبة من هذا.

سياف قال لي ذات مرة: أخذ قلمي وأبدأ أحسب الطعام للجبهات، فأحسب للجبهة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة وإذا بي أقف أمام حائط مسدود، وأني لا أستطيع أن أحل معضلة مستعصية فأترك القلم من يدي وأنظر إلى السماء وأقول هو الجهاد لك فدبر كما تشاء، بهذه النفسية دخل الأفغان الجهاد وعودهم رب العزة أنه لو التقى العالم نكله عليكم وأغلق أبوابه وأغلقت الدنيا

كلها بابها فإن أبوابي لا تغلق أبداً، وإذا قبض الناس أيديهم وأغلقت الناس أيديهم وأغلقت بالمفاتيح فإن الله مقاليد السموات والأرض..

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون:7).

لا تنفقوا على من عند رسول الله.

والأمير كان الآن، والدول الصديقة والودودة، وغير ذلك كلها تتردد (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) لا تنفقوا على المجاهدين ولا تمدهم بشيء، إقبضوا أيديكم وفروا ذخائركم، حتى لا تحسم القضية عسكرياً، لأننا نخشى أن يصل الأصوليون إلى سدة الحكم ويفلت من أيدينا أول حكم في الأرض بعد أن أسقطنا ذلك الصرح الشامخ وتلك المنارة السامقة على يد عميلنا أتاتورك، نخشى أن تعود مرة ثانية سيادة المسلمين علينا، ونخشى أن يتمرد ذلك العملاق الجبار الذي نام طويلاً وحبسناه في داخل القمقم وانطلق في داخل أفغانستان ولكن...

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: 120)

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُمْ رُويْدًا﴾ (الطارق: 15-17).

لا يدري هؤلاء أنهم يحاربون الله عز وجل، قال لي صاحبي: ماذا أعد الأفغان من أنظمة، ومن أسباب، ومن استراتيجيات، وغيرها لمواجهة أعداء الله عز وجل؟ فهناك الدنيا كلها تخطط حتى تسرق ثمار جهادهم وهم لم يخططوا لكي يواجهوا هذا الكيد العالمي، قلت له من خلال تجربتي أن الذين يتعمقون في النظر في المخططات الدولية، والاستراتيجيات العالمية، والسياسات في كل الأرض، ويرون هول الخطر الذي تدبره أيدي هؤلاء العابثون بدينه المحاربون لأوليائه، هذا يوصلنا إلى حافة اليأس، ويكاد يوصل المرء إلى أن يقعد مشلولاً، يقول، نحن أنى لنا بهؤلاء بخيلهم ورجلهم وتخطيطهم وإعدادهم، ولذا فلا فائدة من أن نقف أمام هؤلاء.

الصحابية، كنت أطلع فتح العراق فوجدت أن الفتح الإسلامي قد مر بمرحلة كر وفر، وهزيمة ونصر كما يعيشه الجهاد الأفغاني اليوم وإن كان الجهاد الأفغاني لم يعيش حتى الآن قضية الفرّ، بل هو في كرّ ونصر وتقدم مستمر؛ ما من يوم يمر على أفغانستان إلا ويحقق المجاهدون نصراً، وتقدماً مهما كان ضئيلاً ومهما كان جزئياً، والحق أن الذي يقف أمام المخططات العالمية، يهوله الأمر ويقف مكروباً، ضائق الصدر أمام هذه المؤسسات العالمية

التي تخطط لإبادة المسلمين واجتثاثهم من جذورهم ومقابل ذلك لا يجد التخطيط ولا التنظيم ولا الإعداد بجانب المسلمين.

وحدة المجاهدين

قال لي أحد الإخوة المجاهدين : نحن هذا الذي نستطيعه، فيرد عليه الناس ألا تستطيعون أن تتحدوا وتواجهوا عدوكم الذي تتصعب عليه الذخائر والأموال من كل مكان، وأنتم أغلقت دونكم الخزائن وقبضت الأيدي وأوصدت الأبواب ؟ فأنا أقول عنهم لن تقوم وحدة أبداً بدون أن تكون هنالك حكومة مركزية قوية بيدها من الأموال وبيدها من السلطة ما تعاقب المسيء، وتمنع الطامع وتقمع المفسد وتردع الذين يعيثون بدين الأمة وبأموالها ودمائها وأعراضها.

هل استطاع رسول الله ﷺ أن ينهي المنافقين في المدينة، عشر سنوات متواصلة والرسول ﷺ يوصل ليله بنهاره ينظم مدينة واحدة ومع ذلك بقيت المؤامرات عليه حتى آخر سنة من سنين حياته الشريفة المباركة، كانت آخر غزوة من غزوات الرسول ﷺ هي غزوة تبوك، والمنافقون يرجفون قبل الذهاب، المنافقون يخططون لقتل رسول الله ﷺ في الإياب، ومسجد الضرار يقام حتى يهدم على رأس رسول الله ﷺ عندما يعود، يقولون : يا رسول الله ! قد بنينا مسجداً للضعيف، وللغريب في الليلة الشاتية، فهلاً باركته بأن تصلي به ! فأخر رسول الله ﷺ حتى يرجع من تبوك فينزل الوحي..

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة: 108).

مدينة واحدة يقودها النبي الأمين الذي ينزل عليه الروح الأمين باللسان العربي المبين ما استطاع أن ينظف المدينة من أوبارها وأقذارها وأوساخها وطمّاعها.

أتريدون من ساحة مثل أفغانستان أن تكون نظيفة ؟ وتريدون من شعب عنده مائة مدينة، وعشرات الألوف من القرى أن لا يكون بينهم جواسيس وعملاء ومنتفعون ومفسدون وأصحاب ضمائر مينة تُشترى بالمال، ودواب تُستقرب إليهم بحزمة برسيم أو بحفنة شعير وتبن، تريدون من ساحة مثل بشاور أن تكون نقية نظيفة ؟ إنكم تعيشون في أحلام إن كنتم تظنون أن الأنام يصلون إلى هذه النتيجة، لن يتحد الأفغان، لن يتحد الأفغان أبداً، قبل أن تقوم لهم دولة لا يمكن هذا، هذا خلاف السنن، خلاف سيرة رسول الله ﷺ، خلاف هدي صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. لا بد من حكومة مركزية قوية تردع الطامع وتقمع المفسد.

أتريدون من آلاف القادة في داخل أفغانستان وخارجها أن يستجيبوا كلهم بالنصيحة والموعظة الحسنة وبأن يسمعوا كلمة :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: 103).

ثم يقفوا صفا واحداً، هذا مستحيل وعبث ضد طبائع الأشياء، والذين يريدون هذا لم يدركوا بعد مسيرة هذا الدين ولا طبيعة عمله بين العالمين.

الرسول ﷺ - كما قلت لكم - مدينة واحدة، ولم يكن هنالك أيدي الروم والفرس تعبت في المدينة إنما هي أيدي بعض الطامعين بالملك من أمثال عبد الله بن أبي، ممن كانوا ينظمون لهم الخرز فجاء رسول الله ﷺ ووجد الله على يديه بين الأوس والخزرج فنقموا عليه هذه القيادة وحسبوا زعامة وملكاً وناصره العداة إلى أن لقوا الله على البلاء والشقاء.

لن يتحد الأفغان، لكن الذي يريحنا أولاً دراسة السيرة النبوية الشريفة الكريمة، ماذا عانى رسول الله ﷺ من مدينة واحدة، مدينة واحدة، ليس مائة مدينة وليس عشرات الألوف من القرى، في أفغانستان 268 مديرية ومقاطعة، أتريدون أن تكون هذه كلها على قلب رجل واحد؟. وهنا قد اختلط الغث بالسمين والحابل بالنابل في بشار، فهنا الشيوعيون وهنا طلقاء الفتح، وهنا عملاء الأمريكان وهنا إلهاد وهنا مخابرات الشيوعيين، وهنا الذي يبيعون دينهم بثمن العنزة، تريدون بكلمة موعظة فوق منبر أن يترك هؤلاء الأمريكان والسويديين والألمان وغير ذلك، يتركوهم ويتركوا العطاء ووراءهم عشرات ينتظرون لقمة الخبز، وينتظرون ثمن المروحة التي تخفف عن أطفالهم في داخل المخيم الذي يموت منه أحياناً يوماً مائة طفل من الحر، تريدون من الجائع فضيلة؟ هو لو وجد عند سيف وعند حكمتيار أموالاً أقل من أموال الأمريكان لرضي بها ولكنه لا يجد لقمة الخبز في داخل خيمته البائسة التي تحولت إلى دار الأيتام، إلى ميثم ومأتم، فكم من يتيم يأوي إلى هذه الخيمة وذا ابنه المشوه، وتلك ابنته المحروقة وهذه أمه المشلولة، بعد أن ثوى معظم أقاربه تحت التراب بسبب الطيران أو الدبابات.

تريدون من هؤلاء جميعاً أن يتركوا الأموال التي تبذر بينهم صباح مساء لشراء ضمائرهم، هم قسم كبير منهم بحاجة إلى لقمة الخبز التي تسد جوعه، أو تسد رمقه، الدنيا كلها تشتغل ليل نهار، وتدفع الأموال التي أعدت وأرصدت، ألفي مليون، معدودة مرصودة للمرحلة الأولى والثانية لإعمار أفغانستان، ولم تجد الأمم المتحدة مسلماً واحداً سوى ذلك الإسماعيلي الذي سلمته إياها صدر الدين آغا خان لكي يتصرف في أفغانستان كما يريد وبوجه هذه الأموال في إفساد من يريد.

ولذا الآن الناس يرجعون من الداخل، المناطق المحررة، فيها فراغ كبير، مدارسهم كان المعلمون يقبضون رواتبهم من الدولة، موظفوهم كانوا يتناولون أعطياتهم من نجيب،

مستشفياتهم لها أطباؤها ولها موظفوها، مصانعهم فيها عمالها الذين تتكفل الدولة بدفع رواتبهم، حررت المنطقة فمن يدفع رواتب المعلمين؟ ومن يعمر المستشفيات؟ ومن يأتي بالأطباء؟ ومن يدفع رواتب الموظفين؟ بل من الذي يستطيع أن يسد رمق الجائعين في المناطق المحررة؟ فراغ كبير، فراغ كبير في المدن المحررة، نواجهه نحن.

وقد جائني أحد العقلاء بالأمس قال لي الحقوا أفغانستان التي حررت فإنها في فراغ عجيب. طيلة النهار، كان هذا المجاهد يقاتل الروس وأخرج الروس ثم قاتل الشيوعيين، وطهر الأرض من الشيوعيين طيلة النهار وجهه في وجه أخيه أو جاره يتحدثون، فراغ مطبق، ليس بين أيديهم لا مال، ولا مصنع، ولا مدرسة، ولا مسجد، ولا غير ذلك، ماذا يفعلون؟ يقتتلون بسبب الفراغ الكبير.

قلت له : أنا لا أستطيع أن أسدّ هذه الحاجة، لأن بين أيدينا من أموال قليلة نريد أن نمده به الجبهات الساخنة حتى تجهز على الحكم الشيوعي ولعلنا نرى دين الله قائما في أفغانستان يُحكم به بشريعته وترتفع فيه رايته.

والناس من بعيد يسمعون بمشكلة حصلت هنا أو هناك فيبدأون يثيرون القلاقل ويتعجبون، مجاهدون مسلمون، هزموا الروس، هزموا الشيوعيين، لم يبق أمامهم إلا القليل كيف يختصمون، فراغ هائل، ضيق شديد، وكاد الفقر أن يكون كفراً، هذا في داخل أفغانستان، أضف إلى هذا هناك مئات الملايين الموظفة لإشغال الناس ببعضهم وإفساد ذات بينهم، وإرسال عملائهم، ليطلقوا لحاهم ويحملوا مسابحهم ويظهروا ورعهم وتبذلهم ويكون وظيفته نشر الفساد بين الناس والترتيب لرجوع ظاهر شاه أو لغير ظاهر شاه.

عبرة من سيرة الصحابة

في الشرق في فتح العراق كما قلت لكم، وقفت على سيرة السلف رضوان الله عليهم أجمعين وهم يفتحون هذه المدينة ثم يأخذها الفرس مرة أخرى منهم، وبين الواقعة الكبرى التي قصمت ظهر كسرى في القادسية في الرابع عشر من محرم سنة 14 للهجرة وبين نهاوند (فتح الفتوح) التي هزم فيها كسرى، من أقدم مدن العراق -نهاوند- كان سبع سنوات، نهاوند حصلت سنة 21 للهجرة كما روى ابن إسحاق والواقدي وإن كان سيف بن عمر يروي أنها قد وقعت في التاسع عشر للهجرة، سبع سنوات، ماذا يصنع المسلمون فيها؟ أبيد الكثيرون، بين القادسية ونهاوند حصل فتح (تسبتر) التي اتخذها الهرمزان عاصمة له بعد أن فتحت المدائن وحاصرها المسلمون وكم تظنون؟ مثل حصار جلال آباد أو قندهار؟ شهرين ونحن نستطيع هذا الفتح ونعتبره مدة خيالية! نظن أن فتح المدن إنما يتم برمشة نظر أو بومضة برق،

سنتان متواصلتان وخيار الصحابة، خيار التابعين واقفون أمام أسوار تُستر لا يستطيعون لها منفذاً.

دخلوا، كم تظنون؟ دخلوا ثمانين زحفاً مع الفرس، ثمانين معركة ضخمة مع الفرس ولم يستطيعوا أن يقتحموا تُستر وأخيراً لجأوا إلى الله ثم إلى البراء بن مالك، يا براء أنت الذي قال عنك رسول الله ﷺ، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)، فأقسم على ربك ليهزمهم فرفع البراء يديه وقال: اللهم اهزمهم، اللهم اهزمهم واجعل البراء شهيداً.

وأوى الفرس واندحروا في داخل جحورهم ومع ذلك ساق لهم أحد أشرف القوم فخرج واسمه سمينة قال أعطوني الأمان حتى أدلكم على مدخل المدينة، وليدخل معي عشرون أو مائتان منكم، ودلهم على المداخل والمخارج وعلى أماكن الحراس فقتلوا الحراس، وفتحوا باب المدينة واقتحم الجيش المسلم بعد سنتين من حصار شديد قُتل فيه خيرة الصحابة وصفوتهم كالبراء بن مالك ومجزأة بن ثور وأبو تميمة وغيرهم.

وبعد فتح تُستر والقبض على الهرمزان ذهب كسرى يجمع الفرس وتجمعوا في نهاوند وكم جمع؟ جمع كسرى 150 ألفاً بينما كان عددهم في القادسية 80 ألفاً، كان عداد الكفار ثمانين ألفاً، وأراد النعمان بن مقرن الذي اختاره عمر ليكون قائداً لهذه الغزوة أن يعرف الطريق ويستكشف العدو ما بين تُستر ونهاوند وأرسل خيرة أبطال المسلمين ولهول الرعب والخوف الشديد المطبق على النفوس لم يستطع أحد منهم أن يصل نهاوند سوى طليحة الأسدي ذلك الذي تنبأ ثم رده سيف خالد إلى الإسلام ثم وجهه أبو بكر إلى فتح العراق مع خالد، لم يستطع أحد، رجعوا من الطريق لأن الرعب من الفرس يجري في العروق، سبع سنوات إنها مقصلة، مجزرة لهؤلاء السلف، صفوة الأنام في تلك الأيام، ورجع طليحة الأسدي وأخبر النعمان بن مقرن أن الطريق آمنة إلى نهاوند، وسار بعد أن تجمّع بأمر عمر ورسائله فسار حذيفة بن اليمان من الكوفة بجيش، وسار أبو موسى الأشعري من البصرة بجيش والتقوا بالنعمان بن مقرن فوصل الجيش ثلاثين ألفاً، ووقفوا حول نهاوند وطال الحصار، واستحرّ بهم القتال وأخذت السهام عيونهم وقتلت قسماً منهم عمرو بن معدى كرب يشجع المسلمين والجيش، قالوا: ماذا نقول؟ إننا نناطح جدراننا والجدران تقاثلنا معهم.

والنعمان بن مقرن كان أميراً للجيش، وعلى المقدمة أخوة نعيم وعلى المجنبة اليمنى أو اليسرى أخوة سئد بن مقرن، والقعقاع على المجردة، خيار الصحابة على هذا الجيش ورفع النعمان يديه إلى السماء وقال اللهم انصرنا وخذ النعمان أول شهيد في المعركة، ولم يستطيعوا أن يقتحموا عليهم الأسوار إننا نناطح الجدران، هذا قول الصحابة والتابعين إننا نناطح الجدران، والجدران تقاثلنا معهم.

فقام طليحة السدي المتنبئ، الذي كان قبل سنوات نبياً كاذباً ثم رجع إلى الله، أعلن الإسلام، وهؤلاء لا يسجنون ولا يعدمون إنما يسيرون ليضرب بهم الفرس والروم.

قال طليحة : أرى أن نخدعهم وأن نستدرجهم فليتقدم القعقاع بكتيبة من الكتائب وليشتبك معهم ثم ليظهر انهزامه حتى يخرج الفرس ويتبعونا وننازلهم في ميدان مكشوف وفعلاً فعل القعقاع وانهزم القعقاع ظاهراً، وتبعه الفرس وخرجوا عن بكرة أبيهم وتصاف الجيشان وتقابل الخميسان والناس ينتظرون كلمة النعمان الذي أعلن لهؤلاء أن لا يتقدم أحد حتى أكبر ثلاث تكبيرات، فإذا كبرت الأولى فخذوا بأعنتكم، وإذا كبرت الثانية فاستعدوا للمعركة، وإذا كبرت الثالثة فانقضوا على أعدائكم، وكبر الأولى، وكبر الثانية، وكبر الثالثة وتلاحم الجيشان وتصافحت السيوف وأخذت الأسل والبيض تنهل من دماء الطرفين حتى يروي ابن كثير في البداية والنهاية أنه قتل في ذلك اليوم ما لم تشهد البشرية له نظيراً من الفرس فقتل ما بين الزوال وبين الغروب وكان يوم جمعة يستجيب الله به لدعاء المكروب ولدعاء الصادقين المخلصين قال ما بين الزوال وما بين غروب الشمس سقط حوالي مائة ألف من القتلى...

هؤلاء صفوة البشر الذين رباهم رسول الله ﷺ على يده وسبع سنوات حتى وصلوا إلى نهاوند.

فإذا طال الحصار حول جلال آباد أو حول قندهار أو حول كابل، فلا نستكن ولا نذل ولا نخضع ولا نياس، ولقد تكفل الله بالنصر..

﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: 120).

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: 90).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 200).

لو أخذنا من البداية بالموازن الدولية ونظرنا إلى المؤامرات العالمية والله ما أطلق الأفغان رصاصة واحدة نحو داود والشيوخيين، الدنيا كلها تقول لهم لا، لا يمكن أن تواجهوا هتلر أفغانستان محمد داود أو غيره، لا يمكنكم أن تواجهوا ذا القبضة العسكرية ببضع مئات من الشباب بأيديهم مسدسات من صنع دره ومنطقة القبائل الأفغانية أو الباكستانية ولكن التوكل على الله هو الذي دفعهم، والتوكل على الله هو الذي أعطاهم هذا الإمداد والتوكل على الله هو الذي صبرهم هذا الصبر، والتوكل على الله هو الذي أعطاهم بفضل من الله ونعمة هذا النصر وهذا الظفر، إطمئنوا..

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: 51).

كانت الدنيا كلها، المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وخاصة أمير المؤمنين عمر لا يكاد يغض له جفن، لقد أقضه شغله بنهاوند عن طول المنام وعن استقرار الجفون واستراحة النفس كان يجأر إلى الله جأراً الثكلى ويدعو إلى الله دعاء المكروب، كان يخرج من المدينة يتلفت يميناً وشمالاً ينتظر قادماً من العراق يبشره بشيء من العراق وذات يوم وإذا براكب يمر على أحد أهل المدينة قال له من أين جئت؟ قال من العراق قال: ماذا فعل الله بالمسلمين؟ قال لقد انتصر المسلمون وقتل قائدهم وكانت الغنائم كثيرة حتى نال الرجل ألفاً درهم ونال الراكب ستة آلاف درهم، كانت الغنائم من نهاوند ضخمة جداً وانتشر الخبر في المدينة ووصل الخبر أن عمر، قال: اتتوني بالراكب، بحثوا عنه فلم يجدوه، قال إنه عشم، إنه عشم أحد الجن الذين حضروا نهاوند وجاء مسرعاً ليخبر قومه بانتصار المسلمين، الجن كما يروي ابن كثير، الجن، الإنس المسلمون كلهم تشغلهم المعركة تماماً كما تتلفت الأنظار وتتسمر الأبصار وتتوقف الأفئدة حول جلال آباء، تريد أن تسمع خبر انتصار أو أثراً من ظفر أو غير ذلك.

الجن يشتركون في معركة نهاوند وقد اشتركوا في أكثر من معركة كما يروي هؤلاء، أهل الحديث والتفسير من العلماء الثقات، أمثال ابن كثير وابن الأثير.

لقد قالوا للمسلمين ماذا تريدون؟ فانطلق لسانه بالفارسية يتكلم بطلاقة وهو لم يعرف كلمة أو جملة من الفارسية، وإذا بالفارس يفرون وبعد أن انتصر المسلمون في وقعة أخرى يسألهم المسلمون ما بالكم فررتم بمجرد أن تكلم صاحبنا لكم؟ قالوا إنه قال لنا لقد جئنا لنأكلكم! بالفارسية، وهو لا يعرف كلمة واحدة أو جملة واحدة من الفارسية. لقد تكلم الجن أو الملائكة على لسانه. ففضية التوكل، والثقة بالله، يجب أن تكون أمام أنظارنا وقبال أبصارنا ونحن نسير في أرض مزروعة بالألغام مليئة بالأسلاك مفروشة بالأشلاء، مروية بالدماء وقد أطبق علينا كل أهل الأرض حتى يحولوا بيننا وبين قطف الثمار وحصد النتائج، اطمئنوا، الله ناصر عبده، لن يخذل الله عبده، لن يهزم الله جنده، وهذه كلمة سعد وهو يرى نهر دجلة يذف بالزبد وقد فاض ولا تكاد المراكب تخترقه، يأخذ بيد سلمان، وهو يلقي بنفسه وبسلمان في النهر، وهم يرددون لن يهزم الله جنده ولن يخذل الله عبده.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

والذي حدث من الفتوح في الشرق في العراق على أيدي الصحابة، هذه الفتوح خراسان، إيران، سجستان، نمرود، غور، فراه، هيرات، فارياب، لأن يزدجر الثالث الملك كسرى قد قتل في فارياب على نهر مرغاب، فهم يواجهون نفس الأقوام، والمعركة بين شيوعيين أفغان، مئتان وخمسة آلاف أخذهم الشيوعيون إلى موسكو، قد اجتثوا الإسلام من قلوبهم، وغسلوا الثقافة الدينية من عقولهم وعادوا يلحدون بالخالق ويكفرون بكل دين.

هؤلاء هم الذين يقفون الآن أمام المجاهدين الأفغان، عرق واحد اشتهر بشدة المراس، وبصلابة الشكيمة وبالصبر الطويل، وبالإباء والشمم، هذه صفات الشعب الأفغاني عامة، كافرهم ومسلمهم، ولكن الفرق هائل بين الطرفين الآن، أن أولئك كل الدنيا تقف معهم حتى لا يسقط الحكم الشيوعي ويصل المجاهدون إلى الحكم وهؤلاء قد وقفت الدنيا كلها تريد أن تخنقهم وتغلق الحدود دونهم ويتنكر لهم الصديق والعدو، فيا أيها الأخوة : (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون). وما سمعناه من قتال الجن مع الصحابة، لقد قاتلوا مع الأفغان، وقصص كثيرة صحيحة سمعتها من أفواه أصحابها الذين حدثت معهم تثبت أن الجن المؤمن أو الملائكة يقاتلون معهم، ولا مجال لذكرها الآن، (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ونحن على الطريق سائرون وبجانب الأفغان حتى يرفعوا الراية فوق كابل وحتى تصلى صلاة الجمعة في المسجد الكبير، مسجد الشهيد ضياء الحق، مسجد (بلخستي) الذي سماه الأفغان بعد استشهاد ضياء الحق، مسجد ضياء الحق، بإذن الله النصر قادم وإنما هو الزمن، قد يقصر وقد يطول والله عز وجل صاحب الحول والطول والقوة، لا تدري قد تستسلم فرقة من كابل فنتهي الحكم جميعاً بين عشية وضحاها، (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين).

يوم الشهاداء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:200).

دعائم الرباط

الله عز وجل ربط الفلاح في الدنيا بعوامل ثلاث : الصبر، والرباط، والتقوى.

والصبر والتقوى دعامتان أساسيتان من دعائم الرباط، لأنه ما من عبادة أصعب من الرباط أبداً، لأنها فراغ وانتظار، وتبقى شهر، شهرين، ثلاثة، ستة أشهر، جالساً في رؤوس الجبال أو في قعر واد لا ترى إلا هؤلاء الأربعة أو الخمسة الذين معك في الخيمة، الحقيقة صعبة على الإنسان، يستوحش والنفس بطبيعتها تحب الخلطة مع الناس، نعم تحب رؤية الناس، تأنس برؤية الناس الذين عرفتهم، تستوحش إذا غابت الأمهات والآباء والأصدقاء والخلان، وعن المدن والعمارة وعن السيارة وغير ذلك، تستوحش إلا إذا أنساها الله عز وجل، وإلا إذا شرح صدورها للعبادة التي هي فيها، ولذلك الله عز وجل كان يشرح صدور الصالحين للعزلة، فيحبون أن يكونوا بعيدين عن الناس للعبادة لطلب العلم للذكر، فكيف إذا اجتمع الذكر والعبادة والرباط والجهاد والخلوة ؟ هذه نعمة لا نظير لها أبداً، الرباط أو الجهاد مع الخلوة أفضل طريقين دل عليهما الرسول ﷺ : قالوا : يا رسول الله من أفضل الناس ؟ قال : " رجل مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله " قالوا : ثم أي؟ قال : " رجل معتزل بشعب من الشعاب يعبد الله ويتقي الناس من شره " فأنتم جمعتم الإثنين، جمعتم الجهاد في سبيل الله، وجمعتم عبادة الله عز وجل في شعب، مكانكم هو شعب هو انفراج بين جبلين، يعبد الله ويدع الناس ويتقي الناس من شره، فالرباط قائم على الصبر، والنفس التي ليس لها صبر لا تستطيع أن تزاول العبادات، والنفس التي ليس لها صبر ليس لها إيمان كامل، وإنما الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أنه لا جسد بلا رأس فإنه لا إيمان بلا صبر لأن كل العبادات تحتاج إلى صبر، مكابدة الليل وقيام الليل تحتاج إلى صبر، القيام لصلاة الصبح تحتاج إلى صبر، الصوم يحتاج

إلى صبر، الحج يحتاج إلى صبر، الإعداد يحتاج إلى صبر، فلا بد من الصبر، والشيء يضاد الصبر هو قضاء الشهوة، الشهوة كلما اشتتت النفس تعطيتها، إذا جاءت تأكل، إذا اشتتت الحلو تشتت لها الحلو، إذا اشتتت النوم تمام، إذا اشتتت مخالطة الناس تذهب إلى أمريكا، إلى أوروبا إلى بانكوك وإلى المباراة الرياضية وغيرها، ولذلك إذا فطمت الشهوات؛ النفس تصبر، وإذا تركت الشبهات تتيقن، ومعظم الضلال من الشبهات والشهوات، الشهوات، قضاؤها ولو بالحلال يؤدي إلى ترف النفس والاستكثار من الطيبات وإلى التمتع بالحياة وإلى الترهل والنعيم والترف وهذا الذي يحاربه الإسلام؛ لأنه ضد التقشف وضد الصبر الذي يبنى عليه الجهاد، والجهاد هو عماد حياة الأمم، ولذلك (وخالف النفس والشيطان واعصمها)، النفس تحب تتبع الشبهات وتتبع الشهوات، فإذا خالفت النفس بترك الشهوات فقد صبرت، وإذا خالفت النفس بترك الشبهات فقد تيقنت، وهنا تكون قد بدأت تسير على طريق الإمامة في الدين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 24).

وكما قال ابن القيم: والإمامة بالدين لا تعطى إلا بالصبر واليقين ثم تلى الآية

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ .

والله يا إخوة ما أذل الناس ولا أضاع الشعوب ولا دبست المقدسات ولا سلبت الأموال ولا انتهكت الحرمات إلا بسبب عدم صبرنا على الشهوات، ولذلك الرسول ﷺ كان له فذك، فذك هذه منطقة نخيل كثيرة جاءتة فيئاً وكان له خمس خيبر، خمس نصف خيبر..

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: 41)

كان له الخمس، ومع ذلك تقول عائشة: (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين) لماذا هذا الزهد؟ لماذا هذا التجويع؟ وضعت شاة مصلبة (مشوية) أمام أنس فبكى قل: لقد فارق رسول الله ﷺ الدنيا وما رأى شاة مصلبة ولا ذاق خبزاً مرققاً، لماذا؟ مقصود، هذا الأمر مقصود، ما المقصود؟ محاربة الترف في النفس البشرية، محاربة الشهوات، تصبير النفس على الطاعات.

زهد السلف

عمر، عندما أخذ نفسه بالعزائم وعام الرمادة عام أصاب الجزيرة المجاعة فأقسم أن لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يرى الخير في شوارع المدينة، ما يأكل؟ لا يجد الخبز الجاف، أصابه الباصور أمعاؤه جفت، وصارت تقرحات عنده في أواخر الأمعاء، صار الدم ينزل، واسودّ جلده قالوا: من يجرؤ أن يكلم عمر؟ قالوا: لا يجرؤ عليه إلا أم المؤمنين ابنته حفصة، دخلت عليه، وذكرته بنفسه وقالت له إن لنفسك عليك حقاً، وأنت بهذه الطريقة تتعب نفسك أو

كما قالت، قال يا حفصة ألم تخبريني أن رسول الله ﷺ كان عنده قطيفة، قطيفة واحدة، يطوي نصفها تحته، والنصف الآخر فوقه في الشتاء، وفي الصيف يطويها تحته؟ يا حفصة ألم أخبر أن رسول الله ﷺ ما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين؟ يا حفصة ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ كان يضع حجرين على بطنه يا حفصة.. سكتت، أفحمها وخرجت، فمحاربة الشهوات في وقت يستطيع الإنسان أن يأكل، النفس لا تشبع، هذه شهوات، والشهوات إشباعها كالعطشان الذي يذهب إلى البحر ليشرب، كلما شرب العطشان من ماء البحر كلما ازداد عطشاً لأنه ماء مالح، هؤلاء الرومان كانوا قد توسعوا بالمتاع (بأنواع الطعام وألوان الفواكه وألوان الحلوى) حتى صرخوا لا يستطيعون الطعام، فصالوا يصومون حتى يجدوا لذة الطعام، غرقوا في الجنس حتى كرهوا النساء، فصاروا يبتعدون عن المدن حتى يشتهوا النساء، الأروبيون فتحوا باب الجنس على مصراعيه وأصبح الجنس مثل الطعام والشراب والهواء مباح في الأسواق، ومع ذلك حوادث الاغتصاب وحوادث الجنس وأمراض الجنس وما ذلك لا تنتهي، لأن الشهوات لا تشبع، كلما أغويتها رغبتها كلما ازدادت نهما.

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

سيدنا جابر كان ذاهبا إلى السوق فسأله عمر: أين يا جابر؟ قال: قرمت، يعني اشتيت قرمت نفسي إلى اللحم، فأريد أن أشتري لحما بدرهم، قال: يا جابر أكلما اشتيت اشتريت؟! كلما اشتيت اشتريت! فعمر مرة وضع أمامه طعام فبكى وقام، ما بالك يا أمير المؤمنين؟ قال: أخشى أن يقال لنا يوم القيامة:

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (الاحقاف: 20).

ولذلك كان الزهد ومحاربة الشهوات في النفس البشرية كان مقصودا لأن النفس لا يمكن أن تعلق ولا ترتفع إلا إذا استعلت على شهواتها وعلى أهوائها والنفس التي تقع أسيرة الشهوات لا يمكن أن تتأزله الأعداء في ساحة اللقاء ولذلك إذا أردت أن تبقى سائرا على الطريق إلى الله عز وجل فأمسك زمام نفسك، وللأسف هذا العلم لا يدرس في الجامعات ولا في المدارس، علم السلوك، علم مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، هذا العلم سقط لماذا؟ لأنه لا يوجد مربين ولا يدرس في الأزهر ولا في كليات الشريعة، علم السلوك علم الأخلاق، علم ترويض النفوس، علم التربية، فتجد أحيانا الشاب حافظا ما شاء الله من الكتب الكثيرة وأحاديث ما شاء الله ورياض الصالحين قرأه من زمان وروضة الناظر درس ونيل الأوطار وسبل السلام وفتح الباري وما إلى ذلك تجده لا يصوم تطوع، لا يقوم الليل، نفسه ميتة لا

تصلي النوافل يتبع الرخص حيثما وجدها، ما روض النفس، ما تربت، نعم، والنفس والشهوات أعوذ بالله.

مقارنة

حدثنا الأستاذ كمال السنانييري (رحمه الله) كما السنانييري - كان الإخوان في السجن قد وضعوه مسئولاً عن الإخوان فتعلموا التكافل الاجتماعي في السجن، كل الإخوان يجب أن يأكلوا مع بعض مثل بعض وينفقوا مثل بعض ويشربوا مثل بعض، فأى واحد يأتيه فلوس تسلم لمن؟ لكمال السنانييري وهو ينفقه عليهم - قال: والله حبة الشوكولاتة تأتي للأخ، حبة الشوكولاتة في داخل السجن لها قيمتها، تطوف على سبعة من الإخوان وترجع إلى من أعطاهها أولاً كل يا أخي، هذه لها قيمتها وكاسة الشاي قيمتها في السجن كثيرة قيمتها كبيرة أيضاً يعطيها لأخيه وهكذا، قال: كنت أقارن بين الإخوان وبين الشيوعيين، قادة الحزب الشيوعي اكتشفهم عبد الناصر في مؤامرة يريدون أن يعملوا انقلاباً عليه ووضعهم في السجن، لو نجح الانقلاب لكان رئيس الجمهورية منهم ورئيس الوزراء منهم والوزراء منهم هؤلاء وضعوا في السجن قال: والله أساتذة جامعات كبار، زوجته تأتيه بدجاجة يضعها في عبه في داخل عبه أو يخبئها في عبه ويأتي في عنبر الإخوان يأكلها بعيداً عن الشيوعيين ويرجع للشيوعيين، قال: أخذتهم الغيرة من الإخوان أرادوا أن يعملوا التكافل الاجتماعي، وهناك شيوعيون يدخنون وهناك شيوعيون لا يدخنون، قالوا: ماذا نفعل؟ نحن نريد أن نعمل مساوات واشتراكية، اختلفوا كيف نعمل بالذين يدخنون فرفع الأمر إليّ أحكم في قضية الدخان، قلت لهم: أنا أحكم بما يلي:

أنا أحكم مقابل كل سيجارة كاسة شاي، الذي لا يدخن يعطي كاسة شاي مقابل سيجارة رفض المدخنون، قلت لهم: كيف تحكمون أنتم؟ قالوا: الذين لا يدخنون يدخنون!! هذه الشلل التي تحكم العالم العربي، والله عندما يكون بهذه التفاهة وبهذا المستوى النفسي أنه لا يسمح لأخيه أن يشرب كأس من الشاي، أخوه في الكفر، مقابل السيجارة، هؤلاء غداً لو ملكوا ناصية الشعوب ولو كانت الأموال بين أيديهم ماذا يفعلون، هل فعلاً سيطبقون الاشتراكية أم سيسرقون كل أموال الشعب لتلبية شهواتهم!!؟

الخطبة الثانية

يا أيها الإخوة المسلمون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفضل لله أولاً وآخراً، والحمد لله من قبل ومن بعد..

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْتَدَّوْا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح:4).

رب العزة بجلاله ومن عليائه سبحانه تفضل على المؤمنين فأنزل السكينة عليهم وثبت
أقدامهم. كنا ندعو في المعركة:

اللهم لولاك ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا إن العدا قد بغوا علينا

وثبت الأقدام إن لا قبينا

إن العرب أيها الإخوة خدم لكم، وإن العرب أيها الإخوة ليعرفون مقامهم، يعرفون أنكم قد
شققتم لهم الطريق فلا ينسوا الفضل لله أولاً ثم لكم، ويدركون أن الأرض أرض الإسلام،
ولكنكم أنتم أهلها، الدماء دماؤكم، والأعراض أعراضكم، والأموال أموالكم، والأشلاء
أشلائكم، والعرب جاءوا ليؤدوا فريضة افترضها الله عليهم لم يستطيعوا أن يؤدوها في
بلادهم، ونشكر الله أولاً وآخراً أنه وفق قلوب القادة للتوفيق والتمكين، ما طلبنا من أحد القادة
أي مطلب إلا وسارع للتطبيق، أما الشيخ سياف -جزاه الله خيراً- لم يغادر أرض المعركة
لحظة واحدة وكان لهذا أثر والحمد لله في النصر بعد فضل الله العظيم، وفي أثناء المعركة
أرسلنا رسالتين للأستاذ رباني وللمهندس حكمتيار أن المعركة تقتضي أن تلقوا بقتلكم في
المعركة، وفي اليوم الثاني جاء حكمتيار بنفسه إلى المعركة، وأما الأستاذ رباني فقد أرسل
رسالة : افتحوا للمعركة المخازن وأعطوهم ما طلبوا منكم، قلما كان القادة العسكريون للاتحاد
والجمعية وللحزب، (حزب الشيخ يونس) قلما كانوا يفترقون، ووحدة الكلمة كان لها أثر في
النفوس بعد فضل الله وقدره، وكلمة كن فيكون، وأنا لا أطيل عليكم أحدثكم ما رأيناه من فضل
الله العظيم علينا، والكرامات التي تنزلت في أثناء المعركة كان أخطر ما يواجهنا في المعركة
هو جبل الرماة المتعري، المتعرض لضربات راجمات الصواريخ والطيران وكان عليه مائة
مجاهد تحت قيادة القائد سيد محمد -حفظه الله ورعا- كانت قلوبنا معلقة بهؤلاء المائة شاب
الذين هم معرضون لكل أنواع القذائف لم يستطيعوا أن يعملوا الخنادق لكن وجودهم فوق هذا
الجبل ضرورة بالغة لتوجيه المعركة، ما كانت أية قذيفة تطلق إلا بتوجيه جهاز اللاسلكي الذي
يأتينا من الجبل الذي عليه سيد محمد فالحمد لله رب العالمين إن كثيراً من قذائف الهاون التي
نزلت على هذا المكان لم تنفجر فهذه كرامة من الله عز وجل أكرم بها عباده المجاهدين، كثير
من الإخوة الشهداء خرجت لدمائهم رائحة كالمسك وشمها كثير من الإخوة، بعض الشهداء -

كما حدثني بعض الإخوة الذين رأوهم عند الشهادة- استتارت وجوههم كالبرد بعد الشهادة مع أنهم سمر الوجوه.

يا أيها الإخوة احمدا الله أولاً وآخراً، ونحن ندعو الله عز وجل أن يبارك في هذا الجهاد وأن يحفظ له قادته وأن يديم علينا نعمته وأن يتوفنا شهداء إنه سميع قريب مجيب.

الشهداء

فيا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعدم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 169-171).

كرامات الشهداء

هذه الآيات الكريمة نزلت في شهداء أحد - كما جاء في الحديث الصحيح - جاء في مسند أحمد وسنن أبي داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي على تصحيحه (لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر، ترد أنهار الجنة وتأكُل من ثمارها وتأوي إلى قناديل في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا علموا ما صنع الله لنا لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا يئكلوا عن الحرب. فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله هذه الآيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

ففي هذا الحديث الصحيح الذي يفسر الآية الكريمة أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة، تمضي حيث شاءت ثم إذا أرادت أن تستريح رجعت إلى قناديل نم ذهب معلقة بعرش الرحمن فأوت إليها فهم أحياء عند ربهم.

وقد رأينا من كرامات الشهداء الأفغان ما يثبت أن الشهداء أحياء.

لقد حدثني عمر حنيف وهو رجل ثقة صادق ثبت على أنني فتحت اثني عشر قبراً بيدي بعد سنتين وثلاث - لأن الأفغان كانوا يدفنون شهداءهم في أرض المعركة حتى إذا حرروا الأرض نقلوهم إلى المقابر العادية - قال: فتحت اثني عشر قبراً بيدي فوالله ما وجدت واحداً متغيراً، ووجدت بعضهم وقد كان حليفاً في الدنيا نبتت لحيته في القبر، وطالت أطافرهم في القبر، ولأجسادهم روائح طيبة ما رأيت مثلاً في الدنيا، ورأيت على بعضهم - على سيد شاه - عباءة سوداء لينة الملمس ناعمة المحك، ما رأيت أنعم منها ملمساً، ولا أطيب منها ريحاً، وقد دفنت بدشاه بيدي قبل سنتين بثيابه المضمخة بدمه، فمن أين جاءت العبادة التي ليس في الدنيا

مثلها ؟ (أحياء عند ربهم يرزقون) فهم حتى أجسادهم تكرم، أجسادهم لا تمسها الدود، ولا تنتفخ ولا تتعفن، وقد رأينا جثة أخينا عبد الله المصري وقد فقدناه في واحد شوال، قتل في واحد شوال (1406هـ) وعثرنا عليه في الثاني من ذي القعدة فما وجدناه قد تغير أو تبدل، لم تتعفن جثته، لم تنتفخ، بينما جثث الكفار تنتفخ بعد ساعتين أو ثلاث، ثم بعد يوم يخرج الدود من عينه وأنفه ويسيل الصديد والقيح من فمه، ولا أراك الله منظره ولا جمعك به في الآخرة، الشهداء على وجوههم نور وقبورهم تشع نورا.

وأبو حفص الفلسطيني أو الأردني الذي استشهد في جاجي شهد لي اثنان من إخواننا العرب أننا رأينا وجهه عندما سقط شهيدا مجنولا في دمه أنه استنار كالبدر وكان أسمر اللون، وشهد لي إخوان لنا -نقلا عن الأفغان- أنهم يرون النور يخرج من أثر الدم الذي سقط من أبي حفص الأردني.

وقبر عبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود لا زال النور يخرج منهما ليلة الاثنين والخميس. حدثني أبو داود وهو مسؤول المكتب عندنا، أنه حدث من الأفغان أن النور يخرج من قبريهما وهما متجاوران، قال: فذهبت لأتأكد بنفسي وفي الساعة الحادية عشرة إلا الربع بدأ النور يخرج إلى السماء من قبريهما ثم ينتهي على شكل قوس ويعود إلى قبريهما. عبد الله الغامدي عمره دون العشرين، مكث في أرض الجهاد أسبوعين وأصابته قذيفة فكان فيها مقتله وشهادته، يشهد لي نظرمحمد ومجموعة القادة في جمكني وقبره هنا قريب علينا في جمكني في أول حدود أفغانستان أن عبد الله الغامدي لا زال يكبر في قبره. ميائل الشهيد كان طبيباً وقائداً في بغلان، وقد أفض مضاجع الشيوعيين وأرق أجفانهم، وقتل في المعركة، فجاء زعيم الشيوعيين ليُشفي غليله من ميائل وهو شهيد، فرفع قدمه ليركل رأس ميائل فشلت قدمه، وأراد الشيوعيون أن يطوفوا بميائل في ربوع بغلان وفي أرجاء كندز، ليروا الشعب أنهم قتلوا ميائل.

حدثني محمد نعيم أحد ضباط الفصائل عنده قال: كلما اقترب منه مجموعة من الشيوعيين صاح بهم كالأسد وهو شهيد أعطوني سلاحي أريد أن أذبجهم فيفرون هاربين، وما زالوا يرسلون الفئة بعد الفئة وهو ينهرهم ويزجرهم ويتردهم بصوته الذي يزار، وأخيراً استسلموا على أن هذه القضية ليست قضية بشر، إنما هي قضية رب البشر، فجاءوا بكفن جميل ثمين وأعطوه للعلماء الكبار في تلك المنطقة وقالوا : كفنوا به شهيدكم لن تغلبوا ما دام فيكم أمثال هؤلاء، ودفن ميائل وبقي التكبير يخرج من قبره، ووقف أخوه بين أخواته اللواتي عز عليهم هذا الشهيد ففاضت دموعهن تسفح على وجوههن حزنا على البطل القائد والزعيم الكمي

والشجاع الندي، ووقف في منتصف الليل يدعو ربه في صلاته أن يريه آية أن أخاه شهيداً حتى يسكت أخواته، وإذا بباقة من الزهور ليس لها نظير في الأرض قد نزلت من السقف على أخيه في الساعة الثانية ليلاً، وأيقظ أخواته من فراشهن وقال: أنظرن هذه علامة شهادة أخينا، فهم أحياء، رأينا علامات حياتهم في الجهاد الأفغاني.

دكتور ببرك استشهد في وردك وجاءوا به إلى بيشاور، ووضع حتى يرجع أبناؤه من المدرسة، وعندما رجع أبناؤه ووقفوا فوق رأسه سألت دموعه جارية على وجهه (أحياء عند ربهم يرزقون) يرينا الله علاماتهم في الدنيا حتى لا ننكل عن الجهاد، كما قال شهداء أحد لو أن إخواننا اطلعوا على ما نحن فيه حتى لا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، والشهداء لهم منازل ودرجات، ولهم مآثر ومناقب وفضائل عند ربهم كثيرة، فدماؤهم لونها لون الدم وريحها ريح المسك (والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، اللون لون الدم والريح ريح المسك)، رواه مسلم وأحمد.

وأما رائحة المسك من دماء الشهداء فحدث عنها ولا حرج، وستة من إخواننا الذين استشهدوا في عيد الفطر في جاجي قد شمت رائحة دمهم تعبق عطرا وتفوح مسكا.

يحيى، يحيى، وأنتم تعرفون من يحيى؟ الشهيد الذي من جدة، عندما استشهد بقي المستشفى يتضوع مسكاً كلما فتحت الغرفة التي وضع فيها جثمان يحيى، وسجّي فيها جسده، قال لي صهري: وهو ثقة أبو الحسن المقدسي يقول لي: كنت راكباً في سيارة، والسيارة التي تقل جسد يحيى على بعد خمسمائة إلى ألف متر مني ورائحة المسك تعبق في أنفي، وصلوا، وواروا جسده بالتراب، وعادوا هنا تكمل القصة ابنتي تقول لي: خرجنا نزور عائلة من العائلات مع جارتنا ويسوق بنا زوجي، ورائحة العطر لا تكاد تطاق لشدتها تملأ أرجاء السيارة فتذمرت في نفسي وقلت: إن جارتنا لا تستحي على نفسها، قالت: وانتظرت حتى نزلت من السيارة، وبدأت أوبخها وأقرعها وأقول لها: ألم تعلمي أنه (أيما امرأة تعطرت فخرجت ليجد الناس ريحها فهي زانية). فقالت: والله ما مسست عطراً ولا مسكت طيباً هذا اليوم، قالت: وأنا كذلك، فأنت يا محمد ما هذا العطر الذي يفوح في أرجاء السيارة، من أي لك هذا العطر؟ قال: ما مسست عطراً، ولكني مسست جنازة الشهيد يحيى، المسك أصبحت قضية مسلمة، والأفغان يعرفون علامة الشهيد أحياناً، المغمى عليه بجرح واصل إلى الأعماق يعرفون أن روحه قد خرجت من رائحة المسك إذا فاحت، عندما تخرج الروح يبدأ المسك يفوح، وأحب القطرات إلى الله دم الشهيد، (ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين، أو أثرين: قطرة دمة من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله - أي في الجهاد- وأثر في فريضة من فرائض الله) حديث حسن رواه الترمذي.

ولا يحب أحد أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، (ما من عبد يموت، له عند الله خير، لا يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى -وفي لفظ- فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) متفق عليه بين البخاري ومسلم.

وبعض الشهداء يردون الفردوس أعلى الجنة، لقد سألت أم حارثة رسول الله ﷺ أين ابني؟ فقال "إنه في الفردوس الأعلى" رواه البخاري.

وأرواحهم كما قلنا في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة (إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعا، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات أي يسألهم فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) رواه مسلم.

وهناك حديث آخر (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا) فأحاديث تقول (إن أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش)، وأحاديث تقول (إنهم على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء) والله أعلم، وللتوفيق بين الحديثين أن الذين أرواحهم في حواصل طيور إما أن تكون خاصة بأهل أحد أو أنها منازل عليا لنفر أو لنموذج من الشهداء كانوا على مستوى رفيع في الدنيا وأما بقية الشهداء فهم على بارق نهر، أي نهر له بريق من صفائه وحسنه يلمع كالنور على بارق نهر، يعني على نهر بارق لامع بباب الجنة وفي داخل قبة خضراء، يأتيهم رزقهم بكرة وعشيا، فنرجو الله عز وجل أن نكون في أحد المكانين، وقد حدثني أحد إخوانكم وقد غادر بالأمس قال: رأيت رؤيا أن لي زجاجة خضراء في ثلاجة، قال: ففتحت الثلاجة، وإذا بالزجاجة الخضراء ومكتوب عليها الشهادة، قلت له: روحك إن شاء الله في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت والزجاجة الخضراء هي حواصل الطيور الخضر، ثم الثلاجة دليل أن الشهادة محفوظة لك ولو بعد حين.

خصال الشهيد عند الله

والشهداء لهم خصال كثيرة عند ربهم (إن للشهيد عند الله خصالا وفي رواية سبع خصال أن يغفر له من أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين -وفي رواية أخرى- باثنتين وسبعين من الحور العين ويجار من عذاب القبر).

لا يعذب الشهيد في قبره، لقد سئل رسول الله ﷺ : أيفتن الشهيد في قبره ؟ قال : (كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة) لا تلتقيان، فتنتان على المؤمن، يكفيه فتنة الدنيا، الفذائف التي تصل طناً، والمدفعية والهاون، والهاوزر وراجمات الصواريخ تكفيه هذه فتنة، فلا يفتن في قبره مرة أخرى (ويأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي وابن حبان.

فالشهيد له إثنان وسبعون من الحور العين، يحدث ابن مبارك عن رجل وهم مرابطون في طرطوس أو المصيصة على حدود الروم في تركيا يقول كان معنا مرابطاً عن، عن إلى آخره بسنده كان معنا مرابطاً وذات يوم قال قبل الظهر والقبيلولة قبل الظهر أفضل، ولا بأس بها بعد الظهر، ثم قام وهو يبكي وبقي يبكي حتى خشينا أنه أصابه مس من الجنون، قال : وعندما رأى حيرتنا، وندمنا، وحزننا عليه قال: والله ما بي مس من جنون، ولا شيء إنما رأيت فيما يرى النائم رجلاً يلبس البياض يأخذني بيدي، وقال : تعال معي إلى العيناء، قال : فدخلنا قصرأ فرأيت فيه عشرين من أجمل النساء اللواتي ما رأيت مثلهن قلت : أفيكن العيناء؟ قلن : لا نحن خدمها، قال : ثم أخذ الرجل بيدي وانتقلنا إلى قصر أعظم إلى قصر أعظم وأجمل، ودخلناه وفيه ثلاثون من أجمل من رأيت وهن أجمل من ذي قبل من اللواتي قبلهن، قلت : أفيكن العيناء؟ قلن : لا، نحن خدمها، قال: ثم أخذني إلى قصر من ياقوتة حمراء كل ما فيه مضىء ودخلت وإذا بامرأة نور الياقوتة لا يساوي شيئاً ولا يقاس بنورها، قلت : أأنت العيناء؟ قالت : أنا العيناء، قال: فجلست أتحدث معها، ثم قال الرجل: قم، قال : ولا أستطيع مخالفتها، قال: فأمسكت بي، قالت إيق عندنا، أفطر عندنا الليلة - وكان صائماً- قال: ولكني لم أستطع أن أخالف هذا الرجل الذي أخذ بيدي وعندما استيقظت وجدت أنها مجرد رؤية، وما أن صلينا العصر حتى نادى المنادي يا خيل الله اركبي قال: فركبنا وركب الغلام وما هي حتى دنت الشمس إلى المغيب وجاء فطور الصائم، سقط الشاب عن جواده شهيداً، وأفطر مع العيناء ويحدث قصة أخرى، ابن المبارك، قصصاً كثيرة في كتابه الجهاد، كان ثلاثة في الغزو قالوا: فأرسلنا أحدنا ليجني لنا عنبا، قال: فدخل بستان عنب وعندما وصل ليقطف، وإذا بامرأة ما رأيت مثلها على الأرض جمالا، قال: فأشحت بوجهي قالت له : أنظر إلينا، فإنه يحل لك أن تنظر إلينا، لأننا حلال لك، قال: فانتقلت، ثم أشارت المرأة الجميلة التي ليست من أهل الأرض أبداً، قالت: إن لي هناك ضرة كذلك بإمكانك أن تنظر إليها، قال: فذهبت ونظرت إليها ومددت يدي، قالت: لا تمد يدك، فطورك عندنا هذه الليلة وقتل في ذلك اليوم بعد أن رجع وحدث

إخوانه ولقى زوجته الطنرين تنتظرانه تحملان المسوح الحريرية لتحملا روحه معهما إلى هناك إلى بارق نهر بباب الجنة تحت قبة خضراء.

والشهادة خير من المدن والقرى (لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل المدر والوبر) المدر اللبنات أي أهل المدن والقرى، والوبر أهل الجمال أهل البوادي، والشهيد لا يحس بالألم، (ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) وكان أخونا عثمان الذي استشهد في الثالث عشر ذي الحجة قبل شهر فقط مثالا حيا لهذا، لقد أصيب عثمان، خالد الكردي من المدينة المنورة، والأول من جدة يحيى سنيور، والثالث من غامد من منطقة زهران وغامد والباحة والظفير عبد الله الغامدي، هذا من المدينة خالد الكردي من طيبة الطيبة أصيب بلغم فطارت قدمه وانبعجت بطنه واندلقت أفتابه، وكان معهم الدكتور صالح، فأقبل الدكتور صالح يللم بيديه أفتابه ويضم أحشائه ويدخلها بطنه ويلفها ببطانية معهم، فقال وهو يبكي أصيب خالد بجروح بيده، فنظر إلى الدكتور صالح قال : يا دكتور آلام بسيطة وجروح طفيفة إنها في يدي، لماذا تبكي ؟ لا يدري أن قدمه قد طارت وأن بطنه قد شق وأن أمعاءه قد خرجت، وبقي يسليه ويحدثه يقول : والله إن الشهادة حبيبة إلى قلبي، طيبة على نفسي ولكن بعد أن تشيب هذه اللحية ويشيب شعر رأسي في الجهاد، وبقي ثلاث ساعات يحدثهم وهو بكامل قواه العقلية، ولقى الله وفاضت روحه وفاح المسك وهو لا يعلم أن قدمه قد طارت وأن بطنه قد شق، لا يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة.

والشهداء منازل عند ربهم (أفضل الشهداء الذين إن يلقوا في الصف لا يفتنون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ويضحك إليهم ربك وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه)، أخرجه أحمد بسند صحيح وفي الحديث الصحيح الآخر الذي يبين منازل الشهداء، (القتلى ثلاثة، رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة -الله أكبر- هو بعد منزلة النبي، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجل فرق على نفسه -أي خاف عليها- من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله -أي كأنه كانت عليه ذنوب كثيرة فخاف على نفسه فذهب للجهاد- حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فتلك مممصصة، -ممصصة أي مغسلة ومطهرة تمص الذنوب فتلك مممصصة محت ذنوبه وخطاياها، إن السيف محاء الخطايا-، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض، ورجل -أعوذ بالله- منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل فإن ذاك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق) حديث حسن رواه أحمد وصححه ابن حبان (وأفضل القتلى في سبيل

الله الذي أهرىق دمه وعقر جواده، سئل رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقة، أي القتل أفضل؟ قال : من أهرىق دمه -أي أهرىق، أريق أو نزل، - أهرىق دمه وعقر جواده في سبيل الله، وأما سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) حديث حسن، رواه الحاكم والضياء في المختارة.

والشهداء عظيم أثرهم في التاريخ الإنساني، كبيرة منزلتهم في قلوب قومهم، بصماتهم ظاهرة في نفوس الأجيال، وفي قلوب الأبطال، الشهداء يخطون بدمهم تاريخ الإسلام.

أخونا أبو حامد السوري، ذبيح الله الشهيد هناك فوق قمة تلة في مزار شريف بعد الهندوكوش في بلخ يستشهد بصاروخ من الطائرة ويكتب بدمه أنا شهيد تحت الزيكويك.

أقول، هؤلاء شهداء، لأن الله عز وجل يشهد لهم بأنهم من أهل الجنة، أو لأن الملائكة والحوار العين تشهد قتلهم، وخروج أرواحهم أو لأنهم يشهدون منازلهم في الجنة، عند خروج أرواحهم.

صفي الله الشهيد يدخل سيارته يقول إني لأشم رائحة عجيبة، رائحة مسك وطيب في هذه السيارة، هل تشمونها؟ . قالوا : لا، قال: أشم رائحة طيبة وأظنها رائحة الجنة، وأظنها الشهادة، وما إن ركب صفي الله لم ينزل من السيارة إلا شهيداً، إنهم يحسون بأعماقهم ويربهم الله عز وجل منازلهم، يربهم، يستسمون رائحة الجنة.

البراء بن مالك يقول لسعد بن معاذ يوم أحد، واها يا أبا عمرو، الجنة إني لأجد ريحها من دون أحد، واها يا أبا عمرو الجنة إني لأجد ريحها من دون أحد.

وقرأت في جهاد الإخوان المسلمين سنة 1948 م عن أحد الشباب عندما أطلقت عليه رصاصة، صاح الجنة ورب الكعبة، إني أراها أمامي، ها هي الجنة، إني أراها أمامي، ثم فاضت روحه.

هؤلاء الشهداء صناع التاريخ، بناء الأمم، صانعو المجد، شادة العزة، هؤلاء بينون للأمم كيانهما يخطون للأمة عزتها، جماجمهم صرح العزة، أجسادهم بنيان الكرامة، دماؤهم ماء الحياة لهذا الدين وإلى يوم الدين، هم شهداء يشهدون أن المبادئ أعلى من الحياة، وأن القيم أثن من الأرواح، وأن الشرائع التي يعيش الإنسان لتطبيقها أعلى من الأجساد، وأمم لا تقدم الدماء لا تستحق الحياة، ولن تعيش..

﴿إِلَّا تَتَّقُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة:39).

ولا يبني الممالك كالضحايا
ولا يدني الحقوق ولا يحق
وللحربة الحمراء باب
بكل يد مضجرة تدق

وإخواننا الذين استشهدوا في أفغانستان سواء من الأفغانيين أو من العرب، يهزون الأرض تحت الأمة التي تغط في منامها، إنهم يدقون أجراس الخطر في آذان الذين يسدرون في غيهم ويغطون في منامهم ويتعمقون في سباتهم، هؤلاء أحيوا أجيالا بعضها وفد إلينا، هؤلاء أحيوا آلاف بل عشرات الألوف تعيش على ذكراهم وتحاول أن تنسج على منوالهم وتقتفي أثرهم وتتبع خطاهم.

أقرأ إليكم رسالتين : رسالة جاءتني من والد الشهيد أحمد الزهراني، ورسالة جاءتني من أم الشهيد أبي حفص الأردني.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

ويمضي ركب الأبطال، ويمضي معهم الشهداء تباعا..

﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23).

مضيت يا هشام (أبو حفص اسمه هشام هاني منصور)، مضيت يا هشام يا أبا حفص يا فارساً على طريق الخلود، طريقك الذي اخترته بمحض إرادتك لأنك كنت كبيراً في نفسك، كبيراً في طموحك، لترسم مع إخوان لك طريق التحرير، تحرير النفس أولاً ثم الأرض، ترفعت عن الالتصاق بطين الأرض وزخرفها، واخترت العلو في آفاق السماء، الطريق التي رسمها الله لعباده الذين أحبهم وأحبوه.

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في حملها الأجسام

لقد كنت ترسم طريق التحرير، وأنت لم تتجاوز عامك الثالث من العمر، عندما احتل الصهاينة بيت المقدس، وراعى ما سمعت وما رأيت، فكنت تدمرهم وتقضي على جحافلهم وتسقط طائراتهم بخيالك الطفولي البريء، لتنتقم من الذين دنسوا المقدسات وانتهكوا الحرمات في الأرض المقدسة التي بارك الله حولها، وعندما صرت في سن تمكثك من ذلك وجدت طريقها مسدوداً مليئاً بالحراس بل حريصين عليها ووجدت باباً للجهد قد فتح وإن كان بعيداً فممت شطره لعلك تجد فيه ما يطفئ نار الشوق للتحرير والجهد فاخترته، فإلى جنات الخلد مع رفاق لك مضوا ورفاق ينتظرون ندعو الله لهم بالنصر، ليفوزوا بإحدى الحسينيين، التي وعدهم الله بها.

والدتك أم هيثم

وأما الرسالة الأخرى فهي رسالة من والد الشهيد أحمد بن يحيى الزهراني :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أخي في الله الشيخ المجاهد عبد الله عزام ؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتني كلماتك الطيبة التي نعتت إيدي فيها ابني أحمد رحمه الله، وهنأتني فيها باستشهاده،
فالحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون وجزاك الله عني وعن المسلمين خيرا وبارك في جهودك
الطيبة التي تسعى فيها إلى انتشار الأمة من وهدتها وإيقاظها من رقدتها.

أخي في الله أنا ضابط قديم شاركت في حروب العرب ضد اليهود منذ ثمان وأربعين ومع
ما كان في بعض تلك الحروب من أمثلة بطولة لكنها لا تعدو أن تكون حالات فردية قليلة أما
هذا الجهاد المبارك فإنه بالنسبة إلى تلك الحروب جملة كالعملة الصحيحة والمزيفة، فالهدف
هنا واضح والراية واضحة، لا أحتاج هنا إلى مزيد، إلى مزيد تفصيل فلعلك عايشت في بعض
فترات حياتك بعض تلك الحروب، إن الله عز وجل قدر أن يكون هذا الجهاد كالغيث الطيب
في زمن أسنت فيه المشارب فتلقفته أفئدة آمننت بالله ربا ورضيت به سبحانه ربا وبالإسلام
دينا، وبمحمد ﷺ نبيا وبالجهاد طريقا وبالقرآن منهاج حياة، فهنيئا لكل من وفق للجهاد في
سبيل الله فإنها والله التجارة الرباحة وهي عز الدنيا وكرامة الآخرة، هي التخفف من جذب
الطين وثقله اللحم وهي الطمأنينة والثقة وذرورة سنام الإسلام.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: 90).

فأوصيك يا أخي ونفسي بتقوى الله والصبر.

والسلام عليك....

أخوك عبد الله بن يحيى الزهراني

أبها الإخوة : هذا هو الطريق وليس هنالك طريق غيره ليس هنالك طريق غيره لا في
الدنيا للمجد ولا في الآخرة للجنة والملا الأعلى، فاسلكوه واقنقوا أثر الذين ساروا قبلكم وادعوا
الله أن يرزقكم الشهادة وأن يدخلكم الفردوس الأعلى إنه سميع مجيب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ثم الحمد لله والصلاة على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه
ومن وآله.

أيها الإخوة:

شعب دعائمه الجماجم والدم

تتحطم الدنيا ولا يتحطم

إحملوا سلاحكم امتشقوا حسامكم، سيروا وراء رسولكم ﷺ، قائد المجاهدين وسيد الغر
الميامين الذي علمنا حب الجهاد والذي تمنى أن يقتل في سبيل الله ثم يُحْيى ثم يُقتل ثم يُحْيى ثم
يُقتل ثم يُحْيى ثم يُقتل.

أيها الإخوة : ليكن شعارك الذي تردده :

لئن عمرت جعلت الحرب والدة

والسمهري أبا والمشرفي أبا

أيها الإخوة : ماتت الأمة بسبب تركها الجهاد وطمع بنا الأعداء وانتهكوا أعراسنا وداسوا
مقدساتنا وسلبوا أموالنا وانتهكوا حرماننا، ولم يبق لنا في نظرهم أي مكانة ولا مكانة تحت
الشمس للضعيف فالضعيف في هذه الدنيا منبوذ وفي الآخرة عذابه جهنم..

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾
(النساء:97).

حكم الجهاد اليوم

أيها الإخوة : إن حكم الجهاد واضح لا غبار في هذه الأيام هو فرض عين ولا إذن فيه
لأحد، لا إذن لأمير ولا لكبير، ولا لوالد ولا لوالدة ولا لشيخ ولا لمرب ولا لقائد حركة ولا
لزعيم دعوة، كل هؤلاء ليس لهم أي إذن أمام أمر رب العالمين، وإنما الطاعة في المعروف،
ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق هكذا نص علينا رسول الله ﷺ في الصحيحين (إنما
الطاعة في المعروف).

أيها الإخوة : وكذلك في الصحيح (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا طاعة لمن
عصى الله)، ويقول ابن رشد : "طاعة الإمام لازمة وإن كان غير عدل إلا أن يأمر بمعصية

ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين إذا أصبح فرض عين" والجهاد شرعة وعبادة مستمرة طيلة الحياة، لا تنتهي بتحرير أفغانستان ولا بتحرير فلسطين تبقى فرض عين حتى نحرر كل بقعة كانت إسلامية في يوم من الأيام ثم سقطت في يد الكفار يبقى الجهاد فرض عين إلى أن تلقى الله كالصلاة والصيام لا يسقط أبداً إلا في حالة المرض وفي حالة العرج وفي حالة العمى، الأعذار التي عدها رب العزة في كتابه العزيز، لا عذر لأحد يقعد عن الجهاد اليوم مهما تأول ومهما اعتذر ومهما تعطل.

بج
خ
للإ

الد
شر
وم
وم

الد
للد
القو

استأ

أهو

عه

(مر

سه

مشاهد من الجهاد

يا أيها الإخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبدأ حديثي بالدعاء لمن حضرَ وحضرَ لهذه المحاضرة خيراً، وفي الحديث (من أراد أن يجزل في العطاء فليقل جزاك الله خيراً) فجزى الله مسؤول الشؤون الدينية في هذه القاعدة¹ خيراً، وجزى الله من سعى لأن نلتقي بهذه الوجوه التي نرجو الله عز وجل أن تكون عدة للإسلام في المستقبل القريب إن شاء الله خير الجزاء.

لا توحيد بدون السيف

يا أيها الإخوة : بُعث رسول الله ﷺ بالسيف حتى يقام التوحيد في الأرض، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد : (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له) فلا توحيد في الأرض بدون سيف (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم).

إن هذا الدين قد صنع أول مرة بالجمام، ولن يصنع مرة أخرى إلا بها، وإن مجد هوا الدين وعزته وبنيان دولته قد أقيم على أكوام الأشلاء التي قدمت نفسها رخيصة لله، ولن يقام للدين بنيان بدون هذه الأشلاء، وبدون أرواح الأبرياء، وفوق بحور الدماء سارت سفينة وفيها القوم مع أنهم يسمعون أنات التكاليف وآهات اليتامي إلا أنهم يرددون :

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 146).

ونشيدهم على طول هذه المسيرة المريرة التي يتجرعون غصصها ولكنها عذبة، ويكابدون أهوالها ولكنهم يستمتعون، حداؤهم على طول الطريق نشيدهم العذب :

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 147).

وأمامهم تلك الأمنية العذبة للحياة الجميلة التي يستمتع بها كل من خاض في هذا الميدان (من خير معاش المرء أو من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هبة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه).

بهذه الطريقة نحفظ هيبة هذه الأمة على مر العصور، وكر الدهور ويوم أن سقط السيف من اليد سقطت الهيبة التي كانت تحرك الجيش وتنصر الجيش بالرعب ميسرة شهر، (تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا إنكم كثير ولكنكم غثاء -زبد- كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت) وفي رواية الإمام أحمد (حب الدنيا وكرهية القتال).

فالجهد به قام هذا الدين أول مرة وبه يقام في كل مرة، ولن يكون في الأرض صلاح ولا للبشرية سعادة ولا للنفس الإنسانية هناء، إلا إذا تظلمت في ظلال السيف، يقول الله عز وجل :
﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: 251).

﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: 40-41).

ونحن اليوم مع شعب جسد الآيات حركات، وحول الكلمات إلى أخلاق وقيم في عالم الواقع ولكنهم دفعوا الضريبة غالية : ومن يخطب الحسنة لا يغله المهر.

والعز في سهوات الخيل مركبة

والمجد ينته الإسراء والسهر

شعب حقق في عالم الواقع أساطير سارت بها الركبان في الأفاق، يحسبها المرء ضربا من الخيال. تدرکها الأشواق وتقصّر دونها الأفعال..

قعد الناس كلهم عن مساعيكك

وقامت بها القنا والنصول

ليس من عنده تدور المنايا

كالذي عنده تدق الطبول

فما هي قصة أفغانستان ؟ قصة شعب صمم أن يموت فأحياه الله ودفع الضرائب غالية فأعزه الله، وانطلق من بين آيات :

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة: 41).

فسمع الهانف يقول له :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

قصة شعب آمن أن الله أقوى من الأرض جميعا، ففتح الله عليه، وتوحيد الألوهية عنده قد تعدى توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، ومن توحيد الأسماء والصفات إلى توحيد الألوهية توحيد العبودية أي تحويل، الإيمان النظري والتوحيد النظري في القلب والعقل إلى واقع حياتي يُدفع ثمنه نجيعا وأشلاء وجمامج وشهداء، بدأ الشعب الأفغاني يواجه روسيا بالحجارة والعصي، وعندما بدأوا يقاومون روسيا سمعت بعض المراقبين في المنطقة يقول : إن مواجهة الشعب الأفغاني لروسيا يعتبر ضربا من الانتحار، وهو في تقدير البشر وفي العمليات المادية وفي أرقام الكمبيوتر فعلا ضرب من الانتحار، ولكنه سهل وهين أمام الواحد القهار.. بدأ مسيرته، بدأوا معاركهم كما قال لي قادتهم سياف وحكمتيار وغيرهم قالوا : والله بدأنا المعارك بالهجوم على معسكرات الدولة بفئات ليس معها إلا مسدس وقنبلتين، وسار الركب ترعاه عين رب العالمين، نعم، الضرائب فادحة، والأثمان باهظة، دفعوا كل غال ورخيص ولكن النفيس لا ينال إلا بهذا الطريق.

أحداث ما بعد 1987م

يا أيها الإخوة : الوقت قصير -الذي حدد لي- ولكن لا أستطيع أن أفصل لكم في مسيرة هذا الشعب، الشعب الذي أعتز بربه وآمن به وحول هذا الإيمان إلى واقع حياتي، أنا لن أرجع بكم إلى أيام برجنيف يوم أن دخلت روسيا في 27 ديسمبر 1979 م، ولا إلى أيام تراقي يوم أن قام بثورته الشيوعية في 27 إبريل 1978م لأن القصة لا تملها القلوب، قصة معجزات قد تحققت على يد هذا الإنسان الفاني القصير العمر بقدره رب العالمين، سأنتقل بكم رأسا إلى هذا العام 1987م، غورباتشوف عندما جاء واستلم الحكم بعد ثلاثة قد ماتوا قبله بالجلطة الأفغانية، بريجنيف وأندروبوف وتشيرنكو ثم جاء هذا الرجل غورباتشوف، عندما جاء قال: سأنتهي مهزلة أفغانستان، وكل واحد منهم عندما يأتي يقول : سأنتهي مهزلة أفغانستان، 1985م قال: سأغلق الحدود، سأحرق المزارع، سأهجر هذا الشعب تهجيرا جماعيا، سأشغل أموالا طائلة لبث الفرقة بين المجاهدين عن طريق الجاسوسية، نفذها جميعا إلا واحدة، قال سأغلق المنافذ إلى أفغانستان، طريق المجاهدين وحاول وألقى بثقله بأساطيله البرية والجوية في شعبان ورمضان سنة 1405 هجرية شهدت المعارك التي هدد فيها غورباتشوف ولكن الله عز وجل

رد كيد في نحره، منذ 1405 هجرية حتى الآن غورباتشوف يحاول أن يسد منفذاً واحداً من الحدود ولكنه فشل.

والله يا أيها الإخوة: إن القذائف التي تلقيها الطائرات تكاد تشيب منها النواصي، نواصي الولدان، الطائرات توبليف 22 سوخوي 25 القذيفة التي تلقيها طناً كامل، والله لقد رأيت بعيني هاتين الماء يخرج من الأرض على إثر القذائف، والأخ وائل رأى مثل هذا، عندما تبدأ المعركة الجبال تهتز من تحت أقدامنا، عندهم الآن راجمات صواريخ (41 و B.M 61)، (B.M 61) بضغطة هكذا بأصبع تطلق واحداً وستين صاروخاً دفعة واحدة، صاروخ أرض أرض كلها تنزل في مكان واحد فماذا تتصورون؟ والله أنا ما فهمت آيات الأحزاب:

﴿وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 10-11).

إلا عندما شهدت بعض هذه المعارك، وكان كما قال أحدهم في أيام الأحزاب كان أحدنا لا يستطيع أن يخرج يقضي حاجته، وكذلك نحن، ما كان أحد يستطيع أن يغادر خندقه يقضي حاجته، لأن مغادرته للخندق تعني أنها قد تكون آخر ثانية في حياته، وكان أكثر ما يعز علينا أن نلقى الله ونحن نقضي حاجتنا، الجو يرمي حمماً، الأرض براكين تتفجر قذائف ونيرانا والقوم صابرون، تميد الجبال ولا يميّدون، وتهتز الرواسي ولا يهتزون وهم يدعون:

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

هذا العام جاء تاجر من تجار القمح والبتروول من رجالات ستالين اسمه همر مرضي عنه ومعه الجنسية الأمريكية، مرضي عنه لدى الغرب ولدى روسيا واجتمع بالمجاهدين وقال لهم إن غورباتشوف جاد في الخروج من أفغانستان لمشاكل داخلية وخارجية ونحن نعرف المشاكل الداخلية التي يعاني منها الاتحاد السوفياتي لأن الشعب الأفغاني سرطان يأكل في جسد الاتحاد السوفياتي، وكلما طال الزمن كما قال ميتران: سيؤكل هذا الجسد ولذلك قال شاليزي أحد الصحفيين الغربيين الذي كان يصنع فلماً عن الجهاد الأفغاني ستكون أفغانستان الخطوة الأولى في سقوط الاتحاد السوفياتي، نحن نعلم هذا وندرك هذا من خلال تنازلات روسيا يوماً بعد يوم، عندما جاء غورباتشوف كان رافضاً رفضاً قاطعاً أن يجلس مع باكستان العملاق العظيم يجلس مع دولة من العالم الثالث، بعد سنة نزل درجة، قال أجلس مع باكستان، السنة هذه نزل درجة قال أجلس مع المجاهدين، هو أعلن لن نستطيع أن نحمي كيانا غير قائم بذاته طويلاً، دولة لا تستطيع أن تقوم بذاتها يعني دولته الشيوعية في أفغانستان، لا تستطيع أن

نحميها طويلاً، بدأت الصحف في داخل الاتحاد السوفياتي تتكلم سُمح لها أن تتكلم عن التدخل في أفغانستان متى هذا كان في الاتحاد السوفياتي؟ من كان يستطيع أن يتنفس نفساً في داخل الاتحاد السوفياتي؟ قال هم: إلا أن غورباتشوف يريد منكم بعض التنازلات ليحفظ ماء وجهه أمام جيشه وأمام شعبه، ماذا تريدون؟ قالوا: نريد طرفاً ثالثاً يشرف على الانسحاب وأن تعطونا جدولاً زمنياً أقل من سبعة أشهر حتى تتسحب هذه القوات قال له أحد القادة، وقال للمندوب الغربي قال: بأي دين وأي منطق وأي عقل وأي قانون وأي عرف دولي أو محلي، شعب مجاهد بذل دمه ونفسه من أجل أن ينال حريته، من أجل أن يتحاكم إلى القانون الذي يريد، من أجل أن يبني المجتمع الذي يشاء بإذن ربه، أنتم تريدون أن تسرقوا بهذه الكلمات المنمقة ثمرة دماء مليون ومئتي ألف شهيد عندنا طرفان الأول المجاهدون والطرف الثاني روسيا، وليس هنالك ثالث، المجاهدون هم الذي يشرفون، روسيا دخلت في 24 ساعة نعطيها ثمان وأربعين ساعة تخرج، طرف ثالث رجل علماني يعيش هانيء البال وادع النفس فوق الفرش الحريرية يتقلب بين اللذات والشهوات بعد هذه الدماء التي بذلت من المجاهدين تحضرونه من العرب أو من الشرق لأنه من مواليد أفغانستان أصلاً تلمسونه هذا الشعب ودينه وأعراضهن هذا لا يمكن أبداً.

عرض غورباتشوف الأمر على الجنرالات قال: ما رأيكم؟ قالوا: إن أخرجتنا بهذه الطريقة المهينة الذليلة لن نبقى في يدك تلك العصى السحرية التي تهزها في وجه الأحلاف الغربية وفي وجه العالم، أعطنا فرصة، في بداية هذا الصيف كان هذا الكلام، أعطنا فرصة أربعة أو خمسة أشهر للخريف، نحن سننهي لك مهزلة أفغانستان، قال: خذوا ما سئتم من قوة واستلموا ما سئتم من صلاحيات وأنهوني من هذه القضية، وشنوا هجوماً كاسحا في رمضان في أواخر رمضان على قندهار، ننجرها، بكتيا، حتى يسدوا منافذ الحدود التي يدخل منها المجاهدون، ويظن بعض الناس عندما أقول يدخل منها المجاهدون، المجاهدون يقبضون بيد إيمانية قوية على 85% على الأقل من أراضي أفغانستان، يحكمونها، وإن كنتم في شك مما أقول فليأت من كان في قلبه ريب أو شك في هذه القضية لأخذ بيده وأسير معه من حدود باكستان جنوباً إلى نهر جيحون شمالاً، أخترق به أفغانستان نذرعتها معاً سبعمائة كيلومتر إن لقينا معترض في الطريق فليراجعني.

يا أيها الإخوة: أمتعة المجاهدين، أسلحتهم، تنقل على البغال والحمير من حدود باكستان حتى تصل إلى نهر جيحون وفي كل يوم في الصيف يدخل ما لا يقل عن عشرين أو ثلاثين قافلة يومياً، والقافلة قد تصل إلى ثلاثمائة جمل وحصان محملة بكل ما يمر بالذهن من أمتعة

وغذاء ومعها المجاهدون تخترق أفغانستان من الجنوب على الشمال وتصل بأمن وسلام، فأين الدولة الشيوعية، وأين روسيا ؟

المهم قرر الجنرالات إغلاق المنافذ الحدودية في بكتيا، نجرهار، قندهار، وكنت أحد شهود معركة بكتيا، بدأت المعركة في 26 رمضان يوم يذكرنا بيوم الحشر الأكبر، أهواله، الحرب، يقول بعض الناس وهم يتسلون، وهم يشربون الشاي ويضعون رجلا على رجل بعضهم يقولون : روسيا لو أرادت أن تنتهي القضية في يوم أو يومين أو في أسبوع أو أسبوعين، لم تدع روسيا أي وسيلة من الوسائل التي أنتجها الفكر البشري من وسائل الإبادة والتدمير إلا استعملتها في أفغانستان، عدا القنبلة الذرية كل ما دونها من أسلحة استعملتها.

في 26 رمضان بدأت المعركة، ككان مع روسيا ثلاث فرق، وأنتم تعلمون الفرقة ثلاث ألوية، واللواء ثلاثة كتائب، ومعهم خمس كتائب خاصة روسية، ومن بينها كتيبة صاعقة تعتر بها روسيا اسمها (سبت ناز)، هذه تعتر بها كما تعتر أمريكا بالمارينز وغيره، وتقدموا، الدبابات، الطائرات - والله يا إخوة- لو تكلمت مع أخيك لا يستطيع أن يجيبك، لو قلت له كيف حالك لا يستطيع أن يجيبك لأن القذيفة تفصل بين الكلمات، نعم 26 راجمة صواريخ (41 B.M) يعني تطلق واحداً وأربعين صاروخ دفعة واحدة كل راجمة، مدافع الميدان الهاون، الصواريخ، الطائرات التي تغير في الليل، في النهار، كله استعملته وبعض الناس يقول لك هي روسيا تستعمل الأسلحة القديمة الفاسدة التي تريد أن ترميها، فهي تجربها في أفغانستان، القذائف التي كانت تستعملها سنة 1985 مكتوب عليها 1985، مخزون الأسلحة القديم قد انتهى، صناعات حديثة، تصنع قذائف وتلقي بها عبر الجسور وليس بينهم إلا نهر جيحون، الدبابات تحملها وتدخل إلى داخل أفغانستان وطريق الهاي وي واصل بين كابل وبين طشقند.

معركة مأسدة

كان هنالك موقع فيه أربعة وعشرون عربياً اسمه مأسدة الأنصار، نحن سميناه مأسدة الأنصار، كنا نردد مع حسان :

من سره ضرباً يجمع بعضه بعضا

كمعمة الإباء المحرق

فليأت مأسدة تسن سيوفها

بين المزاد وبين جذع الخندق

فأخذنا من شعر حسان إسم المأسدة أي مكان الأسود وأطلقناه على ذلك المكان، تقدمت الصاعقة، الروس مستهترين يحمل كل واحد منهم حقيبة الإقامة الدائمة على كتفه وزنها ستون كيلو غرام كأنما يحمل كأس الماء بيده، وهو يتسلق الجبال.. (جسم البغال وأحلام العصافير) عتل الواحد منهم، ضخم الجثة، تقدموا مستهترين بمن أمامهم، هؤلاء لقطاع، تمسكهم روسيا وهم صغار يربونهم على حب الذبح والدم والنار، ولا تطيب نفسه إلا إذا رأى الدماء أمامه، لا يعرفون إنسانية، ممزقون ليس لهم أب ولا أم، لا يعرفون الرحمة ولا إنسانية ولا شفقة، تقدموا مستهترين كما قلت لكم أسلحتهم فوق أكتافهم في المأسدة كان 24 شاباً عربياً، تصدى لهم في البداية سبعة من الشباب العرب، وهزموهم، وهزمهم بإذن ربهم، وأعادوا الكرة هجوماً ثانياً، وفي هذه المرة وكان الأخ وائل حاضراً في هذه المعركة ويكابد أهوالها، في هذه المرة 7 من الشباب العرب عملوا صاعقة على الصاعقة، والتفاف، هؤلاء الشباب أين تدريبوا؛ أين كلياتهم التي تخرجوا منها؟ أين الأكاديميات العسكرية التي دخلوها؟ فقط جاءوا بقلوب مؤمنة ونفوس متشوقة للجنة والشهادة يحملوا.

التفاف، وواحد من هذا البلد عمره عشرون عاماً، وبصلية واحدة يقتل ستة من هؤلاء، ستة وهجم الشباب يأخذون غنائم الصاعقة الروسية وتهزم للمرة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة، وعندها كسرت شوكة روسيا لم تعد تستطيع أن تتقدم نحو هذا المكان ولا إلى أي مكان آخر، وبدأت الطائرات والقذائف والصواريخ وما إلى ذلك واستمر هول هذه الأيام إلى السابع عشر من شوال، كنا نعيشها لحظة لحظة، ساعة ساعة، وفي السابع عشر من شوال اضطرت روسيا أن تتسحب مهزومة ذليلة، خاسرة كئيلة تحدث لأجيالها أن مواجهة رجال الإيمان لا يمكن في ميدان النزال ولا في ساحة القتال.

وتأتي الأقمار الصناعية الأمريكية وترسل إلى السفير الأمريكي في إسلام آباد بالصور والحقائق والأرقام، ويعلن السفير الأمريكي في إسلام آباد نتائج هذه المعركة التي اشتركت فيها ثلاث فرق شيوعية من أفغانستان مع خمس كتائب روسية خاصة، يعلن النتائج، هذا أقل النتائج بالحقائق والأرقام والصور إنزال تسع طائرات، تدمير مائة واثنين وعشرين آلية ودبابة، مقتل ألف وخمسة مائة، الجرحى لا يعدون، ويكفي أن نأخذ فكرة عن عدد الجرحى أنه في يوم واحد وصل إلى مستشفى في كابل 170 من هؤلاء الذين إن شاء الله إلى جهنم وبئس المصير.

انهزمت روسيا في هذه المعركة، بعد أن قتل الجنرال الذي كان يقود المعركة.

حملة قندهار

وننتقل إلى قندهار، كانت الحملة كذلك شديدة جدا على المجاهدين، وألقت الطائرات بقنابل الغاز، وتقدم الجيش الشيوعي الأفغاني ظانين أن المجاهدين قد ماتوا أو خدروا من قنابل الغاز التي ألقيت من الطائرات، طائرة تقف تحتها تضرب بمضاد الطائرات -الزيوكويك أو الدوشكا- كأنك تضرب ماء ينزلق عن حافة صخرة ملساء، ضد الرصاص ينزلق عنها ولا يؤثر.....

= هنا يوجد فراغ يمثل الصفحة 352 و 353، لا توجد في النسخة=

....عندما دخلت، كانت الدولة الشيوعية أيام حفيظ الله أمين عندها مئتا طائرة وأحسنها حالا ميغ 17 الآن صار ساقط ومستهلك من العمليات ألاف وخمسمائة طائرة، يعني ثلاثة عشر ضعفاً من قواتها، والطائرات التي تسقط ماذا؟ سيخوي (31 ت)، أضعاف القوات البرية.

القوات البشرية، كان عدد الجيش الأفغاني الشيوعي ثمانين ألفاً قتل 100 ألف عبر السنوات من المليشيا ومن الجنود، وهرب 100 ألف، وقتل من الروس خاصة حوالي 50 ألفاً، أي ثلاثة أضعاف القوة البشرية، فروسيا لا مناص لها ولا محالة من أن تبحث عن مخرج ولو فصلت لكم بعض معاناتها ومراراتها التي تكابدها في الدنيا قبل الآخرة ﴿ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 26).

أضرب لكم مثلاً عن شاب عمره أربعة وثلاثون عاماً اسمه أحمد شاه مسعود، هذا الشاب في السنة الثانية من كلية الهندسة في (البوليتكنك) معهد البوليتكنك، خرج من البوليتكنك ودخل في المعركة، منذ أن دخل المعركة 1978 حتى الآن وهو يخوض غمارها..

أسد دم الأسد الهزير خضابه

موت فريص الموت منه ترعد

رب العالمين سبحان الله!! فتح عليه، يا إخوان عندنا الآن جنرالات في داخل أفغانستان من هؤلاء المجاهدين، أحد مجاهديه اسمه (بانا) من أركانه، الروس يطلقون عليه جنرال (بانا) هذا بانا بمجموعته التي لا تصل إلى ثلاثين شخصاً قد دمر أكثر من خمسمائة دبابة وآلية، هذا بانا يسميه أحمد شاه مسعود ديوانه) يعني مجنون من كثرة شجاعته هذا الرجل يركب في السيارات العامة وعلى الطريق العام والذي للروس نقاط عليه، نقاط تفتيش، صورته مع

الشاب الذي كان يبيع بندروه وبادنجان ولكنه جنرال بهذا الجهاد الإسلامي، خذ ما شئت يا بانا واتركنا من رئيس الدولة نجيب، روسيا رأت على نفسها كبيرة كيف تخضع لأحمد شاه، مع أنها خضعت من قبل، وأرسلت له الدولة وزراءها الشيوعيين ليعقد هدنة مع الحكومة لمدة ستة أشهر، قال: أنتم كلاب أرسلوا سادتكم، فجاء الجنرالات الروس خاضعين، وعقدوا قبل أربع سنوات المعاهدة لمدة ستة أشهر بعدم الضرب بينهم حتى يستعيد قوته، وفي نفس الساعة التي فيها يتم تبادل الأسرى وإذا بالطائرات تخرج من روسيا وتحط في ميكوني الذي هو الوادي الذي في تبادل الأسرى، وأحمد شاه ينتظر مقدم الأسرى المجاهدين الذين مع الدولة، وإذا بالرشاشات الروسية تفتح عليه من الجبال، كان أول أمر أمره قال: اقتلوا الضباط، قال: أبو بك وأبو عاصم -أبو عاصم قارئ للقرآن، ربي حوالي (30) قائداً لأحمد شاه مسعود، شاب طيب عربي لا زالوا يفخرون به- قال: قتلنا 87 ضابطاً أول شيء، دارت المعركة وانتهت، وقتل من الروس عدد كبير، والله حدثني الأستاذ رباني قائد الجمعية الإسلامية، قال: إن وادي ميكوني مكث أسابيع رائحته منتنة من جثث الروس ولم يقتل مجاهد واحد.

جنرال أمريكي قطع لأحمد شاه مسعود جبال نورستان هذه جبال نورستان سبعة جبال الإنسان يموت، يموت وهو يخترقها، على طول الطريق البغال والحمير ميته من شدة الإرهاق، في رؤوس الجبال الإنسان يغمى عليه، أكسجين قليل وفي قمم يتسلق و7 جبال يقطعها، قطعها الجنرال الأمريكي، وصل إلى أحمد شاه مسعود، قال له: هل تسمح أن تعطيني الخطة التي افتتحت بها بيشغور، أعطاه إياها ورجع الأمريكي، بات عنده ليلة واحدة ورجع إلى أمريكا، نيطور الأمريكان معلوماتهم العسكرية بخطط أحمد شاه مسعود الآن، أين تعلم هذا الشاب؟

فتوحات أخرى

هذا العام أولاً فتح أندراب التي استشهد فيها - هي في العام الماضي- أبو عاصم، قاري أبو عاصم، ثم فتح فرخار، قواعد كبرى، ثم فتح فرقة نهرين التي استشهد فيها أبو دجاجة وعبد الجبار من العرب، عندما فتح فرقة نهرين مكث ثلاثة أيام وذلك قال لخلل تأخرنا في فتحها، والذين يفتحونها كم؟ مائة مائتين يفتحون فرقة، أرسل لهم نجيب اثبتوا اثبتوا أمام أحمد شاه، وأنا أرسل لكم قوة، قالوا لا نستطيع، أرسل قوة ما استطاعوا أن يثبتوا، قبل شهرين افتتح مركزاً كبيراً تحميه تسعة مراكز صغرى في خمس وأربعين دقيقة اسمه كلفغان، قبل أسبوعين بالضبط في (28) أكتوبر افتتح مركزاً كبيراً على الطريق العام اسمه كران ومنجان غنم فيه غنائم كثيرة: 350 كلاشنكوف، 6 هاون صغير، 2 هاون وسط، 2 هاون كبير، 3 دشكا، مليون طلقة من طلقات الرشاشات، ثلاثة آلاف قذيفة بين صواريخ وبين قذائف ثقيلة، مواد

غذائية كثيرة، والمواد الغذائية عندهم أهم من الرصاص، ثم واصل وأسر 266، وافتتح منغولي وأسر 300، وواصل إلى توبخانة، وكم كانت البشرية أن جاءنا تليفون في هذه الليلة أن أحمد شاه افتتح توبخانة وأسر 600 روسي ليس شيوعي؟ هذه كم كنت أحلم بفتحها ليلاً أو نهاراً، ولكما التقيت بالمجاهدين أقول لهم يا جماعة حاولوا أن تفتحوا توبخانة لأن الطريق الآن بدل أسبوعين في رؤوس سبعة جبال الآن يومان في سهل، الآن تصل من جترال الباكستانية إلى بدخشان الأفغانية في يومين، جاءت البشرية وما أعظم الفرحة التي غمرت نفوسنا بفتحها وكان فتحاً عظيماً من الله، ولذلك الآن الروس، الشيوعيون الأفغان يقولون نحن لا نقاوم أحمد شاه لأنه مهما قاومناه سيفتح المركز، فإذا قاومناه سيقتلنا، فنحن لا نقاومه حتى إذا أمسكنا يمكن أن يعفو عنا، مركز كبير في بنجشير قبل شهر أحمد شاه أشاع سادخل بنجشير وأنهى روسيا أو تتهيني، إما أن أنهى روسيا في داخل بنجشير أو يذهب بنجشير نهائياً إلى الروس، بمجرد أن بدأ يطلق عليهم قذائف ثقيلة وإذا بالروس يلمون أسلحتهم ويهربون ولم يخسروا مجاهداً واحداً في المعركة، الآن تغير مجرى المعركة لصالح المجاهدين إن شاء الله، ونرجو الله أن يتم بالنصر العاجل القريب.

وقبل أن ننهي أنا أحدثكم كرامة عن الشيخ وائل جليدن نفسه، وائل جزاه الله خيراً مدير الهلال الأحمر في بيشاور، وفي كويته يعني مسؤول عن الهلال في باكستان كلها، فيقوم بدور كبير والحمد لله ونرجو الله عز وجل أن يكون في ميزانه، ولو لم يكن موجوداً لتكلمنا أكثر من هذا، وائل إذا سمع أن هنالك أي معركة على الحدود يملأ سيارة الهلال بالأدوية، بالأحذية وبالطعام وما إلى ذلك، ثم يذهب بالسيارة ويدخل في المعركة، معركة كان فيها الشيخ جلال الدين حقاني، طائرة أنزلت قذيفة هواءها أطار الشيخ جلال الدين حقاني في الهواء، (هواء القذيفة) ونزل الشيخ جلال الدين على القذيفة وبدأت النار تأكل جسده، ما استطاع أن يتحرك، تقدم ضابطان وجرا الشيخ جلال الدين برجليه - من ضباط الشيخ جلال الدين - قذيفة ثانية نزلت قتلت ضابطاً وجرحت آخر، وائل هو وخمسة واقفون بجانب الشيخ جلال الدين آووا إلى مغارة، الطائرة ضربتها هدمت الجبل عليهما، ما زال الهدم ينزل وهم يتراجعون حتى التصقت ظهورهم بحائط المغارة، وبدأوا يعدون الدقائق حتى يلفظوا أنفاسهم وهم يرددون:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).

آخر قذيفة في ذلك اليوم من آخر طائرة عند المغرب نزلت وفتحت لهم المغارة وخرجوا، --- في كابل قالوا هذا مدير الهلال الأحمر السعودي يتعبنا في بيشاور، مساعدات وقوافل وما إلى ذلك، وأدوية في كل أفغانستان، أدوية من أين؟ من وائل جليدان ماذا يشتغل؟ مدير الهلال اجتمعوا قرروا قتله في بيشاور، أرسلوا له فئة لقتله في بيشاور، المتخصص لقتله جاء

عن طريق أحد الأحزاب على أساس ماذا؟ على أساس أنه مجاهد أو تخلل قال لهم: أريد أن أرى مدير الهلال الأحمر السعودي، هم الذي تعاملوا معه عرفوا أن هذا عميل لكابل، فقالوا له نحن مثلك رفقاء شيوعيون على الطريق وما إلى ذلك فبدأوا حتى يأخذوا ما عنده قال: أريد أن أقتل مدير الهلال، أنا جئت من أجل قتل مدير الهلال، قالوا له: سهل تحب أن ترى مدير الهلال تفضل نذهب إلى مكتب الهلال، هو ما صديق عندما جلس أمام أبو الحسن أنه يرى مدير الهلال بهذه السهولة، وبدأوا يأخذون منه معلومات ويحدثون وائل أولاً بأول ثم بعد أن عرفوا فعلاً أنه شيوعي يلحد بالله عز وجل قالوا له، جاءوا لوائل قالوا : نحن قررنا قتل هذا الذي جاء لقتلك، تحب أن تحضر قتله، المهم جاءوا بهذا الشيوعي وقالوا له نحن قررنا قتلك، لأنك شيوعي لا تؤمن بالله ونحن مؤمنون مجاهدون وكل ما أعطيناك إنما كان من أجل استرجاعك، وضعوا الحبل في عنقه، والله حدثني هذا الرجل المجاهد -هاشمي- فقال: قلنا له : إشهد أن لا إله إلا الله نطلقك، قال: لا يمكن.. لا يمكن، إنني عشت من أجل محاربتها، قال: شددنا الحبل على عنقه، فنزل الدم من فمه وعينه وأنفه، ثم أرخينا الحبل، فاستيقظ قلنا له قل أشهد أن لا إله إلا الله ونحن نفلتلك، قال: لا يمكن، قال: وعندها شددنا الحبل عليه وأخرجنا روحه إلى جهنم وبئس المصير.

يا أيها الإخوة : كما قال الأخ وائل لا تتسوا إخوانكم هناك ولا تتسوا أن رغيف الخبز يعوزهم، نعم، وكل شيء تقدمونه إنما هو كبير عندهم، يا إخوة : الآن الدولة تستأجر بعض الناس لقتل قادة قريبيين من أحمد شاه يعني ظاهرين بارزين مضى عليهم سنوات وهم يزلزلون الأرض تحت روسيا، ويدخلون في داخل المجاهدين ويقتلونهم وتعطيهم الدولة جائزة كبرى الفين ريال بعد أن يقتل قائداً قد زلزل الأرض تحت أقدام روسيا، وما ذلك إلا للحاجة تشتري بها ضمائر الناس، فالحقيقة الشيء القليل كثير هناك، وأي شيء تقطعه عن نفسك إنما يكون في ميزانك يوم القيامة، إن شاء الله، نوأنا قلت ذات مرة في هذا البلد في محاضرة في منى في الحج، قلت : نحن نقترح يوم نسميه يوم البيبسي الأفغاني، لو كل خميس كل أربعاء واحد يصوم هو وعائلته عن البيبسي، بس، في البلد سبعة مليون يرب على الأقل كل واحد علبة في اليوم بسبعة مليون علبة، سبع مليون ريال معنى ذلك لو صمنا يوماً عن البيبسي نوفر كل أسبوع سبعة مليون ريال للمجاهدين الأفغان، في الشهر ثمانية وعشرين مليون ريال بس يوم واحد ما نشرب بيبسي، فلو انتبهنا، قليل، القليل كثير، كثير عند هؤلاء وكثير في ميزان الله عز وجل.

يا إخوة : الخبز هم يحتاجون في الداخل إلى حوالي عشرة ملايين ريال خبز شهرياً، عشرة ملايين ريال خبز شهرياً فهل نوفر هذا للمجاهدين ؟ نرجو الله أن يعيننا على أنفسنا، ونرجو

الله عز وجل أن يبسر لنا باب الجهاد والاستشهاد ولا يسعني ختاماً كذلك إلا أن أقول جزى
الله الأخ ظافر عنا خير الجزاء لأنه مكننا من رؤية هذه الوجوه، وجزى الله الأخوة الذين
أعدوا وحضروا في هذا اللقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إفرد
عين
المس
غير
بين
الواء
والله
من
أقرأ
أنا أ
يجوا
ظن
على
ويقو
الذي
الله،
دفعه
سوا
ابن
ث
لا
المس
بالرأ
مرة
جمعا

نفحات من الجهاد

إفرض أن الجهاد فرض كفاية أليس التحريض فرض عين؟ أليست مساعدة المسلمين فرض عين؟ لقد أفتى الفقهاء على أن الأعمى لا يسقط عنه الإثم إذا كان يستطيع أن يقف فيكثر سواد المسلمين، ثم يخلص شيخنا¹ على أن مقاومة البدع أهم من مقاومة الكفار، ثم يقول الواجب غير الفرض!! ولا أدري من أين جاء بهذه النتيجة أن الواجب غير الفرض؟! ما فرق أحد بين الواجب والفرض في الأمور كلها سوى الحج، إلا الحنفية جعلوا الفرض أعلى منزلة من الواجب، وما سوى ذلك الفرض والواجب سواء، ثم يخط شيئا بشيء، أول ما يبدأ يقول أنا والله رغم أنني ما قرأت الكتاب يا الله!! إتركونا نرد عليه، كيف ترد على كتاب لم تقرأه؟! هكذا من أول ما بدأ قال: بالرغم أنني لم أقرأ الكتاب أنا سمعته، فتح الصفحة قال: بالرغم أنني لم أقرأ الكتاب -يا الله خلونا نرد عليه- وأخيراً يقول شيخنا أو أخونا الحبيب وأنا أظن فيه خيراً، أنا أتكلم هل يجوز الجهاد مع أناس ليسوا على مستوى من التربية؟ هذه لفظة حسنة، وهل يجوز قبول مساعدة المشركين؟ هل يجوز الاستعانة بالمشركين؟ هذه قضية أخرى فخلط بينها، ظن أنهما عنوان واحد -لأنه فعلاً ما قرأ فخلط بين مسألتين، الجهاد مع أناس تربيتهم ليست على مستوى إسلامي مقبول مع قضية أخرى منفصلة تماماً، هل يجوز الاستعانة بالمشركين؟ ويقول ابن تيمية لا يقول بهذا، وعنوان الكتاب كله أخذته من كتاب ابن تيمية "والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه" أولاً : لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم بعد ذلك الجهاد، والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه، بل ابن تيمية يذهب إلى أكثر من هذا يقول : فإذا دخل الكفار العقرة فقد وجب الخروج، سواء للراكب أو الماشي، سواء للقادر أو لغير القادر، للذي يقدر على النفقة أو لا يقدر، يعني ابن تيمية يوجب على المصري أن يأتي ماشياً من مصر ليجاهد في أفغانستان.

ثم ينشر الشريط ويسر الذين لا يحبون الجهاد بهذا، والناس الذين لا يروق لهم أن يأتي.

الشباب يتعلمون الرجولة ويتعلمون العزة يطبقون فروضاً كثيرة، فرض الهجرة وفرض المساعدة وفرض الرباط وفرض الإعداد وفرض القتال، هذه الفروض الكثيرة كلها برأيها، بالرأي البشري محصلة كل هذه النصوص، بعد أن سمعت الشريط عدت إلى الكتاب وقرأته مرة أخرى فقلت : كل من في قلبه إنصاف لا يستطيع أن يتفلسف من هذه النصوص التي جمعتها من هذا الكتاب، كل منصف لا يسعه إلا أن يسلم بما جاء في هذا الكتاب، وليت

له مسجداً بجانب بيته، هذا المسجد هدم، الناس الذين حول المسجد قالوا نحن لا نصلي في غير مسجدنا حتى يبني مرة أخرى، طيب أبني ليس معنا فلوس، ابنوه بأنفسكم، لا نستطيع ليس عندنا بناء، ليس عندكم بناء وليس عندكم فلوس تبنون، هل تعطلون الجمعة والجماعة لأن المسجد الذي بجواركم هدم؟ من قال هذا؟ الأفغان جاءوا ورأوا مسجدنا قد هدم فبنوا لنا مسجداً، والعرب قالوا لا... مسجدنا هدم لا يمكن أن نصلي إلا في مسجدنا، لا بد أن يبنيه عرب لأنه لا تجوز الصلاة في مسجد لم يبنيه العرب، فريضة القتال عطلت في بلادنا، هل يستطيع أحد أن يقاتل في البلاد العربية إلا في فلسطين؟ الله عز وجل ساق لنا حماس حتى بدأت تتحرك بالحجر، بدأ المسلمون، فإذا كنت أنت لا تستطيع القتال في بلدك وهذا فرض، فريضة، فيجب أن تبحث عن أرض تؤدي فيه هذه الفريضة، الأفغان قالوا تفضلوا يا جماعة، تعالوا وأدوا فريضة القتال، حتى يبني مسجدكم فترجعوا وتصلوا فيه، فتعالوا عندنا وصلوا الجمعة والجماعة واطبوا وأموا وأرشدوا، المسجد مفتوح لكم فجاء العرب، بعضهم قد شرح الله صدره لصلاة الجمعة والجماعة، وبعضهم قال: هؤلاء الأفغان لا يستطيعون الخطبة فأنا لا أصلي معهم لأن لسانهم ليس عربياً مبيناً، وعندهم بعض اللكنات في الخطبة، ولا بد أن تكون في الخطبة فصاحة عربية، ورجعوا ينتقدون، بعضهم يقولون: أنا رحمت إلى الجهاد، هؤلاء أناس لا يجوز أن نجاهد معهم، لأن فيهم كذا وفيهم كذا، فيبوؤون بإثمهم وإثم الذين يضلونهم بغير علم.

من أكبر النعم على الأمة الإسلامية أن ساق الله لها الجهاد الأفغاني، لا يوجد في هذا العصر نعمة أكبر من هذه النعمة على المسلمين، وافرضوا أن الجهاد الأفغاني ما انتصر على روسيا، هذه الكرامة التي تنزلت على أفغانستان، كرامة انتصار شعب فقير أعزل حافي القدمين على أكبر طاغوت في البشرية وهو الطاغوت المجرم الشرس، طاغوت روسيا.

إفرض انهم ما انتصروا، لقد كانت آثاره على الأمة الإسلامية لا تعد ولا تحصى، قلت لفضيلة الشيخ عبد العزيز، كنت أحدثه قبل سنتين عن الجهاد، فقال: الحمد لله نحن والله ما كنا نظن أن الأفغان سيفقون سبعة أيام أمام روسيا، وقد مضى عليهم سبع سنوات وهم واقفون أمام روسيا، قال هذه كرامة عظيمة، نعم، على كل حال جاءني بعض الشباب، وقال إن بعض أهل العلم في البلاد العربية يفتون بغير ما أفتيت، فقلت له: لقد سار النهر وأصبح التيار جارفاً، والله لو أفتوا بحرمة الجهاد في أفغانستان لجاء الشباب، يفتون مهما يفتون، لن يصدوا الشباب عن دين الله عز وجل.

ذكريات فلسطين

والذي تذوق الجهاد يعرف قيمته، والذي استعذب حلاوة الجهاد وعاش فترة تحت كنف الرحمن وفي ظل رعايته الصمدانية لا يستطيع أن يعيش في غير هذه الأرض وأمثالها، وكما قلت لكم نحن ذقنا حلاوة الجهاد في فلسطين (1969-1970) كانت الحركة الإسلامية قد قدمت مجموعة من الشباب في هذه القواعد، كانوا يسمونها قواعد الشيوخ، ثم ضرب العمل الفدائي ورجعنا إلى الحياة المدنية، إلى التعليم، لكن لم ننق حلاوة ولا أياماً أسعد ولا أجمل ولا أكمل ولا أكثر استقراراً من تلك الأيام التي عشناها في الجهاد، كانوا يعطونني خمسة وعشرين ديناراً أي بما يعادل في ذلك الوقت حوالي 75 دولاراً أو 25 ديناراً، قلت : بسيطة، أنا عندي زوجة وابنتان ممكن أي يعيشوا في غرفة واحدة، واستأجرنا غرفة من الطين سمث هذا الطين- في بيت أحد الإخوة مترين في ثلاثة، ليس لها مطبخ ولا شيء، فالذي يرضى يستطيع أن يعيش.

المهم ضرب العمل الفدائي وأكملت الدكتوراه في القاهرة ورجعت أستاذة في الجامعة الأردنية، وأصبح راتبي 325 ديناراً إلى آخره، ذات مرة وأنا جالس مع أهلي قالت : والله ما مرت علينا حياة أصعب من تلك الحياة التي كنا نعيش فيها ب 25 ديناراً، وكنا نأكل ما نريد وليس علينا دين والآن أنت تأخذ 325 ديناراً ومديون ولا نأكل الذي نريده، فقلت بركة الجهاد عجيبة، والسبب قالت ما كنا نتمتع بالكماليات، كنت إذا أردت أن أشتري خزانة أو ثوب أتوقع لو جاء زوجي اليوم مستشهداً كيف أقابل جنازته؟ أثوب جديد؟ كيف تدخل جنازته بجانب خزانة جديدة، فكانت الحياة ميسرة طبيعية، فالجو هو جو طبيعي، فالفلوس التي معنا متوفرة وزائدة عن الحاجة 25 ديناراً، المهم بركة الحياة بركة العمر بركة النقود، وليست الكثرة، وفعلاً لما حررنا من الجهاد ورجعنا إلى المجتمع، الدكتور فلان، جاء الدكتور فلان، ورجع الدكتور فلان وما إلى ذلك، فقدنا ذلك الاستقرار والهدوء والسعادة التي كانت تغمرنا أيام كنا في رؤوس الجبال، ولذلك عندما علمت أن في اليمن جهادا وفي أفغانستان جهادا قلت أين أذهب؟ لا بد من الجهاد، في منطقة فيها جهاد حتى نستعيد تلك الذكريات ونؤدي بعض الواجبات تجاه الجهاد، فجئت إلى باكستان طبعاً في أن أشارك في هذا الجهاد والله عز وجل أكرمنا والله كرمه لا نظير له وبعد ذلك أصبح المرجفون في المدينة المخذولون، والمثبطون وغير ذلك ممن لا يحبون أن يروا الخير للأمة الإسلامية، ولا يحبون أن يروا شبابها يلتقطون من وهلة الجنس ومن وحله ومن مستنقعه، هؤلاء لا يدعون شيئاً يمر ببالهم إلا ويحاولون أن يتكلموا فيها علينا، أنه يسرق أموال الجهاد، وأن له عمارات وأن له كذا وأن له كذا مساكين،

بئس حامل القرآن أنا إن كنت أريد أن تنزل نفسي إلى حضيض دربهات تكوى بها جنبي يوم
القيامة.

الإشاعات ضدنا

جائني شاب قال لي : بالله عليك أنت تأكل من أموال الجهاد ؟ قلت : والله يا أخي أني
أنظر إليه كالميتة والدم ولحم الخنزير، بالنسبة لي ولأهلي هل أستطيع أن أكل لحم الخنزير؟
وحتى الآن والحمد لله رب العالمين ما أكلت درهما وأنا أعلم، إن لم أقدم من جيبى الخاص،
والحمد لله رب العالمين أقدم من جيبى للجهاد، مساكين... اليوم أحد الإخوة بينكم، الشاب الذي
تكلم معي بعد العصر، أخونا قال: نحن نتكلم في المسجد عن كتاب آيات الرحمن وعن
الكرامات في أفغانستان، فإذا برجل يدخل علينا، ورأنا مجتمعين فألقى السمع واسترق السمع
وتجسس، فوجد أننا نتكلم عن الجهاد الأفغاني، قال: أنت تتكلم عن عبد الله عزام، هذا سجنني
ثلاثة أيام، من الذي سجنته ثلاثة أيام ولم أسجن واحدا في حياتي!! قال كذا وكذا، قلت له: إن
أعداء الجهاد منتشرون في كل مكان، وأعداء الحق والخير الذين لا يحبون الخير لأمتهم ولا
لشعوبهم هؤلاء كثيرون في كل مكان، ولذلك هم مستعدون أن يفتروا كل فرية حتى يمنعوا
الشباب أن يأتوا إلى الجهاد، قال له : - هو يقول- جئت أنصحك في الكلام، جئت الشيخ عبد
الله عزام أنصحك في كلامه فقال لي: اتركني من السلفنجية، فقلت : والله ما سمعت بهذه الكلمة
إلا الآن في حياتي !! سماع !! ما سمعتها من أحد إلا الآن، كلمة السلفنجية هذه، لكن أنا كلما
اشتد تكالب الدعايات ضدنا كلما فرحت، يعني هذا أننا على الحق ويعني أننا نعمل، ويعني أننا
قد حققنا خطوات كبيرة إلى الأمام، لأن الناس لا يهتمون بالقاعدين، الناس لا يحاربون إلا
الماشي، وإلا الذي يعمل، وإذا عد الناس عثرائنا فعثرائنا أكثر مما يعلمون، وأخطأنا أكثر،
وذنوبنا أعظم، والله يعلم بها، لكن الذي يخطيء هو الذي يتحمل، الناس يلعبون في ملعب كرة
القدم والمتفرجون ينظرون، هل يمكن أن يقع واحد جالس على الكرسي، فالجالسين والقاعدين
لا يقعون، والذي يتحرك كلما تحرك بسرعة يقع ويقوم ويخطئ ويصيب، وهكذا أقول : الحمد
لله، الحمد لله يبدو أن حسناتنا الله عز وجل يريد أن يضاعفها فيأتي لنا، يضاعف الله لنا الأجر
مرتين، الأول بكلام الناس علينا، والآخر برباطنا، والأجر بتجميع هؤلاء الشباب الذين نرجو
الله عز وجل أن يثيبنا من ورائهم حسنات، فهذه نعمة من الله عز وجل، نعمة كبيرة، كان
الحسن البصري رحمه الله يعرف أن أناساً يغتابونه فكان لا يمر من تلك الطريق، فقالوا له
لماذا لا تمر من هذه الطريق، قال: لأنني أعلم أن بعض المسلمين يغتابونني في هذه الطريق
وأنا لا أريد أن أحملهم أثاما بمروري، فأمر من طريق آخر.

فنحن ندعو الله ع وجل لهم، ولو كان عندي عنباً أو تيناً لفعلت كما فعل الحسن أو بعض السلف رضوان الله عليهم، عندما علم أن بعض القوم يغتابونه، فأرسل له سلة عنب أو سلة تين، قال له ما هذه؟ قال: علمت أنك أهديتني شيئاً من حسناتك فأحب أن أهديك شيئاً من دنياي، أنت أهديتني شيئاً من أحرارك فأحب أن أهديك شيئاً من دنياي، سلة العنب لا تساوي الحسنات التي جائتني من وراء غيبتك لي، فتصوروا عندما يصل الجرأة ببعض الناس أن يفترى الكذب على المؤمنين والمسلمين وفي بيت رب العالمين، وبسبب الجهاد، يقولون للشيخ عبد العزيز: يا شيخ عبد العزيز، الشيخ عبد الله يحارب السلفية ويحارب العقيدة الصحيحة ويهزأ من أهل العقيدة الصحيحة وما إلى ذلك، وكنت مع الشيخ عبد العزيز وبينني وبينه مودة ومحبة- فقال يا شيخ عبد الله: كثير فيك المادحون وكثير فيك القادحون، فقلت له تعال يا شيخ عبد العزيز نجلس في غرفة مجاورة، فجلسنا وإياه، قلت له في جلستين قلت: يا شيخ عبد العزيز أنا أسألك هل أخذت شيئاً من دنياك؟ قال: لا، قلت والله لا أطمع في دنياك شيئاً قط، هل أخذت منك فلوساً في حياتي؟ قال: لا، وأنا ذاهب إلى الشيخ عبد العزيز دار في ذهني، ماذا يفيدني إذا رضي الشيخ عبد العزيز أو غضب؟ ماذا ينفعني وماذا يهمني إن غضبت الدنيا علي كلها؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي:

فليتك تطلو والحياة مريرة

وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب

فعلا ماذا يهمني، والله أكثر شيء أخافه أنني لست على الطريق أو أخاف على إسلامي، بعد ذلك رضيت الدنيا أم غضبت، رضي العلماء أم غضبوا، لا يزيدون أو ينقصوا في ميزاني شيئاً، المهم أن أرضي رب العالمين، لكن وقع في قلبي شيء قلت: الشيخ عبد العزيز رجل صالح، الذي يؤلمني أن أحرم دعوة رجل صالح مثل هذا الرجل، وإلا أنا لا أطمع أن أكون عنده ولا أطمع أن أكون مفتي بالسعودية ولا أطمع بفلوس الدنيا كلها، الحمد لله رب العالمين، أقبلت أو أدبرت كل الذي ينزل من عندك نحن راضون عنه، ولا أطمع في دنياك شيئاً، لكن والله أنا أحبك أكثر من أبي وأمي يا شيخ عبد العزيز والعقيدة هذه، هل هو حزب العقيدة السلفية؟ قلت: والله إن العقيدة السلفية التي تحملها أنت أحملها قبل أن أعرفك بعشر سنوات، ونرجو الله أن نموت عليها ونلقاه عليها.

العقيدة ليست حزباً سياسياً

هل العقيدة أصبحت تجارة؟ الذي يدخل بحزبنا سلفي والذي لا يدخل بحزبنا صار ليس سلفياً، هذه العقيدة يعتقها من يشاء، لأن هذا أمر من الله عز وجل علينا، سواء عرفناك يا شيخ عبد العزيز أو لم نعرفك، الآن صارت العقيدة حزب سياسي، الذي يدخل في الحزب السياسي خلاص يأخذ شهادة أن عقيدته صحيحة، والذي لا يدخل في هذا الحزب السياسي عقيدته ليست صحيحة، هذه عقيدة المسلمين في الأرض كلها، العقيدة الذي يحاسب الله عليها المسلمين يوم القيامة، فقالوا تحارب السلفية، قلت: إن الذي يحارب السلفية كافر خارج من الإسلام، كيف نحارب السلفية محاربة السلفية كفر، السلفية الرجوع إلى الكتاب والسنة، كيف أحارب العقيدة الصحيحة وأحارب الكتاب والسنة؟ لكن أحياناً قد ننتقد تصرف بعض الإخوة المخلصين المتحمسين الذين لا يعرفون كيفية التعامل مع الشعب الأفغاني، فيخربون أو يؤذون الإخوة العرب الذين قبلهم، نعم نقول: هذا يا أخي غلط من خلال فهمنا لهذا الدين، ومن خلال تجربتنا مع هؤلاء المجاهدين ننصحك بكذا وكذا، فإن رضيت به أهلاً وسهلاً، ما رضيت به جزاك الله خيراً، أنا سلفي والله مثلي مثلك في عقيدتي وفي بحثي عن النص الصحيح، وأستاذي الشيخ الألباني، وأخذت عنه العقيدة وأخذت عنه علم الحديث، اللهم إلا إذا كانت مطبعته التي تطبع شهادات أنك سلفي وخلفي تختلف عن مطبعتك؟! فجاجني واحد وجلي بجانبي، شاب ممن كانوا عندنا وتأثر بالجهاد الأفغاني، ثم ذهب إلى بلد فجاجني، عرف أنني أتكلم عن الجهاد والشيخ عبد الله، وجلس بجانبي يختبرني، قال: سألني هل ذهبت إلى الجهاد؟ قال له: نعم، قال: أنا شعرت أن الرجل من أصحاب الأوراق، من الدبابيس الصغيرة والكبيرة¹ فقال لي: أنت كيف؟ ما رأيك بالشيخ عبد الله عزام؟ قال حتى أغبطه به، قلت له: هو قطعة من كبدي، فسكت ثم قال له: لكن مشايخنا يقولون إن في عقيدته شيئاً، أحسن شيء نقول عقيدته فيها شيء، فقط، قال له: أنا على عقيدة عبد الله عزام..

﴿وَقَضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: 44).

تصور يعني يريد أن يفرق بين الأحبة، وشر الناس المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العيب.

لماذا جننا ؟

على كل حال يا أيها الإخوة، نحن جننا إلى أفغانستان حتى تؤدي فريضة القتال، وهي ليست موجودة في بلادنا، فمن استطاع أن يؤدي هذه الفريضة -فريضة القتال- حتى لا يحورها الذين يلعبون بدين الله أو يلعبون بالنصوص على أهوائهم نقول فريضة القتال، والجهاد هو القتال، الذي يستطيع أن يؤدي فريضة القتال في أي مكان فيه كفار غيروا شرع الله عز وجل فليؤدها في أي بلد احتل من قبل الكفار، إن استطعت أن تقاوم فقاتل، لا أقول لك أن الجهاد فرض عين في أفغانستان فقط، فرض عين في فلسطين فرض عين في لبنان، فرض عين في الفلبين، فرض عين في أي مكان غيرت فيه شريعة الله عز وجل واحتل من قبل الكفر، لكن نحن قلنا تعالوا إلى أفغانستان لأنها أرض خصبة، لأنه قيل لعمر رضي الله عنه عندما فر من الطاعون، لم يدخل بلدا فيها الطاعون، قالوا : تفر من قدر الله، قال: أفر من قدر الله إلى قدر الله، أرايت لو كان عندك عدوتان -عدوتان يعني كلتان- أحدهما خصبة وأخرى مجذبة، أين ترعى غنمك ؟ في الخصبة أم في المجذبة، قال: أسمتها في الخصبة، قال: فإنك أسمتها بقدر الله وتركت المجذبة بقدر الله، فهناك عدوة خصبة وهي أفغانستان، وهنا عدوة فيها قحط وفيها جفاف، فنحن جننا إلى العدو الخصبة، فرأينا المعركة، سلاح موجود والحدود مفتوحة، قيادات إسلامية واضحة بارزة، شعب كله يقاتل في سبيل الله، قلنا نقف معه في سبيل الله، لماذا ؟ أدينا الفريضة ساعدناه خدمناه رفعنا معنوياته ثم بعد ذلك، نأتي إلى قضية مهمة جداً وهي إعادة الخلافة الراشدة إلى الأرض إن شاء الله، ولا يوجد بقعة في الأرض مرشحة لقيام الخلافة الراشدة ولوجود حكومة إسلامية تتبنى مصالح المسلمين وتصبح دار هجرة للذين يشردون من أوطانهم ويخرجون من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، تتبنى مصالحهم وتتوي مستضعفهم، تضم شتاتهم، تعطيم جوزات سفر، تجاهد من أجلهم، وتعاوي من أجلهم وتصادق من أجلهم، ما رأينا في الأرض بقعة مرشحة أكثر من أفغانستان، فنحن نطمح أن تكون أرض أفغانستان أرض الهجرة وأرض النصر، وأرض القيادة لخلافة إسلامية وأرض الجهاد في الأرض إن شاء الله.

لن يغلّبوا القدر

ونحن اقتربنا وإن كان أعداء الله الآن متكالبون حتى يحولوا بين قيام الإسلام في داخل أفغانستان بعد أن انتصر هذا الجهاد المشرف..

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21).

هم لا يستطيعون أن يقاوموا القدر، ولا يستطيعون أن يواجهوا رب العالمين، ولا يستطيعون أن يغلّبوا سنة سيد الأرض والسماء الواحد القهار، لا يستطيعون إلا إذا استطاع الولد الصغير أن يرد الدبابة بعضلاته، لا يستطيعون، لا يستطيعون إن شاء الله، نحن مقربون من النهاية، فإذا أقمنا دين الله في أفغانستان وحكم هؤلاء الإخوة الذين نظن بهم خيراً، والذين عهدنا عليهم الخير، والذين ذاقوا المر و تجرعوا الغصص حتى وصلوا إلى هذه الأيام، خاصة القادة الأربعة البارزين سياف وحكمتيار ورباني وخالص، وإذا حكم أي واحد منهم فنحن مستعدون أن نبايعهم، وأن نكون جنوداً صغاراً من جنودهم، بل والله أنا أعجبنني أحد الأساتذة الطيبين الفضلاء، جاء لتهنئتهم وكان ذا مكانة مرموقة بين أبناء بلده وأستاذ جامعة وكان رئيس للجامعة، يقول له حتى تأتي نسلمك رئاسة جامعة كابل وما إلى ذلك، قال: أنا والله يشرفني أن أكون كناسا تحت أقدامكم التي أغبرت في سبيل الله، نعم، فنحن والله يشرفنا أن نخدمهم في أي شيء إذا وصلوا إلى الحكم الإسلامي، وإن شاء الله هو قريب، وبعد أن نوصلهم إلى كابل ويمكن الله لهم في كابل ويعينهم المسلمون في إقامة دولتهم إن شاء الله نفتح ثغراً آخر، والثغر الثاني إن شاء الله يكون فلسطين، لنقف بجانب إخواننا في حماس ندعمهم ونعضدهم ونرجو الله أن يفتح علينا خيراً كثيراً في فلسطين، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة ويختم لنا فيها وأن يجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، نحن لا نقول كما قال الأفغان: اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، نحن نقول اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك حيث ما أردت أن ترزقنا، ونحن مستعجلون على الشهادة فإن كتبت لنا عمراً، اللهم لا تمتنا حتى تفر أعيننا من اليهود ونقتلهم شر قتلة ونطردهم من أرض الأقصى إنك سميع مجيب، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

سؤال :

شيخنا العزيز السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعدما علمنا منك عن وجوب الجهاد هل تكرمت وأخبرتنا بعد تحرير أفغانستان، فإنني أريد أن يكون طريقنا واضحاً أمام أعيننا حتى لو ثبطننا الشيطان؟

الجواب :

أنا قلت لكم نحن إن شاء الله رب العالمين بعد تحرير أفغانستان تكون دولة إسلامية فيها إن شاء الله وتكون داراً للهجرة ومنطلقاً للمسلمين الذين يريدون أن يحرروا بقية بقاع الأرض التي حكمها الكفار إن شاء الله هذا قريب.

ولكن إذا طالبت مدة الجهاد ونحن شباب، هل نستطيع الزواج من مسلمة أثناء جهادنا؟ طبعاً يجوز الزواج من مسلمة أثناء الجهاد، وأثناء القصور من الجهاد وجزاك الله خير الجزاء، وهل طلب علم الدنيا لمحاربة الكفار به يعتبر نوعاً من الجهاد ويكفي عن حمل السلاح؟

لا بد من حمل السلاح، لا بد من حمل السلاح حتى تصقل النفس البشرية وتصقل الروح، فلما يفهم أحد دين الله إذا لم يصل أرض الجهاد والقتال بنفسه، فلما يفهم دين الله عز وجل إلا من خلال الجهاد، وكثير من المعاني القرآنية والنصوص النبوية الشريفة لا تفهم إلا في أرض المعركة، ولأن النفس البشرية كأنها مغطاة بغطاء، غطاؤها التقاليد والعادات وركام الواقع وما إلى ذلك، غطاء طنجرة، تفتح هذه الطنجرة حتى تضع فيها ما تريد من الماء واللحم والطماطم حتى تصبح أي شيء، ولذلك النفس البشرية الجهاد يرفع عنها هذا الغطاء، يكشف الأجهزة التي تستقبل معاني النصوص الربانية ومعاني النصوص الشرعية لأن الزر ليس مفتوحاً، كهرباء مغلق، لا بد أن تشغل زر الكهرباء حتى يصبح هناك حرارة، وحتى يظهر الضوء وحتى ترى الطريق، الجهاد هو الذي يشغل الكهرباء، وينير القلب، ويضيء الطريق لتفهم وتقرأ على النور الذي أضائته حرارة الجهاز وسهل له الطريق..

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا﴾ (التوبة: 122).

قال ابن عباس والطبري: الذين يتفقهون في الدين هم الذين ينفرون في سبيل الله، وليس الذين يقعدون في بيوتهم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

جئنا إلى أفغانستان لمساعدة المسلمين، وجئنا إلى أفغانستان حتى لا نكون مستضعفين في الأرض، تتوفانا الملائكة -المستضعفين- ونقول لنا متى كنتم مستضعفين في الأرض.

وجئنا إلى أفغانستان، من أجل المساعدة في إقامة الحكم الإسلامي، يا أيها الإخوة، إقامة حد من حدود الله كما جاء في الحديث الصحيح، فنحن منذ أن سقطت الخلافة الإسلامية النقية العالم على قضيتين، أما القضية الأولى وهي المهمة أن لا نسمح أن تقوم للإسلام قائمة في أي مكان في الأرض، لا نسمح بوجود حكم إسلامي في أي مكان في الأرض، وأما القضية الثانية وهي خاصة بمنطقة الشرق الأوسط أننا لا نسمح بزوال إسرائيل من المنطقة لأن إسرائيل وجدت لتبقى، وإقامة حكم إسلامي في الأرض فرض على الأمة الإسلامية، والأمة الإسلامية تبقى أئمة ما دام لم يكن هنالك خلافة تطبق شريعة الله عز وجل، ويكون أن تقوم على أرض تعتبر داراً للهجرة ويقوم عليها الإمام يسيّر الجيوش للجهاد ويقسم الغنائم ويحمي الثغور ويدافع عن المسلمين، ويحمي حقوق المستضعفين ويؤوي المشردين ويعطيهم نفس حقوق أهل

البلد التي هو منها، من جواز السفر حقوق المواطنة من الحقوق المدنية الأخرى حق الوظيفة إلى آخره، فما لم تكن هذه الدولة موجودة في الأرض الأمة الإسلامية آتمة، لأنه لا بد من أناس وإمام يحمي حدودهم ويشحن ثغورهم بالجنود ويسير جيوشهم إلى أرض الكفار مرة واحدة في السنة على الأقل، ويعقد العقود ويقسم الغنائم ويحفظ الثغور إلى آخره، نحن رأينا ف ووجدنا أنها يمكن أن تكون هذه الأرض التي تحلم بها بعد أن أسقط السلطان عبد الحميد رحمه الله سنة 1909 م أصبحت الخلافة ضعيفة، لكن لم تسقط الخلافة ولم تسقط الشريعة الإسلامية حتى جاء الغرب والانجليز على رأسهم مصطفى أتاتورك وأسقط الخلافة في 3- مايو-1924م، بعد أن عقد مصطفى كمال معاهدة لوزان، ومعاهدة لوزان كانت في سويسرا بين سنة (1922-1923) من أكتوبر 1922م -فبراير 1923، اتفقوا مع مصطفى كمال على أربع قضايا.

القضية الأولى : أن يهدم الخلافة الإسلامية.

والقضية الثانية: أن لا يسمح بقيام حكم إسلامي وأن يسحق كل محاولة لإعادة الخلافة.

وثالثا : أن يحارب الشعائر الإسلامية الظاهرة.

رابعا : أن يتخذ قانوناً أوروبياً بدل الشريعة الإسلامية.

وقالوا عصمت إlden ممثل مصطفى كمال أتاتورك: إذا وافقتم على هذه الشروط نحن نسلمكم تركيا من الصباح ونسحب، وكان الذي يشرف على المعاهدة ناحون حايبين حاخام اليهود في القسطنطينية فوافق مصطفى كمال أتاتورك، وعندما تعقدت المفاوضات بين عصمت إlden وبين كرزون وزير خارجية بريطانيا أرسلت بريطانيا إلى ناحوم حايبين في أمريكا أو في مكان آخر في أوروبا، فأرسلوا إليه برقية، فأرسل برقية لكرزون: امكثوا فأنا قادم لأن عصمت طوع بناني ورهن إشارتي -عصمت هو ممثل مصطفى كمال أتاتورك ونائبه والذي استلم رئاسة الجمهورية في تركيا بعد مصطفى كمال أتاتورك- أنا رأيت الأحداث التي تجري في أفغانستان، شبهتها بتلك الفترة التي كان كمال أتاتورك يخوض معارك ضد الحلفاء، فصنعوا الحلفاء -عملوا له مسرحيات- وانتصر في معركة أنقرة وأزمير وصقارية وأفيون، هذه المعارك بعد أن انتصر وانسحبت دول الحلفاء، اتفقت معه، نحن ننسحب ومصطفى كما بعد كل معركة يعلن عن بطولاته وعن بطولات جيشه، فالشعب التركي كله يطير فرحا لكما أتاتورك، وإذا تأزم الموقف وإذا تأخر النصر في معركة من المعارك أظن معركة أفيون أو غيرها، تفقد حبيبته اليهودية خالدة أديب التي سلمها فيما بعد وزارة التربية والتعليم في تركيا، فتفقدتها فلم يجدها، أرسل برقية أرسلوا خالدة أديب، فعندما

وصلت خالدة أديب المهم انتصر، قال مصطفى أتاتورك : بمجرد أن وصلتني جاء النصر، مصطفى كمال كان الغرب يمهّد له بهذه المسرحيات، مسرحيات الانتصارات، والمفاوضات السرية جارية، معارك ماشية في قندهار وفي ننكرهار وفي هلمند وفي غيرهما، مفاوضات سرية ماشية، الأمريكان يتصلون، الغرب يتصلون، الدنيا كلها تتصل بالزعماء قادة الجهاد في أفغانستان والمعارك في الداخل ماشية، انتصارات حقيقية وقتلى وشهداء واحتفالات وما إلى ذلك، لكن الفرق الوحيد بين ذلك وبين هذا أن الله عز وجل سخّر للجهاد الأفغاني قيادات صالحة ما باعت دينها ولا عرضها ولا أرضها وإلا كان يمكن خلال هذه السنة أن يضيع كل ثمار دماء جهاد شعب بكامله لمدة عشر سنوات، يعني لولا الله ثم وجود سياف وحكمتيار وخالص ورباني هؤلاء لانتهدت قضية أفغانستان، بأن يرجع ظاهر شاه ويعود الأمر كاليوم الذي بدأ، فيه الجهاد، يعود حاكم أفغانستان الملك ظاهر شاه مرة أخرى، ويعود تطبيق شريعة القوانين الغربية، وتضيع الشريعة الإسلامية، ويعمل احتفال بيوم الشهداء ويم الدماء ويوم استقرار أفغانستان، ويضيع كل شيء، ولذلك القيادة الصالحة هي أهم عنصر في الجهاد، وأن في أي وقت وفي أي ليلة من الليالي يوقع على ورقة يبيع فيها الأرض والعرض، ويبيع فيها الناس والدماء والأشلاء، وخلاص ينادى به زعيما لأفغانستان مقابل ماذا ؟ مقابل أن لا تحكم بالشريعة الإسلامية، أنت نادي بالشريعة الإسلامية علناً لكن تحتها إيق الأحكام جارية كما هي، نحن نريد شريعة وقوانين سكر خفيف، ميش مرتب ليس فيه تطرف وليس فيه تشدد وليس فيه انزلاق، نحن نريد دين مرن مطاط حسب أهواء أميركا والناس منفتحين من كل الشبائب المفتوحة للجاهلية والرياح والعواصف وما إلى ذلك، وبعد ذلك وزير خارجيتك لا بأس أن يشرب الخمر حتى يعرف يجلس مع الأمريكان، كيف يجلس مع الأمريكان على طاولة الخمر، ومدير مخابراتك أتريد أن تأتي به ملتحيًا بلحية؟ لا يمكن أن يسجن ولا يحاكم أي شخص، هذا رحيم، قلبه رقيق، أنت تريد أن تأتي بجلاد يذبح الناس حتى يستقر حكمك، وهكذا المعركة السياسية التي قامت في هاتين السنتين وخاصة من معركة جنيف من مؤامرات جنيف إلى الآن لا تقل خطورة عن المعركة العسكرية التي في داخل أفغانستان بل هي أشد، والذين وقفوا أمام هذه المؤامرة ثلاثة إلى أربعة وحول كل واحد منهم مجموعة من أبناء الحركة الإسلامية الذين تربوا تربية إسلامية.

من ثمرات الجهاد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يُغِيظُ الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 119-121).

الصدق والتقوى من أعمدة الجهاد

ذكرنا بالأمس أن الجهاد أساسه التقوى، وعنوانه الصدق، لأن الجهاد بدون صدق، بدون أن يكون ابتغاء مرضاة الله عز وجل وبال على صاحبه (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (قالوا: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل للمغرم، والرجل يقاتل ليرى مكانه من الحرب أيهم في سبيل الله، قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) يعني كأن الجواب لا أحد من هؤلاء في سبيل الله، لا الذي يقاتل للمغرم، ولا الذي يقاتل حمية، ولا الذي يقاتل ليرى مكانه من الحرب، لأن " من خرج رياءً وسمعةً ولم يطع الإمام ولم يجتنب الفساد لم يرجع بالكفاف". في الحديث الصحيح (أول ما تسعر النار يوم القيامة بثلاث؛ مقاتل وعالم ومنفق، أما العالم فيقول له رب العزة: ماذا عملت في الدنيا؟ فيقول له: تعلمت العلم فيك ونشرتته، فيقال له: -أو كما قال ﷺ - كذبت، تعلمت ليقال عنك عالم وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا ثم يؤمر به فيلقى في النار، ثم يؤتى بالمنفق ماذا فعلت؟ اكتسبت المال في الحال وأنفقت في سبيلك، كذبت، أنفقت ليقال عنك جواد، وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا، فيؤمر به فيلقى في النار، المقاتل ماذا فعلت؟ قاتلت في سبيلك حتى قتلت، كذبت قاتلت ليقال عنك جريئاً وقد قيل وأخذت أجرك في الدنيا فيؤمر به فيلقى في النار) قرأ هذا الحديث أبو هريرة أمام معاوية ﷺ، فبكى معاوية حتى اخضلت لحبته، ثم أغمى عليه، وبعد أن أفاق معاوية ﷺ: صدق رسول الله ﷺ، يقول الله عز وجل:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفًا لِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: 15-16).

ففتحناج إلى صدق، والجهاد الحقيقة عنوانه الصدق، لأن الجهاد خروج من الدنيا، خروج عن الروح التي تملك، خروج عن المال، خروج عن الشركة خروج عن الجامعة، خروج من الأهل، خروج من الأسرة، فهو عنوان الصدق، عنوان بارز من عناوين الصدق، إذا كان الجهاد في سبيل الله، وأما التقوى فهي ضرورية جداً سواء في مرحلة القتال أو بعد مرحلة القتال، أما في مرحلة القتال فإن لم يكن هنالك تقوى فأخطر شيء أن يكون بيد غير المتقي سلاح، لأنه يعتدي به القوي على الأمنين، يقطع به السبيل، ينتهك به الأعراض، يسلب به الأموال، يذل الناس، يهابه الناس، لا يستطيعون أن يفعلون شيئاً إلا بإذنه، يستطيع أن يحضر أي امرأة جميلة ويغتصبها لأن بيده سلاحا، يستطيع أن يبتز أي مال يريده لأن بيده سلاحا، والضابط الأمين وصمام الأمان الذي يحمي أعراض الناس وأموالهم ودمائهم هو التقوى، والتقوى، ولذلك الآن الطواغيت يذلون الناس ؟ لأن بيدهم سلاحا بدون تقوى، فسلاح بدون تقوى مصيبة على الأمة، وتقوى بدون سلاح مصيبة على الأمة، لأن الأمة ستذل من أعدائها وسلاح بدون تقوى تُذل الأمة على يد أحد أبنائها الذين يتكلمون بلغتها وهم من جلدتها ولذلك ما استطاع أعداء الله عز وجل أن يذلونا كما أذلنا الذين سموا بالذين حرروا الشعوب، يعني ما استطاعت إيطاليا على جبروتها وطغيانها، رغم أن عمر المختار خاض حوالي ألف معركة ضدها، وكبدها خسائر ضخمة جداً، ما قتلته إلا بعد محاكمات طويلة، وبعد أن حسبت حسابات طويلة، واحد من العلماء، فضج الناس وثاروا، بينما القذافي في يوم واحد يقتل ثلاثين أربعين خمسين من الخيار، من الصالحين، لأنهم لماذا؟ لأنهم أعداء الشعب وهو حبيب الشعب، وهو يحمي الشعب، يدخل عبد السلام جلود على الجامعة فيطلق طلقات نارية في داخل الجامعة إيذاناً -يعني إعلاناً- ببداية الثورة الثقافية فيثور هؤلاء الرعاع، الأوباش، هؤلاء الغوغاء، أبناء الجامعة الذين يسمون الاشتراكيين وأبناء الثورة وما إلى ذلك، فيجرون العمداء والأساتذة في داخل الجامعة، ويسقط بين ثلاثين وأربعين شهيد وجريحا في داخل الجامعة في ابتداء الثورة الثقافية، لا يمكن، إيطاليا مهما بلغت سطوتها الغاشمة و عنفوان ظلمها أن تنزل هذا المستوى وتغلط هذه الغلطة، كم عالماً قتل الانجليز في مصر ؟ نحن لا نعرف عالماً واحداً قتلته الانجليز في مصر علناً أو سنيقوه، أو علقوه، لكن عبد الناصر في يوم واحد علق ستة من خيار أهل الأرض من قادة الإخوان المسلمين في لحظة واحدة عبد القادر عودة صاحب التشريع الجنائي في الإسلامي، ومحمد فرغلي الذي كان يقود كتائب الإخوان في فلسطين وفي قناة السويس، هذا دفع الانجليز خمسة آلاف جنيه أيام كان الجنيه يساوي، خمسة آلاف جنيه لمن يأتي بخبره حيا أو ميتاً، يوسف طلعت الذي كان يسمى جزار الانجليز، هنداي دوير ابراهيم الطيب، محمود عبد اللطيف في لحظة واحدة، سيد قطب أعدم وباسم العمالة للأمريكان أو الانجليز أو غيرهم، ما كان الانجليز ليغلطوا هذه الغلطة، فسلاح بدون تقوى مصيبة

عظيمة على الشعب. نعم هل كان الفرنسي يستطيع أن يهجم على الفتاة في داخل شوارع دمشق وينزع خمارها عن رأسها أو يمزق ثيابها الطويلة، لقد تجرأ رجالات حافظ أسد أن يفعلوها، ما استطاع فرنسي من خلال الإذاعة، ولا من خلال الصحف أن يقول : أن الدين النصراني خير من الدين الإسلامي، في أي بقعة من البقاع التي حكمتها فرنسا كانوا يعملون في التبشير هكذا سراً، أما هؤلاء ومن خلال إذاعة دمشق؟؛

آمنت بالبعث رباً لا شريك له

وبالعروبة ديناً ما له ثاني

دخلوا حماة وهم يرددون (هات سلاح وخذ سلاح، دين محمد ولي وراح) هؤلاء الجنود الوطنيون الثوريون، البعث العراقي عندما دخل ميشيل عفلق إلى العراق في الانقلاب البعثي الأول أيام صالح السعدي وغيره كتبت الجريدة عن ميشل عفلق الإله العائد بالخط الأحمر، فوجود سلاح بدون تقوى جعل أبناء أمتنا وجلدتنا ينتهكون الأعراض ويسفكون الدماء حتى جرت أنهاراً، الآن لو قارنا حالة مصر، حالة الأردن، حالة سوريا، خاصة حالة الأماكن التي حصلت فيها الانقلابات الثورية ؛ سوريا، العراق، مصر، ليبيا، السودان، الجزائر، لو قارنا حالها بأيام الانجليز والفرنسيين وأيامها اليوم نجد أن حالها في ذلك الوقت، لو عاد إلى الناس، لقالوا :

من ثنيات الوداع

طلع البدر علينا

ما هذا ؟ مصر كانت تمول العالم العربي، السعودية، الجزيرة ما إلى ذلك هذه مصر تعطى مساعدات، الجنيه المصري كان أعلى من الجنيه الانجليزي، كان أعلى من الدينار الأردني، كان يساوي حوالي عشرة ريال وكذا، الآن أين الجنيه المصري ؟!!! كما يقول الإخوة المصريون، طنجرة الفول كانت أد كده، والآن أد كده، كانت الطعمية موجودة، كانوا الخير موجودا، كان الرغبة كبيراً كانت مصر دائنة لبريطانيا وللعالم، خرج الملك فاروق من مصر سنة 52 ومصر دائنة ولها دون على العالم، أين الآن؟ الآن مصر لو باعت أراضيها لا تستطيع أن تسد ديونها، لا تستطيع أن تسد الربا (ربا القروض) عليها خمسة وثلاثين إلى أربعين مليار دولار، يعني خمسة وثلاثين ألف مليون دولار، الربا إفرض أنه عشرة في المائة، إفرض سبعة في المائة، ربا حوالي اثنين ونصف مليار، ألفين وخمسمائة مليون دولار في السنة الربا، من أين تدفع هذا مصر؟ ولذلك سلاح بدون تقوى مصيبة على الأمة، مصيبة عظيمة، كانت بريطانيا إذا وضعت عالماً في السجن، قامت المظاهرات في كل البلد، أغلقت

البلد مسكت ثلاثة من الفلسطينيين -بريطانيا- عطا الزير وجمجوم وغيرهم، كل فلسطين
صارت تردد :

يا ظلام السجن خيم
لينا نهوى الظلام
ليس بعد الليل إلا
نور فجر يتامى

النساء في البيوت يرددنها ويعلمنها للأولاد، فما كان الاستعمار يجرؤ أبداً أن يفعل عشر
معشار ما فعله أبطالنا الثوريون، أين الإسلام في العراق الآن؟ في سوري؟ في ليبيا؟
هل يمكن أن تجد لحية في داخل دمشق أو العراق في بغداد في طرابلس أو في بنغازي؟ لا
تجد، لا يمكن إلا المستعد للموت، لا يمكن أن يستطيع أو يجريؤ ثلاثة من الشباب أن يجلسوا
في المسجد ويقرأوا القرآن، خمسة من الشباب وجدوا أنهم يجمعون الأموال لأفغانستان في
العراق، أعدموهم، الخمسة في الثانوية، هل كانت بريطانيا تجرؤ أن تفعل عشر معشار هذا؟
لا تستطيع، ولذلك نحن لا نريد سلاحا بدون تقوى، ولا نريد تقوى بدون سلاح لا بد من
التقوى والسلاح، يسأل بعض الإخوة يقول موجود في داخل أفغانستان بعض الخلافات وبعض
المرات يقتل، قلت، نعم تريد شعب كاملا يحمل السلاح أن لا يحصل مثل هذا؟ نعم موجود
يقتل بعض الناس في داخل أفغانستان، لأن روسيا توظف أموالاً ضخمة وتشتري ضمائر
بعض الناس الفقراء، وسهل أن تشتري ضمير الفقير ببعض الأموال، وتدس في هذه الجبهة
عشرة وفي هذه الجبهة عشرة، يأخذون رواتب، وظيفته أن يقتل قائد الجبهة، ويبقى يقاتل معه
سنة وسنتين، حتى إذا خلا به بعد سنة أو سنتين يقتله ويرجع يأخذ مائة ألف أفغاني، مائة ألف
أفغاني يعني ألفين ريال سعودي (2000)، قائد تجده دمر خمسمائة دبابة لروسيا والدبابة
بائتين مليون دولار ألف مليون دولار قتله بألفين ريال، ف شراء الضمائر سهل وناس بيدهم
سلاح، فكثير من القادة قتلوا بهذه الطريقة على يد أناس اسمهم مجاهدون، لكنهم عملاء للدولة،
عملاء، فالآن المليشيا الذين يقاتلون مع روسيا أليسوا من أفغانستان، أليس اسمه محمد وأحمد
وعلي هكذا، لكن من أجل دراهم معدودة، بدون تقوى وجود سلاح يخرّب في البلد ويفسد، فلا
نريد سلاحاً بدون تقوى، ومن هنا لا بد من التربية للمجاهد لأن المجاهد إذا حمل السلاح بدون
تربية يصبح قاطع طريق، قاطع طريق يقف هنا على الطريق، يدفع على كل جمل يمر مائة
روبية، على كل سيارة تمر ثلاثمائة روبية وهكذا، قطاع طرق، الآن الشيعة في "باميان" وفي
غيرها لا يمكن أن تمر قافلة من قوافل المجاهدين إلا ويأخذون عليها ضرائب، قطاع طرق،
كل عشر قطع سلاح يأخذون قطعة، كل عشرة صناديق يأخذون صندوقاً هذا إذا كانت قافلة
قوية، أما إذا كانوا ضعافاً قد يأخذون كل أموالهم وأسلحتهم، فسلح بدون تقوى مصيبة ولو
كان أخوك وابن عمك، لن السلطة في شهوة البطن وشهوة الفرج وشهوة العظمة، أو السلطة

شهوة الفرج أشد من شهوة البطن وشهوة السلطة أعظمها وأشدّها داءً على النفس، يعني يمكن معالجة شهوة البطن بالطعام، وشهوة الفرج بالزواج، ولكن شهوة العظمة لا تنتهي، إذا أخذ هذا البلد، يريد جيرانها، وإذا أخذ أفغانستان يريد باكستان، وإذا أخذ باكستان يريد.... الخ، وهكذا شهوة العظمة، شهوة حب الظهور.

ذات مرة عبد القادر عودة جالس مع عبد الناصر عندما بدأت الخلافات، بداية الخلافات بينه وبين عبد الناصر، بين الحركة الإسلامية وبين عبد الناصر، عبد القادر عودة كان صديقه الحميم يستشير عبد الناصر في أموره، وهو رئيس الوزراء يمر على مكتب عبد القادر عودة وهو عائد إلى بيته بعد الدوام -رئيس الوزراء كان عبد الناصر- ويتغدى في مكتب عبد القادر عودة، يطلب له كباب -كان يحب الكباب عبد الناصر- فقال له وهو يعاتبه يقول له يا عبد الناصر: هذه حركة، ونحن نخشى شاباً جاهلاً من شباب الإخوان أن يفلت منا، فنخشى عليك، قال: تخشى علي! كم هم الإخوان؟ هذا جواب عبد الناصر، ثلاثة ملايين، خمسة ملايين، سبعة ملايين أنا أقتلهم، ذهل عبد القادر عودة، قال له: تقتل سبعة ملايين من أجل شخصك، سبعة مليون، كان عدد سكان مصر في ذلك الوقت حوالي اثنين وعشرين مليون، ثلث سكان مصر، قال له: تقتلهم من أجل شخصك، فعرف عبد الناصر أن هنالك سرّاً قلت من فمه فبدأ يقول: أنا أهزر وأمزح، نعم هو مستعد أي واحد أن يقتل الشعب كله، ويبقى الكرسي الذي تحته، ولذلك دائماً الأمريكان بالذات يقولون له: سلمنا هذه القطعة من الأرض أو نأخذ الكرسي؟ إذبح المسلمين أو نأخذ الكرسي؟ نذبح، إسكت عن اليهود أو نأخذ الكرسي؟ نسكت، أخرج المرأة وأفسدها، انشر التلفزيون، أنشر السينما، أنشر الفساد، أنشر المسارح، السينمات أو نأخذ الكرسي؟ لا لا لا لا الكرسي خليه وأنا أذبحهم، أبيد الأمة كلها، أهم شيء الكرسي، المهم الكرسي، فالكرسي هذه تلف، فتلف رأسه معها، هذا الكرسي الذي يجلس عليه الحكام يتلف فهم يلفون دماغه مع السلطة، فسلح بدون تقوى مصيبة، مصيبة عظمى، انظروا إلى حال الجزائر بعد أن استلمها أبو مدين وقد جازاه الله بما يستحق، ما أذل أحد شعبه المجاهد مثلما أذل أبو مدين الشعب العزيز الذي دفع مليون شهيد، أذله أبو مدين، نشر الخمر، أخرج المرأة، أفسد المجتمع، وبالتالي قال: نحن لا نريد أن نصنع البارود مرة أخرى، الاشتراكية واحدة هي الاشتراكية اللينينية الماركسية، هناك الاشتراكية العلمية التي هي الاشتراكية اللينينية الماركسية، والاشتراكية العربية والإسلامية، من هذه الأسماء، قال: لا نحن لا نريد أن نصنع البارود مرة أخرى، الاشتراكية واحدة هي الاشتراكية العلمية اشتراكية ماركس ولينين، ولذلك ربنا جازاه، قعد في النزاع حوالي أربعة أشهر..

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْزَارَهُمْ﴾ (الأنفال: 50).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾
(الأنعام: 93-94).

الشرطة والجيش وما إلى ذلك، ما دخلوا القبر معه هل يوجد حراس داخل القبر ؟ الحراس خارج، خائفين أن يطلع مرة ثانية.

التقوى هي التي تجعل الحاكم يعيش أبسط الناس، نعم يعني الآن تدخل بابي، ترى أولاد سياف يلبسون مثلهم مثل بقية الشعب المهاجر، بيته نفس البيت، طين أرضه تراب لا يوجد في بيته مكيف، الحب على وجوه أولاده من الحر أهاده أمامي أحد السعوديين مكيفاً وسجاجيد، قال له : حتى تضعها في مضافتك وحتى لأولادك هذا المكيف، قال : والله لا أسمح لنفسي أن يعيش أبنائي تحت المكيف، والناس في الخيام يموتون من الحر، ولذلك هذا الحاكم الذي تأمنه على عرضك، على مالك، على دمك، على نفسك، أنا اطلعت على مصروف حكمتيار، والله رأيت الدفتر، قلت له : كم تتفق في الشهر، قال : ألف وخمسمائة إلى ألفين روبية، إذا وصل ألفين روبية في الشهر، هو وعائلته نعاتب الأهل أننا أنفقنا كثيراً، ألفين روبية، ألفين روبية كم؟ أربعمائة ريال سعودي!! زعيم عنده مائة ألف مسلح في داخل أفغانستان !! أربعمائة ريال!! وأنت عندنا تتفق ألفين ريال تخلص من 18 الشهر، قبل أن يأتي آخر الشهر ب 12 يوم تستقرض، بعض الشباب ينفقون في الجبهة أكثر من ألفين روبية في الشهر يريد أن يأكل المفلطح والمندي، المندي اللحم المشوي بالتراب، الحنيذ.

هؤلاء القادة الفرش الذي عندهم ربما لا يفرش كل المكتب، والأرائك التي يجلسون عليها، الكراسي تغرق فيها لأنه لا عليها قماش ولا غيره، أنت تنزل بين الحديد، كأنه مشتريها من السوق الواحدة بعشرين روبية وآلا بثلاثين روبية، نعم أي واحد منهم لا يمكن تمجد في بيته مكيف، أنا دخلت بيوتهم -الأربعة خاصة هؤلاء- وأكلت عندهم يعني أقل واحد عربي ينفق مثلهم على مرتين أو ثلاث، من المجاهدين العرب فهؤلاء الذين يؤتمنون.

هذا يونس خالص عمره سبعون عاماً عالم واحد من الأمريكان قال لهم : يا جماعة اقبلوا بدولة محايدة، تكون طرفاً ثالثاً تشرف على انسحاب الروس من داخل أفغانستان، قال للأمريكي : اسمع والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بهذا، من الذي يستطيع من حكمانا أن يجرؤ يتكلم مع شرطي أمريكي، فضلاً أن يتكلم مع وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بهذا ؟ قال له : اسمع والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بهذا، عزة، ومع

ذلك ليس عندهم طعام اليوم، فنحن نريد التقوى قبل السلاح لأن السلاح قبل التقوى مصيبة مصيبة مصيبة من المصائب العظيمة أن يحمل الشعب السلاح دون أن يكون متربياً على الإسلام، لأنه يقتل بعضه بعضاً، ويحيل المجتمع إلى غابة من الأسود المفترسة، أو الوحوش الضاربة، القوي يأكل الضعيف، لقد رأيتهم، رأينا هؤلاء الذين يحملون السلاح دون تقوى، مصيبة على الأمة، مصيبة طامة كبرى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (التوبة: 120).

يعني هذا توبيخ بصورة غير مباشرة، يعني كأن القرآن يقول لهم : أليس عيباً عليكم أن تتعدوا والرسول ﷺ يقاتل؟! هل أنتم أفضل منه؟! ما كان لكم، يعني لا يليق بكم يا أهل المدينة أن تتخلفوا عن رسول الله، كما قال أبو خيثمة، الرسول ﷺ ذهب إلى تبوك، كان متزوجاً اثنتين، زوجتين وكل واحدة منهن قد أعدت عريشاً ورشته بالماء المبرد، وقد طابت الثمار، فوقف على باب العريش، قال : والله أبو خيثمة في ظل ظليل، وماء بارد، ورسول الله ﷺ في الحر والضح (الشمس) في الضح والحر والشمس، ما هذا بالعدل، والله لا أدخل عريشاً حتى ألحق برسول الله ﷺ أعدوا لي راحتي ناقتي ولحق برسول الله ﷺ (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) وأنتم أيها المسلمون ما كان لكم أن تتخلفوا عن رسول الله ﷺ ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه، يرغب بنفسه عن نفسه (أي يفضلها عليه أو ينصرف عن المكان الذي اختاره رسول الله ﷺ) لستم خيراً منه، ولستم أفضل منه فهو خير من وطىء الثرى ﷺ، فإذا كان رسول الله ﷺ يمشي من المدينة إلى تبوك ستمائة وخمسين كيلو متراً، ويواجه الرومان، فأنتم لستم أفضل منه إذا واجهتم الروس، بل عيب عليكم أن تتخلفوا عن المكان الذي اختاره رسول الله ﷺ لنفسه ولأتباعه من بعده، (والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل) لماذا؟ أولاً لستم أفضل منهن والعرب ليسوا أفضل من الأفغان، فتأتي للعربي تقول له: مجاهد في سبيل الله، فيدخل يده في جيبه فيقول هاه يحسها عدة مرات هل هي خمس ريالات والآ عشرة مرة اثنتين، يتطلع عليها ينظر إليها لئلا يكون غلط، دفع عشرة ريال يقول: خذ، دفع بلاء عن الأولاد، خمس ريالات!! هل مالكم كله، هل ثروة دول البترول كلها تساوي دم شهيد أفغاني واحد؟! هل مالكم أغلى من دمائهم؟ أم دماؤكم أفضل من دمائهم؟ أم نسلكم أشرف من نسلهم؟!

أم عرقكم أطيب من عرقهم؟! أم أنتم شعب الله المختار وهؤلاء، قد خلقهم الله ليعدموا شعب الله المختار؟! لو دفعتم كل أموالكم أنتم مقصرون، لأن هؤلاء يدفعون الدم، وأنتم تدفعون

المال، والدم أعلى من المال، ولا يقوم بمال، إن كل أموال الجزيرة وبترونها لا يساوي دم صفي الله أفضلي، ولا يساوي دم عبد الودود، ولا يساوي دم قيمت خان ولا يساوي دم عبد الواحد، ولا يساوي، دم ذبيح الله في بلخ لا يساوي (نزوال الدنيا أهون على الله من قتل إمرئ مسلم) الدنيا كلها، (ولا يرغبون بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه) فوق هذا، فوق أنكم لستم أفضل من الرسول ﷺ (ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ - عطش - ولا نصب - تعب - ولا مخمصة - جوع - في سبيل الله ولا يطأون موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح) هؤلاء الإخوة الذين يذهبون للشمال ويقطعون جبال نورستان، هذه جبال نورستان لا يستطيعون أن يقطعوها في النهار، يقطعوها قبل طلوع الشمس، لأنها عالية والأكسجين فيها قليل جداً، فلا يستطيعون مع وجود شمس أن يقطعوها، والله واحد من إخواننا أرسلناه كان يتمنى الموت وهو في رؤوس الجبال من شدة التعب يتمنى أن يموت، نعم، لو رأيت هؤلاء الواحد منهم، شاب منعم سعودي دكتور نظاراته نازلات على أنفه لشدة الهزال والتعب، الذي أعياه وأصابه أثناء الطريق، فالجهد تعب، الجهاد مشقة، وفوق ذلك التعب النفسي أحياناً أعظم بكثير من التعب الجسدي، الملل القلق، السأم، الزهق الذي يصيب الإنسان مع طول الرباط، الحنين للأهل، الشوق إلى الوظيفة، هذا تعب نفسي، الحنين إلى جيرانك، الحنين إلى المسجد، الحنين لسماع صوت الحذيفي وغيره في الحرم والسديسي أو من صالح بن حميد، يحن لصوت الحرم، الآن تجد أبناء الجزيرة، تجدهم يفتحون وقت آذان المغرب يسمعون صوت الآذان، يسمعون صوت الخليفة وهو يؤم صلاة المغرب، ونور على الدرب، لكن لا يدري أن النور على الدرب الذي مشي فيه، النور هنا يا محترم، هنا الدرب، هنا النور، هناك كنت ترى نور على الدرب ؟ الله أعلم...

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابل والغبار الأطيب

أخطر ما يعانيه الإنسان في هذه المرحلة هي مرحلة السأم، الملل، لذلك تجده يمكث يوماً يومين في بيشاور عندما يصل، متى أذهب إلى التدريب، متى أذهب إلى الجبهة ؟ أريد أن أذهب، طيب تفضل هذه السيارة، يصل صدا، ثلاثة أيام وغداً به يقول : والله أريد أن أتصل بالأهل، خرجت دون أن أودعهم، أهلاً وسهلاً هو ما فطنت للأهل إلا هنا، واحد يأتي ما استأذنت أمي، ليس لها إذن خذ مني، لا إذن لا للوالد ولا للوالدة عليك، أمي دعت علي،

وقالت: أنا غاضبة عليك، غضبها مردود لأن غضبها في رضا الرحمن، خرجت لإرضاء الرحمن فأغضبت الإنسان، هل الدعوات تستجاب من الأرض أم من السماء؟ من الرحمن، والرحمن راض عليك، فليدع من يدع، أمك أبوك كله يدعوا، ما لهما؟! أصلاً دعواتهم تستجاب إذا كان رب العزة راضياً، وإذا كان رب العزة غاضباً عليهم، بسبب منعهم للجهاد لابنهم فكيف يستجيب دعاءهم على ابنهم لأنه خرج يؤدي عبادة فريضة من الفرائض الكبرى التي فرضها الله على ابنهم؟ واحد جاء قال لي: أمي دعت عليّ أبي دعا علي في التلفون، قلت له: يدعو، كلما دعا يزداد الأجر لك، فالسأم خطير، الملل، هوى النفس، تريد أن تمكث في بيشاور فترة، ترجع إلى بيشاور تمكث فيها أسبوع، لماذا العيشة أطرى، تنام كثيراً، تأكل كما تنام في العثمانية وفي طباق وفي مطاعم وما إلى ذلك، فكل هو موجود هنا، ما في بطاطا وعدس، أعماكم أبو عمر منها، فالنفس تركت المألوفات تركت الترف، تركت النعيم، تركت الفراش الوثير وهنا على الحصير، فالنفس تمل، خاصة إذا لم يجد من بلده أناس يثبتونه، ويزداد الملل، ويزداد القلق إذا وجد واحداً يثبطه، واحداً يعوقه، يقول له: يا أخي المشاكل كثيرة في داخل أفغانستان، نحن لا نستطيع أن نقول كل هذا أمام الناس، ربنا أمر بالستر، وماذا؟ أمر بالستر، يا أخي يقتلون بعضهم بعضاً، يا أخي فقط أنت لأنك عاقل نقول لك هذا، نعم لا تقل، خليها مستورة، نعم مع من تذهب، تذهب عند أحمد شاه مسعود آلاف الملايين، ويأتي واحد يقول: أحمد شاه مسعود هذا عميل للفرنسيين والأمريكان والانجليز والألمان ويعدد، لا يتقون الله عز وجل، ولذلك الجهاد يحتاج إلى تقوى، تقوى، وإلا سهلة الإشاعات، طيب كيف تعرف أن أحمد شاه مسعود عميل للأمريكان أو ليس عميلاً؟ والناس غوغاء ودهماء، الشرع قال:

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111).

عندك وثائق يا أخي؟ واحد عايش في رؤوس الجبال منذ ثماني سنوات -كما يقولون هم- يعيشون مع الذئاب في رؤوس الجبال هذا عميل للأمريكان وهو ينتظر الموت كل لحظة!؟ وروسيا تتابعه في كل مكان، أي مكان تظن أنه فيه تضربه، خمس وأربعون طائرة دفعة واحدة ترسلها على المكان الذي هو فيه، لماذا؟ لأنه عميل للأمريكان؟ ما رأينا لباسه ولا حياته ولا حذاءه، لكن رأينا خلاف ذلك، رأينا أن الله أعز به الإسلام دخل أفغانستان، وأدل به أعداء الإسلام، وأدل به الكفر، وزلزل به أقدام روسيا وهزمهم، فالله عز وجل سبحانه الله يعني ألقى محبته في قلوب الناس هذا الرجل، في داخل أفغانستان في بيشاور على الركشات، صاحب الركشة واضع صورة أحمد شاه مسعود على الركشة، الباصات تجد ما في الباص شيء وكله وسخ وطنين ومما إلى ذلك، وصورة أحمد شاه مسعود عليه، فيأتي هؤلاء ينبشون من تحت،

المثبطون والمرجفون في المدينة، المخذلون، يا أخي الجهاد الأفغاني كذا وهذه القبائل
ويذبون بعضهم بعضاً واعتداءات بينهم وقتال بين البعض و... إلخ، فالحمد لله رب العالمي
يعني معروف أن القوة إذا جاءت القوة يعني تتحرك ثلاث فرق دبابات مع بعضها مع
طائرات، المجاهدون يُرعبون ويهربون من المنطقة، في منطقة بشغور هربوا قبل أن يأتي،
فعلموا أنه سيهجم هربوا قبل أن يأتي، نعم قبل ثلاث أسابيع تقريباً علموا أن أحمد شاه مسعود
يريد أن يهجم على بشغور، هربوا قبل أن يطلق طلقة واحدة..

﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَفَّفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (لأنفال: 57).

(نصرت بالرعب) رعب أحمد شاه وصل، هم يسمونه الطاعون، وصل الطاعون، وصل
الشیطان، يسمونه الشيطان والطاعون وصل، لكن بعض الناس لا يستطيعون أن يعملوا عشر
معشاره، فتجدهم ينزبون به ويقدحون به وغير ذلك، لا بأس، الذي يريد أن يعمل كلما برز
كلما ازداد أعداؤه (ولا مخصصة في سبيل الله ولا يطأون موطناً يغيب الكفار) هذا إن شاء الله
موطناً يغيب به الكفار، طبعاً الكفار يعلمون أن هنا معسكر، ويغتاظون منه، وجاءت الطائرات
مرتين، والحمد لله في المرتين بعد أن تمر الطائرة تلحقها طائرة باكستانية وتسقطها، في
المرتين، صدقوا هذا المعسكر ربنا حماه، رغم أن كل المنطقة التي حولنا تقريباً كل
المعسكرات المحيطة بنا ضربت، إلا هذا المعسكر، مرت الطائرة، قلت : سبحان الله فوقنا،
بعد قليل سقطت، لحقتها طائرة باكستانية وأسقطتها، ترى باكستان تعجبك في الطيران، فيها
طيارين ما شاء الله، والله الحمد لله يعني الجيش الباكستاني جيش قوي، وإلا الباكستان ضدها
كل العالم، وتسعين مليون، وحولها الهند حوالي ثمانمائة مليون، يعدون دائماً لضربهم، أنظر
قطعوا عنه بنجلادش مائة مليون.

أنظر أعداء الله ينشئون لها الفتن والقلاقل في داخل باكستان، يقولون للبلوشيين قوموا،
وللشيعيين قوموا، واعملوا مظاهرات وللشيعية قوموا، وللسندا انفصلوا، ولأهل بيشاور
انفصلوا، هذا ضياء الحق هذا بنجابي وأنتم كيف يحكمكم وأنتم بشتون، البنجابيين يحكمكم يا
بشتون إنكم باتان، أنتم عرق مجاهد عرق مقاتل، كيف هذا يحكمكم صار له عشر سنوات
يحكم فيكم، ولذلك تجد عبد الولي خان هذا زعيم البشتون هذا زعيم بيشاور، دائماً يهدد
بانفصال بيشاور والمنطقة الحدودية، وأهل السند يهددون بانفصال السند، وأهل بلوشستان
يهددون بانفصال بلوشستان، قلاقل ربنا يعينه عليها.

الظاهر من هذا الرجل والله أعلم نحن لا ندري أصحاب العقول الكبيرة يقولون هذا عميل
 لأمريكا، فكيف يقف مع الجهاد الأفغاني، إذاً الجهاد الأفغاني كله لأمريكا لكن نحن نقول - والله
 أعلم- إن الله ساق ضياء الحق ليكون دعامة كبيرة، وسنداً عظيماً من أسناد الجهاد الأفغاني،
 يقول هو : لو لم يبق إلا أنا من باكستان مع الجهاد الأفغاني لأعنتهم، يقول هذا، نعم، والله
 عندنا يقول، أنا حضرت له عدة خطب، عندما يتكلم عن الجهاد الأفغاني كأنه قائد ما قادة
 الجهاد الأفغاني، يتكلم كلام المسلم، كلام المجاهد، يقول : هؤلاء إخواننا لن نتخلى عنهم،
 ويواجه الروس بهذا، الذين عقولهم كبيرة ما شاء الله، رؤوسهم ما شاء الله، يقولون : هذا
 عميل لأمريكا، والجهاد لأمريكا، إذاً أمريكا تقول له : ادمع الجهاد الأفغاني، والدليل على ذلك
 (استتجر)!! أنه أرسلت أمريكا سبعين ألف دولار من أموال المسلمين، لا يعلمون هذا، قاعد ما
 شاء الله مبسط والقهوة قدامه، ويشرب رشفة القهوة، يقول لك: هذه حرب النجوم بين أمريكا
 وروسيا، نعم حرب الكواكب، وإلا الشعب الأفغاني هذا يستطيع، مثل ما قال الشيخ سياف قال:
 قابلت أحد الزعماء العرب، فبدأت أشرح له عن انتصارات المجاهدين، وعن ما أيدهم الله من
 كرامات وما إلى ذلك، قال: وهو بيتسم ابتسامة صفراوية بالتالي قال له : أنتم تستطيعون،
 طبعاً بلغته المحلية، أنتم تستطيعون أن تقاوموا روسيا، فقال الشيخ سياف: والله ما دام هكذا أن
 لأبي حنيفة أن يمد رجله، قال له سياف: إسمع: أبوك مات، قال له : نعم، قال له : سيدك
 مات، قال له نعم، قال له طيلة حياتك وأنت تشتغل لدنياك، اشتغل يوماً واحداً لأخرتك، قدم
 ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِئًا يُغِيبُ الْكُفَّارَ﴾ طبعاً وكلما اقتربت إلى أفغانستان، كلما أغظت الكفار
 أكثر، يغيب يعني يغضب ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا﴾ يعني لا تحطم سيارة ولا دبابة ولا تسقط
 طائرة، ولا تقتل شيوعياً، ولا تأسر جندياً إلا تغيبهم (﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْتَبَ لَهُمْ
 بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا
 يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ يا سلام! كل خطوة مكتوبة، كل كلمة مكتوبة، كل دقيقة مكتوبة، كله عمل
 صالح، ما دام الذي له فرس (من احتبس فرساً في سبيل الله فشبعه ورببه وروثه وبوله في
 ميزانه يوم القيامة)، من نقى شعيراً لفرسه فله بكل حبة شعير حسنة، شعير (إن فرسه ليستن
 بطوله) يعني يلعب بحبله والأجر يجري عليه، دائم الأجر، يجري عليه، وإذا مت في الرباط
 خاصة إذا كنت سامان فإن الأجر لا ينقطع إلى يوم القيامة (كل ميت يختم على عمله إلا من
 مات مرابطاً فإن عمله ينمى له إلى يوم القيامة) .

ماذا تريد أكثر من ذلك؟! وكل يوم بألف يوم . وهنا قال لي بعضهم : أيهم أكثر أجراً هنا أو في جاجي قلت له : هنا لغير المتدرب أكثر أجراً، لأننا نقوم بفريضة الإعداد ونقوم كذلك بشبهه فريضة الرباط، نحن لسنا مرابطين تماماً، شبه مرابطين، لن المرابط هو الذي على الثغور (يعني على الحدود) يخيف العدو ويخافونه فنحن نخيف العدو ونخاف منهم، نخاف أن تهجم علينا الطائرات، ونخاف أن يهجم علينا أعداء الله، لكن لسنا على الحدود تماماً فنحن شبه مرابطين فقل : نحن نقوم بفريضة الإعداد وبتلات أرباع فريضة الرباط، نحن آخذون واحداً وثلاثة أرباع، الذي في جاجي بدون إعداد يأخذ ماذا؟ واحد صحيح التي هي أجرة المرابط، فأجركم إن شاء الله أعظم من أجر الذي يربط في الداخل بدون إعداد، وكلما مكثت في هذا المكان كلما ازددت فائدة، سواء روحياً، فكرياً جسدياً، سلاح، ثقافياً، هذا غير موجود في مكان آخر، فكلما جلست في هذا المكان كلما استفدت أكثر، وعلامة تصميمك وعزمك على الاستمرار في الجهاد مكوتك هنا فترة أطول، لأنك تريد أن تتقن السلاح، تريد أن تتقن الإعداد، تريد أن تتقن هذا من أجل أن تستمر في الجهاد إلى أن تلقى الله، والجهاد في أفغانستان في فلسطين، في معظم الأرض الآن كل مسلم على الأرض الآن فرض عين عليه أن يحمل السلاح ويقاقل، كل مسلم في الأرض إلا الأعمى، والأعرج والمريض..

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَكُونَ سَبِيلًا﴾
(النساء:98).

هؤلاء فقط الذين رفع الله عنهم الحرج، والبقية كل من لقي الله وهو يقاقل أو لا يعد للقتال فإنه يلقي الله أثماً.

أسئلة عن الكرامات

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.
نحن نجعل هذه الليلة للأسئلة عن أحوال الجهاد، عن أي شيء تريده مما يتعلق بالجهاد الأفغاني، بحالة المجاهدين ما إلى ذلك، نحن إن شاء الله نجيبك عليه :

السؤال الأول : رجل قتل أثناء التدريب برصاصة خطأ، هل هو شهيد؟
كان رجل قد قتل في صدا أثناء التدريب برصاصة خطأ من أخيه أو من نفسه هل هو شهيد ؟

الجواب : نعم إن شاء الله شهيد وإن له الجنة على لسان رسول الله ﷺ، شهيد وله الجنة ونعامه في الدنيا معاملة الشهيد ولا يغسله ولا يكفنه ولا نصلي عليه، لأنه وصل إلى أرض الرباط وإن شاء الله نأمل من الله عز وجل أن يعطى خصال الشهيد التي ذكرها رسول الله ﷺ السبعة : (إن للشهيد عند ربه سبع خصال يغفر له من أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع بسبعين من أهل بيته ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين) الحديث صحيح إن شاء الله.

السؤال الثاني : طاعة الأمير

طاعة الأمير واجبة في كل أمر مباح أو مندوب أو مفروض وإذا أمر الأمير بأمر مباح يصبح فرضاً ويصبح تطبيقه فيه ثواب، وعصيانه فيه عقاب أو إثم لأن أمر الأمير فرض، ولو كان الأمر مباحاً تكلم أولاً تتكلم هو الكلام وعدم هذا الكلام أمر مباح لكن إذا جاء من الأمير، من أمير السرية يصبح طاعته فرض ونحن هنا عبارة عن سرية مجاهدة، أمراء السرايا هم أولوا الأمر منكم الذين عناهم الله عز وجل بالآية :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59).

فأمير السرية أمره فرض أي يجب تنفيذه وتركه حرام وعصيان الله عز وجل لأنه (من أطاع أميراً فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله) ومن عصا أميراً فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله) ولو تركت السنن ونفذت أمر الأمير يكون عند ربك خير من صلاة السنن وقيام الليل وصلاة الضحى وصوم النافلة، يعني لو تركت صيام النافلة فأنت غير آثم، أما إن تركت أمر الأمير أو عصيته فأنت آثم وتحاسب عليه.

ولذلك الأمر يجب أن يكون واضحاً في ذهنك لأن الجهاد عبادة جماعية لا يمكن أن تتم إلا بأمر وبجنود مجاهدين، ولا يمكن أن تكون جماعة بدون إمامة، وبدون طاعة، وبدون تنفيذ أوامر، لا إسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا أمير ولا أمير بلا طاعة كما روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه : "لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا" ولا يمكن أن يستريح أحد إلا إذا كان الجميع يطيعون الأمير، وإذا كان يسبق نظام على المكان وإلا يصبح الأمر فوضى ولا يستقر أحد، بل لا تستطيعون أن تؤدوا عباداتكم ما لم يكن هنالك إمامة وهيبة للأمير وطاعة من قبل المجاهدين، فلا بد من طاعة الأمير، إن قال أطفئوا الأنوار الساعة التاسعة فمعنى ذلك لا أنوار بعد التاسعة، لا تتيروا الأنوار في الكاشفات في داخل المعسكر معناه يحرم عليك أن تتيروا الكشاف في داخل المعسكر، يقول عقوبة عليك أن تحرس ساعتين في هذه الليلة تنفيذه فرض وعصيانه إثم وحرام، فإن نفذته فأنت مثاب من الله عز وجل لأنك تنفذ أمر الأمير، وإن عصيته فأنت آثم إن شاء ربك عاقبك وإن شاء غفر لك، لأن الأمر للوجوب، والواجب ما يثاب فاعله ويأثم تاركه، وهذه القضية يجب أن تكون واضحة تماماً على أنك لو تركت السنن وتركت صيام النافلة وتركت صلاة الضحى بل لو تركت سنة الظهر وسنة المغرب وما إلى ذلك هذه لا تساوي ثواب طاعة الأمير، ولو عصيت الأمير تكون آثماً إثمًا لا ينالك إذا تركت السنن والنوافل (وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضته عليه) وطاعة الأمير فرض بنص الكتاب ونص السنة، فانتبهوا، في أي مكان في الجبهة، هنا في صدا، في جاجي ما إلى ذلك أميرك يجب طاعته، كان الصحابة رضوان الله عليهم يخشون كثيراً أن يعصوا الأمير الصحابة رضوان الله عليهم.

فأبو ذر رضي الله عنه عندما اختلف مع سيدنا عثمان، لأن -أبا ذر- كان لا يطيق أن يرى واحداً من المجتمع يخرج من السنة، فكان إذا رأى واحد يخرج عن السنة بيده عصا يضربه، دائماً بيده العصا يضرب، فوجد سيدنا عثمان أن أبا ذر لا يستطيع أن يعيش في جبل التابعين في المدينة المنورة، فأمره أن يخرج من المدينة إلى الربذة، فخرج إلى الربذة وبقي فيها حتى مات.

ولذلك طاعة الأمير، قال وإن أخذ مالك وضرب جلدك، قالوا يا رسول الله أفلا نناذبهم العدا، قال ما لم تروا كفراً بواحاً لكم فيه من الله برهان.

ابن عابدين ينص على أن الأمير (الإمام) لو أمر بصيام يوم نافلة مثلاً من أجل الاستسقاء قال صوموا يوم الاثنين فإن صيام اليوم يقلب حكمه فريضة، هذا نص ابن عابدين في حاشيته. طبعاً هو المسؤول عنكم أمام الله عز وجل، مسؤول أن يرأف بكم، مسؤول أن يعمل ما يصلحكم، مسؤول أن لا يظلمكم، مسؤول أن لا يفاضل بينكم إلا بالنقوى والعمل، مسؤول، والله عز وجل، يحاسبه يوم القيامة عنكم ويحاسبكم يوم القيامة عنه.

ولذلك أبو ذر، قال (يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أعطاهم حقها) أو كما قال ﷺ .

وأمر الخيمة أمير ويجب طاعته، وأمر الخيمة يتلقى الأوامر من الأمير العام.

سؤال عن الكرامات

يعني الحقيقة الكرامات في الجهاد الأفغاني أصبحت متواترة لا مجال لإنكارها، والذي ينكرها إنما ينكر الشمس في رابعة النهار، وأسألوا إخوانكم العرب، ليس أنا فقط يعني أنا رأيت الطيور تحت الطائرات، ورأيت الطائرات كانت تضربنا في جاجي فقلت للإخوة إبعدوا نزلت علينا قذيفة، قالوا لا ليست هذه قذيفة هذا طير تحتها، والطير يسابق الطائرة كيف هذه؟ ألف كيلومتر تقطع في الساعة.

الشهيد عبد الواحد، هذا قائد بغمان الذي قلت لكم هو شبه أمي، أظن مستواه رابع ابتدائي، جاء أخذ سلاحاً ومساعدات من الشيخ سياف، هو من الاتحاد الإسلامي، فالروس دخلوا بغمان على حدود كابل تماماً، على بعد أربع، خمس كيلومتر من حدود كابل، فجاء الروس إلى بغمان وطافوا بها، قالوا أين عبد الواحد؟ أين المجاهدون؟ عبد الواحد عندما وصل بغمان نزل إلى السوق، قال : وصل عبد الواحد أين الروس؟

فالمهم استشهد، كان معي رسالة أخذت من جيبه وعليها بعض قطرات من دمه بقيت حوالي شهرين ورائحة المسك يخرج منها.

استشهد معنا في فلسطين سنة السبعين واحد اسمه سعيد با عباس من اليمن الجنوبي قائد من القادة استشهد في الغور في الصيف في آب أو في تموز، وفي ذلك الوقت كان الغور حاراً جداً ويعتبر الغور أكثر من أحر مناطق العالم حرارة، لأن أخفض منطقة في العالم الغور، اللحمة خلال ساعتين أو ساعات تتعفن، ذهبت إليه، ذهبنا إليه في اليوم الثاني من استشهاده في العصر، هو استشهد المغرب، فأخذناه العصر، فحملته كان يتثنى كالثائم، ومددت يدي على جيبه فوجدت محرمة منديلاً فبقيت فترة طويلة هي نفوح مسكاً وطرراً.

كذلك هنا في جاجي كرامات الإخوة العرب، هذا هشام الديلمي ابن الدكتور عبد الوهاب الديلمي الذي استشهد قبل أقل من شهر هو وأبو مصعب الفلسطيني الطائفي، أولاً دماؤهم شهد الإخوة العرب على أنها كانت نفوح كالمسك، ثانياً دفنوا قبل أيام رأوا النور يخرج من قبور أربعة من إخواننا، النور يخرج من قبورهم.

أخونا أبو حفص الأردني استشهد، حدثني شاعر الزندانى وأبو معاذ اليماني قالاً عندما استشهد رأينا على وجهه غبرة بيضاء فجئنا ظنناها تراباً أبيض وإذا بوجهه -هو كان أسمر- قد استتار كالبدر، استتار كالبدر، والأفغان يهدون على أن النور يخرج من مكان دمه، استشهد في معركة شوال ثلاثة عشر أماً عربياً، سبع منهم شهد الكثيرون أن الدم له رائحة كالمسك، ضلت عنا أو ضاعت عنا جثة الأخ عبد الله المصري استشهد في واحد شوال وجدناه في اثنين ذي القعدة لم يتغير، بينما جثث الشيوعيين تتغير في خلال ثلاث ساعات، في خلال ثلاث ساعات أو أربع ساعات ينتفخ، أنا رأيتهم الشيوعيون أعوذ بالله من حالهم ورأيت القيقح والدم يخرج من أفواههم ورؤوسهم منتفخة هكذا وبطنهم تنفجر ويخرج منها الدود، أنا رأيتهم في جور، معسكر الشيخ جلال الدين في خوست (جوار) في خوست، بينما أخونا شهر كامل أولاً: لا زال دمه لزجاً دم ينقط، لزج ما جف.

ثانياً: ينتشى كالنائم والمعروف أن الميت مثل الخشبة، ثالثاً: لم يتغير إلا طرف أنفه وعينه وفمه هذا تغيراً بسيطاً، كما قال جابر فحفرت على أبي فوجدت طرف أنفه قد تغير وهو كالسيوم الذي دفنته فيه، هذا بعند ست وأربعين سنة سيدنا جابر ابن عبد الله.

لما فاضت العين في زمن معاوية جاءوا إلى جابر قالوا الحق لقد فاضت عين معاوية، فقال حفرت عليه فوجدته كأنه الساعة قد دفن ولم يتغير إلا طرف أنفه أو طرف أذنه... نسبت الرواية.

وفي رواية للبيهقي أن حمزة بن عبد المطلب قد أصابت المسحاة ﷺ قدمه لما أرادوا أن يخرجوا جثثهم من الماء حتى لا تسحبها المياه، قال فنزل الدم منها، نعم نزل الدم، القصص أصبحت متواترة، تواتراً معنوياً ولا مجال للشك فيها، طبعاً يعني إخواننا رأوا الكثير، أبو أسيد أبو حفص الأردني الذي استشهد عندما رجع السنة الماضية من مزار شريف من بلخ قلت له : حدثنا عما رأيت، هو وأبو سيد من الكرامات قالوا: لو حدثناك يا شيخ عبد الله يا راوي الكرامات ما تصدق الكرامات، قلت لهم: هاتوا حدثونا، قالوا : قذيفة (آر بي جي) أصابت مجاهداً -قذيفة ال(آر بي جي) تحرق دبابة ست وأربعين طناً ونصف -قال: طار حزام الرصاص عن صدره ولم يجرح، قذيفة آر بي جي ليس رصاص.

قائد من قندهار حدث هنا أحاديث عجيبة ومعه مساعده أمام الجميع قال: أظن واحد اسمه يار محمد، الطائرة مرت، كانت تريد أن تقصف فخبأ الكلاشنكوف تحت صدره وانبطح على الأرض وضربته الطائرة بصاروخ، جاء الصاروخ بظهره، انكسر الكلاشنكوف ولم يجرح ظهره، الكلاشنكوف تحت بطنه، انكسر الكلاشنكوف تحت بطنه ولم يجرح ظهره.

الحقيقة القصص كثيرة، قصص إخواننا العرب، يعني سعود البحري الذي هو سعد الرشود وعبد الوهاب الغامدي، فسعد الرشود شهد لي عبد المتين وهو القائد الأفغاني قال بعد ثمانية عشر ساعة من استشهاده جاء مولوي يقرأ القرآن فوق رأسه فبدأ ينتفض خوفاً من القرآن، الشهيد صار ينتفض من الخشية بعد ثمانية عشر ساعة من استشهاده، ودفنوه، فالنور كان يخرج من قبورهم، وقد رآهم كثير من الأفغان، أما العرب رآهم الأخ أبو داود قال: ذهبت وراقبت النور الساعة الحادية عشر إلا الربع بدأ النور يخرج من الأرض إلى السماء ثم ينزل، فقلت له يعني مثل هذه الشعلة - كان أمامي سراج أو شمعة - قال والله مثل النيون، عبد الله الغامدي هنا في جمكني عند (نظر محمد) جاء (نظر محمد) مع مجموعة من قادته وأنا سألته هنا في هذا المكان هنا في صدا، قلت له ماذا عن عبد الله الغامدي سمعنا أن التكبير يخرج من قبره؟ قال: نعم، قلت لهم سمعتموه! قالوا: إن شئت أن تسمعه فتعال معنا في جمكني.

الحقيقة كل واحد له كرامة، كثير منهم كانوا يودعون إخوانهم على أساس أنهم اليوم سيستشهدون، لأنهم يرون في المنام الحور العين، وأنتم سمعتم الشيخ تميم يحدث عن خير محمد أو خير الله، حدثه قال له: لقد جرح أمامي من قادة جلال الدين خير الله - أحد المجاهدين وبدء يلفظ أنفاسه قال يا خير الله: تعال أنظر الحور العين، وصلت الحور العين نعم رأى الحور العين، كثير منهم يودعون، يرون الحور العين في المنام، أو إخوانهم يرون لهم الشهادة.

وأنا ذكرت لكم قصصاً كثيرة حتى الجن المؤمن يجاهد معهم.

وحدثتكم قصة صفي الله مع قوماندان مسلم، الاثنان قائدان لأحمد شاه مسعود، واتفقوا على ليلة من الليالي يعملون فيها عملية أو يوم من الأيام يعملون عملية، فقال له يا مسلم: أنت عليك أن تقصف المعسكر من جهتك بالأسلحة الثقيلة ونحن نهجم.

فالمهم هجم صفي الله وكانت الأسلحة الثقيلة في داخل المركز (في الهدف)، وبعد أسبوعين التقى صفي الله بمسلم قال له: جزاك الله خيراً يعني كان لضرباتك أثر كبير في نصرنا أو في نجاحنا، فقد كانت تسقط القذائف كانت تلقى بيدك على المركز، قال له متى؟ قال له ليلة أن اتفقنا، قال والله ما ألقينا ولا قذيفة، قال إذاً من أين القذائف التي كانت تأتي؟ قال يومها جاءت الطائرات وأذهلتنا عن أنفسنا، فقال له كانت أسلحة ثقيلة ترمي في نفس الوقت الذي اتفقنا عليه.

المهم بعدها بعدة أيام أحد المجاهدين أصابه مس من الجن، فجاء واحد من العلماء، وصار يقرأ عليه، فقال له الجن اتركني معه، قال له أخرج إتق الله عز وجل لماذا تؤذي هذا

المجاهد؟ قال : من قال لك أنا أوديه، أنا أساعده أفغانستان الجهاد، قال له : كيف تساعده في الجهاد ؟ قال : ليلة صفي الله من الذي كان يقصف على المعسكر.

إثنان جرحوا في بنجشير، والدبابات تقدمت لتأخذهم، قدم الروس ليأخذوهم فوصلوا إليهم الروس ولم يأخذوهم، فإله عز وجل عمى أبصارهم، وقفوا عندهم ولم يروهم.

المهم ليس هذا، كيف يصلون إلى معسكرهم؟ نهر بنجشير ضخم، فايض ويريدون أن ينتقلوا إلى معسكرهم، ومعسكرهم في الجهة الأخرى ولا يمكن للصحيح أن يقطعه فكيف واحد لا يستطيع أن يتحرك إلا زحفاً على بطنه.

فالمهم قالوا نمنا فوجدنا أنفسنا عندما استيقظنا في الضفة الأخرى للنهر، لكن المعسكر بعيد، فبدأوا يزحفون على بطونهم مكثوا يزحفون على بطونهم خمسة عشر يوماً، أرجلهم مكسرة من القذائف خمسة عشر يوماً كيف بقوا أحياء، قالوا كانت تأخذنا سنة من النوم فنستيقظ فنرى في المنام عنياً، تفاحاً، لحمًا، دجاجاً إلى آخره، فنأكل ونقوم وبقاياها في أسناننا وطعمه في حلوقنا، فظلوا هكذا حتى وصلوا، أولئك خلاص ينسوا قالوا اسروهم الروس، انتهى أصيبوا، جرحوا، ولا يستطيعون أن يقطعوا النهر، والدبابات قريبة والروس تقدموا، فقالوا كيف انتقلتم إلى الجهة هذه؟ قالوا : والله لا ندري نحن ما وجدنا أنفسنا إلا هنا، كيف وصلتم ؟ قالوا زحفاً، ماذا كنتم تأكلون ؟ يطعمني ربي ويسقيني.

فماذا نحدث ؟ نحدثكم عن مياجل وهو عديل محمد ياسر الذي هو مسؤول اللجنة السياسية عند الشيخ سياف، فمياجل هذا سوي من القصص التي كتبتها في عبر وبصائر - كان قائداً عاماً لبغلان ودكتور فقتل، استشهد فجاء الروس، فرح الشيوعيون في المنطقة لأنه استشهد، فجاء قائد الشيوعيين في المنطقة وأراد أن ينتقم منه وهو ميت فرفع رجله لضرب رأس مياجل فشلت قدمه، وجاء الشيوعيون ليربطوه بالسيارة ويطوف به في بغلان ليقنعوا أهل المنطقة أننا قتلنا مياجل: فكلموا اقتربوا منه صاح بهم مياجل - أعطوني رشاشي سأقتلهم، سأذبحهم، يهربون من ميت يتكلم كلما اقتربوا منه صاح بهم ونهرهم وزجرهم، فذهب الشيوعيون، إشتروا كفنًا وقالوا للعلماء للمشايخ الكبار في البلد كخذوا هذا الكفن لقائدكم هذا ولن تغلبوا ما دام فيكم أمثال هؤلاء.

المهم دفنوه وبقي التسبيح والتكبير يخرج من قبره، نعم هو أفغاني.

فأهله في بيشاور حزنوا عليه كثيراً أخواته يسكنون في بابي، يومها كنت ذاهباً إلى بابي قال لي محمد ياسر الليلة حصلت كرامة عجيبة في بابي، حزننت عليه أخواته وأهله فقام أخوه في الليل يدعو الله أن يريهم كرامة له حتى يطمأنوا أنه شهيد، قال وبينما كان يصلي في الليل

سقط من السقف شيء وإذا بها باقية زهور ليس لها نظير، فدعى أخواته وقال لهن -بابي في ذلك الوقت لا نبات ولا زهر ولا شيء فيها- الطريق فيها يحتاج إلى خواصة أو باخرة حتى يقطع من حارة لحارة، أيقظ أخواته هذه علامة أن أخانا شهيد، أنا دعوت الله عز وجل فانظرن هذا الزهر الذي لا نظير له، المهم قالوا نوقظ محمد ياسر ونريه هذه الكرامة، الساعة الثانية في الليل قالوا لا، دعوه نائما في الصباح نوقظه ونريه إياها فوضعوها في المصحف لكثرة عزتها عليهم وفي الصباح فتحوا المصحف ولم يجدوا شيئا.

نعم الحقيقة الكرامات يقول بعضهم: إن الكرامات هذه أكثر ممن كرامات الصحابة، نعم أكثر من كرامات الصحابة، لأن الكرامات تنزل على الناس ضعاف الإيمان.

ولذلك سئل الإمام أحمد، لماذا كرامات التابعين أكثر من كرامات الصحابة؟ قال: لأن الصحابة أكثر إيمانا ينتزل عليهم الوحي، بينهم الرسول ﷺ، ليسوا بحاجة إلى كرامات لتثبيتهم، هؤلاء مساكين ضعاف الأفغان عزل، فإله عز وجل أنزل هذه الكرامات عليهم ليريهم أنهم على الحق وحتى يثبتوا على هذه الطريق، والكرامات كان لها أثر كبير جداً على ثبات الأفغان، نعم أثر كبير، فالكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة رضوان الله عليهم.

ولذلك قال ابن تيمية: ولذلك الكرامات في أيام التابعين، والكرامة كما يقول ابن تيمية: إنما تنزل لحجة أو حاجة، لحجة في الدين أو حاجة من إنزال رزق أو نصر.

أظن العرب الآن الذين جاهدوا ولا واحد يسأل عن هذه القضايا لأنها أصبحت عندهم مسلمات، يعني واحد عربي اسمه أبو خباب في قندهار، قال أنا رأيت رصاصة، رصاصة دوشكة أصابت ظهر مجاهد انزلت عنه كأنه فولاذ وقفزت أمامه.

أحد إخواننا القادمين من بنجشير من تخار كانت قد أصيبت رجله، وجاء عليها بعد شهر تقريبا من تخار إلى بيشاور، فقال أذهب أصور رجلي أرى ماذا فيها؟ جاء عليها فعندما صورها قال له الطبيب: رجلك مكسورة إجلس على الكرسي، هذا يضرها لا تقف، قال له مشيت عليها ستمائة كيلو، الطبيب في المستشفى الكويتي قال له هذا يضرها لا تقف عليها، قال جئت عليها على بعد ستمائة كيلومتر من تخار.

الأمراض التي شفي منها العرب: أبو برهان كان فيه مرض شديد جداً وهو مغص معدة لا يفارقه، منذ أن جاء هنا للجهاد إنتهى المرض، كثير منهم عندهم روماتيزم ربو هذا قاري سعيد الجزائري، قال لي: طيلة الشتاء في المدينة المنورة والنصف الخلفي من المخ والمخيخ والنخاع المستطيل الذي هو المخيخ هذا مع النخاع المستطيل، كأنك تضع فيه شطة، فلفل،

يؤلمني ثم ذهب إلى تخار في الثلوج، هناك ثمانية أشهر الثلوج تبقى ولم يحس بالأم، عاش في الثلوج وعمل الدورة في داخل الثلوج ثلاثة أشهر لم يشعر بأي ألم.

كثير من الإخوة بعضهم رجله تؤلمه وبعضهم غريف وبعضهم روماتيزم وبعضهم ربو، وكلهم يقولون لي ما شفي إلا في الجهاد، لا يشفى إلا في الجهاد، وكتبها تحت عنوان البلم الشافي، قصص هؤلاء، فيعني قصصهم أصبحت الآن متواترة ولا مجال لمنكر أن ينكر، أما الذي يعيش يعد الدراهم هذا صعب جداً عليه أن يصدق كثير من هذه الكرامات ويعتبر هذه من الخرافات أو من الصوفية أو من غير ذلك، كما يحلو له أن يفسر، ولكن الله عز وجل حرمه من المجيئ للجهاد حتى من تصديق قصص أهل الجهاد ماذا نصنع له؟

قصة العراقي علي، نعم حدثتكم إياها لما تركوه في جبال نورستان، قال أتركوني أموت لأنني لا أستطيع أن أتحرك، وبقي بين الثلوج يومين، قال وفي الليل بين الثلوج لا إنس ولا وحش، سمعت هاتفا يقول لي إصبر إن الله معك، هذا قبل ثلاثة أسابيع، قال فنزلت السكنية على قلبي، وهو إنسان عادي، ونمت فكأنني نائم على الحرير وساق الله إليه قافلة راجعة وحملوه على حصان وأوصلوه إلى جترال ووصل إلي ببشاور، بدأت الغرغرينة تظهر في ماذا؟ في مشط رجله، فقرر الطبيب قطع مشط رجله، قال له علي، لا تقطع قال له الطبيب أقطعها أو تخرج من المستشفى، قال أخرج من المستشفى ولا تقطعها.

والعجيب أن رجله بدأت تتعافى من الغرغرينة، نعم وهو شاهد على هذا، كل واحد منهم له قصة أو قصص من الإخوة العرب مما رأى.

أما الأفغان فحدث عنهم ولا حرج، ويقول بعضهم إن هذه الكرامات كانت في أول الجهاد ثم انقطعت وأنا أقول لا، لا زالت كل يوم تحدث، كل يوم تحدث، وواحد يحمل دين الله عز وجل وينافح عنه ويدافع ويقدم دمه ابتغاء مرضاة الله، سبع سنوات، عشر سنوات، هل هذا كثير على رب العالمين أن يكرمه مرة، أن يخرج من مأزق أو من ضيق؟

ألم نحدثكم أن الأسد لقي سفينة في جزيرة من الجزر، بعد أن حطمت سفينتهم، سفينة مولى رسول الله ﷺ، فأخذ بأذن الأسد، قال يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ فطأطأ الأسد ظهره حتى ركب السفينة وأوصله إلى شاطيء الأمان ثم همهم مودعاً وعاد.

الآن في داخل أفغانستان ما ثبت أن مجاهداً مات بلدغة أفعى رغم أنها تلدغ الشيوعيين، ما ثبت، لقد قتلت العقارب مجموعة من الشيوعيين، حدثني أحد المجاهدين اسمه عمر حنيف قال أن أحد المجاهدين رأى أفعى جاءت وربضت بقربهم، فسكت فانتبه إليها مجاهد آخر، قال يا

إخوة الأفعى الأفعى اقتلوها، فقال له الأول الذي كان يراها، يا إخوة اتركوها جاءت تستمع الذكر، كثير منه يجد الأفعى في داخل فراشه ولم تلدغه.

فهذه القصص كثيرة بل كثيرة جداً جداً، نعم ولا تأكل جثث الشهداء نعم وكثير من الجثث ضاعت، ضاعت جثث الشهداء ولم تظهر إلا برؤيا، أمه تراه أخوه يراه في المنام، قائد يراه في المنام يقول له أنا بقيت ثلاث أشهر في العراق في مكان كذا تعالوا خذوني وادفنوني، فيذهبون بعد شهرين أو ثلاثة يجدون في جنته كما هي فيدفنونها، كما هي، بينما الشيوعيون جثثهم تخرج رائحتها من أول يوم، واحد اسمه مير آغا حدثني قال رؤيا العين أنا رأيت الأرض تلفظ جثة شيوعي ثلاث مرات، ثلاث مرات هو من لوكر ترميه وتلفظه، أولاً حفروا حفرة فوجدوا فيها أفعى، قال احفروا غيرها، هذه القضايا أصبحت عند الأفغان من المسلمات، قالوا لو حفرتم الأرض كلها ستجدون هذه الأفعى، ضعوه عليها، فوضعوه ودفنوه، فالأرض رمته، ثم دفنوه فالأرض رمته مرة ثانية وثالثة.

فالقصاص لا يتسع لها مثل هذا الدرس كثيرة كثيرة كثيرة جداً.

السؤال الثالث : هل هناك جهاد الآن غير الجهاد الأفغاني ؟

كان الشيخ قد سئل وهل هناك جهاد الآن غير الجهاد الأفغاني نذهب إليه؟

فأجاب :

الحقيقة لا يوجد جهاد الآن في الأرض بمثل هذا الشكل، بمثل هذا الزخم، مثل الجهاد الأفغاني، وكل الجهاد في الأرض لو جمعته لا يصل كله بمجموعه، لا يصل إلى جهاد جبهة كبيرة مثل جبهة بنجشير أو جبهة جاجي، نعم لا يصل، وأنا متأكد من هذا، أما إذا فتح الله على المسلمين وانتصروا في أفغانستان فانتقل حيث نشاء لأن الجهاد فريضة العمر مثلها مثل الصلاة والصوم، يعني لا ينتهي بفتح أفغانستان أو تحريرها وإقامة الدولة الإسلامية فيها، نذهب إلى بيت المقدس إن شاء الله نحرره، نذهب إلى الفلبين، نذهب إلى اليمن الجنوبي - الشعب الديمقراطي الحر - حتى نحرره من أرجاس الشيوعيين يعني هذه الفريضة، فريضة الجهاد، فريضة الأبد، فريضة دائمة على المسلم، فريضة الحياة مثلها مثل الصلاة كما أن الصلاة لا تسقط عن الإنسان إلا إذا مات، فالجهاد لا يسقط عنه إلا إذا مات، لا يسقط عنه أبداً لا بتحرير فلسطين وبتحرير أفغانستان و.... إلخ، فريضة دائمة، وترك الجهاد -القتال- ترك القتال إنما يعني أو يماثل ترك الصلاة أو الصيام. بل سئل الإمام أحمد قالوا له : رجل يريد أن يغزو وهناك يرد في الكانونين ويخشى أن البرد يجعله يقصر في بعض الصلوات ؟ قال يغزو، رغم أن الجهاد هناك فرض كفاية وهو يخشى أن تقوته بعض الصلوات.

قالوا له رجل يريد أن يغزو ولم يحج؟ قال يغزو ثم يحج، بينما كان الجهاد في أيام أحمد بن حنبل فرض كفاية لأن فيه جيش للمسلمين، وأرض المسلمين ليست متعرضة للخطر، لم يؤخذ منها أراضي، أما إذا وطئ الكفار أرض المسلمين كالحالة التي نحن فيها فالجهاد فرض عين كالصلاة والصوم لا يسع أحد تركه، حتى يطرد الكفار، فافرضوا أننا حررنا أفغانستان ننقل إلى فلسطين، افرضوا حررنا فلسطين الفلبين، لبنان إلى آخره يبقى الجهاد، فرض عين حتى نحرر بخارى وسمرقند وطشقند وقفقاسيا وشيشنة وداغستان ونحرر الأندلس، حتى نحرر كل بقعة كان عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، والذين يثبطون عن الجهاد هؤلاء كالذين يقولون للشاب القوي ذي المرة (يعني ذي القوة) في رمضان إفطر وإثمك في رقبتك، فالذي يقول للناس لا تذهبوا لأفغانستان وإثمكم في رقبتك كأنه يقول له اترك الصلاة وإثمك في رقبتك أو اترك الصيام وإثمك في رقبتك.

والجهاد هو القتال، لا بد أن تقاوم بالسلاح، هو قتال الكفار بالسلاح حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أو يسلمون.

وكلمة في سبيل الله هو كذلك القتال أو الجهاد، الجهاد فريضة العمر مستمرة لا إذن لأحد أبداً في مثل هذه الأحوال لا لوالدين ولا لحاكم بلدك ولا لأحد في الدنيا أبداً لا إذن لأحد، قالوا والإمام يستأذن (يعني أمير المؤمنين) في الجهاد إلا في حالات .

الحالة الأولى : إذا فوت الاستئذان المقصود.

ثانياً : إذا منع الإمام الجهاد .

ثالثاً : إذا علمنا أنه لا يأذن لنا، في هذه الحالات لا يستأذن أما في غيرها يكره أو يحرم الغزو بدون إذن الإمام إلا في مثل هذه الحالات.

الإمام ليس شرطاً

الإمام ليس شرطاً من أجل الجهاد، قال ابن قدامة : وإذا غاب الإمام أو إذا فات الإمام لم يؤخر الجهاد لفوات مصلحته بتأخيره فوجود الإمام ليس شرطاً.

اختلاف الناس وأحزابهم وما إلى ذلك هكذا قاتلوا أيام صلاح الدين وأيام نور الدين زنكي وأيام التتار وأيام الصليبيين كلهم كانوا أمراء، أمير لحلب، أمير للشام، أمير لمصر، أمير لهذا ومع ذلك قاموا وجاهدوا وما قال أحد إنه يجب أن يتحدوا قبل أن يجاهدوا، وقصة أبو بصير : أبو بصير قاتل وحده ذهب إلى العيق على ساحل البحر وعمل قاعدة وصار يهاجم قوافل

قريش حتى ألغت الشرط أن من جاء من الكفار من قريش - إلى الرسول ﷺ يرده فاضطرت قريش أن ترجو رسول الله ﷺ أن يلغى هذا الشرط، والقتال ولو وحدك:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: 84).

عن أبي إسحاق قلت للبراء بن عازب الرجل يهجم على مجموعة من الكفار أيلقي بنفسه في التهلكة؟ قال : يا ابن أخي إنما ذلك في النفقة لقد أنزل الله على رسوله كتابه وقال له (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) فلو كنت وحدك يجب أن تقاوم إذا استطعت.

قيل لأبي بكر بن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن أبو بكر بن العربي هذا غير عربي، بن عربي من الشام ذاك المخرف الصوفي محيي الدين بن عربي، هذا أبو بكر بن العربي، بن العربي من فقهاء الأندلس المشهورين وله أحكام القرآن.

قيل له : فإذا قعد الناس جميعاً ؟ قال إن استطعت أن تغزو بنفسك يجب عليك الغزو، وإلا فاعمد إلى أسير فافتديه ورجو الله عز وجل أن يسقط عنك الإثم.

فالمهم وهذا الأخ يقول أبيات بن المبارك للفضيل بن عياض، الفضيل بن عياض كان من العلماء المحدثين الزهاد العباد الذين يردون أمير المؤمنين عن أبوابه.

الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة قال للربيع خذني إلى رجل يذكرني بالله ! قال فذهبت إلى باب الفضيل فدققنا الباب فوجدناه يصلي بعد أن اختتم الركعتين. قال : من بالباب؟ قلت أمير المؤمنين معه الربيع، قال مالي ولأمير المؤمنين دعوني وربى في هذا الليل! قال وافتتح ركعتين آخرين وهاون على الباب وبعد أن أنهى الركعتين، ركعتين عنده كم؟ ساعتين. بعد أن أنهى الركعتين قرعنا الباب، من بالباب ؟ أمير المؤمنين هارون، قال : ما لي ولهارون ولأمير المؤمنين! دعوني وربى في هذا الليل.

المهم كان عبد الله بن المبارك صديقاً للفضيل بن عياض وكان عبد الله بن المبارك من التجار الكبار والعلماء الأفاضل وكان ينفق كل سنة مائة ألف درهم على العلماء وكان يخصص شهرين للرباط على حدود الشام تركية بين الروم وبين المسلمين وكان في طرطوس والمصيصة هذه وقصصه هذه كلها نقلها كما نقلت أنا مثل آيات الرحمن في جهاد الأفغان.. الجهاد لابن المبارك، كلها نقلها عن الذين حولها في المعارك فالمهم أرسل رسالة للفضيل بن عياض، قال له أبياتاً من الشعر :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا

لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه

فنجورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل

فخبولنا يوم الكريهة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا

رهج السنايك والغبار الأطيب

أنا في نظري الآن الذي يجاوره في الحرم يتعبد ويعتكف هذا آثم لأنه لم يأت إلى الجهاد، وأنا عندي المجاهد في داخل أفغانستان، المجاهد في داخل أفغانستان مهما كان حاله إذا كان يصلي فهو أفضل من عابد الحرمين الذي يعتكف في الحرم، أفضل بكثير، لماذا؟! لأن هذا قائم بفريضة الجهاد وذاك تارك لفريضة الجهاد، وتارك الفرض إن لم يكن له عذر عند الله فهو فاسق وآثم.

عن أبي عمران قال : كان الروم ملصقي ظهورهم بحائط القسطنطينية، وكنا هناك تحت إمرة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فهجم بعض المسلمين على الروم، فقلنا سبحان الله سبحان الله يلقون بأنفسهم إلى التهلكة! فقال أبو أيوب فينا معشر الأنصار نزلت هذه الآية عندما نصر الله دينه وأعز نبيه ﷺ قلنا لو رجعنا إلى أموالنا فأصلحناها فأنزل الله :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: 195).

فكانت التهلكة ترك الجهاد والرجوع إلى الأموال والأولاد، التهلكة ترك الجهاد، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي لا تتركوا الجهاد :

السؤال الرابع : حكم النساء والصبيان إن وجدوا بين أسرى الكفار ؟

سئل الشيخ : ما حكم النساء والصبيان إن وجدوا بين أسرى الكفار ؟

لا نقتلهم إلا إذا قاتلت المرأة فنقتل، إلا إذا ثبت أنها قتلت فنقتل يمكن قتلها.

الأطفال والنساء، إذا كانوا مختلطين مع الكفار، يجوز ضرب الجميع، أما إذا كانوا منعزلين وحدهم ولا يقاتلون فلا يجوز ضربهم، قذائف الهاون والصواريخ والأربي جي لا يجوز أن نضرب بها منزلاً نعلم أن هذا المنزل هو عبارة عن مدرسة أولاد! أو هذا محل خياطة للنساء، إذا كنا مطمئنين أن النساء لا يقاتلن في أفغانستان، أما بيوت الشيوعيين الأفغان فيها

الأطفال وفيها نساؤهم هذه يجوز ضربها وتدميرها بالهاون، كما جاء عن الصعب ابن جثامة قالوا يا رسول الله : القوم يبيتون وفيهم ذراريهم ؟ قال (هم منهم) يعني حكمهم حكمهم، نعم إذا كن يشاركن، إذا كن في الجيش أو يساعدن في الجيش يجوز قتلهن.

السؤال الخامس : الإمام كيف يبرز ويخرج ؟

سئل الشيخ عن الإمام وكيف يبرز ويخرج ؟ فأجاب الشيخ: الإمام إن شاء الله يطلع بعدما تنتصر في أفغانستان ببرزه الجهاد، الجهاد يبرز القادة، ولا يمكن أن تقوم دولة إسلامية إلا عن طريق جهاد طويل، طويل المدى، هذا الجهاد الطويل المدى هو الذي يبرز القيادات، هذه القيادات التي تبرز، الناس يلتفون حولها وهي التي تستلم الإمارة بعد النصر، وهذه لا يمكن القيام بانقلاب عليه لماذا ؟ لأن الناس يحبونه، ما جاء عن طريق الانقلاب مثل حافظ والقذافي!! لا هؤلاء برزوا من خلال أعمالهم، أبرزهم جهادهم فالناس يضحون بأنفسهم من أجلهم، ولذلك هؤلاء لا يحدث عليهم انقلاب لأن الشعب كله مسلح مدرب، ليس السلاح فقط مع الجيش حتى يقوم بانقلاب حفنة من الضباط الضائعين أصحاب البصايطير، تعرف الأحذية الثقيلة ورأسه ثقيل بقدر حدائه، نعم يكون ساقط غالباً، معظم الثوريين في بلادنا يكون ساقط في المدرسة فيلتجئ إلى الكلية العسكرية وما شاء الله طول الحيط 185 سانتى ووزنه الله أعلم كم؟ تسعون أو خمس وتسعون وما يفهم، دائماً عمره ما أخذ خمسين في الرياضيات إلا ساقط أقل من خمسين، وبعد ذلك يستلم البلد وينزل كل واحد فيها، العالم لازم يأتي على قدر عقله الصغير، والمفكر على قدر عقله، وأستاذ الجامعة والفيلسوف والمربي والكيميائي والفزيائي والمخترع كلهم لازم يمروا من خلال هذا، الحلقة الصغيرة التي اسمها عقل حافظ الأسد.

ولذلك تخرب البلد كلها، أما هذا فقد برز من خلال جهاده، يعني الآن لو سألت أي واحد في داخل أفغانستان كيف أحمد شاه مسعود؟ يقول الله يحفظه، مجاهد، أذل الروس، لا يختلف اثنان على هذه الحقيقة.

والله عبد الله أنس قال لي أنا راجع من تخار بنجشير، لما وصلت وردك على بعد ثلاثمائة كيلومتر وجدتهم يبكون، ما بالكم تبكون ؟ أهل ولاية وردكن قالوا سمعنا من الإذاعة أنهم أمسكوا بأحمد شاه مسعود! صائمين عن الزاد، قال لهم أبشروا لقد جئت من عنده، ففرحوا فرحاً شديداً. ما رأيتم كيف كانوا يحبون أبا بكر وعمر، الخلفاء كيف كانوا يحبون رسول الله ﷺ إذا كان شجاعاً زاهداً مضحياً من الذي لا يحبه إلا الذي في قلبه مرض؟ ولذلك لا يمكن، كل الجماعات الإسلامية والحركات الإسلامية أنا أبشرها لن تستطيع أن تقيم دولة أبداً، لن

تستطيع أي حركة أن تقيم دولة إسلامية إلا إذا دخلت الحركة وحركت الجهاد وتحرك الشعب وراءها، إنقادوا وراءها، فإذا كل الأمة اشتركت في الجهاد ودفعوا الثمن وصار النصر غالباً عليهم وأقاموا دولة الإسلام عندها، عزيز عليهم أن يفرطوا بهذا، لأنهم ضحوا بدمائهم يوم أن لم يكن لهم دولة فكيف وقد قطفوا الثمر بأيديهم؟ كيف يفرطون بهذه الثمرة، أما الآن يطلبون من الحاكم، نريد غزة خذوها، الضفة الغربية خذوها، الجولان خذوها لماذا؟

ومن أخذ البلاد بغير حرب

يهون عليه تسليم البلاد

هم تعبوا بهذا؟ ما آباؤهم مال أمهاتهم ورثوها كابراً عن كابر هذه الأراضي للمسلمين.
جاءوا بها أبو عبيدة وعمرو بن عاص وخالد وهم سلموها فلا يمكن لحركة إسلامية أن تقيم دولة إسلامية وحدها، لا بد أن تستعين بالشعب، أي حركة إسلامية تعيش بعيداً عن الشعب لا يمكنها أن تقيم دولة إسلامية.

الأفغان والسلفية

الحمد لله والصلاة على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

توضيحاً لما قيل اليوم في خطبة الجمعة حتى تكون واضحة للأذهان والمعنى المقصود.

أولاً: السلفية وهي الرجوع إلى نهج السلف الصالح، الرجوع إلى الكتاب والسنة، التحاكم إلى النصوص الصحيحة، هذا نهجنا إن شاء الله، وهذه عقيدتنا التي ندين الله بها جميعاً فنحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، ونؤمن بأن التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية أو توحيد المعرفة والإثبات، نثبت لله عز وجل ما أثبتته لنفسه من صفات ونؤمن بالله عز وجل خالقاً، رازقاً، محياً مميتاً يرجع الأمر كله إليه يدبر الأمر، إلى الله ترجع الأمور، هذا توحيد الربوبية.

ونؤمن بتوحيد الألوهية يعني التوحيد العملي أو توحيد الله بأفعال خلقه والأول توحيد الله بأفعاله فنحن نصلي لله وحده، وننذر لله وحده ونحج لله وحده ونذبح لله وحده، ونتحاكم إلى الله وحده لا شريك له.

ونؤمن كذلك بتوحيد الأسماء والصفات.

النوع الثالث من التوحيد فنحن قاعدتنا في الأسماء والصفات هي القاعدة التي سار عليها السلف الصالح نثبت لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا، التي ثبتت في الكتاب أو في السنة الصحيحة من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا

إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه

إن المعطل عابد البهتان

هذه عقيدتنا بالنسبة للتوحيد.

ونحن نؤمن أن السلف رضوان الله عليهم كانوا يعلمون معنى هذه الصفات ولا يفوضون فنحن لسنا مفوضين فنحن نثبت هذه الصفات ولكن كانوا يفوضون الكنه إلى الله عز وجل وهي كما قال مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول) كيف؟ ... لا نعلم.

فهم كانوا يفوضون الكيف، أما معنى الاستواء ومعنى اليد ومعنى هذه المعاني كانت واضحة في أذهانهم فهم كانوا يعلمون معنى هذه الصفات ولكن يفوضون معنى الكنه أو الكيف إلى الله عز وجل، ونحن نؤمن أن الله عز وجل مستو على عرش بائن عن خلقه فوق السماء السابعة كما يقول ابن المبارك والسلف، ونؤمن أن الله عز وجل له يد ولا نقول يده قدرته، ونؤمن بالاستواء، ولا نقول الاستواء الاستيلاء، وإذا سئلنا عن الاستواء نقول كما قال مالك : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب) نحن نؤمن بهذا كله، عقيدتنا بهذا الشكل إن شاء الله، هذه العقيدة التي ندين الله بها ونلقى الله عليها إن شاء الله وهي العقيدة الأسلم والأحكم والأعلم وليس كما يقول بعض الناس عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أحكم، لا.. بل عقيدة السلف أسلم وأعلم وأحكم.

توضيح

ثم نقول توضيحاً لما ورد في خطبة الجمعة على لسان الشيخ أقول : خلاصة الخطبة أن الله عز وجل منّ على البشرية في هذا القرن بإحياء الجهاد على يد هذا الشعب الذي أثبت من المواقف ما لا يمكن للعقل البشري أن يحل لغزه إلا بالإحالة إلى قوة الله عز وجل وتأييده ووقوفه سبحانه وتعالى بجانب هؤلاء أو معيته سبحانه معهم، وإلا ليس هنالك لا تفسير عسكري ولا عقلي ولا علمي يحل ما يجري في داخل أفغانستان، ليس هذا قولنا وإنما هذا قول الكفار قول البلجيكيين والفرنسيين وغير ذلك الذين يرون المعارك ثم بعد المعارك يقولون : إنها حقائق ولكننا لا نستطيع تفسيرها، هذا الشعب الأعزل الفقير العاري، هذا الشعب كما يقول رسول الله ﷺ عن أهل بدر "اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم" وأنا أشهد بين يدي الله عز وجل فكما قرأت السيرة ورأيت حالة الأفغان، أن حالة الأفغان أشد من حالة أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر، فهم أشد منهم فقراً، وهم أكثر منهم حفاة، وهم أكثر منهم جوعاً، هذا الشعب بحاجة إلى من يأخذ بيده لا بحاجة إلى من يزيد آلامه ألماً، ولا أن يزيد مشاكله مشكلة، وأنا قلت لكم عدة مرات، يا أبناء العرب قلت لكم دعوا مشاكلكم وتمزقاتكم واختلافاتكم فوق ساحة بلادكم لا تنقلوها من ساحة بلادكم إلى هذه الساحة، كفاهم تمزقا وكفاهم مشاكل ولا تضيفوا فوق أثقالم ثقلا ولا تضيفوا فوق أحمالهم حملا، خلافتكم في بلادكم وفي مساجدكم بين فلان في هذه الحركة الفلانية وهذه الحركة الفلانية نحن جننا هنا نخدم قضية الجهاد، فكل ما يخدم قضية الجهاد نحن نريد أن نفعله، خلافتنا الفقهية وغير ذلك نتركها في بلادنا، الخلافت السياسية، الخلافت العقائدية، الخلافت الفكرية، الخلافت الفقهية، هذا ليس محلها أبداً، ليس محلها، هنا ما هو إلا السيف والطحان.

الجهل عند الأفغان

نحن لا ننكر أن الأفغان عندهم بعض المشاكل بل مشاكل كبيرة، ومن هذه المشاكل الكبرى الجهل، والسبب أن الجيل الذي يقاوم الآن هو الجيل الذي تربى تحت الثورة الشيوعية، هذا لم يسمع كلمة واحدة في مسجد، المساجد مهدمة، علماءهم معظمهم إما استشهدوا، وإما أنهم هربوا بنسائهم وأعراضهم إلى خارج الحدود، من أجل أن يؤوؤهم، فهؤلاء إن رأينا منهم جهلاً فلا نضع اللوم عليهم، هؤلاء مساكين فتحت أعينهم الذي عمره الآن خمسة وعشرين سنة مضى عليه الآن ثلاثة عشر عاماً تحت الحكم الشيوعي، حكم داود كان في تموز سنة 1973م والآن نحن في تموز 1985م إهني عشر عاماً فمضت ذلك إن الذي عمره خمسة وعشرين عاش اثني عشر عاماً تحت الحكم الشيوعي عمل عمليات إبادة وحرق واجتثاث، ما استيقظ إلا على دوي المدافع، ما جعلوه يتنفس ولا يلتقط لهائته، ضربات متواصلة، أمه تقتل في يوم، أسرته تمزق في يوم آخر، هو يطارد في يوم ثالث، بيته يهدم في يوم رابع ومن منطقة إلى منطقة ومن ولاية إلى ولاية ومن الجبال إلى الأدغال ومن الأدغال إلى التلال، ومن التلال إلى السهول، وهكذا، لا طعام، لا شراب، لا علم، ليس عنده وقت أن يأكل، وبعضكم من الجالسين حدثني قال: أسبوعين كاملين لا نستطيع أن نحضر الخبز، فكنا نأكل هذا الدوم الصغير الذي عجمته أكبر من لحمته أسبوعين في رمضان على هذا والماء فكنا نفطر لا نستطيع كيف يمكن أن نصوم وليس لنا من طعام إلا هذا؟ يعيشون في قمم الجبال وحتى في قمم الجبال يلحقوهم ينامون وفي اليوم التالي تصبح الدبابات، ينزلون من الطائرات الدبابات على قمم الجبال، فإن كان عندهم جهل أو جهل مطبق فالإثم عند الله عز وجل على رقابنا يتضاعف، نحن مسؤولون أمام الله عن جهلهم عن إحدى الجهات التي تسأل أمام الله عز وجل عن إزالة جهلهم، وعن تعليمهم، ولا تقولوا اللغة، فاللغة ليست حاجزاً، هنالك كثير من الشباب يفهمون العربية يستطيعون أن يترجموا لك ما تريد وإذا كانت اللغة حاجزاً فكيف بلغ الصحابة الذين لم يكن عندهم لا ترجمان ولا دليل ولا مواصلات ولا اتصالات بقيادة المدينة المنورة، كيف فتحوها في أيام عثمان بن عفان وأيام عمر بن الخطاب وفي سنن أبي داود عن عبد الرحمن بن سمرة أو حدثني عبد الرحمن بن سمرة في كابل - عبد الرحمن بن سمرة كان في كابل أيام عمر - ولذلك هؤلاء الناس، كيف وصلوا؟ كيف بلغوا؟ كيف أوصلوا إليهم الإسلام؟

الشرك وأحكامه

هنالك جهل، هنالك بعض القضايا، هنالك تمسح بالقبور، موجود صحيح، ولا تتسوا أنه موجود في مصر وفي سوريا وفي الأردن على درجات متفاوتة، هذا موجود فالسيدة زينب

والحسين بن علي رضي الله عنهم وفلان بن فلان ومحي الدين بن عربي في دمشق وغير ذلك تعرفون قبورهم ومزاراتهم وغير ذلك، فإذا استطعت أن تغير ذلك في بلادك أولاً فتعال هنا وغير هذا أو حاول ونحن سنحاول إن شاء الله. التمسح بالقبور، تعليق التمام، التوسل، وهذه الثلاثة شرك، لكن شرك بالنسبة للجهلة لا يخرج أي واحد من الثلاثة بنص ابن القيم وابن تيمية من الإسلام حتى الذين يستغيثون بالقبور وقد قلت هذا في أكثر من موضع وفي خطبة لي أن ابن القيم نص أن الذين يستغيثون بالقبور لا نستطيع إخراجهم من الإسلام لأنهم جهال وابن تيمية أنا قرأت له عدة نصوص يقول وهو يجادل الجهمية (أنا لا أكفركم لأنكم جهال، ولو قلت بقولكم لكفرت بالله العظيم) هذا كلام ابن تيمية فنحن لا نستطيع أن نكفر بأي واحدة من الثلاث أي أفغاني؟ لا نستطيع أن نكفر أي جاهل بهذا، حتى الاستغاثة بالأموات والقبور وإن كانت شركاً أكبر الاستغاثة بالقبور هذه شرك أكبر بالنسبة لمن يعلم؟ إذن هي شرك عملي وليس شركاً نظرياً عقائدياً بالنسبة للجهال، نأتي إليها الثلاثة.

حكم التمام والرقى

أولاً : بالنسبة للتمام، التمام الرسول ﷺ قال: بالنسبة للتعاويد أو الرقى بعضهم يستدل بالتمام (من علق تميمه فلا أتم الله له) والحديث الثاني (إن التمام والتولة شرك).

أولاً: التمام ليست كالحجب أريد أن أطمئن الذين يقولون بهذا، التميمه خرزات كان يعلقها العرب من أجل الأمراض، وعظمت وكفوف وغير ذلك، ليس كلاماً يكتب في داخل ورق ويغلف، فالرقية شيء والتميمه شيء آخر، إذن لا يستطيع أحد أن يستدل بهذين الحديثين على شرك الذين يعلقون الرقى، هذه واحدة.

ثانياً: من علق تميمه فقد أشرك، أي فقد فعل فعل المشركين كما قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : (أنك امرؤ فيك جاهلية) عندما عير بلالا بأمه وقال رضي الله عنهم أجمعين : يا ابن السوداء، ثم الرقى تحتاج إلى تفصيل قبل أن تعيره وتضربه وتقاتله على هذا مع أننا مع كل هذا نرى أنه من البدع التي يجب محاربتها، هذه عقيدتنا كذلك، نرى الرقى والتمسح بالقبور.

والثالث وهو التوسل من البدع التي يجب محاربتها.

بالنسبة للرقى قبل أن نتكلم عليه افتح رقيته فإن كانت كتاباً وسنة فإياك أن تتكلم عليه لأن هذه جمهور العلماء بل أنا قرأت نصاً في شرح الحديث هذه التولة والتمام والرقى وغير ذلك "إعرضوا علي رقاكم" أجمع العلماء على جواز -بلفظ أجمع- أجمع العلماء على جواز الرقى إن كانت بالكتاب والسنة، نقول الأولى تركها وإن كانت بالكتاب والسنة، هذه عقيدتنا لكن لا نستطيع أن نعبر أي إنسان ولا أن تجادله في قضية معه فيها جمهور العلماء، جمهور العلماء

يقول لك: لا فرق بين حمل الرقية بالقرآن والسنة ووضعها على أكتافك وبين شرب الماء البارد، لا فرق بينها كما أنك لا يجوز لك أن تقول للذي يشرب الماء البارد حرام، لا يجوز لك أن تقول لمن يحمل الرقية بالقرآن حرام؟ جمهور العلماء يقول بهذا، بل -كما قلت لكم: أنا أنقل لكم بالنص أجمع العلماء على جواز الرقية إن كانت بالكتاب والسنة، وإذا كانت بغير الكتاب والسنة، إذا كانت بالأعجمية بأشياء غير معلومة بالنسبة للعرب فهذه لا يجوز حملها لأنها قد يكون فيها سحر وما إلى ذلك هذا العلماء ردوه ؛ أما إذا كانت بأحرف أخرى مثلا طاء في مربع، سين في مربع، ميم في مربع، كاف في مربع، هو يستطيع أن يجادلك، يناقشك يقول لك هذه أحرف من القرآن الكريم ونحن قطعناها لأننا لا نريد أن نلتقي مع بعضها لأنني أدخل فيها دورة المياه أحيانا، فذلك ليست شركا ولا ينطبق عليها الحديث لأن الرسول ﷺ قال : "إعرضوا علي رفاكم" لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك، هذا النص (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك) منصوص على شرك يقول : يا إيليس أو يا فلان اشف فلان هذا شرك صحيح، أما والله كلمات عربية لكن أحرف مقطعة هذه نحن لا نستطيع أن نقول إنها شرك ولا نستطيع أن نقول إنها حرام.

حكم التوسل بالقرآن والسنة

أولا : التوسل بجاه الأنبياء، أو بجاه النبي ﷺ أن تقول رب اغفر لي ولوالدي بجاه القرآن العظيم وبجاه النبي ﷺ هذا توسل، هذا معظم الفقهاء نصوا على جوازه وإن كنت لا أفعله ؛ فإذا رأيت واحداً يقول كذلك فلا تعترض عليه، بل نص آخر عند حديث -في الصحيحين- (وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون) نص: أجمع العلماء على جواز التوسل بجاه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ويرددون هنا حديث الأعمى (يا محمد إني أتوسل بك أو أتوجه بك إلى ربك). والحديث وإن كان فيه خلاف إلا أنني ما رأيت واحداً استطاع أن يضعفه من الذين يحملون العقيدة الصحيحة، يعني حتى الشيخ ابن تيمية وهو يناقش الحديث ما استطاع أن يقول إنه ضعيف، ما استطاع أن يضعفه، لكن هو أوله بتأويلات، فاللهم اغفر لي بجاه أو بحق القرآن العظيم أو بحق نبينا محمد ﷺ، الذي يقول لك إن هذا شرك هذا لا يفهم من الإسلام حرفاً واحداً، هذا ليس شركاً إن قال واحد من العلماء إن هذا شرك فإن 999 في الألف قالوا: هذا ليس شرك بل قال معظم العلماء بجوازه وكما قلت لكم: أنا أنقل نصاً أجمع العلماء على جواز التوسل بجاه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

حكم التوسل بالصالحين

التوسل بالصالحين، أن تقول اللهم اغفر لي بجاه فلان الصالح عندك، هذا في الحقيقة معظم الفقهاء قالوا على عدم جوازه لأنك لا تعلم أنه صالح أو غير صالح لكن كذلك ما قالوا بالشرك؟ ما قالوا: أن الذي يقول اللهم اغفر لي بحق فلان الصالح عندك -ليس لفلان حق لا تعلم أنت- هذا تأله على الله عز وجل، وإن كان ابن عرقه وفلان الآخر من المألكية نصوا على جواز ذلك، لكن نحن نقول هذا نتركه، نتركه لأن معظم الفقهاء لا يرونه، والتوسل بجاه النبي ﷺ كذلك نتركه لأن فيه بعض الخلاف، الأسلم نتركه، لكن إن رأينا واحداً يتوسل بجاه النبي ﷺ لا نعترض عليه إرأيناه يتوسل بجاه رجل صالح حيّ كذلك نفهمه، الأولى أن تترك هذا، لا نقول إنك مشرك، وإذا بجانبك مسدس تسحبه!! لأن بعض الشباب الآن يكفر الذي يحمل تعويذة، مشرك ولا فرق بين قتله وقتل المشرك.

أنا أدرس في جامعة الدعوة والجهاد، وأنا أدرسهم العقيدة الطحاوية، وهي عقيدة السلف التي اتفق عليها الأئمة الأربعة وأنا أتابع لهم بعض البدع العملية المنتشرة بينهم مثل الرقية وغيرها أركز عليها فقلت له : أنت تعلق رقية، أنا دائماً أسألهم، ما أظن ولا طالب في الجامعة يعلق رقية نعم وكل هذا الذي قلته لكم في عقيدتنا أولاً وفيما أعتقد أنه لا نتوسل لا بجاه النبي ﷺ ولا بالصالحين ولا ما شابه ذلك، فوقف لي طالب وأنا أقول لهم : أنت تحمل رقية قال يا أستاذ أنتم تعتبروننا مشركين ؟ قلت : معاذ الله إن هذا لقول عظيم، والله، كيف نعتبركم مشركين وأنتم تقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا نرى منكم شركاً واضحاً؟ كيف؟ الشرك يبيح رقبك، الشرك معنى ذلك أنه يجوز قتلك، لا فرق بين قتل المشرك الأفغاني وبين قتل الروسي؟ هل هنالك فرق فن نظر الشريعة ؟ هل هنالك فرق فأنت عندما تصدر حكماً بالشرك على واحد أي أنه حلال الدم كالروسي؟ لا، ليس هنالك فرق فأنت عندما تصدر حكماً بالشرك على واحد أي أنه حلال الدم كالروسي تماماً، قلت معاذ الله إنها كلمة كبيرة، قال بلى أنتم تقولون هذا يقول: أنا كنت أتعلم في دورة جاء بها بعض الإخوة من الجزيرة العربية هو يقول لي بالنص الواحد: ليس هنالك جهاد في أفغانستان، بل هو قتال بين مشركين وبين ملحدين، مشركين أفغان وملحدين روس قلت : أنت سمعت هذا بأذنيك ؟ قال : والله لقد سمعته بأذني هذه.

هذه جريمة، والله لا علم يقرها، ولا دين يقرها، ولا أسلوب دعوة يقرها، ثم هنالك بعض الشباب الصغار المتحمسين، الذين لا نشك في دينهم، وفي إخلاصهم، بعضهم قبل أيام يقول لي الحرب بين وثنيين وبين ملحدين، كل كلام الشيخ عمر يتركز على هؤلاء النفر البسيط الثلاثة الأربعة الخمسة الستة الذين يشوهون صورة السلفية هؤلاء والله لا يمثلون السلفية ولا

يمثلون العلم وقتل العلم أنصاف المتعلمين، أكثر ما يؤدي العلم أنصاف المتعلمين لا هم يعتبرون أنفسهم جهالاً فيسألون، ولا تعلموا فيعرفون آراء الأئمة في القضية فيسكتون.

جاءني شاب بعد صلاة الجمعة ذات مرة قال : يا أستاذ قلت له : نعم، من هؤلاء الشباب يعني السلفية عنده مائة واثنين بالمئة لكن يطعن السلفية، في الصميم قال لي : أنت ثوبك طويل، قلت : هذا الثوب استعرتة لأصلي به الجمعة عارية ليس لي، والرجل الذي استعرتة منه أطول مني بكثير قال : لكن نص ابن تيمية على بطلان الصلاة بالثوب الطويل قلت له : هذه آخر موضحة الصلاة باطللة الصلاة بالثوب الطويل ؟ قلت له : أنا سألت ابن حميد -ابن حميد الذي هو رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية- قلت : ما رأيك بالثوب الطويل قال: إن لم يكن للخيلاء فلا بأس، قال ابن حميد كان يفتي على المذهب الحنبلي، قلت له : اعتبرنا حنابلة، ومشيتها على المذهب الحنبلي، ومع ذلك فهو غير راض على ابن حميد، قال : آخر شهرين رجع ابن حميد من الحنبلية إلى السلفية.

الجهل، يدرس كتاباً واحداً كل ما فيه هو الحق المبين وغير ذلك من فعل الشياطين نعم وهذا الجهل الذي نحن نواجهه، وكل ما قاله الشيخ عمر إنما يعني هذا النوع الذي لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، وأما السلفيون فهم دفعوا أكثر من % من الأموال التي دفعت للجهاد الأفغاني فهي من السلفيين الحقيقيين، تأتي منهم زكاة أموالهم، أصحاب العقيدة الواضحة، بعضهم قد ساهم في الجهاد الأفغاني هؤلاء أناس يرون الأفغان ويقدمون لهم ويعرفون عقائدهم، نحن لا نستطيع أن نحمل السلفية كلها فعل هؤلاء، فهؤلاء الخمسة أو العشرة هؤلاء لا يمثلون السلفية، بل السلفيون أنا سمعتهم، سمعتهم متضايقون منهم، والله واحد يحدثني من هؤلاء السلفيين الناضجين الكبار قال: لو أرى واحداً من هؤلاء الذين يفعلون ذلك لضربته كفاً بيدي، لأنه يؤدي.

موقفنا : نحن سلفيون

فياكم أن تظنوا أننا نهاجم السلفية أو نحاربها لا سمح الله، نحن سلفيون إن شاء الله، وعقيدتنا سلفية، والسلفية طريقة في التفكير وليس حزباً سياسياً ؟ السلفية طريقة في التفكير والاعتقاد وليس تجمعاً سياسياً؟ نحن نعلم، معظم الإخوان المسلمين عقيدتهم سلفية، وهذا الذي نص عليه الإمام البنا في رسالة العقائد بعد أن عرف مذهب السلف والخلف قال: وعقيدة السلف أسلم ولكننا لا نكفر الذين يؤولون وهذه عقيدتنا، عقيدتنا هي : عقيدة الأستاذ حسن البنا نحن لا نكفر الذين يؤولون، وعقيدتنا هي عقيدة السلف ونعتبرها العقيدة الأسلم والأعلم والأحكم، وكثير من الحركات الأخرى الآن -الحمد لله- كلها رائدها النص الصحيح، لا تقبل

حديثاً إلا إذا كان صحيحاً، معظم الكتب التي يرجعون إليها هي الكتب التي ينهل منها هؤلاء الإخوة كتب ابن تيمية وابن القيم، وغيرها وأنا في الحقيقة أكثر من تأثرت بهم في حياتي، في تفكيري، ثلاثة ابن القيم، وابن تيمية، وسيد قطب، سيد قطب في تفكيره الحركي وابن تيمية في عقيدته وابن القيم في شفافيته وروحانيته، هؤلاء الثلاثة أكثر من تأثرت بهم، وكتبهم الآن هي المتداولة في أيدي الحركة الإسلامية في العالم، ولذلك إياكم أن تذهب بكم الظنون بعيداً، الحمد لله شباب العرب الذي يأتون إلى الجهاد معظمهم، هذه عقيدتهم، وهذا تفكيرهم، وهذا اتجاههم، لكن كما قلت لشباب جاء يناقشني قبل أسبوع، قال : ألا تعتبر أن فلانا السلفي على حق؟ قلت له : على حق، قال: كيف ترى عقيدته؟ قلت له: على الحق المبين إن شاء الله وهذه عقيدتنا، تكلم عن العقيدة قلت نعم نحن نتفق معكم 100 % في كل كلمة تقولونها في العقيدة ونختلف معكم 100 % في أسلوبكم الذي تتبعونه في تبليغ هذه العقيدة أنتم تتفرون الناس من عقيدة السلف، ونحن نرى أن الأمم لا تتغير في يوم وليلة، الأمم تحتاج إلى أيام وليالي وسنوات من أجل أن تتغير عقائدها، ونحن نرى أن الجهاد الأفغاني كان في صالح العقيدة الصحيحة، ولو قارنت بين الشعب الأفغاني والشعب الباكستاني في العقيدة لوجدت أن هنالك بوناً شاسعاً في الوضوح والتوحيد فعقيدة الشعب الأفغاني أحسن بكثير، الشعب الأفغاني قبل الجهاد كان كالشعب الباكستاني تماماً غارق في صوفيته، لا يتحاكم إلا إلى زعماء الطرق الصوفية، لكن من نعمة الله الواحد القهار أن يقود الجهاد أبناء الحركة الإسلامية الذين قادوا الجهاد كانوا يُرمون بالوهابية ويرمون بالسلفية ويهاجمون بسبب هذا، ويضيق عليهم بسبب هذا، والله عز وجل ساق الظروف بأن يقودوا الجهاد فغيروا، أصبحت الأمة كلها وراءهم فغيروا كثيراً كثيراً، وسقطت الهالة الكبرى التي كانت تكلل الصوفية وتجعلها في القمة.

الجهاد وضع الصوفية في مقامها، ورفع أصحاب العقائد وأصحاب التفكير الصحيح وأصحاب الحركة الإسلامية الصحيحة، رفعهم إلى مصاف القادة، وإذا استمر الجهاد إن شاء الله مع وجود الدعاة العرب، أقول : الدعاة ليس الذين يريدون من أول يوم أن يمزقوا الرقى، كما جاء أحدهم إلى الشيخ سياف، قبل أن يدخل على الشيخ سياف، فتش الأكتاف والصدور والنحور على الحراس، فجمع خمسة من الرقى، قطعها ثم دخل بأربعة أو خمسة على الشيخ قال : أنظر عقائد حراسك هذا لو لم يكن الذي فعل هذا عربياً لحصلت مشكلة كبيرة جداً لكن بإمكانك أن تجمع هذه الرقى بالحسن، والأفغان قوم إذا أحبوا أعطوا أنفسهم لك إذا أحبوك، ألقوا أنفسهم بين يديك كالميت بين يدي الغاسل كما قالوا: فأعطهم فرصة أن يحبوك ولا تتعرض للخلافات الفقهية.

تصلي في مسجد بابي ألفي مصلي صامتين لا يقولون آمين وأنت من بينهم تخرج وتقول آمين، كيف يحبوك، والله لو جئت لهم بمائة آية ومئتين حديث من البخاري ومسلم لن ينظروا إليك، ما سمعوا هذا من آبائهم، ما درسوا أبداً هذا، آمين من أين آمين هذه!! من أين خرجوا لنا بآمين وبرفع الأيدي وتحريك الإصبع، فالأصبع لا يتحرك عندهم إلا على الزناد، أما أن تحركه في الصلاة أنا قرأت بعض نصوص الحنفية من حرك إصبعه يقطع، صدقوا يا إخوة أنني قرأت في بعض نصوص الحنفية من حرك إصبعه كثيراً في الصلاة يقطع!! فلذلك أعطهم فرصة أن يحبوك وبعد أن يحبوك إن شاء الله تغير ما شئت، نحن الآن عقدنا مخيمين للتربية الإسلامية، في الأخير كنت والله لأنهم يحبونني أو أظن أنهم يحبونني أمرّ عليهم فما يكون على صدرهم هكذا في الأخير صاروا يأتوا إلينا في قيامنا يسلموننا النسوار الذي هو مثل الدخان، يسلموننا العلبة، ويعاهدوننا أن لا يفعلوها أبداً....

الشهيد سبع الليل اليمني

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، وبعد:

الحق أن الأخ الأحمدي على ثقافته البسيطة كان أنساً لمجالسنا وعطراً يؤانسنا، أو مرة عرفته كان في رمضان سنة ألف وأربعمائة وخمسة هجريا (1405هـ) كنا معسكرين في دخل أرض أفغانستان، وكان هو يشرفنا بحضور هذا المعسكر، وكانت على بعد عشرين كيلو متراً منا أو ثمانية عشر كيلو متراً منا قلعة للشيوعيين، فكان يصرّ أن يذهب إليها، كان يشاركه أفغان يحملون مكبرات الصوت، ويصلون إلى أسوار القلعة ثم ينادون بالأبواق والمكبرات، (أخرجوا أيها الخنازير، أخرجوا أيها الجبناء، أطلقوا برؤوسكم، لماذا تختفون كالفئران)، فلا يطل أحداً من داخل القلعة، فيطلقون بعض قذائفهم ثم يعودون، هذا جعل الأحبة والإخوة يستحبون هذا الاسم له سبع الليل، كان حاضر البديهة ذكي الفؤاد، شجاعاً، يقول ما يعتقد أنه حق مهما كلفه ذلك الحق، يواجه الناس بأجوبة على قدر أسئلتهم وإن كان السؤال هازلاً كان الجواب لاذعاً مضحكاً، يتناقش مع أحد الشباب ذات مرة فيقول له سبع الليل: الجهاد فرض عين، قال ذلك الشاب: ليس فرض عين، قال: يا أخي: لقد أفتى العلماء بهذا، أفتى الشيخ عبد الله عزام وغيره على أن الجهاد فرض عين فلا إذن فيه للوالدين، قال: أنا لا آخذ برأي الشيخ عبد الله عزام، فقال له أحمد رحمه الله -أحمد الأحمدي- إذا نسأل لك أحمد عدوية، أنا ما كنت أعرف عن أحمد عدوية، قال هذا مغني مصري.

فكان رحمه الله كثير التلاوة للقرآن في رمضان، وقليل النوم، ما كنت أرى أحداً في المعسكر ينام أقل منه، وأحياناً يسهر الليل كله، حتى يطمئن على سحور إخوانه وعلى إيقاظهم، وكما كانت تعجبني كلمته التي كان يرددّها وهو يتجول بين الخيام، لا يترك خيمة إلا وقف ببابها يردد، يا صائم وحد الدائم، وحد الدائم، فكان يوقظ إخوانه كل ليلة، كنا نكل إليه أحياناً أن يوقظنا من أجل قيام الليل، فنقول له: أيقظنا على الثانية، فيوقظنا على الواحدة، فيسأله الإخوة، فيقول حتى تكسبوا زيادة أجر.

كان يختم القرآن في رمضان سبع مرات أو أكثر أحياناً، شهد معي ثلاث رمضانات متتالية، وسعدت به وسعد الإخوة به، في النهار، لا يتكلم مع أحد، غالباً طيلة النهار يفتح قرآنه ويقرأ، وفي الليل وحده، إما أن يصلي أو يحرس أو غير ذلك، كان كما قلنا حاضر البديهة.

زواجه

حدثني شاعر الزندان، قال: ذهبنا نخطب له زوجة، فسأله إخوانها ما هي شهادتك؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، قالوا له: ما هو عملك؟ قال: الجهاد في سبيل

الله، قالوا : أين دارك؟ قال: الجنة خير دار وأنا لا أريد زوجة تسأل عن الدار، أنا أريد زوجة أحملها معي إلى الجبهة، وإن شئتم أن تزوجني فحيا هلا.

كانت أمنيته أن يأخذ زوجته إلى المعركة، وكان لا يطيق أن يستمع كلمة واحدة ينتقد فيها الجهاد الأفغاني، ولا ينتقد فيها أي قائد من القادة لأنه كان يرى أن هذا يضر بالجهاد، وكان يتردد على فضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ عبد العزيز بن باز، وعلى فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني أئينا الكبير، فكان كلما جاء إلى أفغانستان أو رجع منها ينقل الصورة التي تبين أعماق القضية الأفغانية، ووجوب الوقوف بجانبها من قبل المسلمين.

المعركة الأخيرة

وفي رمضان الأخير هذا كنت معه، ثم حصلت معركة جاجي وبدأت في السادس والعشرين من رمضان، وغادرت المعسكر وتركته في المعسكر، ثم رأيت قد قدم إلى الجبهة، وقال : أنا ذهبت إلى بيشاور ولم أطق الجلوس فيها فجئت، وطلب أن يرسل إلى الجبهة، إلى المعركة مباشرة، وعندما تأخر الأخ المسؤول قليلاً، قال له: أنا لم آتي لأكل الرز هنا سمع أنه لا يوجد رز- أنا أريد أن ترسلوني إلى المعركة، وكانت هناك راجمة صغيرة للصواريخ بيد أحد قادة الجمعية الإسلامية، وكان اللواء (باينده محمد) يشرف على هذه الراجمة، وكان القائد عبد الرحمن المسؤول الثاني عنها فاشتغل معه.

وعندما احتدمت المعركة واشتد ضرامها وزاد أوارها كتبنا رسالة إلى القادة المجاهدين المغاور، قادة الجهاد الأفغاني، وكان بعضهم في بيشاور نذكرهم بأعماق المعركة وبتقلها وبضرورة القائد في قلبها، حمل الرسائل سبع الليل وتحرك مساءً من داخل أفغانستان، أنا لا زالت الآن الصورة في ذهني، عند أذان المغرب أو قبل المغرب بقليل. والطريق يستغرق ثمانية ساعات إلى بيشاور والطريق خطرة، وركب مع إحدى السيارات وسار، واضطر للنوم في الطريق، وفي اليوم التالي وكان يوم المعركة وصل بيشاور، وأوصل الرسالة للمهندس حكمتيار والرسالة الثانية إلى الأستاذ برهان الدين رباني، فعندما قرأها حكمتيار، قال : أنا إن شاء الله غدا أتحرك إلى الجبهة، وعندما قرأها الشيخ رباني، كنا طلبنا منه بعض الأسلحة وطلبنا منه راجمة صواريخ "بي أم 12" لأن الراجمة التي عندنا قد تلفت مواسيرها بسبب كثرة الضرب وغيرناها وتلفت مرة ثانية واضطررنا إلى إلقائها لأنها لم تعد تفيد، وطلبنا منه راجمة وطلبنا منه كؤلك صواريخ لها أو قذائف، فأمر الشيخ رباني بألف قذيفة -ألف صاروخ- وبراجمة مباشرة، وحمل سبع الليل الأجوبة من القائدين وتوجه إلينا مسروراً ووصل الأحد مساءً، وعندما وصل، قال: غداً إن شاء الله من الصباح أنا راجع إلى الراجمة

أشتغل عليها عند (بأنده محمد) والقائد عبد الرحمن، ثم قال : متى علمية التعرض؟ قال له : بعد العصر، قال: أنا أعمل من الصباح إلى الظهر مع الراجمة، وبعد العصر أنا أكون جاهزاً حتى أذهب مع عملية التعرض في اليوم التالي.

قبل الشهادة

من الصباح بدأت الراجمة التي يعمل عليها سبع الليل تضرب، كان نشيطاً يحمل الصواريخ على كتفه وينقلها للراجمة، ومن السهولة أن تكتشف هوه الراجمة لكثرة الغبار الذي تخرجه من فوهتها الخلفية، فاكتشفها الروس وبدأوا يرمونها براجمة الصواريخ (بي أم 41)، وبعد ساعة أو ساعتين وقع صاروخ بجانبه وأصابته رأسه وصلت إلى دماغه، وجرح أحد الإخوة المجاهدين كان بجانبه ونقلته سيارة الإسعاف مباشرة إلى مستشفى قريب في براشنار، وقبل أن يصل براشنار أسلم الروح إلى الواحد القهار، وعندما أصيب الأخ أحمد رحمه الله أرسلته سيارة الإسعاف إلى المدينة القريبة -براشيار- وقبل أن يصل إلى المستشفى أسلم الروح إلى الواحد القهار -كما ذكرنا- فاتصل مدير المستشفى الدكتور سعد بالشيخ سياف أن الأخ سبع الليل قد استشهد، فأين ترى دفنه؟ فقال الشيخ سياف أرسلوه إلى بابي حتى يدفن بجانب إخوانه العرب، فهذا كذلك لرفع معنوياتهم ولشد عزائمهم، كان الاستشهاد الساعة الحادية عشرة صباحاً، ووصل بيشاور الليل وبقي في الليل، وفي اليوم التالي بعد الفجر نقل إلى بابي ودفن هناك بعد طلوع الشمس.

كراماته

يشهد لي أولاً طبيب مختص يتعجب يرى دمه يقطر بعد هذه الفترة، وقال هذا علمياً لا يمكن يبقى دمه يسيل ويتقطر بعد حوالي أربعة وعشرين ساعة أو بعد حوالي عشرين ساعة، هذا لا يمكن لأن الدم يتجمد، شم كثير من الإخوة منه رائحة المسك، شهد لي حوالي أربعة أو خمسة من الإخوة أنهم شموا رائحة المسك، منهم الأخ أبو أحمد والأخ صالح اليماني عدو الطواغيت فيما أذكر في هذا الوقت، وقد خرج لأخي كرامات منها.

أولاً: بقي دمه سائلاً ينقطر.

ثانياً: خرج لدمه رائحة نفوح كالمسك، ويقول الأخ أبو أحم: أما ما شممت من قبل رائحة دم شهيد، فأول مرة أشم الرائحة العطرية من الدم.

والكرامة الثالثة: أنه رغم شدة الحر في هذه الأيام، حيث تصل درجة الحرارة في بيشاور خمسة وأربعين مئوية، تقريباً من أربعين إلى خمسة وأربعين مئوية، يقول لي الإخوة أنه

كالنائم، ومبتسماً، كان مبتسماً، فرحم الله أخانا سبع، ويطيب لي في هذا المقام أن أذكر فيه
أبيات أبي الطيب:

أسد دم الأسد الهزير خضابه

موت فريص الموت منه ترعد

يخاف منه الموت، والحناء أو الصباغ الذي يصبغ به يديه هو دم الأسود، هو أسد ولكن
صباغ يديه من دم الأسود.

وصن الحسام ولا تذله فإنه

يشكو يمينك والجمام تشهد

يبس النجبع عليه وهو مجرد

من غمده فكأنما هو مغمد

كان لا يطيق الجلوس عن القتال، يتعب إذا وجد نفسه بعيداً عن أرض المعركة وعن
أصواتها.

يقول لي الطبيب: أكلت شيئاً

ودأوك في شراكك والطعام

وما في طيه أني جواد

أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغير في السرايا

ويخرج من قتام في قتام

فنرجو الله عز وجل ونبتهل إليه أن يجمعنا بأخينا سبع الليل في الفردوس الأعلى مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

حزن الأفغان عليه

فانتتي كلمة، لقد كان حزن الأفغان عليه عظيماً، جاءني اللواء (بابنده محمد) بعد استشهاده
هو والقائد عبد الرحمن وكان مع كل فترة يهز رأسه ويقول يمانني يمانني يمانني، وهو يهز
رأسه حسرة وألماً (بسيار دلاور بسيار بهلوان) شجاع كبير بطل عظيم، يقول كنا إذا جاءت

القذيفة نأخذ الأرض، ولكن هو لا يخشى الموت، والحق أنك يا أخانا سبع الليل سرت من بيننا
وقد أخذت قلوبنا.

تسليّة لأهله

والحق يا أهل الأحمدى، يا أهل سبع الليل، يا أم أحمد الأحمدى، يا والد أحمد، يا شقيقات
أحمد، يا أشقاء أحمد، الناس كلهم يموتون والشهداء هم الذين يفرجون بالذكر والثناء الجميل
في الدنيا وبالفوز بالمأ الأعلى، لقد ضاقت نفس أحمد عندما رأى نفسه يعيش بين القاعدين
وأخواته في داخل أفغانستان تنتهك أعراضهن، وإخوانه تمزق لحومهم تحت جنازير الدبابات،
مقدسات تداس، مصاحف تحرق، وأموال تسلب، وأراض تنهب، ودين يجتث من الجذور،
والناس نيام لا ترى فيهم ولا تسمع لهم ركزاً ولا تحس لهم حياة، والنفس الكبيرة لا يمكن أن
تطبق الضيم على الآخرين، فهبّ كالضرام، وانطلق ضيغماً إلى أرض أفغانستان، وتوجه نحو
جبال الهندوكوش حيث ملاحم البطولة وآيات الفخر والشرف تسطر بالدماء، وعظمة هذا الدين
تقام فوق جماجم الشهداء وفوق تلال الأثلاء، الناس هنا في أفغانستان باعوا كل شيء إلا
دينهم، تخلوا عن كل شيء إلا شرفهم وعزتهم، رفعوا رؤوسهم ولم يذلوا لأحد بين يدي رب
العالمين، أحدهم هدم بيته وقتل أطفاله وأسرت زوجته، نهبت أمواله والحوادث لا تلين لها
نفوس الكبار..

مسلم يا صعاب لن نقهريني

همتي همة الملوك وعزمي حديد

هذا المسلم، والنفس الكبيرة أتعب لها الجسم

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

مأسي تنتظر، وملاحم تدون، والدماء لا تجف، واليراع الذي يكتب بالنجيع لا يتوقف،
وكان من بين الذين سطرُوا صفحة خالدة في تاريخ هذه الأمة ورسوموا صورة مشرقة عبر
تاريخ هذا الدين أخونا أحمد، لقد كانت صفحة مشرقة في هذا الوقت الذي نام فيه الناس
جميعاً، لقد كان قمة شامخة في الوقت الذي ذلت في كثير من الرقاب تحت أعدام الطغاة
واستناموا لنير الظالمين، لقد أبى الضيم فانطلق كالسهم، إن النفس الأبية لا تطيق الذل ولا
تحتل الهوان، الموت أشرف من الهوان، كأن لسان حاله يردد:

ردى حياض الردى يا نفس اتركي

حياض خوف الردى للشاه والنعم

إن لم أذكر على الأرماع سائلة

فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

كان سبعاً هصوراً، وكان رجلاً جسوراً، وكان صادقاً للهجة فطرته طيبة، جريء الكلمة، صدق الله فصدقه كما نحسبه ولا نركي على الله أحداً، نرجو الله عز وجل أن يصدق ظننا فيه وأن يكون من الصادقين، وممن تقبلهم رب العالمين، إن كثيراً من أقران أحمد ومن أنداده يقتلون أوقاتهم بالتسكع بالشوارع وبالتردد على المقاهي، يقتلون حياتهم بالحياة الفارغة المملة، بينما أحمد وقليل من أمثاله نفروا عندما سمعوا النداء ولبوا دعوة رب الأرض والسماء : (انفروا خفافاً وثقالاً).

فيا أهل أحمد لا تحزنوا، فهو إن تقبله رب العزة شهيداً - نرجو الله عز وجل أن يكون كذلك - فقد ضمن لسبعين منكم أن يدخلوا الجنة، وفي الحديث الحسن وفي الحديث الصحيح "إن للشهيد عند ربه سبعة خصال، يغفر مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها ويشفع بسبعين من أهل بيته، ويزوج باثنتين من الحور العين" فأى كرامة أعظم من هذه، وصدق الله :

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: 140).

ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة وأن يلحقنا به في الصالحين.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 169-172)

يا أهل أحمد نحن لا نعرفكم فهو الذي عرفنا بكم، وكثير من الأسر - بل الكثير من القبائل - يحييها رجل شهيم ويدخلها في التاريخ، ذكر رجل همام يأبى الدنيا ويرفض أن يعطي الدنيا في دينه، فسلام عليك يا أحمد ونرجو الله عز وجل أن يتقبلك في الصالحين، ونرجو الله عز وجل أن يلهمكم الصبر والسلوان، وأن يجعله لديكم مفخرة لا سبب ألم وحزن، بل عليك يا أم

أحمد أن تعتزري بأمثاله، ويجب عليك ونحن نطلب منك أن تدفعي بأخر آخر له في أرض المعركة حتى يزيد في شرف هذه العائلة ويرفع مقامها ويعلي ذكرها ويترك لها أثراً حسناً في اللاحقين، يا شقيقات أحمد إصبرن بل إفخرن به، وإن كنتن تتدبن فاندبن على إخوانه الذين ماتوا على فراشهم، فلا نامت أعين الجبناء، وأنتم جميعاً تعلمون كلمة خالد ؑ عندما قال: "لقد شهدت زهاء مائة زحف وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وما أنا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء" إننا بحاجة إلى رجال، في عهد قل فيه الرجال، وقد صدق ؑ عندما قال: "تجدون الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" ونحن وجدنا راحلة، وأحمد إن شاء الله كان من هذه الرواحل التي حملت ثقل هذا الدين والتي تكفلت بأعباء الأمانة وبلغت، ونرجو الله أن يكون قد صدقها في الصالحين، وسبحانك اللهم وبحمدك وأقول أخيراً: إن المعركة التي شهدتها أحمد كانت مفخرة كما شهد بذلك مسؤول باكستاني كبير، وهو رجل رسمي صرح بأن الروس لم ينفقوا ضربة أشد منها في هذه الضربة، لقد كانت خسائرهم في المعركة هذه والتي استمرت من السادس والعشرين من رمضان إلى السابع عشر من شوال، لقد كانت خسائرهم تحطيم وتدمير مئتين وخمسين دبابة وناقلة وآلية، وأصيب اثنتان وعشرين طائرة بعضها إصابات خفيفة وبعضها تحطيم كامل، وقتل ألف وخمسمائة من الكفار، وكذلك الجرحى الذين لا يعدون، ويكفي أن نأخذ فكرة عن الجرحى الذين سقطوا من هؤلاء الكفار أنه في يوم واحد وفي إحدى المستشفيات في كابل واسمه (علي أباد) دخله مائة وسبعون جريحاً، كانت المعركة غير متكافئة في العدد ولا في العدة، هجمت ثلاث فرق، فرقة غزني، وفرقة جارديز الفرقة الثامنة والثانية عشرة والرابعة عشرة ومعها خمس كتائب من الروس منها كتيبة من الكوماندوز، كل هذه مع الآليات التي تحميها الطائرات والتي تدك الأرض في الليل والنهار تسندها راجمات صواريخ ال(بي أم 41)، تسندها مدافع الميدان ومدافع الهاون وأنواع الرشاشات وكل ما ابتكره العقل البشري من وسائل الإبادة والفتك، كل هذا يقابلهم أقل من ألف مجاهد، ولقد كان نصر الله عظيماً للمجاهدين، وكان كل الشهداء مقابل هذه ستون شهيداً، فنرجو الله أن يتقبل الشهداء في الصالحين، وأن ينصر هذا الدين، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ونرجو الله عز وجل أن يغفر لأخيها وأن يرفعنا وإياه في الفردوس الأعلى وأن يحيينا سعداء ويميتنا شهداء ويحشرنا مع زمرة المصطفى ؑ إنه سميع قريب جواد كريم، ونرجو الله عز وجل أن يجمعنا بك في الصالحين.

ومن الكرامات التي ظهرت في هذه المعركة كذلك أنه شهد لي الأخ صابر أنه شم رائحة المسك من أربع شهداء آخرين، من الأخر نور الحق، ومن الأخ حسين، ومن الأخ علي، ومن

أبو خالد الجزائري، وكذلك من الكرامات التي حصلت مع الإخوة العرب واسمه أبو عبيدة أنه ألقى الطائرة عليه قذيفتين كبيرتين وكانتا نازلتان عليه، فدعا الله عز وجل أن ينجيه من شرهما، فنزلت القذيفتان حوله ولم تتفجر واحدة منهما، ولو انفجرت واحدة لتطايرت قطع لحمه في الهواء، ومن الكرامات أن جبل الرماة الذي كان معرضاً لمعظم قذائف العدو، ومعظم قذائف طائراته وراجمات الصواريخ ومدفعية الميدان، ولم يستطع الإخوة أن يحفروا الخنادق في هذا الجبل، فكانوا معرضين للقذائف، إن كثيراً من القذائف التي نزلت عليه بالذات لم تكن تتفجر، ومن الكرامات كذلك من لطف الله عز وجل بعباده المؤمنين ما حصل بأخيها الشيخ تميم، وقد قرأ الشيخ تميم العدناني سبعة أجزاء متتالية من القرآن والقذائف تتساقط من حوله ولم تصبه شظية واحدة.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

عبر من الأيام

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (ابراهيم: 24-27).

وقال ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" وقال ﷺ "كفى بالمرء إثماً أو كذباً أن يحدث بكل ما سمع" وقال ﷺ "أعظم الناس فرية من هجا قبيلة بأسرها".

واقع المسلمين قبل الجهاد الأفغاني

أنا أعلم أن كل واحد منكم الآن متلهف متشوف يريد أن يسمع ما نتيجة رحلتي في داخل أفغانستان؟ القلوب متحرقة لمعرفة النتيجة، والأعصاب متوفزة تريد أن تستقر، والنفوس مضطربة تريد أن تهدأ، وأنا أقدر -من أعماقي- أن معظمكم مخلص في هذا، يريد أن يطمئن ويستريح، لكنني قبل أن أجيب على تساؤل نظراتكم الحائرة، وقلوبكم المضطربة المنتظرة، أنا أريد أن أطرح سؤالين وأجيب عليهما، ثم أجيب على تساؤلاتكم التي تعتمل في أعماقكم وتتحرك بين جوانبكم وتحت جوانحك، السؤالان: من نحن؟ ومع من نعمل؟ من نحن؟ ومن القوم الذين نعمل معهم؟ وأنا أجيب على هذا، ثم أجيبكم على نتيجة رحلتي في داخل أفغانستان، وعلمنا بما يوجب علينا الرحمن والديان، فانطلقنا وتركنا دنيانا ووظائفنا وجامعاتنا وشركاتنا، وجئنا طمعا في الثواب وحباً في دخول الجنة، ومن أي قوم جئنا؟.

نحن العرب، وأنا كفلسطيني شهدت بنفسني هزيمة ال (67) وكنت في خضمها وإن لم يكن فيها أمواج، كنت في بحر الحرب، ولكنه بحر هادئ ساكن رأيت الدبابات الإسرائيلية تدخل بلدتنا، ثم تصل المدينة القريبة منا، ثم تتجاوزها إلى ما بعدها، لم تتحطم لهم آلية واحدة، عشت هزيمة ال (67) ورأيت الدول العربية جميعاً، تنصدها كراس حرب، الدول الثلاثة المحيطة بإسرائيل، ما أظن أنهم قتلوا في هذه المعركة من الجيش الإسرائيلي ألف أو خمسمائة، وما أظن أنه قتل بالرصاص من العرب بيد اليهود خمسمائة ولا ثلاثمائة إلا أن يكونوا ماتوا جوعاً وعطشاً فوق رمال الصحراء وتحت شمسها المحرقة، ورأيت المعركة تنتهي في ثلاث ساعات، وإن كان اليهود قد تفضلوا وقالوا: معركة الأيام الست، وعشت فترة غربة الإسلام في هذا القرن، وكنت وأنا ابن فلسطين ما رأيت في فلسطين والأردن إبان العمل الإسلامي -

قبل أن تأتي هذه النهضة الإسلامية والصحوه المباركة- ما كنت أعرف إلا شابا واحدا يطلق لحيته في فلسطين والأردن من أصحاب الحركة الإسلامية -ودرست عن الإسلام في هذا القرن، وكيف سقطت الخلافة؟ وكيف تراجع المسلمون من ميدان إلى ميدان؟ ومن هزيمة إلى هزيمة؟ وقد سقط المسجد الأقصى سنة 1967م بيد اليهود دون أن يسقط حوله عشرة من الجنود أو الشعب الفلسطيني أو الأردني دفاعاً عن أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين، وعشنا تهافت حكامنا، على أقدام اليهود ليقبلوا منهم سلماً ذليلاً رخيصاً يوقعوا لهم على ؛ أن فلسطين هي ملك لكم ولا يمكن أن ننازعكم فيها، ورأيت بنفسي، السادات -حاكم أكبر دولة عربية- يذهب بنفسه إلى مجلس النواب الإسرائيلي (الكنيست) خاضعاً راعياً ذليلاً مهيناً هذا نحن، هذا نحن، سقطت الخلافة، ابتلعت أراضي المسلمين قطعة قطعة، لم يتحرك فينا عرق ينبض، ولم نتحرق على فلسطين أو على غيرها من الجولان أو سيناء تحرق قلب على ضياع قلم حبر من جيب أحدنا، ضاعت الخلافة، أعداؤنا يتسلطون علينا في كل مكان، وفي أذهاننا إذا ذكرت أمريكا أو روسيا أنها القوة التي لا تقهر والأسطورة التي لا تهزم، بل الدول كلها، إما أن تدور في فلك هذه، أو تدور في فلك هذه، وإذا زار البلاد رجل غربي أو شرقي، وزير خارجية أو ضابط صغير من إحدى الدولتين، تهتز له الأوصال وترتجف له الأطراف، وترتعد له النفوس، ورأينا حكامنا وهم يقفون على سلم الطائرة تحت أقدام وزراء خارجيتهم، وهم نازلون فوق رؤوسهم، وهذا عيب كبير حتى في السياسة ؛ أن يستقبل رئيس دولة، وكيل وزارة الخارجية، ورأينا تركيا قد تدمرت فيها الخلافة وسقطت، ورأينا مصر -مركز النقل في العالم الإسلامي- وقد أعمل فيه الغرب معاولة فدمر أسرته، وحطم نفسياته ومزق جيشه بالانقلابات العسكرية التي تطهر الأبرار ولا تأتي إلا بالأشرار، هذا نحن بنفسية منهزمة، تراجعنا من ميدان، إلى ميدان، بل فقدنا كل ميدان ولم يعد لأحدنا أي مكانة أن يتفوه بكلمة، أمام شرطي في منطقتة، أو أمام رجل قتات شهد له الرسول بعدم دخول الجنة "لا يدخل الجنة قتات" أي مخبرات، لا نستطيع أن ننسب ببنت شفه، ولا أن نعلوا أمامه نفساً، ها نحن، (ومن كان منكم بلا خطيئة فليجمعها) ومن كان منكم يعارضني في هذا الكلام، فليقل لا.. نحن في البلد الفلاني غير هذا، سمعنا أن هنالك شعباً مسلماً دخلت عليه قوة كبرى -بل أكبر قوة برية في الأرض- وهي قوة روسيا، وقف، وصمد، وما انتظر من العرب ولا من غير العرب مساعدة، كلكم إلا القليل، القليل، واحد في الألف ما جاء، ما رأى بيشاور إلا بعد 1984م، يعني قبل خمس سنوات، لا يتعدى الذين قدموا قبل 1984م منكم لا يتعدون قطعاً 3%، وكلكم جنتم قبل سنة، أو سنتين، أو ثلاث، على الأكثر، الشعب الأفغاني ما انتظركم حتى تأتوا إليه، وما عمل دعاية إعلامية يوم أن وقف في وجه تراقي وحطمه، وأمام حفيظ الله فدمره، وأمام روسيا فمرغ كرامتها بالأحوال.

بداية الجهاد الأفغاني

قاموا بالعصي والحجارة، تماما كأبناء الضفة الغربية الآن، بالحجارة والعصي أمام الدبابات والجيش المدجج بالأسلحة، أثبتوا مكانهم، وقفوا أمام عدوهم، هزموهم في كثير من الميادين، ونحن لم يترام إلى أسماعنا بعد ما هي أفغانستان؟ وما هو القتال الدائر فيها؟ قاموا، شعب كامل تحركهم صيحة الله أكبر، شعب أمي، جاهل نعم شعب معظمه تركيبة قبلية نعم، شعب الحياة المدنية فيه غريبة وبعيدة، هذا حق صحيح، شعب كثير منه حتى الآن لم يركب بالسيارة، وبعضهم لم ير سيارة حتى الآن، هذا كله صحيح، ولكنه شعب أبي، غيور، حيي وفي، على أصالته وفطرتة، كم تعجبت أن أحد القادة في هذه الرحلة، قال لي أحد القادة: ما ركب في السيارة إلا هذه المرة قبل أسبوع، أثبتوا وجودهم، العالم كله يتفرج عليهم، الغرب ما صدق أن هنالك شعب بدائي، أمي، يقف أمام روسيا، التي تهتز لها أوصل جنرالات حلف الأطلسي، روسيا التي يحسب لها ألف حساب، وتقض مضاجع البنناجون وضباط وجنرالات أوروبا وأمريكا، وقف شعب أمامها ثلاث سنوات أو أربع سنوات، ما صدق الصحفيون الغربيون جاء الصحفيون الغربيون، شهدوا بأنفسهم معارك، صوروا الدبابات المدمرة والسيارات المحكمة وبعض الطائرات الساقطة، ورجعوا إلى الغرب يقولون: فعلا إن هنالك معركة حقيقية في داخل أفغانستان، فالأولى بالغرب، والأولى بالشرق أن يقفوا مع هذا الشعب حتى يواصل تدميره لروسيا لعنا نفس لأحقادنا أيام فينتام، ولعنا نخضد هذا الدب جراحا فينشغل بجراحاته التي تنزرو، وبغض طرفه عنا بآلامه التي تعمل في أعماقه.

فالغرب والشرق رحبوا بهذا، والمسلمون نائمون حتى الآن، وكنت -ولا فخر- أول من بدأ ينبه بأن هنالك قضية إسلامية، في داخل أفغانستان ولا بد للمسلمين أن يقفوا بجانبها، جئت سنة 1981م، ونحن الآن بعد ثماني سنوات في 89 لكنني أقول لكم: لا تزيديني الأيام إلا إعجابا بهذا الشعب، لأنني أعرف أكثر منكم حالة الشعوب، وحالة المسلمين، ولي تجارب، بحكم السن، وبحكم العمل في الدعوة الإسلامية، أكثر منكم، ولذلك فرؤياي أوضح ونظرتي أبعد -كما أظن- بحكم السن والتجربة.

هزيمة روسيا

الجهاد في أفغانستان جهاد رفع به كل مسلم رأسه في الأرض، وانتهى بخروج روسيا ذليلة مدمرة حسيرة كليله تجر أذيالها من داخل أفغانستان، ولم تنته التجربة الروسية في داخل أفغانستان على حدود نهر جيحون، بل آلت روسيا -بقرار من مجلس السوفيات الأعلى- على نفسها؛ ألا ترسل الجيش الأحمر إلى أي مكان في الأرض بعد تجربة أفغانستان، والإحصائيات التي نقلتها الأقمار الصناعية، وأجهزة التنصت الباكستانية، حتى بداية 1989م

نقول : إنه دمر في داخل أفغانستان سبعة عشر ألف دبابة ومصفحة حتى بداية 1989، وتحطم لها واحد وعشرون ألف سيارة وناقلة، وسقط لها حوالي ألفين وثمانين طائرة ومثلها قد استهلك، أرقام خيالية عندما كنا نعرضها على بعض من يعرفون العسكرية، يخرجون عن طورهم ولا يكادون يصدقون، أيعيشون عالم الأوهام والأحلام؟! أم يعيشون في حقائق ووقائع ثابتة بالأرقام؟ خرجت روسيا والكل رآها، وخرجت روسيا ولم تأخذ ورقة واحدة من داخل أفغانستان من يد المجاهدين، الشعب واصل جهاده، بقيت الحكومة الشيوعية، والشعب قد واصل، الشعب بطبيعته كله قد هب من داخل أفغانستان يقاوم العدو المحتل -روسيا الكافر الشيوعي- فهم كانوا يقاتلون روسيا لأنها شوروية وكافرة وملحدة، وليس لأنها جاءت من خارج أفغانستان، وما دامت الشيوعية موجودة فالمعركة مستمرة.

بعض مشاكل الجبهات

وعندما قام الشعب في داخل أفغانستان، قام الولي، والتقي، الصالح الذي يباري بطهارته ماء مزن السماء، وقام الفاجر والطالح والفاقد، والكل قد امتشق حسامه ووقف في وجه روسيا، وقام قاطع الطريق الذي كان يقطع الطريق ليسرق بقرة، أو لينهب عنزاً، أو ليأخذ شاة، فبدل أن يأخذ شاة أو عنزاً يأخذ سيارة محملة بالأسلحة والذخائر يساوي ثمنها آلاف البقر، خرجت روسيا وقد طهر كل واحد من هؤلاء منطقتهم، طهر الولي منطقتهم وأقام نفسه قائداً أميراً، وطهر الفاسق منطقتهم وقاطع الطريق، وسارق البقر منطقتهم، وأقام نفسه قائداً أميراً، هذا الفاسق لا بد له من نفقة، لا بد له من أموال حتى ينفق على نفسه وجبهته، خرجت روسيا، قلت الغنائم، قلت السيارات التي يأخذها، فإذا، تلفت حوله، لا بد أن ينتقل النهب من روسيا إلى القرى المجاورة حوله، فصار بعضهم يغير على هذه القرية، فيأخذ بقرها، أو يأخذ شاته، أو يأخذ عنزها، لبييعها وينفق على جبهته وعلى نفسه، الصالحون، الأتقياء، المفكرون من أبناء الدعوة، يرون هذا، يرون أن أمامهم عدواً وطاغوتاً يجثم على صدور المسلمين في كابل، لا بد أن نفرغ كل همنا للإطاحة به، ويرون هؤلاء وهم يقضون مضاجع الناس، وينهبون أغنامهم ويسرقون بقرهم، وعندما يغير على القرية لا بد أن يقتل طفل، أو تموت امرأة، أو يسرق أو يؤخذ واحد منها أسيراً مقابل رهينة مالية يشترطها السارق، فكانوا أمام قضيتين : قضية مواصلة الجهاد في داخل أفغانستان للإطاحة بهذا الطاغوت، وقضية أخرى تتغز جوانبهم بالخناجر وتتغزها بالرماح والسهام، فكانوا قد آثروا أن يجتروا آلامهم، ويكظموا غيظهم، ويبتلعوا غصصهم، ويواصلوا معركتهم، هؤلاء الذي يسقطون في داخل أفغانستان معظمهم بهذه الطريقة، وبعضهم إنما له ثارات قديمة، قبل مائة سنة، وعندما دخل الروس انفق الناس على تأخير الأخذ بثأرهم ريثما تخرج روسيا، وبعدها نتحاسب، فالآن خرجت

روسيا وتحررت كثير من المناطق، فعاد بعض الموتورين -يريدون باسم الجهاد، وباسم الأحزاب، وبالسلاح الذي أخذوه من قادة الأحزاب يشفون غليلهم وينفسون عن غيظهم ويروون موتور قلوبهم، تسعين إلى خمس وتسعين بالمائة من الحوادث في داخل أفغانستان تحدث بمثل هذه الطريقة، والأحزاب منها براء، أو على الأقل قادة الأحزاب، يعيشون حالة من ثلوي قلوبهم، وكظم غيظهم، وابتلاع حسرتهم، وغصصهم، ما لا يمكنك أنت ولا غيرك لو عشت سنوات في داخل أفغانستان أن تبلغ المرارة التي يعيشونها في أنفسهم.

العرب في داخل أفغانستان صاروا يرون هذا فيتعجبون من هذه القضايا، قتل فلان، هجم على المنطقة الفلانية، هجم الحزب على الجمعية، هجمت الجمعية على الحزب، والجمعية والحزب، أو قادتهم على الأقل، أنا الذي أدين به، كما أعتقده بيني وبين الله -أنهم يعيشون حسرة تصل بهم أحيانا إلى حد التفكير بترك الجبهات نفسها، والله من القادة، يقول لي أحدهم أفنتي يا شيخ، أنا مضطر أن أدافع عن أعراض المسلمين وأمنهم من فلان الشرير، وفلان الشرير، فإما أن أدافع عنهم وأنا أعيش ليلي يقض مضاجعي هذا الأمر، هل يجوز؟ أفنتا؟ أو يجوز لنا ترك الجهاد في داخل أفغانستان، ونترك أفغانستان لهؤلاء، أم ندافع عن الناس، وعن القضية الكبرى التي قمنا لأجلها، قضية تحرير أفغانستان، لإقامة حكم الله فيها، حتى إنه يحدثني من ينام معه قال: لقد استيقظت عليه الساعة الثانية ليلا، وهو يجهد بالبكاء، وقلت له: ألدغتك هامة؛ أفعى أو عقرب؟ قال: بل أعظم، أنا لا أستطيع أن أعيش الحالة النفسية التي تحرق نفسي، هؤلاء بعض الأشرار -الذين بيدهم الحديد والنار، والذين بيدهم السلاح- يهجمون علينا، ومعهم مسلمون طيبون، فإما أن نرددهم فيقتل بعض المسلمين، وإما أن نتركهم فتضيع المناطق الطيبة وتتبع المناطق لهذا الرجل الفاسق أو الفاجر أو غير ذلك.. هذه حالة كثير من القادة الصالحين، أو الطيبين، أو المتصدين للجهاد، والذين نسمع أخبارهم تتردد على مسامعنا صباح مساء.

نوايا طيبة

دخلت مع حكمتيار، قلت له : يا حكمتيار، أنتم تعلمون أن العطف العالمي والإسلامي، قد بدأ يقل تدريجيا على قضيتكم، وأن الصحف العربية تبعا للصحف الأجنبية، أخذا بالإقرار في القلوب على أن الجهاد قد انتهى في أفغانستان، وأن الحرب التي تدور رحاها الآن شرسة حمية الوطيس من جيحون حتى بكتيا لا تتعدى إلا صراعاً على أهواء لوصول أحدهم إلى الكرسي في كابل، ويقولون للمسلمين: إذا شئتم ألا تدخلوا بدماء المسلمين فوفروا على أنفسكم نقودكم، لأنكم بتبرعاتكم إنما تساهمون بسفك الدم الحرام المسلم، فلا بد لكم أن تلتقوا، لا بد لك أن تجلس مع مسعود، ومسعود قوة لا تستطيع -لا أنت ولا غيرك- أن يغض الطرف عنها،

عشر ولايات في الشمال الآن تتبع له ويحركها، أنت يا حكمتيار لا تستطيع بنفسك أن تقطع الطريق الواصلة من روسيا إلى كابل، ولا تستطيع بنفسك أن تحتل مطار بگرام، هنالك شريك آخر لك في هذه المنطقة وهو مسعود، إن رضيت أو غضبت لا بد أن تلتقي معه، إن كنت تفكر فعلا في مواصلة المعركة وبالإطاحة بالحكم في كابل، وشعرت أن الرجل جاد في الصلح، يحب اللقاء، قال : أنا أجلس مع مسعود، وأنت خذ هذه الأشياء التي أظنها سببا في الخلاف في داخل أفغانستان من أمثال هذه النقاط التي على الطرقات، تأخذ الإتاوات والضرائب، ومن أمثال الأوادي المهاجرين الذين يغضبون على هذه الجبهة في الجمعية فيهربون إلى الحزب، يؤلبون القلوب ويوغرون الصدور ليرجعوا إلى مناطقهم بهجوم جزبي أو العكس، وكتب لي سبع نقاط، وقال لي : تفضل واذهب بها إلى مسعود، فإذا رضي مسعود نحن نلتقي ونحل قضايانا إن شاء الله، قلت له : أنا كفيل أن يوقعها مسعود، ودعينا عبد الله أنس وكنا في جلبهار كوهستان وقتلنا له. اذهب بهذه الورقة إلى مسعود ليوقعها، وليأت إلى بنجشير، ليلتقي هذان القائدان في كوهستان لعل الله يحل على أيديهما كثيراً من المشاكل التي تحصل بسبب هؤلاء الأشرار.

مشكلة تخار

وبينما نحن تحت شجرة في جيريكار نرتب الأمر مع قادة حكمتيار، بوجود أبي الحارث وعبد الله أنس وغيرهم وأبو هاجر، المهم بينما نحن نعد هذا أذاعت BBC أن هنالك رجلا من الحزب الإسلامي قد تعرض إلى مجموعة من قادة مسعود وأسرههم وقتل بعضهم، هذه العملية أصابت محاولة الصلح في مقتلها، فقلت لحكمتيار: أنت تمضي إلى باكستان وأنا أحاول إن شاء الله أن أذهب إلى مسعود من الآن لعلني أملك القضية ونحصرها في أضيق نطاق، والدليل على أن حكمتيار غير راض عن هذا، وغير سامع بالقضية بذاتها على الأقل، أنا أحكم، أو أكاد أتيقن أن القضية لا يعلم بها حكمتيار، بمجرد أن سمع النبأ وواجهني به، رأيت وجهه قد امتنع بالسواد، وتغير فكان غير الرجل الذي كان، تغيرت رحابته ونكته وانشراح صدره، وانبساط وجهه إلى ضيق، وإلى امتناع وإلى اسوداد وجه، وغير ذلك، لقد وقع القول على قلبه ثقيلًا فغير كل تصرفاته، قلت له: تنتظر أسبوعاً في هذه المنطقة - قبل أن يذهب إلى باكستان - لأذهب إلى عظيمي وأستفسر الأمر، وعظيمي هو قائد مسعود في بروان وكابيسا، ذهبت إلى عظيمي، فوجدت أن الأمر كبير، وأن الأمر لا يمكن بهذه السهولة أن يلتم ويتجاوز في خلال أسبوع، ولا يمكننا في هذه الفترة أن نأتي بمسعود ويجلس مع حكمتيار. فحكمتيار بمجرد أن رجعت إليه كتب كتاباً إلى الصحف العالمية والإذاعات يرسله بالاسلكي إلى مكتبه في بيشاور، يوزعه على العالم بشجب هذه الحادثة ويستكرها، وقلت له

: إياك وردود الفعل مهما سمعت من الإذاعة، فالناس موتورون، والمسألة كبيرة ووعدي
 بهذا، وسار إلى باكستان، وتوجهت نحو تخار حيث مسعود هناك، وصلت إلى مسعود، وقبل
 أن أتحرك أتصلت به باللاسلكي: أنا قادم إليك حدد لي الطريق والمكان الذي أنت فيه، حتى
 نختصر المدة أكبر ما نستطيع، وانتظرت يومين ولم يأت الجواب لأنه يتنقل من المراكز في
 منطقة واسعة في الشمال، وفي الشمال قلما تجد وسائل مواصلات من سيارات، لأن هنالك
 جبالا ضخمة يجتازها المار، تحتاج لمشيئه يوما أو أكثر أو أقل، ومكثت أسبوعا من بنجشير
 حتى وصلت إلى فرخار، وعلى الطريق نزلت الثلوج واحتجزتنا في خطم أحد الجبال يومين،
 ثم واصلنا المسير، قطعنا الجبال، فوصلناه بعد أسبوع، وجدت مسعوداً يتقطر أسى، وبتفتت
 كبده ألماً، الحادث كبير حقاً، ولكنه لم ينبس ببنت شفة قبل أن يبدئي وأسأله عن الحادث،
 شرحت له وضعهم العالمي، ووضعهم الدولي، ووضع الجهاد في الداخل، وتردي المعنويات
 لذا تجمد تقدم المجاهدين في جلال آباد وقندهار، ومرت أشهر دون أن يفتحوا مدينة واحدة
 وقلت له : يا مسعود أنا لا أطلب منك أن تسامح هذا الرجل وما فعله، لكن أطلب منك شيئاً
 واحداً أن تؤخر الحساب ريثما تقوموا بعملية عسكرية أو اثنتين ضخمتين، ترفعون بها
 معنويات العالم الإسلامي، ومعنويات المجاهدين في داخل أفغانستان، وقلت له : كنت قادماً مع
 حكمتيار لتلتقيا وفي اليوم الذي بدأنا نرتب اللقاء جاء هذا الخبر الصاعق، ووالله ما أظن أنه
 في خلال أعوام نزل على قلبي خبر أشد من هذا ولا أعظم رزاً منه بمجرد أن سمعت الخبر
 كادت نفسي تتمزق ألماً، لأنني أعرف من هؤلاء الناس الذي ذهبوا، وأعرف الخسارة التي
 تفوتنا من عدم لقاء هذين القائدين اللذين ساق الله بإذنه عشرات الألوف - وهم طوع أيديهم
 ورهن إشارتهم - فرح والله، فرح مسعود لأن حكمتيار يريد أن يلتقي معه، وقال لي : ورغم
 هذه المشكلة، أنا مستعد أن أجلس مع حكمتيار في أي مكان في داخل أفغانستان، وأنا قد
 وكلتك في العام الماضي أن تكون موكلاً لي، تلتقي مع حكمتيار على أي شروط، وتوقع
 عليها، وأنا أرضى بها، ثم مضى عام بعد زيارتك لنا ولم يحصل شيء، فأنا اعتذرت له عن
 حكمتيار، وعن الأحداث التي جرت ما بين اللقائين، والذي يدل على أن حكمتيار جاداً في لقائه
 مع مسعود والصلح معه أنه أرسل وفداً في العام الماضي يعرض على مسعود صلحاً من هنا
 من بيشاور، ووعده مسعود أن يرسل وفداً آخر ليوصل البحث في حل هذه المشاكل التي يثير
 معظمها كثير من الأشرار، قلت له : لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يقتل رجل في تخار أو في
 فرخار فيقتل رجل مقابله في كلبهار، لا أدري بأي دين هذا أو بأي شرع أو بأي عقل، قال :
 هذه القضية مفروغ منها - إن شاء الله - قال لي : لقد خرج الأمر من يدي - هذا قوله - قلت له
 : حركوا هذه الجموع الناقمة لفتح كندز ولقد كان منك سابقة قبل سنتين يوم أن قتل أحد قادتك
 بيد أحد الأشرار وقائده اسمه صفي الله، فجاءت جماعتك يضغطون عليك للانتقام من الحزب

في المنطقة فأنت قلت لهم: بدل أن نقتل مع الحزب نهجم على فرقة نهرين وهجمتم على فرقة نهرين وذنكم الناس أنكم هاجمون على الحزب ولذلك بقي الجيش -فرقة الجيش- مسترخية حتى دخلتم في نهرين، واحتلتم الفرقة بخسائر بسيطة، مقابل غنائم وأسرى كثيرة بإذن الله، هل لك أن تعيد هذه القضية؟ فقال لي : لقد كان صفي الله من بنجشير، وهو من قومي، وبإمكاني أن أقول لقومي أخروا دم فلان، ولا تستجيبوا لفلان، ولا تتأروا لفلان، وأمسك بخناق الذين حولي لأنهم كلهم من بنجشير، أما الآن فالقضية في الطاجك، وفي الأوزبك، وفي تخار، وفي غيرها، ولذلك أنا لا أستطيع أن ألمم القضية، فعندما فشلت قلت له : اهجمو على كندز قال : والله هذا دفتر المحاضر، وجاء وقرأ علينا ماذا يقول كل قائد وقال لقد حددنا اليوم الثاني لعيد الأضحى ببدء التجميع للعمليات وحده -قال لنا نائبه- وحدد اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بداية الهجوم على كندز وإشعال الطريق- الموصل من حيرتان على جيحون حتى كابل -نشعلها حتى نغلق الطريق لعل الحكم يهتز ويتزعزع ولكن هؤلاء الأرقام أنا لا أستطيع الآن أن امتص غضبهم وأوجههم دفعة واحدة إلى كندز، قلت له : إذن احصروا الخلاف في أضيق نطاق مع الجاني نفسه، قال: أما هذه فأعدك بها إن شاء الله، ولن يتعدى الجاني أو الذي فعل الفعل، ثم قال لي: وعلم الله -هذا قوله والله هو الشهيد- علم الله أنني ما جئت في يوم من الأيام إلى قائد في الشمال وأعطيته رصاصة واحدة وقلت له اضرب بها الحزب. وعلم الله أنني ما رضيت يوماً واحداً وأقسم لي على هذا (ومن أقسم لكم بالله فصدقوه) ثم الذي يحاسب القلوب هو علام الغيوب رب العباد الذي يعلم السر وأخفى -وعلم الله أنني ما رضيت عن الخلاف لحظة واحدة أباً، أقول لكم: رغم كل هذا والله إني مرتاح النفس مطمئن القلب، قرير العين، أن هؤلاء القادة الكبار، هذا الذي تطمئن إليه نفسي وأدين به ببني وبين ربي، إلا أن يثبت لي شيء آخر أن هؤلاء القادة الكبار بعيدون أو لا يحبون هذه الخلافات، ولا يدخلون فيها إلا كما يدخل أحدهم في النار وهو يعلم، هذه واحدة.

الشيء الثاني الذي طمأن نفسي أن هؤلاء القادة الكبار، محبوبون للصلح كل واحد منهم متلهف له، وينتظر الوقت الذي تنتهي به هذه المشاكل.

القضية الثالثة التي تجعلني أطمئن أن كل واحد منهم نصب عينيه وشغله الشاغل وذهنه بالتفكير ليل نهار كيف يطيحون بالحكم الشيوعي ؟ قال لي حكمتيار : نحن نريد أن نغلق الطريق الموصل من كابل إلى حيرتان فوجدت نفس التفكير، بنفس الوقت يرتب له مسعود، قال لي حكمتيار: نريد بإذن الله أن نعمل عملية عسكرية كبيرة، لعل المسلمين ترتفع معنوياتهم ولعل المجاهدين تعود إليهم روحهم المعنوية التي كانت أثناء خروج الروس في شهر يناير لهذا العام فوجدت مسعود يرتب كذلك لهذا ليس لمطار بجرام قال لي : وأنا أسأله عن كابل

قال لي: أنا أعدك بكابل في هذا الصيف لكن أعدك بشيئين: أن أشعلها ناراً بإذن الله بعد أن تنتهي هذه المشكلة، من حيرتان إلى كابل وأن اهتم على بعض المدن، لعل الله يفتح علينا بعضها، فالكل يرتب للطاغوت الأكبر، أو للطاغوت الكبير نجيب، ولذا وأنا أرجع من الداخل، وإن كانت نفوسكم تنقطر أسىً وألماً، لما يدور هنا فأنا والله الذي أقوله لكم: مرتاح القلب، مطمئن النفس، قرير العين، هادئ الأعصاب، أن النتيجة بإذن الله لصالح هذا الدين، ثم لصالح المجاهدين. هذا الذي أطمئن إليه، وأنا بيني وبين نفسي لن أغادر هذه الساحة بإذن الله، ما دمت أظن أنني أقدم شيئاً في هذه الساحة، وما دمت أظن أنني أستطيع أن أوصل جهادي، ولن أخرج إلا مكبلاً من فوق الأرض، أو أدخل في داخل الأرض مقتولاً. هذا الذي تطمئن إليه نفسي، وما حدثتني نفسي لحظة عبر هذه الأعوام، وأنا أرى مشاكل تشيب لها تواضي الولدان، ما فكرت لحظة أن أغادر هذه الساحة لأنني أظن أن راية الجهاد مرفوعة، وأن في الأمر متسعاً، وأن النهاية للإسلام، وأن دولة الإسلام ستقوم ولو بعد أعوام من انتصار المجاهدين. أما النصر فيأذن الله تطمئن عليه نفسي أنه قادم، أما إقامة دين الله وتطبيق الشرع فأنا أعلم أنه قضية تحتاج أعواماً، لتثقيف الشعب من خلال الإذاعة والتلفاز ومن خلال الصحيفة والدوريات، ومن خلال الجامعة والمدارس، وبقي أنتم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) فمن كان منكم مطمئناً أن هذا جهاد إسلامي، وأن هذا الشعب مسلم فيجب عليه أن يواصل معه ومن توصل منكم إلى قرار قلبي أن هذا القتال ليس جهاداً إسلامياً، وأن هذا الشعب لا يمكن أن يصل إلى خير، فرحم الله امرءً خفف وترك مكانه وعاد إلى بلاده، لا تزيدوا جراحات الأفغان، ولا ترشوا على جروحهم ملحاً، ولا تزيدوا فتنهم، ولا تقتلوا عيوبهم، ولا تتوسسوا ولا تتهمسوا فيما بينكم عنهم، فإني أعلم ما لا تعلمون، وأوقن أنكم إذا كنتم تشكون في إسلامية هذا الجهاد، أنكم مخطئون. كل واحد منكم قد عجز عن الصلح بين الناس أو وصل إلى حد يدرك أنه لا يستطيع أن يواصل المعركة معهم، فهو آثم إن بقي على هذه الساحة، يجب أن يرجع إلى بلده، لأنه يعيش في فراغ، والفراغ لا يأتي إلا بإنسان بائس أو محطم بالآلام والتأوهات التي تتقلب رضى أم غضب إلى تثبيط أو تعويق وإرجاف وغير ذلك، رضيت أو غضبت أخلصت أم لم تخلص، إن كنتم تظنون إنكم تقومون بالإصلاح فحي هلا وواصلوا بشرط أن توقنوا ابتداءً أن هذا الجهاد إسلامي وأن الشعب هذا مسلم. يقول لي الشيخ رباني بالأمس والله بقي الخبر عندي خمسة أيام ما أخرجته خوفاً من تشويه سمعة الجهاد، وخوفاً من التأثير عليه ولأنني أعلم أن تشويه حكمتيار إنما هو تشويه لي وتشويه للجهاد نفسه، وتحطيمي لأخي إنما هو تحطيم لي وتحطيم للجهاد، فالناس يعرفون بعضهم أكثر منكم فمن كان منكم يعتقد أن هذا الجهاد إسلامي فليعرف مقامه، أنت في بلدك يا أخي ما كنت تستطيع أن تتكلم على شرطي ولا تستطيع أن تواجه ضابطاً من ضباط المخابرات، أنت الآن

تقفز دفعة واحدة لتقوم فلانا وتحطم فلانا وتخطيء فلانا وتؤيد فلانا، اتقوا الله في أنفسكم ورحم الله امرء عرف قدره فوقف عنده.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد :

يا أيها الإخوة أقول لكم باختصار الجهاد على خير، أنا مطمئن إليه، القادة يريدون الصلح، وجادون فيه، هم أعلم بأقوامهم وأنفسهم وبعضهم منكم، دورنا الإصلاح، فإن استطعنا أن نؤدي كلمة خير في الإصلاح فلندل بها، وإلا إذا وصلنا إلى حد اليأس فلنغادر الساحة فوراً، ويأثم الذي يبقى في الساحة وهو يدرك أن هذا الجهاد ليس إسلامياً وأنه لا يؤدي دوراً في الإصلاح والخير لأنه يأكل من الأموال التي تأتي للجهاد، وهو يؤدي الجهاد رضي أم غضب، أخلص أم مكر، كل واحد منكم اعيدها لا يطمئن إلى إسلامية هذا الجهاد وإلى إسلامية هذا الشعب، حرام عليه أن يبقى في الساحة عودوا إلى بلادكم فبلادكم أوسع لكم أما الذي هدى الله قلبه واطمأنت نفسه إلى أن هذا الجهاد جهاد إسلامي، فليمض على بركة الله وليواصل الطريق وأظنها بإذن الله توصل إلى دين الله وإلى النصر.

الأوضاع في الداخل مختلفة جداً مما في بيشاور أفضل بكثير من بيشاور، فالمعركة لا زالت منتصرة لجانب المجاهدين، والميزان راجح لصالحهم، والعمليات يومياً يحصل نصر، ولكن أخبار الفساق أو الفجار التي تحدث هذا الانفجار، بين الحين والآخر يغطي دويها على كل خير، ونحن قادمون من خلال طريق (طوبخانة)، فتحت مديرية كاملة، مديرية زيباك، في يومين فقط، -في بدخشان- وقد غنموا دبابات وسيارات وأربعمئة وخمسين كلاشنكوفاً، وأسرى كثيرين وما إلى ذلك. سقطت كذلك مديرية (مير بجه كوت) خلال هذه الفترة وكذلك "قره باغ"، هذه الأخبار لا نقف عندها، إنما نقف على قضية صغيرة، نعم، أحدثت دوياً هائلاً على يد أحد البسطاء أو الفجار أو الفساق أو الأشرار أو السراق، أحدثت هذا الدوي فلا تسمع في أرجاء بيشاور إلا أصداً هذا الدوي يتناقله لسان عن لسان وفم عن فم. فاتقوا الله..

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
(النساء:83).

فأرجعوا الأمر لأهله وأرجعوا الكلام للمسؤولين، وإلى أولي الأمر منهم حتى يستتبته أولي الأمر فيعلمونكم القضية وإذا كنت لا تستطيع أن تتركها، ووالله يا إخوة هنالك بعض المشاكل التي نظنها بسيطة وسببها بسيط لها جنور عميقة من عشرات السنين، أو من عشر سنين ثم جاء وانفجر باسم الحزب تارة وباسم الجمعية أخرى، والجمعية منه براء، والحزب منه طاهر كطهارة الذئب من ابن يعقوب، أو بريء كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب، اتقوا الله لا تتكلموا إلا بخير، ولا تتشروا إلا خيراً، ولا تخبروا أقوامكم ولا الناس في بيضاور إلا أخبار الانتصارات، وإذا جاءكم أمر من هذا فقولوا كما قال خالد بن الوليد عندما جاء الرسول في منتصف معركة اليرموك جاءه جذيمة ابن زنيم، يحمل رسالة من عمر يخبره بوفاة أبي بكر ويعزله عن القيادة، وقد خاضوا اليوم الأول من اليرموك، وحتى يفرح القوم ويظنوا أنه جاء ببشارة قال له: أحسنت وابق بجانبني حتى لا ينشر خبر وفاة الصديق وعزل خالد، حتى لا يفتّ في عضد الجيش، قال بملء صوته وبأعلاه: أحسنت حتى يظن الجنود المجاهدون أبناء الإسلام إنه قد جاء بخبر مفرح من مدينة رسول الله ﷺ .

فهرس الموضوعات

5	المقدمة
8	معالم في الطريق
22	ولاية الكافرين
40	الأثر الحضاري للجهاد (1)
58	الأثر الحضاري للجهاد (2)
72	الحاكمية المطلقة لله
84	شهر الصيام والقيام
96	الجهاد وأثره في بناء الجيل
108	الرابطه الإيمانية
120	حديث للشباب المسلم
135	الدعوة الإسلامية وكفاحها
149	نريد دولة الإسلام
161	توجيهات جهادية
165	طبيعة العمل لهذا الدين (1)
177	طبيعة العمل لهذا الدين (2)
188	طبيعة العمل لهذا الدين (3)
200	الأفغان والتوحيد
211	صور من حياة الأبطال
221	المستقبل لهذا الدين
232	تعريف بالجهاد الأفغاني
244	الجهاد الأفغاني إلى أين ؟

262	الصدق والتقوى
273	نصائح جهادية
285	فتح الفتوح
295	يوم الشهداء
301	الشهداء
312	مشاهد من الجهاد
326	نفحات من الجهاد
338	من ثمرات الجهاد
350	أسئلة عن الكرامات
364	الأفغان والسلفية
373	الشهيد سبع الليل اليمني
381	عبر من الأيام

